١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

الطبعة الأولى

دار محيسن

للطباعة والنشر والتوزيع

٤٢ طريق النصر (الأوتوستراد)

وحدة رقم ١ عمارات امتداد رمسيس ٢

مدينة نصر - القاهرة - ت ٢٦٣١٤١٢ (٢٠٢)

ص.ب. ٨١٧٧ - مدينة نصر - الرقم البريدي ١١٣٧١

المطابع : مدينة العبور - المجمع الصناعي - وحدة ٣٠٥

رقم الإيداع : ٢٠٠٢/١١٢٦٤

الترقيم الدولي : 3- 20 - 6076 - 977

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله القائل في محكم كتابه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢)﴾ [النور: ٥١، ٥٢].

والصلاة والسلام على رسول الله الذي صحّ عنه في الحديث الذي رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ إذْ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثلُ أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثلُ آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا» [رواه مسلم].

وبعد.. فإن تفسير «القرآن الكريم» من أشرف العلوم على الإطلاق، وأولاها بالتفضيل على الاستحقاق، وأرفعها قدراً بالاتفاق.

لذلك فقد اهتم العلماء ـ جزاهم الله خيراً ـ بتفسير «القرآن» منذ بدء التدوين حتى العصر الحاضر.

ومن ينعم النظر في الكتب المصنّفة في ذلك ينشرح صدره، وتقر عينه.

وكتب التفسير مع كثرتها، وتعدّد أهدافها، وأغراضها ـ جزى الله مؤلفيها أفضل الجزاء ـ إلا أنها لم تهتمّ الاهتمام الحقيقي «بالقراءات» التي ثبتت في العرضة الأخيرة.

لهذا وغيره فكرت منذ زمن طويل أن أكتب تفسيراً «للقرآن الكريم» أضمّنه القراءات المتواترة التي ثبتت في العرضة الأخيرة، مع إلقاء الضوء على توجيهها، ونسبة كل قراءة إلى قارئها.

رجاء أن يكون ذلك مرجعًا للمهتمين بتفسير «القرآن الكريم». إلا أنني كنت كمن يقدّم رِجْلا ويؤخّر أخرى، خوفًا من الله ـ تعالى ـ.

ولمّا شرح الله ـ تعـالى ـ صدرى لهذا العمل الجـليل، توكلّت عليه، وطلبت منه العون والتوفيق إنه سميع مجيب.

وقد سميت تفسيرى هذا:

(فتح الرحمن الرحيم في تفسير القرآن الكريم)

أسأل الله ـ سـبحـانه وتعالى ـ أن يجنـبنى الخطأ، والزلل، وأن يجعل عـملى هذا خالصًا لوجهـه الكريم، وأن ينفع به المسلمين، وأن يجعله فى صحـائف أعمالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خـير محضراً إنه سميع مـجيب، وصلِّ اللهم على سيدنا «محمد» وعلى آله وصبحه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

أ. د / محمد محمد محمد سالم محيسن

غفر الله له ولوالديه وذريته والمسلمين

الجمعة ٩ رجب ١٤١٦هـ

الموافق أول ديسمبر ١٩٩٥م

تمهيد

ضمنت هذا التمهيد بعض المباحث التى لها صلة وثيقة بمضمون هذا التفسير وهى:

الأول : التفسير والمفسرون، وما يتعلق بهما.

الثانى : المكى ـ والمدنى فى «القرآن الكريم».

الثالث : علم غريب «القرآن».

الرابع : القراءات القرآنية، وما يتصل بها.

الخامس : الأحرف السبعة، وبيان المراد منها.

السادس : تاريخ القراء العشرة وسلسلة أسانيدهم فى القراءة حتى رسول الله ﷺ.

السابع : تاريخ الرواة العشرين.

الثامن : دخول القراءات الأمصار، واشتهارها.

التاسع : أنواع القراءات، وبيان حكم كل نوع.

العاشر : صلة القراءات العشر بالأحرف السبعة.

الحادي عشر: أركان القراءة الصحيحة.

وهذا تفصيل الحديث عن هذه المباحث حسب ترتيبها:

المبحث الأول: التفسير، والمفسرون، وما يتعلق بهما

بإذن الله ـ تعالى ـ سأتناول في هذا المبحث الموضوعات الآتية:

أ ـ معنى التفسير.
ب ـ معنى التأويل.
جـ ـ الفرق بين التفسير، والتأويل.
د ـ التفسير في عهد النبي ﷺ، وأصحابه.
هـ ـ التفسير في عهد التابعين.
و ـ أقسام التفسير.
ز ـ تعريف التفسير المأثور.
ح ـ تدرّج التفسير المأثور في دور الرواية.
ط ـ تدرّج التفسير المأثور في دور التدوين.
ي ـ أشهر الكتب المؤلفة في التفسير المأثور.
ك ـ معنى التفسير بالرأي.
ل ـ موقف العلماء من التفسير بالرأي.
م ـ أشهر كتب التفسير بالرأي الجائز.
ن ـ أشهر كتب التفسير بالرأي غير الجائز.
س ـ العلوم التي يحتاج إليه المفسِّر.

وهذا تفصيل الحديث عن هذه الموضوعات حسب ترتيبها:

• أولا : معنى التفسير :

* التفسير لغة: هو الإيضاح، والتبيين، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣]، أي: بيانًا وتفصيلا. والتفسير مأخوذ من «الفَسْر» وهو الإبانة والكشف.

* التفسير في الاصطلاح:

قال الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ): هو علم يُفهَمُ به كتاب الله المنزّل على نبيه «محمد» ﷺ، وبيان معانيه واستخراج أحكامه، وحكمه. اهـ[1].

• ثانيا: معنى التأويل:

التأويل لغة: مأخوذ من «الأوْل» وهو الرجوع. يقال: «آل الأمر إليه أوْلا، ومآلا» بمعنى: رجع. فكأنّ «المؤوِّل» أرجع الكلام إلى ما يحتمله من المعاني.

* التأويل في الاصطلاح: التأويل عند علماء السلف له معنيان:

١ ـ تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره، أو خالفه.

وعلى هذا يكون: التفسير، والتأويل مترادفين. وهذا ما كان يعنيه محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) في تفسيره بقوله: «القول في تأويل قوله ـ تعالى ـ كذا وكذا».

(١) انظر: الإتقان للسيوطي (٢/ ١٧٤). نقلا عن: التفسير والمفسرون للذهبي (١/ ١٥).

٢ ـ هو نفس المراد بالكلام: فإن كان الكلام طلبًا، كان تأويله: نفس الفعل المطلوب. وإن كان خبرًا، كان تأويله نفس الشيء المخبَرِ به[١].

- **ثالثًا: الفرق بين التفسير، والتأويل:**

اختلف العلماء في بيان الفرق بين: التفسير، والتأويل وهذه أهم الأقوال الواردة في ذلك:

١ ـ قال أبو عبيدة معمر بن المثنّى (ت ٢١٠هـ): التفسير، والتأويل بمعنى واحد. اهـ[٢].

إذًا فهما مترادفان، وهذا هو الشائع عند المتقدمين من علماء التفسير.

٢ ـ وقال الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ): التفسير أعمّ من التأويل، وأكثر ما يستعمل التفسير في مفردات الألفاظ. والتأويل أكثر ما يستعمل في الجمل والمعاني. اهـ[٣].

٣ ـ وقال البغوي الحسين بن مسعود بن محمد (ت ٥١٠هـ): الفسير: هو الكلام في أسباب نزول الآية، وشأنها، وقصّتها. والتأويل: هو صرف الآية إلى معنى محتمل يوافق ما قبلها، وما بعدها، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط. اهـ[٤].

* تعقيب وترجيح على الأقوال الواردة في الفرق بين التفسير، والتأويل:

قال الدكتور محمد حسين الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ: «والذي تميل إليه النفس من هذه الأقوال: هو أن التفسير: ما كان راجعًا إلى الرواية. والتأويل: ما كان راجعًا إلى الدِّراية، وذلك لأن التفسير معناه: الكشف، والبيان. والكشفُ عن مراد الله ـ تعالى ـ لا نجزم به إلا إذا ورد عن رسول الله ﷺ، أو عن بعض أصحابه الذين شهدوا نزول الوحي، وعلموا ما أحاط به من حوادث ووقائع، وخالطوا رسول الله ﷺ، ورجعوا إليه فيما أشكل عليهم من معاني القرآن الكريم.

وأمّا التأويل فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل، والترجيح يعتمد على الاجتهاد، ويُتوصَّل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ، ومدلولاتها في لغة العرب، واستعمالها بحسب السياق، ومعرفة الأساليب العربية، واستنباط المعاني من كل ذلك». اهـ[٥].

●● وأقول: لعلّ هذا هو الرأي السديد. وهو ما أرجحه وأميل إليه.

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون للدكتور الذهبي (١/ ١٦ ـ ١٧).
(٢) انظر: الإتقان للسيوطي (٢/ ١٧٣)، نقلا عن التفسير والمفسرون للذهبي (١/ ١٩).
(٣) انظر: الإتقان للسيوطي (٢/ ١٧٣). نقلاً عن التفسير والمفسرون للذهبي (١/ ٢٠).
(٤) انظر: الإتقان للسيوطي (٢/ ١٧٣). نقلاً عن التفسير والمفسرون للذهبي (١/ ٢١).
(٥) انظر: التفسير والمفسرون للذهبي (١/ ٢٢).

● رابعًا: التفسير فى عهد النبى ﷺ، وأصحابه:

الحديث عن التفسير فى هذه المرحلة المهمة سيتناول ما يلى:

أ - تمهيد.

ب- المصادر التى اعتمد عليها الصحابة - رضوان الله عليهم - أثناء تفسيرهم للقرآن الكريم.

جـ- أشهر المفسرين من الصحابة.

د - حكم التفسير المأثور عن الصحابة.

هـ- مميزات التفسير فى عهد الصحابة.

* وهذا تفصيل الحديث عن هذه الموضوعات حسب ترتيبها:

أ- تمهيد:

اقتضت إرادة الله - تعالى - أنه أنزل القرآن على نبينا «محمد» ﷺ باللغة العربية الفصحى، والدليل على ذلك قول الله - تعالى -: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف: ٢].

* وكان طبيعيًا أن يفهم النبيّ ﷺ القرآن جملة وتفصيلا، لأن الله - سبحانه وتعالى - تكفّل له ﷺ بحفظه، وبيانه، قال - تعالى -: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩].

* وكان عليه ﷺ أن يبينه لأصحابه، عملا بقول الله - تعالى -: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤].

* وكان الصحابة - رضى الله عنهم - يفهمون القرآن بعد بيان النبى ﷺ، كما أنه نزل بلغتهم. إلا أنه مع ذلك كان يخفى على بعض الصحابة معانى بعض الكلمات:

* فقد أخرج أبو عبيدة معمر بن المثنّى (ت ٢١٠هـ) فى كتاب «الفضائل» عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ) أن عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ - رضى الله عنه) قرأ على المنبر قول الله - تعالى -: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ [عبس: ٣١]، فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبُّ، ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلّف يا عمر. اهـ[1].

* وأخرج أبو عبيدة أيضًا من طريق مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) قال: كنتُ لا أدرى ما فاطر السموات والأرض، حتى أتانى أعرابيان يتخاصمان فى بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها أى أنا ابتدأتها. اهـ[2].

---

(١) انظر: الإتقان للسيوطى (٢/ ١١٣).

(٢) انظر: الإتقان للسيوطى (٢/ ١١٣).

* ولذا قال ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينورى (ت ٢٧٦هـ): إن العرب لا تستوى فى المعرفة بجميع ما فى القرآن من الغريب، والمتشابه، بل إن بعضها يفضل فى ذلك عن بعض. اهـ(١).

ب ـ المصادر التى اعتمد عليها الصحابة أثناء تفسير القرآن:

كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يعتمدون فى تفسيرهم للقرآن فى هذا العهد على المصادر التالية:

★ المصدر الأول: القرآن الكريم: من يقرأ القرآن بتدبر يجد أنه قد اشتمل على الإيجاز والإطناب، وعلى الإجمال والتبيين، وعلى الإطلاق والتقييد، وعلى العموم والخصوص... إلخ.

* لهذا كان لا بدّ لمن يريد أن يفسِّر القرآن أن يجمع ما تكرر منه فى موضوع واحد ويقابل الآيات بعضها ببعض، ليستعين بما جاء مبيّنا على فهم ما جاء مجملا، وليحمل المطلق على المقيّد، والعامّ على الخاصّ. وبهذا يكون قد فسَّر القرآن بالقرآن.

* ومن أمثلة تفسير القرآن بالقرآن ما يلى:

١ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البقرة: ٣٧].
فسَّرها قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٣].

٢ ـ وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة: ١].
فسَّرها قوله ـ تعالى ـ: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾ [المائدة: ٣].

★ المصدر الثانى: النبى ﷺ: أقول: المصدر الثانى الذى كان يرجع إليه الصحابة فى تفسيرهم لكتاب الله ـ تعالى ـ هو رسول الله ﷺ: فكان الواحد منهم إذا أشكلت عليه آية من كتاب الله رجع إلى الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى تفسيرها، فيبيِّن له ما خفى عليه لأن من وظيفة الرسول ﷺ البيان، كما أخبر الله عنه بذلك فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النحل: ٤٤].

(١) انظر: التفسير والمفسرون للذهبى (١/ ٣٩).

* والذى يرجع إلى كتب السنّة يجد أنها قد أفردت للتفسير بابا من الأبواب التى اشتملت عليها، ذكرت فيه كثيراً من التفسير المأثور عن رسول الله ﷺ، فمن ذلك ما يلى:

١ ـ أخرج أحمد، والترمذى وغيرهما عن عدىٍّ بن حبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المغضوب عليهم هم: اليهود، وإن الضالين هم النصارى». اهـ.

٢ ـ ما رواه الترمذى، وابن حبان فى صحيحه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «الصلاة الوسطى: صلاة العصر». اهـ.

٣ ـ ما رواه أحمد، والشيخان عن ابن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢) ﴾ [الأنعام: ٨٢] شقّ ذلك على الناس فقالوا: يا رسول الله وأيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال: «إنه ليس الذى تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) ﴾ [لقمان: ١٣] إنما هو الشرك» اهـ.

٤ ـ أخرج مسلم عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: «﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: ٦٠] ألا وإنّ القوّة الرمى» اهـ.

* وغير هذا كثير مما صحّ عن رسول الله ﷺ.

★ المصدر الثالث: من مصادر التفسير فى عصر الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ: الاجتهاد وقوة الاستنباط: كان الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ إذا لم يجدوا التفسير فى كتاب الله ـ تعالى ـ ولم يتيسَّر لهم أخذه عن رسول الله ﷺ رجعوا فى ذلك إلى اجتهادهم، وإعمال فكرهم، وهذا فضلُ الله يؤتيه من يشاء. ولقد كان ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ صاحبَ النصيب الأوفر من ذلك، وهذا ببركة دعاء رسول الله ﷺ له حيث قال: «اللهمّ فقهه فى الدِّين، وعلمه التأويل» اهـ.

★ المصدر الرابع: من مصادر التفسير فى عهد الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ: أهل الكتاب من اليهود، والنصارى الذين دخلوا فى الدين الإسلامى؛ مثل: عبد الله بن سَلام، وكعب الأحبار، وغيرهما من علماء اليهود، والنصارى. وذلك أن القرآن يتفق مع التوراة، والإنجيل فى قصص الأنبياء السابقين، وما يتعلق بالأمم السابقة.

حـ ـ أشهر المفسرين من الصحابة:

لقد اشتهر بتفسير القرآن من الصحابة جماعة منهم:

١ ـ أبو بكر الصديق (ت ١٣ هـ ـ رضى الله عنه).

٢ ـ عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه).
٣ ـ عثمان بن عفان (ت ٣٥هـ ـ رضى الله عنه).
٤ ـ على بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه).
٥ ـ عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما).
٦ ـ عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه).
٧ ـ أُبَىّ بن كعب (ت ٣٠هـ ـ رضى الله عنه).
٨ ـ زيد بن ثابت (ت ٤٥هـ ـ رضى الله عنه).
٩ ـ أبو موسى الأشعرىّ ـ رضى الله عنه ـ.
١٠ ـ عبد الله بن الزبير (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنه).
١١ ـ أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه).
١٢ ـ عبد الله بن عمر بن الخطاب (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما).
١٣ ـ جابر بن عبد الله الأنصارى (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنه).
١٤ ـ عبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥هـ ـ رضى الله عنهما).
١٥ ـ عائشة أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها).
* وذلك على تفاوت فيما بينهم كثرة وقلّة.

د ـ حكم وأهمية التفسير المأثور عن الصحابة:

مما لا ريب فيه أن التفسير المأثور عن الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ له قيمته، وأهميته.

* وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن تفسير الصحابىّ له حكم المرفوع إذا كان مما يرجع إلى أسباب النزول، وكذا كل ما ليس للرأى فيه مجال.

* أمّا ما كان للرأى فيه مجال فهو موقوف عليه ما دام لم يسنده إلى رسول الله ﷺ.

* والتفسير الموقوف على الصحابى يوجب بعض العلماء الأخذ به، لأنهم أهل اللسان، ولما شاهدوه من القرائن، والأحوال التى اختصّوا بها، ولما لهم من الفهم الصحيح.

وفى هذه المعانى يقول بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى (ت ٧٩٤هـ): اعلم أن القرآن قسمان:

١ ـ قسم ورد تفسير بالنقل. ٢ ـ وقسم لم يرد.

فالأول: إما أن يرد عن النبى ﷺ، أو الصحابة:

فالأوّل: يُبحث فيه عن صحة السند.

والثانى: يُنظر فى تفسير الصحابى: فإن فسَّره من حيثُ اللغة فهم أهل اللسان، فلا شكّ فى اعتماده، أو بما شاهدوه من الأسباب، والقرائن فلا شك فيه. اهـ[١].

هـ - مميزات التفسير فى عهد الصحابة:

امتاز التفسير فى هذه المرحلة بالمميِّزات الآتية:

أولا: لم يفسِّر القرآن كله وإنما فسِّر بعض منه، وهو ما خفى فهمه.

ثانيًا: كان الصحابة - رضى الله عنهم - كثيرًا ما يكتفون بالمعنى الإجمالى للآية الكريمة.

ثالثا: الاقتصار على توضيح المعنى اللغوى الذى فهموه بأخص لفظ، مثل قوله - تعالى -: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ [المائدة: ٣]، أى: غير متعرّض لمعصية.

رابعًا: ندرة الاستنباط للأحكام الفقهية من الآيات القرآنية، وعدم وجود الانتصار للمذاهب الفقهية، لأن الاختلاف المذهبى لم يوجد إلا بعد عصر الصحابة - رضى الله عنهم -.

خامسًا: لم يدوّن شىء من التفسير فى هذا العصر، لأن التدوين بدأ ظهوره فى القرن الثانى الهجرى.

سادسا: اتخذ التفسير فى هذا العصر شكل الحديث: فكانت هذه التفسيرات تروى منثورة لآيات متفرقة، كما كان الشأن فى رواية الحديث.

• خامسًا: التفسير فى عهد التابعين:

والحديث عن التفسير فى هذه المرحلة سيتناول ما يلى:

أ - ابتداء هذه المرحلة.
ب - مصادر التفسير فى عهد التابعين.
جـ - مدارس التفسير فى عهد التابعين.
د - حكم وأهمية التفسير المأثور عن التابعين.
هـ - مميزات التفسير فى عهد التابعين.
و - مآخذ على التفسير فى عهد التابعين.

* وهذا تفصيل الحديث عن هذه الموضوعات حسب ترتيبها:

أ - ابتداء مرحلة التفسير فى عهد التابعين:

بدأت هذه المرحلة عقب انتهاء مرحلة الصحابة، وذلك عن طريق العلماء الذين تتلمذوا على الصحابة وأخذوا عنهم التفسير، وغير ذلك من سائر العلوم. من هذا

(١) انظر: الإتقان للسيوطى (٢/ ١٨٣). نقلا عن: مباحث فى علوم القرآن للشيخ مناع القطان / ٣٣٧.

يتبين أن التفسير فى هذه المرحلة هو امتداد لمرحلة الصحابة، إذًا فالسلسلة متصلة، والسند موصول والحمد لله ربِّ العالمين.

ب ـ مصادر التفسير فى عهد التابعين:

اعتمد المفسرون من التابعين على المصادر الآتية:

١ ـ على ما جاء فى القرآن نفسه: أى تفسير القرآن بالقرآن.

٢ ـ على ما رووه عن الصحابة عن رسول الله ﷺ.

٣ ـ على ما رووه عن الصحابة من تفسيرهم أنفسهم، وعلى ما أخذوه من أهل الكتاب مما جاء فى كتبهم.

٤ ـ على ما يفتح الله به عليهم من طريق الاجتهاد والنظر فى كتاب الله ـ تعالى ـ: وقد روت لنا كتب التفسير كثيراً من أقوال العلماء التابعين فى التفسير، قالوها بطريق الرأى، والاجتهاد، ولم يصل إلى علمهم شىء فيها عن رسول الله ﷺ، أو عن أحد من الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ.

جـ ـ مدارس التفسير فى عهد التابعين:

فتح الله ـ تعالى ـ على المسلمين كثيراً من بلاد العالم فى حياة الرسول ﷺ، ثم فى عهود الخلفاء الراشدين من بعده.

وترتب على هذه الفتوحات أن تفرق الصحابة فى هذه البلاد، وقد حملوا معهم ما حفظوه من رسول الله ﷺ، وجلس إليهم الكثيرون من التابعين يأخذون العلم عنهم. فقامت فى هذه الأمصار المختلفة مدارس علميَّة، أساتذتها الصحابة، وتلاميذها التابعون.

واشتهر بعض هذه المدارس بالتفسير: فقامت مدرسة للتفسير بمكة المكرمة. وأخرى بالمدينة المنورة. وثالثة بالعراق. وهذه المدارس الثلاث هى أشهر مدارس التفسير فى هذا العهد.

وبإذن الله ـ تعالى ـ سأتكلم باختصار عن كل مدرسة من هذه المدارس الثلاث، وعن أشهر المفسرين من التابعين الذين أخذوا التفسير عن أساتذة هذه المدارس من الصحابة فأقول وبالله التوفيق:

مدرسة التفسير بمكة

أستاذ هذه المدرسة هو: عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وقد اشتهر من تلاميذ ابن عباس بمكة المكرمة كل من:

(١) سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ).

(٢) مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ).

(٣) عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٤هـ).

(٤) طاوس بن كيسان (ت ١٠٦هـ).

(٥) عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ).

وهؤلاء الخمسة كلهم من الموالى.

* وبإذن الله ـ تعالى ـ سألقى الضوء على كل واحد من هؤلاء العلماء الخمسة لتتضح مكانته فى التفسير فأقول وبالله التوفيق:

(١) سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): هو أبو محمد عبد الله سعيد بن جبير بن هشام الأسدى مولاهم، كان حبشى الأصل، أسود اللون. روى عن ابن عباس، وابن مسعود وغيرهما.

* كان ـ رحمه الله تعالى ـ من كبار التابعين، ومتقدميهم فى التفسير، والحديث، والفقه.

* وقد وثقه علماء الجرح والتعديل: فقال ابن حبّان: هو من الثقات، وكان عابدًا، فاضلاً، ورعًا. ومجمع عليه من أصحاب الكتب الستة[1].

(٢) مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، هو: مجاهد بن جبر، المكى، المقرئ، المفسِّر، أبو الحجاج المخزومى، مولى السائب بن أبى السائب.

* كان ـ رحمه الله تعالى ـ أقلّ تلاميذ ابن عباس رواية عنه فى التفسير. وكان أوثقهم، لهذا اعتمد على تفسيره كل من:

١ ـ الإمام محمد بن إدريس الشافعىّ (ت ٢٠٤هـ).

٢ ـ والإمام محمد بن إسماعيل البخارى (ت ٢٥٦هـ)[2].

(٣) عكرمة (ت ١٠٤هـ)، هو: أبو عبد الله عكرمة البربرى المدنى مولى ابن عباس، أصله من البربر بالمغرب. وقد اختلف العلماء فى توثيقه.

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون للشيخ الذهبى (١/١٠٨ ـ ١٠٩).

(٢) انظر: التفسير والمفسرون للذهبى (١/١٠٩ ـ ١١٢).

* وكان عكرمة على مبلغ عظيم من العلم، وعلى مكانة عالية من التفسير خاصّة، وقد شهد له العلماء بذلك: فقال ابن حبّان: كان من علماء زمانه بالفقه، والقرآن. اهـ.

* وقال الشعبيّ: ما بقى أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة. اهـ[(١)].

(٤) طاوس بن كيسان اليمانى (ت ١٠٦هـ)، هو: أبو عبد الرحمن طاوس بن كيسان اليمانى الحميرى، مولى بحير بن ريسان وقيل: مولى همدان، روى عن العبادلة الأربعة وغيرهم. روى عنه أنه قال: جالستُ خمسين من الصحابة.

* قال معين: إنه من الثقات. وقد أخرج له أصحاب الكتب الستة[(٢)].

(٥) عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ)، هو: أبو محمد عطاء بن أبى رباح المكى القرشيّ مولاهم. حدّث عن نفسه أنه أدرك مائتين من الصحابة.

وكان ـ رحمه الله ـ أسود، أعور، أفطس، أشلّ، أعرج، ثم عمى بعد ذلك.

وكان ثقة، فقيهًا، عالمًا محدثًا، وانتهت إليه فتوى أهل مكة.

وكان ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ يقول لأهل مكة إذا جلسوا إليه: تجتمعون إلىّ يا أهل مكة وفيكم عطاء؟

وقال الإمام أبو حنيفة: ما رأيت فيمن رأيت أفضل من عطاء. اهـ[(٣)].

مدرسة التفسير بالمدينة

أستاذ هذه المدرسة هو: أُبَىّ بن كعب (ت ٣٠هـ ـ رضى الله عنه) وقد اشتهر من تلاميذ أُبى بن كعب بالمدينة المنورة كل من:

(١) زيد بن أسلم (ت ١٣٦هـ). (٢) أبو العالية الرياحى (ت ٩٠هـ).

(٣) محمد بن كعب القرظى (ت ١١٨هـ).

وبإذن الله ـ تعالى ـ سألقى الضوء على كل واحد من هؤلاء العلماء الثلاثة لتتضح مكانته فى التفسير فأقول وبالله التوفيق:

(١) زيد بن أسلم (ت ١٣٦هـ)، هو: أبو أسامة، أو أبو عبد الله، زيد بن أسلم العدوى، المدنى، الفقيه، المفسِّر، مولى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ. كان من كبار التابعين، الذين عرفوا بالقول فى التفسير، والثقة فيما يروونه.

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون للذهبى (١/ ١١٢ ـ ١١٦).

(٢) انظر: التفسير والمفسرون للذهبى (١/ ١١٧).

(٣) انظر: التفسير والمفسرون للذهبى (١/ ١١٧ ـ ١١٨).

* وقد وثقه كل من:
١ ـ الإمام أحمد بن حنبل. ٢ ـ وأبى زرعة. ٣ ـ وأبى حاتم. ٤ ـ والنسائى[١].
(٢) أبو العالية الرياحى (ت ٩٠هـ)، هو: أبو العالية رفيع بن مهران الرياحى مولاهم. أدرك الجاهلية، وأسلم بعد وفاة النبى ﷺ بسنتين.
روى عن علىّ، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وأُبَىّ بن كعب، وغيرهم.
وهو من ثقات التابعين المشهورين بالتفسير.
وقد وثقه كل من: ١ ـ ابن معين. ٢ ـ وأبى زرعة. ٣ ـ وأبى حاتم[٢].
(٣) محمد بن كعب القرظى (ت ١١٨هـ)، هو: أبو حمزة، أو أبو عبد الله، محمد بن كعب بن سليم القرظى، المدنى، من حلفاء الأوس.
روى عن ابن مسعود، وابن عباس، وعلى بن أبى طالب وغيرهم. وروى عن أُبى بن كعب بالواسطة.
وقد اشتهر بالثقة، والعدالة، والورع، وكثرة الحديث.
وقد وثقه: ابن سعد، والعجلى.
وقال ابن عون: ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من محمد بن كعب القرظى. اهـ[٣].

مدرسة التفسير بالعراق

أستاذ هذه المدرسة هو: عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) وقد اشتهر من تلاميذ ابن مسعود بالعراق كل من:
(١) علقمة بن قيس (ت ٦١هـ). (٢) مسروق بن الأجدع (ت ٦٣هـ).
(٣) الأسود بن يزيد (ت ٧٤هـ). (٤) مرّة الهمدانى (ت ٧٦هـ).
(٥) عامر الشعبى (ت ١٠٩هـ).
وبإذن الله ـ تعالى ـ سألقى الضوء على كل واحد من هؤلاء العلماء الخمسة لتتضح مكانته فى التفسير، فأقول وبالله التوفيق.

---
(١) انظر: التفسير والمفسرون للذهبى (١/ ١٢٠). (٢) انظر: التفسير والمفسرون للذهبى (١/ ١١٩).
(٣) انظر: التفسير والمفسرون للذهبى (١/ ١٢٠).

(١) علقمة بن قيس (ت ٦١هـ)، هو: علقمة بن قيس بن عبد الله بن عبد الملك النَّخَعيّ الكوفي، ولد في حياة النبي ﷺ.

وروى عن عمر، وعثمان، وعليّ، وابن مسعود وغيرهم. وهو من أشهر رواة عبد الله بن مسعود. كان ـ رحمه الله ـ ثقة مأمونًا على جانب عظيم من الورع والصلاح، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: علقمة ثقة من أهل الخير. وهو عند أصحاب الكتب الستة[١].

(٢) مسروق بن الأجدع (ت ٦٣هـ)، هو: أبو عائشة مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الكوفي. روى عن الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وأُبَيّ بن كعب وغيرهم.

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ أعلم أصحاب ابن مسعود وكان شريح القاضي يستشيره في معضلات المسائل. وقد وثقه كل من: ابن معين، وابن سعد، وذكره ابن حبّان في الثقات، وقد أخرج له الستَّة[٢].

(٣) الأسود بن يزيد (ت ٧٤هـ)، هو: الأسود بن يزيد بن قيس النَّخَعيّ. كان ـ رحمه الله تعالى ـ من كبار التابعين، ومن رواة عبد الله بن مسعود. روى عن: أبي بكر، وعمر، وعليّ، وحذيفة، وبلال وغيرهم. وكان من الثقات، قال عنه الإمام أحمد: هو ثقة من أهل الخير. كما وثقه كل من: ابن معين، وابن سعد[٣].

(٤) مرّة الهمداني (ت ٧٦هـ)، هو: أبو إسماعيل مرّة بن شراحيل الهمداني الكوفي. روى عن أبي بكر، وعمر، وعليّ، وابن مسعود وغيرهم. وقد وثقه كل من: ابن معين، والعَجْلي[٤].

(٥) عامر الشعبي (ت ١٠٩هـ)، هو: أبو عمر عامر بن شراحيل الشعبي الحميري الكوفي. كان ـ رحمه الله ـ من خيرة التابعين، وكان قاضي الكوفة. روى عن عمر، وعليّ، وابن مسعود ولم يسمع منهم. قال الشعبي: أدركت خمسمائة من الصحابة. قال عنه مكحول: ما رأيت أفقه منه. وقال ابن عيينة: كان الناس يقولون بعد الصحابة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه.

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ من الثقات. قال ابن سيرين قدمت الكوفة وللشعبي حلقة، وأصحاب رسول الله ﷺ يومئذ كثر. اهـ[٥].

---

(١) انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (٧/ ٢٧٦ ـ ٢٧٨).
(٢) انظر: تهذيب التهذيب (١٠/ ١٠٩ ـ ١١١).
(٣) انظر: تهذيب التهذيب (١/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣).
(٤) انظر: تهذيب التهذيب (١٠/ ٨٨ ـ ٨٩).
(٥) انظر: تهذيب التهذيب (٥/ ٦٥ ـ ٦٩).

د ـ حكم وأهمية التفسير المأثور عن التابعين:

اختلف العلماء في الرجوع إلى تفسير التابعين، والأخذ بأقوالهم، إذْ لم يؤثر في ذلك شيء عن الرسول ﷺ أو عن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ.

فقد نقل عن الإمام أحمد في ذلك روايتان: رواية بالقبول، ورواية بالمنع.

ونقل عن الإمام أبي حنيفةأنه قال: ما جاء عن رسول الله ﷺ فعلى العين والرأس، وما جاء عن الصحابة تخيرنا. وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال. اهـ[١].

وذهب أكثر المفسرين: إلى أنه يؤخذ بقول التابعي في التفسير، لأن التابعين تلقوا غالب تفسيراتهم عن الصحابة. ولذلك حكى أكثر المفسرين أقوال التابعين في كتبهم، ونقلوها عنهم مع اعتمادهم لها[٢].

هـ ـ مميزات التفسير في عهد التابعين:

ظلّ التفسير في هذا العهد محتفظًا بطابع التلقّي، والرواية، إلا أنه لم يكن تلقيًا ورواية بالمعنى الشامل كما كان الشأن في عصر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ.

بل كان تلقيًا، ورواية يغلب عليها طابع الاختصاص: فأهل كل مِصْرٍ يعنون بوجه خاصّ بالتلقي والرواية عن أستاذ مدرستهم:

١ ـ فالمكيون عن ابن عباس.

٢ ـ والمدنيون عن أُبَيّ بن كعب.

٣ ـ والعراقيون عن ابن مسعود.

و ـ مآخذ على التفسير في عهد التابعين:

مما يلفت النظر في التفسير في هذا العهد ما يلي:

أولا: دخل في التفسير كثير من الإسرائيليات: وذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام.

وأكثر من روى عنه في ذلك من مسلمي أهل الكتاب:

١ ـ عبد الله بن سلام.	٢ ـ كعب الأحبار.
٣ ـ وهب بن منبّه.	٤ ـ عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج.

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون للذهبي (١/ ١٣١). (٢) انظر: التفسير والمفسرون للذهبي (١/ ١٣١ ـ ١٣٢).

ومما لا جدال فيه أن هذه الإسرائيليات في التفسير من المآخذ على علماء التفسير سواء كان في عهد التابعين، أو في العهود التي جاءت بعدهم.

ثانيا: ظهرت في هذا العهد نواة الخلاف المذهبي: فظهرت بعض تفسيرات تحمل في طياتها هذه المذاهب: فمثلاً نجد الحسن البصري (ت ١١٠هـ) قد فسّر القرآن على إثبات القدر وكفّر من يكذّب به.

ثالثًا: كثرة الخلاف بين التابعين في التفسير عما كان بين الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ. وإن كان خلافًا قليلاً بالنسبة لما وقع بعد ذلك من متأخري المفسرين[1].

● سادسا: أقسام التفسير:

* أولاً: ورد عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) أنّ التفسير أربعة أقسام:

١ ـ حلال وحرام، لا يُعذر أحد بجهالته.
٢ ـ وتفسير تفسّره العربُ بألسنتها.
٣ ـ وتفسير تفسّره العلماء.
٤ ـ وتفسير لا يعلمه إلا الله. اهـ[2].

قال بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ) في كتابه: البرهان في علوم القرآن ما ملخّصه:

١ ـ أما التفسير الذي لا يُعذر أحد بجهالته: فهو ما تبادر إلى الأفهام معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام، ودلائل التوحيد، وكل لفظ أفاد معنًى واحدًا جليًا يُعْلَمُ أنه مراد الله ـ تعالى ـ، فهذا القسم لا يلتبس تأويله، إذْ كل أحد يدرك معنى التوحيد من قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

أنه لا شريك له في الألوهية، وإن لم يعلم أن «لا» موضوعة في اللغة للنفي، و«إلا» موضوعة للإثبات، وأن مقتضى هذه الكلمة الحصر، ويعلم كل أحد بالضرورة أن مقتضى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[النور: ٥٦] طلب إيجاب المأمور به، وإن لم يعلم أن صيغة «افعَلْ» للوجوب.

٢ ـ وأما التفسير الذي تعرفه العرب بألسنتها: فهو ما يرجع إلى لسانهم من اللغة، والإعراب: فأمّا اللغة: فعلى المفسر معرفة معانيها، ومسمّيات أسمائها.

وأمّا الإعرابُ: فما كان اختلافُه محيلا للمعنى وجب على المفسِّر تعلمه، ليوصِّل المفسِّر إلى معرفة الحكم. وإن لم يكن محيلا للمعنى، ولا يجب على المفسر تعلمه لوصوله إلى المقصود بدونه.

(١) انظر: التفسير والمفسرون للذهبي (١/ ١٣٣ ـ ١٣٤). (٢) انظر: مناهل العرفان للشيخ الزرقاني (١/ ٤٧٨).

٣ ـ وأمّا التفسير الذى يعلمه العلماء، فهو الذى يرجع إلى اجتهادهم، ويغلب عليه التأويل، وذلك باستنباط الأحكام، وبيان المجمل، وتخصيص العام. وكل لفظ احتمل معنيين فأكثر فهو الذى لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه اعتماداً على الدلائل، والشواهد.

٤ ـ وأمّا التفسير الذى لا يعلمه إلا الله ـ تعالى ـ: فهو ما يجرى مجرى الغيوب، مثل الآيات التى تذكر فيها الساعة، والروح، والحروف المقطعة التى فى أوائل السور وكل ما شابه ذلك[1].

* ثانيا: وقسّم الدكتور محمد حسين الذهبى ـ رحمه الله تعالى ـ التفسير ثلاثة أقسام:

١ ـ التفسير المأثور. ٢ ـ التفسير بالرأى الجائز. ٣ ـ التفسير بالرأى غير الجائز.

وهذا تفصيل الحديث عن هذه الأقسام الثلاثة حسب ترتيبها فأقول وبالله التوفيق:

• سابعًا: تعريف التفسير المأثور:

يشمل التفسير المأثور ما يأتى:

١ ـ ما جاء فى القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وهذا ما يُسمَّى بتفسير القرآن للقرآن.

٢ ـ ما نقل عن الرسول ﷺ نقلا صحيحًا.

٣ ـ ما نقل عن الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ بالسند الصحيح.

• ثامنًا: تدرّج التفسير المأثور فى دور الرواية:

لم ينقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى حتى بيّن لأصحابه ما أشكل عليهم من معانى القرآن.

* ثم وجد من الصحابة من تكلم فى تفسير القرآن ما ثبت لديه عن رسول الله ﷺ، أو بمحض رأيه واجتهاده.

* ثم وجد من التابعين من تصدّى للتفسير، فروى ما اجتمع لديه من ذلك عن الرسول ﷺ، وعن الصحابة ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ.

* وزاد على ذلك من القول بالرأى والاجتهاد.

* ثم جاءت الطبقة التى تلى التابعين وروت عنهم ما قالوا، وزادوا عليه من القول بالرأى والاجتهاد.

---

(١) انظر: مناهل العرفان للشيخ الزرقانى (١/ ٤٧٨ ـ ٤٧٩).

● **تاسعًا: تدرّج التفسير المأثور في دور التدوين:**

كان علماء الحديث هم أول من دوّن التفسير المأثور: وكان ذلك على أنه باب من أبواب الحديث، يجمعون فيه ما وصل إليهم عن النبي ﷺ، وعن الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ، وعن التابعين ـ رحمهم الله تعالى ـ.

ثم بعد ذلك انفصل التفسير عن الحديث، وأفرد بتأليف خاص، فكان أوّل ما عُرف من ذلك: الصحيفة التى رواها علىّ بن أبى طلحة عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ[١].

* ثم وجد من ذلك الجزء المنسوب لأبى روق[٢].

* ثم وجدت بعد ذلك الكتب المؤلفة فى التفسير، جمعت كلّ ما وقع لمؤلفيها من التفسير المروىّ عن النبى ﷺ، وأصحابه، والتابعين، مثل: تفسير محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ). ثم جاء بعد ذلك علماء دوّنوا التفسير المأثور بدون أن يذكروا أسانيدهم في ذلك.

وأكثروا من نقل الأقوال فى تفاسيرهم بدون تفرقة بين الصحيح وغيره، مما جعل القارئ لهذه الكتب لا يطمئن كل الاطمئنان لما جاء فى هذه المصنفات[٣].

● **عاشرًا: أشهر كتب التفسير المأثور:**

١ ـ جامع البيان فى تفسير القرآن:

المؤلف: أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ).

٢ ـ بحر العلوم:

المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندى (ت ٣٧٣هـ) وقيل سنة ٣٧٥هـ.

٣ ـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن:

المؤلف: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبى (ت ٤٢٧هـ).

٤ ـ معالم التنزيل:

المؤلف: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوى (ت ٥١٠هـ).

٥ ـ المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز:

المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الغرناطى (ت ٥٤٧هـ).

٦ ـ تفسير القرآن العظيم:

المؤلف: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير (ت ٧٧٤هـ).

(١ ، ٢) انظر: الإتقان للسيوطى (٢/ ٨٨). نقلا عن التفسير والمفسرون للذهبى (١/ ١٥٨).

(٣) انظر فى تدرّج التفسير المأثور: التفسير والمفسرون للذهبى (١/ ١٥٦ ـ ١٥٨).

٧ ـ الجواهر الحسان فى تفسير القرآن:
المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبى (ت ٨٧٦هـ).
٨ ـ الدرّ المنثور فى التفسير بالمأثور:
المؤلف: الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد السيوطى (ت ٩١١هـ).

• حادى عشر: معنى التفسير بالرأى:

يطلق «الرأى» على: ١ ـ الاعتقاد. ٢ ـ الاجتهاد. ٣ ـ القياس.
والمراد بالرأى هنا: الاجتهاد.

* إذًا فالتفسير بالرأى هو: تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسِّر لكلام العرب، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفة الناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من العلوم التى يحتاج إليها المفسر[1].

• ثانى عشر: موقف العلماء من التفسير بالرأى:

اختلف المفسِّرون فى جواز تفسير القرآن بالرأى: أى بالاجتهاد، وانقسموا قسمين:

* القسم الأول المانعون: وهم الذين لم يجيزوا تفسير القرآن بالاجتهاد، واستدلّوا على ذلك بعدد من الأدلّة منها:

* الدليل الأول: قالوا: إن التفسير بالرأى قول على الله بغير عِلْم، والقول على الله بغير علم منهىٌّ عنه.

* الدليل الثاني: استدلّوا بقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤]. فقد أضاف الله ـ تعالى ـ البيان للنبى ﷺ، إذًا لا يجوز لغيره بيان معانى القرآن.

* الدليل الثالث: استدلوا بالحديث المروى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ﷺ قال: «اتقوا الحديث عنِّى إلا ما علمتم، فمن كذب علىَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار». اهـ[2].

(١) لقد عقدت بحثًا خاصًا تحدثت فيه عن: العلوم التى يحتاج إليها المفسِّر فليرجع إليه من يريد.
(٢) انظر: سنن الترمذى باب التفسير (٢/ ١٥٧). نقلاً عن التفسير والمفسرون للذهبى (١/ ٢٥٨).

* والقسم الثانى المجيزون: وهم الذين أجازوا تفسير القرآن بالرأى أى بالاجتهاد بشرط أن يكون المفسِّر ملمّا بالعلوم التى يحتاج إليها المفسِّر.

واستدلّوا على ذلك بعدد من الأدلة منها:

* الدليل الأول: استدلّوا بعدد من الآيات القرآنية منها قول الله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)﴾ [محمد: ٢٤].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (٢٩)﴾ [ص: ٢٩].

ووجه الدلالة فى هاتين الآيتين: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ حثّ على تدبُّر القرآن والاعتبار بآياته، والاتعاظ بعظاته.

* الدليل الثاني: استدلّوا بما ثبت من أنّ الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ.

اختلفوا فى تفسير القرآن على وجوه، لأن النبى ﷺ لم يبين لهم كل معانى القرآن، بل بين لهم بعض معانيه، وبعضه الآخر توصلوا إلى معرفته باجتهادهم.

فلو كان التفسير بالرأى والاجتهاد محظوراً لكانت الصحابة هم أوّل من توقف عن التفسير بالاجتهاد.

* الدليل الثالث: قالوا: إنّ النبى ﷺ دعا لابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فقال: «اللهمَّ فقهه فى الدين، وعلِّمه التأويل» فدلّ هذا على جواز تفسير القرآن بالاجتهاد[1].

**** تعقيب وتوضيح على القولين السابقين فى حكم التفسير بالرأى أى بالاجتهاد:**

مما تقدم تبين أن التفسير بالاجتهاد ينقسم قسمين:

١ ـ تفسير جائز: وهو الذى توفّرت فيه الشروط الآتية:

*** موافقة الكتاب والسنة وعدم مخالفتهما.**

*** أن يكون المفسِّر ملمّا بالعلوم التى يحتاجها المفسِّر.**

٢ ـ تفسير غير جائز: وهو المخالف للأدلّة الشرعية من الكتاب، والسنّة، ويكون غير جارٍ على قوانين اللغة العربية.

(١) انظر فى موقف العلماء من التفسير بالرأى: التفسير والمفسرون للدكتور الذهبى (١/ ٢٥٦ ـ ٢٦٥).

• ثالث عشر: أشهر كتب التفسير بالرأى الجائز:

١ - <u>مفاتيح الغيب:</u>

المؤلف: أبو عبد الله محمد عمر بن الحسين الملقب بفخر الدين الرّازى، المعروف بابن الخطيب (ت ٦٠٦هـ).

٢ - <u>أنوار التنزيل وأسرار التأويل:</u>

المؤلف: قاضى القضاة: ناصر الدين أبو الخير، عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوى الشافعى (ت ٦٨٥هـ) وقيل سنة ٦٩١هـ.

٣ - <u>مدارك التنزيل وحقائق التأويل:</u>

المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى الحنفى (ت ٧٠١هـ).

٤ - <u>لباب التأويل فى معانى التنزيل:</u>

المؤلف: علاء الدين أبو الحسن على بن محمد بن إبراهيم الشافعى، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ).

٥ - <u>البحر المحيط:</u>

المؤلف: أثير الدين، أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيَّان (ت ٧٤٥هـ).

٦ - <u>غرائب القرآن ورغائب الفرقان:</u>

المؤلف: نظام الدين بن الحسن بن محمد بن الحسين، النيسابورى.

٧ - <u>تفسير الجلالين:</u>

المؤلفان: جلال الدين المحلِّى (ت ٨٦٤ هـ)، وجلال الدين السيوطى (ت٩١١هـ).

٨ - <u>السراج المنير:</u>

المؤلف: شمس الدين، محمد بن محمد الشربينى الشافعى، المعروف بالخطيب الشربينى (ت ٩٧٧هـ).

٩ - <u>إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:</u>

المؤلف: أبو السعود محمد بن محمد العمادى الحنفى (ت ٩٨٢هـ).

١٠- <u>روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى:</u>

المؤلف: أبو الثناء شهاب الدين محمود الآلوسى البغدادى (ت ١٢٧٠هـ).

• رابع عشر: أشهر كتب التفسير بالرأى غير الجائز:

مثل تفاسير كل من:

١ ـ الشيعة. ٢ ـ والمعتزلة، ومن على شاكلتهم من بقية الفرق.

وحرصًا على عدم الإطناب الذى قد لا يفيد كثيرًا فسأكتفى بذكر بعض تفاسير كل من: الشيعة، والمعتزلة، فأقول وبالله التوفيق:

أولاً: الشيعة فى الأصل: هم الذين شايعوا علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠ هـ ـ رضى الله عنه) وأهل بيته، ووالوهم، وقالوا: إن عليًا هو الإمام بعد رسول الله ﷺ، وإن الخلافة حقٌ له، استحقها بوصيّة من رسول الله ﷺ. وهى لا تخرج عنه فى حياته، ولا عن أبنائه بعد وفاته، وإن خرجت عنهم فذلك يرجع إلى واحد من أمرين:

أحدهما: أن يَغْتصب غاصب ظالم هذا الحقّ لنفسه.

ثانيهما: أن يتخلّى صاحب الحقّ عنه فى الظاهر: تُقْيَةً منه، ودرءًا للشّر عن نفسه وعن أتباعه. والشيعة من أقدم الفرق، إذْ كان أوّل ظهورهم فى آخر عهد عثمان بن عفان (ت ٣٥هـ ـ رضى الله عنه) ثم قويت شوكتهم على عهد علىٍّ ـ رضى الله عنه ـ[١].

* ومن تفاسير الشيعة ما يلى:

١ ـ مرآة الأنوار، ومشكاة الأسرار:

المؤلف: عبد اللطيف الكازرانى[٢].

٢ ـ تفسير الحسن العسكرى:

المؤلف: أبو محمد الحسن بن على الهادى بن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين ابن علىّ بن أبى طالب، ولد سنة ٢٣١هـ، وتوفى سنة ٢٦٠هـ بسرٍّ من رأى.

٣ ـ مجمع البيان لعلوم القرآن:

المؤلف: أبو على الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى (ت ٨٣٥هـ).

٤ ـ الصافى فى تفسير القرآن الكريم:

المؤلف: محمد بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود، المعروف بملا محسن الكاشى.

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون للذهبى (٢/ ٥).

(٢) يقول الدكتور محمد حسين الذهبى: لم أقف له على ترجمة أكثر من ذلك، انظر: التفسير والمفسرون (٢/ ٥٠).

٥ ـ تفسير القرآن:

المؤلف: السيد عبد الله بن محمد رضا العلوي الحسيني، الشهير بشبّر (ت ١٢٤٢هـ).

٦ ـ بيان السعادة في مقامات العبادة:

المؤلف: سلطان بن محمد بن حيدر الجنابذي الخراساني.

ثانيًا: المعتزلة:

نشأت هذه الفرقة في العصر الأموي. وأصل هذه الفرقة هو: واصل بن عطاء الملقّب بالغزّال، المولود سنة ٨٠هـ والمتوفى سنة ١٣١هـ في خلافة هشام بن عبد الملك.

* وذلك أنه دخل على الحسن البصري (ت ١١٠هـ) رجلٌ فقال: يا إمام الدين، ظهر في زماننا جماعة يُكفّرون صاحب الكبيرة، وجماعة أخرى يرجئون الكبائر ويقولون: لا تضرُّ مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، فكيف تحكم لنا أن نعتقد في ذلك؟ ففكرّ الحسن البصري وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق، ولا كافر مطلق، ثم قام إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد، وأخذ يقرِّر على جماعة من أصحاب الحسن البصري ما أجاب به: من أنّ مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، ويثبت له المنزلة بين المنزلتين قائلاً: إنّ المؤمن اسم مدح، والفاسق لا يستحق المدحَ فلا يكون مؤمنًا، وليس بكافر أيضًا، لإقراره بالشهادتين، ولوجود سائر أعمال الخير فيه فإذا مات بلا توبة خلِّد في النار، إذ ليس في الآخرة إلا فريقان: فريق في الجنة، وفريق في السعير، لكن يُخفّف عنه، وتكون دركته فوق دركات الكفار.

فقال الحسن البصري: اعتزلنا «واصل». فلذلك سمِّي هو وأصحابه معتزلة.

* ويلقّب المعتزلة بالقَدَريّة تارة، والمعطِّلة تارة أخرى، أمّا تلقيبهم بالقدَريّة، فلأنهم يسندون أفعال العباد إلى قدرتهم، وينكرون القَدَرَ فيها.

وأمّا تلقيبهم بالمعطِّلة، فلأنهم يقولون: بنفي صفات المعاني، فيقولون: الله عالم بذاته، قادر بذاته، وهكذا[1].

(١) انظر: التفسير والمفسرون للذهبي (١/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨).

* ومن تفاسير المعتزلة ما يلي:

١ - الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل:

المؤلف: أبو تالقاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الملقب بجار الله، ولد سنة ٤٦٧هـ وتوفي سنة ٥٣٨هـ.

٢ - تنزيه القرآن عن المطاعن:

المؤلف: أبو الحسن عبد الجبّار بن أحمد شيخ المعتزلة المعروف بالقاضي عبد الجبار (ت ٤١٥هـ).

٣ - آمالي الشريف المرتضى: أوْ غرر الفوائد ودرر القلائد:

المؤلف: أبو القاسم على بن الطاهر أبي أحمد الحسين بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنهم-. (ت ٣٦هـ).

• خامس عشر: العلوم التي يحتاج إليها المفسّر[1]:

قال العلماء - رحمهم الله تعالى -: يشترط في المفسِّر الذي يريد أن يفسِّر القرآن برأيه بدون أن يلتزم الوقوف عند التفسير المأثور منه فقط: أن يكون ملمّا بجملة من العلوم التي يستطيع بواسطتها أن يفسِّر القرآن تفسيرًا عقليًا مقبولاً.

وجعلوا هذه العلوم بمناسبة أدوات تعصم المفسِّر بعد الله - تعالى - من الوقوع في الخطأ، وتحميه من القول على الله - تعالى - بغير علم.

وإليك أخي المسلم أهم هذه العلوم مفصلة مع توضيح ما لكل علم منها من الأثر في الفهم الصحيح:

* الأول: علم أصول الدين:

وهو علم يستطيع به المفسِّر أن يستدلّ على ما يجب في حق الله - تعالى -، وما يجوز، وما يستحيل.

(١) لقد رجعت في مادّة هذا المبحث إلى كل من:
١ - مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ الزرقاني (١/ ٥١٩).
٢ - التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي (١/ ٢٦٦ - ٢٦٨).

* الثاني: علم اللغة:

لأنه به يمكن شرح مفردات الكلام، ومدلولاتها بحسب الوضع.

* الثالث: علم النحو:

لأن المعنى قد يتغير ويختلف باختلاف الإعراب.

* الرابع: علم الصرف:

إذْ بواسطته تعرف الأبنية، والصيغ، ولأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادّتين مختلفتين اختلف باختلافهما المعنى.

* الخامس: علوم البلاغة: (المعاني، والبيان):

فعلم المعاني: يعرف به خواصٌّ تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى.

وعلم البيان: يعرف به خواصّ التراكيب من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة، وخفائها.

* السادس: علم القراءات:

إذ يترتب على ذلك أشياء كثيرة منها:

١ ـ الحكم على صحّة القراءة، وشذوذها. ٢ ـ نسبة كل قراءة إلى قارئها.

٣ ـ ترجيح بعض الوجوه المترتبة على اختلاف القراءات إلى غير ذلك.

* السابع: علم أصول الفقه:

إذْ به يعرف كيف تستنبط الأحكام من الآيات، ويعرف العموم والخصوص، والمطلق والمقيّد، وتعرف دلالة الأمر والنهى إلى غير ذلك.

* الثامن: علم أسباب النزول:

إذْ معرفة سبب النزول يعين على فهم المراد من الآية.

هذه هى العلوم التى اعتبرها العلماء أدوات لفهم كتاب الله ـ تعالى ـ.

تم مبحث

التفسير والمفسرون وما يتعلق بهما

ولله الحمد والشكر

* * *

المبحث الثانى: المكى والمدنى فى القرآن

بإذن الله ـ تعالى ـ سأتحدث فى هذا المبحث عن الأمور الآتية:

أ - تعريف كل من: المكّى ـ والمدنى. ب - طرق معرفة كل من: المكى ـ والمدنى.

جـ - علامات المكى. د - علامات المدنى.

هـ - مميزات المكى. و - مميزات المدنى.

وهذا تفصيل الحديث عن هذه الأمور حسب ترتيبها:

• أولاً: تعريف كل من: المكى ـ والمدنى:

للعلماء فى تحديد معنى المكى ـ والمدنى ثلاثة أقوال:

* القول الأول: أن المكى: ما نزل قبل هجرة النبى ﷺ إلى المدينة المنورة، سواء نزل فى «مكة» نفسها، أو فى مكان آخر.

والمدنى: ما نزل بعد الهجرة، سواء نزل فى المدينة، أو فى غيرها.

وعلى هذا القول يكون المعتبر فى التقسيم زمن النزول. وهذا أرجح الأقوال، وأشهرها.

* القول الثانى: أن المكى: ما نزل بمكة، سواء كان نزوله قبل الهجرة، أو بعدها، وسواء كان فى مكة نفسها، أو فيما جاورها من الأماكن القريبة منها مثل: منى ـ وعرفات ـ والحديبية، لأن ما قارب الشىء يعطى حكمه.

والمدنى: ما نزل بالمدينة المنورة، سواء نزل فى المدينة نفسها، أو فى ضواحيها، مثل: بدر، وأحد.

وعلى هذا يكون المعتبر فى التقسيم مكان النزول.

وبناء على هذا يكون ما نزل فى غير: مكة، أو المدينة، أو ضواحيهما، قسمًا مستقلا لا يطلق عليه مكى، ولا مدنى.

* القول الثالث: أن المكى: ما نزل فى شأن «أهل مكة» سواء كان قبل الهجرة، أو بعدها. والمدنى: ما لم ينزل فى شأن «أهل مكة» ومن على شاكلتهم من عبدة الأصنام. وعلى هذا يكون المعتبر فى هذا التقسيم المخاطبين[1].

(١) انظر: الإتقان (١/ ٢٣)، وتاريخ المصحف / ٩٨ ـ ١٠٠.

● **ثانيًا: طرق معرفة كل من: المكي، والمدني:**

قال القاضي أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)[١]: إنما يُرْجع في معرفة: المكي، والمدني، إلى حفظ الصحابة، والتابعين، ولم يرد عن النبي ﷺ في ذلك قول، لأنه لم يؤمر به، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة. اهـ[٢].

● **ثالثًا: علامات المكي:**

لقد وضع العلماء السابقون ـ جزاهم الله خيرًا ـ علامات يمكن بموجبها معرفة المكي. وبالرجوع إلى هذه العلامات وتفحّصها وجدتها تنقسم إلى قسمين:

الأول: ما يطرد على الدوام.

الثاني: ما هو غير مطرد على الدوام.

وهذا تفصيل الكلام على هذين القسمين:

فالقسم الأول: علامات المكي المطردة، مثل:

١ ـ وجود كلمة «يا بني آدم» في السورة، فكل سورة فيها هذه الكلمة فهي مكيّة.

٢ ـ وجود آية سجدة في السورة، فكل سورة فيها آية سجدة فهي مكيّة.

٣ ـ وجود كلمة «كلا» في السورة، فكل سورة فيها هذه الكلمة فهي مكيّة.

ولذا قال بعضهم: ما نزلت «كلا» بيثرب، ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى، بل كلها موجودة في النصف الأخير منه، وجملتها ثلاث وثلاثون مرّة، في خمس عشرة سورة وهي:

١ ـ في سورة «مريم» موضعان: رقم/ ٧٩، ٨٢.

٢ ـ في سورة «المؤمنون» موضع: رقم/ ١٠٠.

٣ ـ في سورة «الشعراء» موضعان: رقم/ ١٥، ٦٢.

٤ ـ في سورة «سبأ» موضع: رقم/ ٢٧.

٥ ـ في سورة «المعارج» موضعان: رقم/ ١٥، ٣٩.

---

(١) هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر الباقلاني، من كبار علماء الكلام، وكان موصوفًا بجودة الاستنباط، وسرعة الجواب، له عدد من المصنفات، توفي ٤٠٣هـ.
انظر: وفيات الأعيان (١/ ٦٠٩)، وتاريخ بغداد (٥/ ٣٧٩).

(٢) انظر: الإتقان (١/ ٢٤)، وتاريخ المصحف / ١٠١.

٦ ـ فى سورة «المدثر» أربعة مواضع: رقم/ ١٦ ـ ٣٢ ـ ٥٣ ـ ٥٤.

٧ ـ فى سورة «القيامة» ثلاثة مواضع: رقم/ ١١ ـ ٢٠ ـ ٢٦.

٨ ـ فى سورة «النبأ» موضعان: رقم/ ٤ ـ ٥.

٩ ـ فى سورة «عبس» موضعان: رقم / ١١ ـ ٢٣.

١٠ـ فى سورة «الانفطار» موضع: رقم/ ٩.

١١ـ فى سورة «المطففين» أربعة مواضع: رقم/ ٧ ـ ١٤ ـ ١٥ ـ ١٨.

١٢ـ فى سورة «الفجر» موضعان: رقم / ١٧ ـ ٢١.

١٣ـ فى سورة «العلق» ثلاثة مواضع: رقم / ٦ ـ ١٥ ـ ١٩.

١٤ـ فى سورة «التكاثر» ثلاثة مواضع: رقم / ٣ ـ ٤ ـ ٥.

١٥ـ فى سورة «الهمزة» موضع: رقم/ ٤.

القسم الثانى: علامات المكى غير المطردة، تتمثل فيما يأتى:

أولاً: اشتمال السورة على آية صدّرت بـ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾. وهذا فى الغالب، لأنه وجد هذا فى بعض السور وهى «مدنية» وذلك فى السور الآتية:

١ ـ سورة «البقرة»، فيها آيتان وهما:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ [البقرة: ٢١].

و ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا ﴾ [البقرة: ١٦٨].

٢ ـ وسورة «النساء» فيها ثلاث آيات وهى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [النساء: ١].

و ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [النساء: ١٧٠].

و ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [النساء: ١٧٤].

٣ ـ وسورة «الحج» فيها آية واحدة وهى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحج: ١].

٤ ـ وسورة «الحجرات» فيها آية واحدة وهى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ [الحجرات: ١٣].

ثانيًا: ذكر قصة «آدم» وإبليس فى السورة. فكل سورة ذكرت فيها إحدى هاتين القصتين فهى «مكية» إلا سورة «البقرة» فهى مدنية مع ذكر هاتين القصتين فيها.

ثالثًا: افتتاح السورة بحروف التهجّى مثل: آلـم ـ الر ـ طس ـ طسم ـ حم ـ ص ـ ق ـ ن... إلخ. فكل سورة افتتحت بحروف التهجّى فهى مكية إلا سورتين وهما:

١ ـ سورة البقرة. ٢ ـ وسورة آل عمران:

فهما مدنيتان بالإجماع، مع كونهما مفتوحتين بحروف التهجى.

رابعًا: اشتمال السورة على ذكر أنباء الرسل، وأحوال الأمم السابقة، فكل سورة تضمنت ذلك فهى مكية، إلا سورة «البقرة» فهى مدنية مع اشتمالها على ذكر بعض الرسل.

خامسًا: قصر آيات السورة:

وذلك لأن أهل مكة كانوا أهل فصاحة، فناسبهم الإيجاز دون الإطناب.

وهذه العلامة أغلبية، إذ قد يوجد قصر الآيات فى السورة وهى مدنية مثل سورة «النصر» فآياتها قصيرة مع كونها مدنية.

- **رابعًا: علامات المدنى:**

لقد وضع العلماء السابقون ـ جزاهم الله خيراً ـ علامات يمكن بموجبها معرفة المدنى.

وبالرجوع إلى هذه العلامات وجدتها غير مطردة مثل:

١ ـ اشتمال السورة على آية صدّرت بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فذكر الآية مصدّرة بهذا اللفظ دليل على أن هذه السورة مدنية. ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أن «الإيمان» كثر فى أهل المدينة فخوطبوا بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وإن كان غير أهل المدينة من المؤمنين داخلا فى النداء. إلا أن هذه العلامة غير مطردة لأنها وجدت فى سورة الحج فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ [الحج: ٧٧]، وسورة الحج من السور المكية.

٢ ـ طول أكثر سوره، وآياته، ولعل ذلك يرجع إلى أن أهل المدينة كانت حالهم، وطباعهم تستدعى الإطناب، لأن قلوبهم كانت على استعداد لتلقى الدعوة الإسلامية، ونظراً لأن بسط الأحكام الشرعية كان يقتضى الإطناب جاءت السور والآيات المدنية طويلة.

وهذه العلامة غير مطردة بل هي في الغالب، إذ قد توجد سورة طويلة وآياتها طوال وهي مكية مثل سورة الأنعام. كما توجد سورة قصيرة وآياتها قصار مثل سورة النصر[١].

● **خامساً: مميزات المكي، والمدني:**

بعد أن تحدثت عن علامات كل من: المكي، والمدني، أتحدث عن مميزات كل منهما:

فإن قيل: هل هناك فرق بين العلامات، والمميزات؟

أقول: بالبحث لم أجد أحداً نصّ على ذلك، بل الكتاب يدمجون العلامات في المميزات، ولا يفرقون بينهما.

ولكني أرى أنهم يختلفان فيما يلي:

فالمميزات أخصّ من العلامات، وبيان ذلك: أن المميزات تتعلق بأسلوب القرآن فالأسلوب المكي يختلف عن الأسلوب المدني.

كما أن المميزات تتعلق بالمضمون، فالسور المكية مضمونها مغاير في الغالب لمضمون السور المدنية.

وهذا تفصيل الكلام على كل ذلك فأقول:

● **أولاً: مميزات السور المكية:**

تتميز السور المكية عن السور المدنية بأمور أذكر منها ما يلي:

١ ـ عناية آي السور المكية بالدعوة إلى المقصد الأسمى من الدين، وهو الإيمان بالله ـ تعالى ـ وتوحيده، والاعتقاد بأنه ـ تعالى ـ موصوف بكل كمال، ومنزه عن كل نقص، والإيمان برسالة نبينا «محمد» ﷺ وبرسالة من سبقه من الرسل، والإيمان بملائكة الله ـ تعالى ـ وكتبه، واليوم الآخر، وما فيه من بعث ونشور، وحساب، وجزاء، ونعيم، وعقاب، مع إثبات ذلك كله بأدلّة الكون، وبراهين العقل، ثم النعي على المشركين، وإبطال شبههم، وتفنيد مزاعمهم، وتسفيه أحلامهم، بعكوفهم على عبادة أصنام لا تملك لأنفسها ـ فضلاً عن غيرها ـ نفعاً ولا ضراً.

٢ ـ تتحدث آي السور المكية عن مثالب المشركين البغيضة، وعاداتهم المنكرة، من القتل بغير حق، ووأد البنات، وأكل أموال اليتامى ظلماً، إلى غير ذلك من الموبقات مع تحذيرهم منها، ووعيدهم على ارتكابها.

وهذا بحسب الغالب، إذ قد توجد آيات في سور مدنية مشتملة على ما ذكر.

---

(١) انظر: الإتقان (١/ ٤٧)، وتاريخ المصحف / ١٠٥.

٣ ـ تتضمن آيات السور المكية الحث على التحلّي بأصول الفضائل، وأمهات المكارم مثل: الصدق في الحديث، والصبر على المكاره، وحسن المعاملة، والتواضع، ولين الجانب، وطهارة القلوب، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، إلى غير ذلك من الفضائل.

وهذا بحسب الغالب أيضًا، إذ قد توجد آيات في سور مدنية مشتملة على بعض ما ذكر.

● ثانيًا: مميزات السور المدنية:

تتميز السور المدنية عن المكية بأمور أذكر منها ما يلي:

١ ـ دعوة أهل الكتابين: اليهود، والنصارى، إلى الانضواء تحت لواء الإسلام، وإقامة البراهين على فساد عقيدتهم، وبعدهم عن الحق والصواب، وتحريفهم كتب الله ـ تعالى ـ.

٢ ـ اشتمال السور المدنية على الإذن بالجهاد، وبيان أحكامه، لأن الجهاد لم يشرع إلا بالمدينة المنورة.

٣ ـ تتضمن السور المدنية بيان قواعد التشريع التفصيلية، والأحكام العملية في العبادات، والمعاملات، والفرائض، وأحكام الحدود، وأحكام الأحوال الشخصية، ونظام الأسرة، إلى غير ذلك من دقائق التشريع الإسلامي.

٤ ـ اشتمال السور المدنية على أحوال المنافقين، ومواقفهم من الدعوة المحمدية، وذلك لأن المنافقين لم تنسأ جماعتهم إلا في المدينة المنورة عندما قويت شوكة المسلمين، وأصبح ضعاف الإيمان يخشون المسلمين من جهة، ويخشون الكفار من جهة أخرى، فالحديث عن المنافقين إذًا إنما كان بعد الهجرة النبوية.

تم مبحث

المكي ـ والمدني في القرآن

ولله الحمد والشكر

* * *

المبحث الثالث: علم غريب القرآن

• معنى الغريب:

تدلّ مادة (غرب) في اللغة على معنى: البعد، والغموض، والخفاء.

والغريب من الكلام: ما يراد به أنه بعيد المعنى وغامضه، ولا يتناوله الفهم إلا عن بعد ومعاناة الفكر.

وهذا المعنى لعله هو المقصود بقولهم: «غريب القرآن». وممّا لا جدال فيه أنه ليس المراد «بغريب القرآن» الوحشيّ، المخلّ بالفصاحة، لتنزّه القرآن عن ذلك إذ هو أفصح كتاب، وأسمى بيان، قال ـ تعالى ـ: ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨) ﴾ [الزمر: ٢٨].

* نشأة علم غريب القرآن:

أنزل الله ـ سبحانه وتعالى ـ القرآن على نبينا «محمد» ﷺ بلسان عربي مبين، قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) ﴾ [يوسف: ٢] وقد نزل القرآن في عصر ازدهرت فيه اللغة العربية، ولم يكن قد داخل الألسن شيء مما داخلها بعد ذلك حين اختلط العرب بغيرهم من أبناء البلاد التي اعتنقت الإسلام.

ولكنهم ما كانوا سواء في الفهم والذكاء، لذلك كانوا إذا ما أشكل عليهم فهم شيء سألوا الرسول ﷺ فأزال الإشكال ووضح وبيّن أفصح بيان.

وهناك أكثر من دليل على ذلك: فقد روى أحمد والشيخان، وغيرهم عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضي الله عنه) قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٢] شقّ ذلك على الناس فقالوا: يارسول الله وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال: «إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) ﴾ [لقمان: ١٣] إنما هو الشرك». اهـ[1].

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون للذهبي (١/ ٤٩) ط. دار القلم.

وتوالت السنون، واختلط العرب بغيرهم من الأمم نتيجة الفتوحات، وامتزجت الألسن فبدأت العجمة تتسرب إلى اللسان العربيّ، وكانت الحاجة إلى تفسير كلمات القرآن تزداد إلحاحًا كلما ابتعد المسلمون عن عهد الرسول ﷺ.

فلمّا أعضل الداء ألهم الله - سبحانه وتعالى - بعض أهل المعرفة فصرفوا اهتمامهم، وعنايتهم فى تفسير غريب القرآن:

* ولعلّ أقدم ما وصل إلينا عن «تفسير غريب القرآن» ما نسب إلى عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) وقد اختلف العلماء فى أوّل من فسّر غريب القرآن بعد ابن عباس - رضى الله عنهما -:

١ - فقيل هو أبان بن تغلب بن رباح (ت ١٤١هـ).

٢ - وقيل: إنّ أول من جمع فى هذا الفن شيئًا هو أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) ثم تتابعت التصانيف مع الزمن وغزرت حتى قال جلال الدين السيوطى (ت ٩١١هـ): أفرده بالتصنيف جماعة لا يحصون. اهـ[1].

* وذكر منهم حاجى خليفة مما يلى[2]:

١ - أبان بن تغلب بن رباح (ت ١٤١هـ).

٢ - مؤرج بن عمرو السدوسى البصرى (ت ١٧٤هـ).

٣ - أبا فيد مرثد بن الحارث (ت ١٩٥هـ).

٤ - النضر بن شميل البصرى (ت ٢٠٣هـ).

٥ - أبا عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ).

٦ - أبا الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت ٢١٢هـ).

٧ - أبا عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ).

٨ - أبا محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٦٦هـ).

٩ - أبا بكر محمد بن الحسن المعروف بابن دريد اللغوى (ت ٣٢١هـ).

---

(١) انظر: الإتقان للسيوطى (١/ ١٤٩).

(٢) انظر: كشف الظنون لحاجى خليفة (٢/ ١٢٠٣ - ١٢٠٨).

١٠- محمد بن عُزَيْز السجستاني (ت ٣٣٠هـ).
١١- أبا بكر أحمد بن كامل (ت ٣٥٠هـ).
١٢- أبا القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ).
١٣- أبا عبد الله محمد بن يوسف الكفرطالى (ت ٥٠٣هـ).
١٤- أبا محمد عبد الرحمن بن عبد المنعم الخزرجي (ت ٥٦٤هـ).
١٥- أبا المعالى أحمد بن على البغدادى المعروف بالسمين الحلبى (ت ٥٩٦هـ).
١٦- أبا الفرج بن الجوزى (ت ٥٩٧هـ).
١٧- زين الدين محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرّازى (ت ٦٦٨هـ).
١٨- علاء الدين على بن عثمان التركمانى (ت ٧٠٥هـ).
١٩- نظم الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى (ت ٨٠٦هـ).

والجدير بالذكر أن هذه المؤلفات لم تأت كلها تحت عنوان: «غريب القرآن» بل تعدّدت تسمياتها. وهى مع ذلك ترجع إلى معنى واحد وهو: «شرح غريب القرآن».

* أهمية معرفة معانى غريب القرآن: إن معرفة معانى «غريب القرآن» ضرورية لكل مفسّر، بل القارئ «القرآن الكريم» لأن ذلك يسهل فهم المراد من كلام الله ـ تعالى ـ.

وقد جعل الكثيرون من المسلمين معرفة معانى كلمات القرآن الكريم أساسًا لا بدّ منه لمعرفة معانى القرآن.

تم مبحث علم غريب القرآن
ولله الحمد والشكر

* * *

المبحث الرابع: القراءات القرآنية وما يتصل بها

وسيكون حديثى فى هذا المبحث عن الأمور الآتية:

(أ) تعريف القراءات. (ب) هل هناك فرق بين القرآن والقراءات؟

(جـ) الدليل على نزول القراءات. (د) السبب فى تعدد القراءات.

(هـ) فوائد تعدد القراءات. (و) متى نشأت القراءات.

(ز) حقيقة اختلاف القراءات.

وهذا تفصيل الحديث عن هذه الأمور حسب ترتيبها:

- **أولاً: تعريف القراءات:**

القراءات جمع قراءة، وهى فى اللغة مصدر قرأ، يقال: قرأ فلان يقرأ، قراءة، وقرآنًا، بمعنى تلا، فهو قارئ.

وفى الاصطلاح: علم بكيفيات أداء كلمات القرآن الكريم من تخفيف، وتشديد، واختلاف ألفاظ الوحى فى الحروف[١].

وذلك أن القرآن نقل إلينا لفظه، ونصّه كما أنزله الله ـ تعالى ـ على نبينا «محمد» ﷺ، ونقلت إلينا كيفية أدائه كما نطق بها الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وفقًا لما علّمه «جبريل» وقد اختلف الرواة الناقلون فكل منهم يعزو ما يرويه بإسناد صحيح إلى النبى ﷺ[٢].

- **ثانيًا: فإن قيل: هل هناك فرق بين القرآن، والقراءات؟**

أقول: ورد عن بدر الدين الزركشى (ت ٧٩٤هـ) ما يفيد أنهما حقيقتان متغايرتان، وفى هذا يقول الزركشى: القرآن، والقراءات حقيقتان متغايرتان: فالقرآن هو الوحى المنزل على نبينا «محمد» ﷺ للبيان، والإعجاز.

والقراءات هى: اختلاف ألفاظ الوحى المذكور فى الحروف، وكيفيتها من تخفيف، وتشديد وغيرهما.

ولا بدّ فيهما من التلقى والمشافهة، لأن القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع، والمشافهة. اهـ

---

(١) انظر: لمحات فى علوم القرآن لمحمد الصباغ / ١٠٧، ط. بيروت / ١٩٧٤م.

(٢) انظر: المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية للدكتور/ محمد سالم محيسن/ ٦٦.

★ **تعقيب**: ولكني أرى أن الزركشي مع جلالة قدره ـ قد جانبه الصواب في ذلك ـ وأرى أن كلا من: القرآن، والقراءات حقيقتان بمعنى واحد. يتضح ذلك بجلاء ووضوح من تعريف كل منهما، ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في نزول القراءات.

وقد سبق أن قلت: إن القرآن مصدر مرادف للقراءة... إلخ. كما قلت: إن القراءات جمع قراءة...إلخ. إذًا فهما حقيقتان بمعنى واحد.

ومن الأحاديث التي تدلّ على أنه لا فرق بين القرآن، والقراءات الحديث الآتي:

فعن عبد الرحمن بن أبي ليلة (ت ٨٣هـ) عن أُبَيّ بن كعب (ت ٢٠هـ) أن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار فأتاه «جبريل» ـ عليه السلام ـ فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف، فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك».

ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين، فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك».

ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك».

ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا. اهـ[1].

فهذا الحديث وغيره من الأحاديث الواردة في الدليل على نزول القراءات كلها تدلّ دلالة واضحة على أنه لا فرق بين كل من القرآن والقراءات، لأن كلا منهما هو الوحي المنزل على النبي ﷺ.

- **ثالثا: الدليل على نزول القراءات:**

لقد تواتر الخبر عن رسول الله ﷺ بأن «القرآن الكريم» أنزل على سبعة أحرف.

روى من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ما يقرب من اثنين وعشرين صحابيًا، سواء كان ذلك مباشرة عنه ﷺ أو بواسطة.

والصحابة الذين وردت عنهم الأحاديث الواردة في هذا الشأن هم: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعليّ بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وأبيّ بن كعب، وأبو هريرة، ومعاذ بن جبل، وهشام بن حكيم، وعمرو بن العاص، وعبد الله ابن عباس، وحذيفة بن

(١) رواه مسلم (٢/ ١٠٣)، وأبو داود (٢/ ١٠٢)، والنسائي (٢/ ١٥٢).

اليمان، وعبادة بن الصامت، وسليمان بن صرد، وأبو بكرة الأنصارى، وأبو طلحة الأنصارى، وأنس بن مالك، وسمرة بن جندب، وأبو جهيم الأنصارى، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الرحمن بن عبد القارى، والمسور بن مخرمة، وأم أيوب الأنصارية.

وهذا قبس من الأحاديث الدالة على نزول القراءات:

* الحديث الأول: عن ابن شهاب (ت ١٢٤هـ)(١) قال: حدثنى عبيد الله بن عبد الله (ت ٩٨هـ)(٢)، أن عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) حدثه: أن رسول الله ﷺ قال: «أقرأنى «جبريل» ـ عليه السلام ـ على حرف واحد فراجعته، فلم أزل أستزيده، ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف». اهـ(٣).

* الحديث الثانى: عن ابن شهاب (ت ١٢٤هـ) قال: أخبرنى عروة بن الزبير (ت ٩٣هـ) أن المسور بن مخرمة (ت ٦٤هـ)(٤)، وعبد الرحمن بن عبد القارى (ت ٨٠هـ)(٥)، حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه ـ ت ٢٣هـ) يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله ﷺ فكدت أساوره فى الصلاة(٦). فتبصرّت حتّى سلم(٧) فلبّبته بردائه(٨)، فقلت: من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت:كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إنى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله ﷺ لعمر: «أرسله»، فأرسله» فأرسله عمر فقال: لهشام: «اقرأ يا هشام»، فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرأ،

(١) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب، أبو بكر الزهرى، أول من دوّن فى الحديث، وأحد الفقهاء الأعلام التابعين بالمدينة المنورة (ت ١٢٤هـ). انظر: وفيات الأعيان (١/ ٥٧١)، وتذكرة الحفاظ (١/ ١٠٢)، وغاية النهاية (٢/ ٢٦٢)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٤٤٥).

(٢) هو عبيد الله بن عتبة بن مسعود الهلالى أحد الفقهاء السبعة بالمدينة المنورة، وأحد علماء التابعين (ت ٩٨هـ) على خلاف. انظر: وفيات الأعيان (١/ ٣٤١)، وتذكرة الحفاظ (١/ ٧٤).

(٣) رواه البخارى (٦/ ١٠٠).

(٤) هو المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشى الزهرى، صحابى (ت ٦٤هـ). انظر: الإصابة (٣/ ٤١٩)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ١٥١).

(٥) من خيرة علماء المدينة، ومن التابعين الأجلاء (ت ٨٠هـ) على خلاف. انظر: الطبقات الكبرى (٥/ ٥٧)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٢٣).

(٦) أى: أواثبه وأقاتله، يقال: ساور فلانًا فلانًا: إذا وثب إليه وأخذ برأسه.

(٧) أى: تكلفت الصبر، وأمهلته حتى فرغ من صلاته.

(٨) أى: جمعت ثيابه عند صدره ونحره، مأخوذ من اللَّبة بفتح اللام، وهى المنحر.

فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت»، ثم قال: «اقرأ يا عمر»، فقرأت القراءة التى أقرأنى، فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه»، واللفظ للبخارى. اهـ[(١)].

* الحديث الثالث: عن أم أيوب بنت قيس الخزرجية الأنصارية ـ رضى الله عنها ـ قالت: قال النبى ﷺ: «نزل القرآن على سبعة أحرف أيها قرأت أصبت». اهـ[(٢)].

• رابعًا: فإن قيل: ما السبب فى تعدد القراءات؟

أقول: من ينعم النظر فى طبيعة الأمّة العربية ذات القبائل المتعدّدة، واللهجات المتباينة، يستطيع أن يتوصل من خلال ذلك إلى عدّة أشياء تعتبر سببًا موجبًا إلى أن يسأل الرسول ﷺ ربّهُ ـ عزّ وجل ـ أن ينزل عليه القرآن بأكثر من حرف حتى وصل إلى سبعة أحرف.

ولعل أهم الأسباب فى تعدد القراءات تتمثل فى: إرادة التخفيف، والتيسير على هذه الأمّة تمشيًا مع قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٧) ﴾ [القمر: ١٧].

لأنه لو أرادت كل قبيلة من القبائل العربية أن تقرأ بلهجة تختلف عن لهجتها التى اعتادتها لاشتدّ ذلك عليها، فأراد الله ـ تعالى ـ برحمته الواسعة أن يجعل لهذه القبائل متسعًا وتيسيرًا فى قراءة القرآن الكريم، فأنزل القرآن على سبعة أحرف.

• خامسًا: فإن قيل: نريد أن نلقى الضوء على أهم فوائد تعدد القراءات:

أقول: لعلّ أهمّ هذه الفوائد تتمثل فيما يلى:

١ ـ منها ما يكون لبيان حكم مجمع عليه مثل قراءة سعد بن أبى وقاص ﴿وله أخ أو أخت من أم﴾[(٣)] فهذه القراءة تبين أن المراد بالإخوة هنا: الإخوة لأمّ، وهذا حكم شرعىّ متفق عليه.

٢ ـ ومنها: ما يكون للجمع بين حكمين مختلفين كقراءة ﴿يطهرن﴾[(٤)] بالتخفيف والتشديد، وهما قراءتان صحيحتان[(٥)].

فالأولى الجمع بينهما؛ وهو أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها، وتغتسل.

(١) رواه البخارى (٦/ ١٠٠)، ومسلم (٢/ ٢٠٢)، والترمذى (١١/ ٦١)، وأبو داود (٢/ ١٠١).
(٢) انظر: المصنف لابن أبى شيبة (٢/ ١٦١)، نقلاً عن المرشد الوجيز ص٨٤ الهامش.
(٣) سورة النساء: ١٢، وهى قراءة شاذة وغير متواترة.
(٤) سورة البقرة: ٢٢٢.
(٥) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٩١).

٣ ـ ومنها: ما يكون من أجل الاختلاف حكمين شرعيين، كقراءة ﴿وأرجلكم﴾[1] بالخفض، والنصب[2] فبينهما النبي ﷺ فجعل المسح للابس الخفين، والغسل لغيره.

٤ ـ ومنها: ما يكون حجة لترجيح قول لبعض الفقهاء، كقراءة ﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النساء: ٤٣] بحذف الألف التي بعد اللام، وهي قراءة حمزة، والكسائي. إذ اللمس يطلق على الجسّ باليد، قاله ابن عمر وعليه الإمام الشافعيّ، وألحق به الجسّ بباقي البشرة، ويرجحه قول الله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: ٧]، أي: مسوه. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ المراد به: الجماع.

● **سادساً: متى نشأت القراءات؟**

بعد أن وقفنا على الأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة التي تثبت أن القراءات القرآنية كلها منزلة من عند الله ـ تعالى ـ على نبيه «محمد» ﷺ ولا مجال للعقل، ولا للرأي فيها لأيّ شخص مهما كان حتى نبينا «محمد» ـ عليه الصلاة والسلام ـ يرشد إلى ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٤) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)﴾ [الحاقة: ٤١ ـ ٥٢].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (١٦)﴾ [يونس: ١٥ ـ ١٦].

فإذا كان الهادي البشير ﷺ ليس في مقدوره، ولا في استطاعته أن يبدل أو يغير شيئًا من القرآن الكريم، فما ظنك بغيره، ومن هو دون منزلته، وفصاحته، وبلاغته، وصدق الله حيث قال: ﴿لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤)﴾ [يونس: ٦٤].

---

(١) سورة المائدة: ٦.

(٢) والقراءتان صحيحتان، انظر: المهذب في القراءات العشر (١/ ١٨٠).

* وبعد أن عرفنا الأسباب التى أدّت إلى تعدّد القراءات، ووقفنا على بعض الفوائد التى تستفاد من نزول القراءات. بعد كل هذا أقول: متى بدأ نزول القراءات؟

هل بدأ ذلك بمكة المكرمة؟ أى: منذ بدء البعثة النبوية وقبل هجرته ﷺ؟ أو كان ذلك بعد الهجرة وبالمدينة المنورة؟

أقول: هناك رأيان فى هذه القضية:

* الرأى الأول: أن القراءات نزلت بمكة المكرمة.

والدليل على ذلك الكثير من القرائن: منها قول النبى ﷺ: «أقرأنى جبريل على حرف واحد فراجعته فلم أزل أستزيد ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف». اهـ[1].

فهذا الحديث وغيره من الأحاديث الواردة فى الدليل على نزول القراءات كلها تفيد أن القراءات نزلت بمكة المكرمة منذ بدأ نزول القرآن الكريم على الهادى البشير ﷺ.

* الرأى الثانى: يفيد أن القراءات نزلت بعد الهجرة وفى المدينة المنورة. واستدلّ أصحاب هذا الرأى بالأحاديث الواردة فى اختلاف الصحابة فيما بينهم بسبب سماعهم قراءات بحروف لم يتلقوها من الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وكل ذلك كان بالمدينة لا فى مكة.

ومن الأحاديث الواردة فى ذلك الحديث التالى:

فعن ابن شهاب (ت ١٢٤هـ) قال: أخبرنى عروة بن الزبير (ت ٩٣هـ) أن المسور بن مخرمة (ت ٦٤هـ) وعبد الرحمن بن عبد القارى (ت ٨٠هـ) حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه) يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره فى الصلاة[2] فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه[3] فقلت من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إنى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله ﷺ لعمر: «أرسله» فأرسله عمر فقال لهشام:

---

(١) رواه البخارى (٦/ ١٠٠).
(٢) أى: أواثبه وأقاتله.
(٣) أى: جمعت ثيابه عند صدره ونحره، مأخوذ من اللَّبة بفتح اللام، وهى المنحر.

«اقرأ يا هشام» فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت» ثم قال: «اقرأ يا عمر» فقرأت القراءة التى أقرأنى، فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه». اهـ. واللفظ للبخارى[١].

★ **تعقيب وترجيح:**

بعد أن قدمت القولين الواردين فى هذه القضية الهامة أرى أن القول الأول الذى يرى أن القراءات نزلت بمكة المكرمة هو القول الراجح الذى تطمئن إليه النفس.

والدليل على ذلك: أن معظم سور القرآن الكريم وعددها ثلاث وثمانون سورة نزلت بمكة المكرمة، ومما لا شك فيه أنها نزلت بالأحرف السبعة، لأنه لم يثبت بسند قوىّ ولا ضعيف أنها نزلت مرة ثانية بالمدينة المنورة، فعدم نزولها مرّة ثانية دليل على أنها عندما نزلت بمكة إنما نزلت مشتملة على الأحرف السبعة.

أمّا القول الثانى الذى يرى أن القراءات نزلت بالمدينة المنورة فأرى أنه مرجوح لأنه يُعْترضُ عليه بالدليل الذى قدمته على صحة القول الأول.

• **سابعًا: حقيقة اختلاف القراءات:**

إن حقيقة اختلاف السبعة الأحرف التى نزل بها القرآن الكريم إنما هو اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تضاد، وتناقض. وبالتتبع تبين أن اختلاف القراءات لا يخلو عن ثلاثة أحوال:

* الأول: اختلاف اللفظ، والمعنى واحد.

مثال ذلك الاختلاف فى لفظ «الصراط» فقد قرئ بالسين، والصاد، والإشمام، وكلها بمعنى واحد[٢].

* والثانى: اختلاف فى اللفظ والمعنى معًا، مع جواز اجتماعهما فى شىء واحد.

(١) رواه البخارى (٦/ ١٠٠)، ومسلم (٢/ ٢٠٢)، والترمذى (١١/ ٦١)، وأبو داود (٢/ ١٠١).
(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٥).

مثال ذلك القراءات الواردة فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④﴾ [الفاتحة: ٤].

فقد قرأ عاصم، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزار: ﴿مالك﴾ بإثبات ألف بعد الميم، على أنه اسم فاعل من «ملك ملكا» بالكسر، أى: مالك مجىء يوم الدين، والمالك بالألف هو المتصرف فى الأعيان المملوكة كما يشاء.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ملك﴾ بحذف الألف على وزن «فقه» على أنه صفة مشبهة، أى قاضى يوم الدين، والملك بحذف الألف هو المتصرف بالأمر والنهى فى المأمورين من «الملك» بضم الميم.

من هذا يتبين أن المراد فى القراءتين هو الله ـ تعالى ـ لأنه مالك يوم الدين، وهو أيضًا ملكه(١).

* والثالث: اختلاف اللفظ والمعنى معًا، مع امتناع جواز اجتماعهما فى شىء واحد، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضى التضاد.

مثال ذلك: القراءات الواردة فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

فقد قرأ الكسائى بضم التاء، مسندًا إلى ضمير المتكلم وهو نبىّ الله «موسى» ـ عليه السلام ـ.

وقرأ باقى القراء العشرة بفتح التاء مسندًا إلى ضمير المخاطب وهو فرعون عليه لعنة الله(٢).

تم مبحث القراءات القرآنية وما يتصل بها
ولله الحمد والشكر

* * *

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٤٥).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (٢/ ١٠٤).

المبحث الخامس: الأحرف السبعة مع بيان المراد منها

لقد اهتم العلماء قديمًا وحديثًا ببيان المراد من الأحرف السبعة:
ومن هؤلاء العلماء:

١ - أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) فى كتابه غريب الحديث.
٢ - أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ) فى تفسيره المشهور.
٣ - مكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧هـ) فى كتابه الإبانة عن معانى القراءات.
٤ - شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبى شامة (ت ٦٦٥هـ) فى كتابه المرشد الوجيز.
٥ - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى (ت ٧٩٤هـ) فى كتابه البرهان فى علوم القرآن.
٦ - جلال الدين السيوطى (ت ٩١١هـ) فى كتابه الإتقان فى علوم القرآن إلى غير ذلك من المفسرين، والكتاب عن علوم القرآن.

* فإن قيل: ما هو السبب فى الاهتمام بهذه القضية؟

أقول: لعلّ ذلك يرجع إلى اتصالها بالقرآن الكريم، والعلماء قديمًا وحديثًا يهتمون بكل ما له صلة بكتاب الله - تعالى - الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

* ومن يقرأ الأحاديث الواردة فى هذه القضية يجد هاتين الظاهرتين:

الظاهرة الأولى: لم تتعرض تلك الأحاديث - على كثرتها - إلى بيان ماهيّة الاختلاف فى القراءات التى كانت تجعل بعض الصحابة يتخاصمون، ويحتكمون إلى النبى ﷺ.

الظاهرة الثانية: لم يثبت من قريب أو بعيد أن النبى ﷺ بين المراد من الأحرف السبعة.

ولعل ذلك يرجع إلى عدّة عوامل أهمها: أن ذلك كان معروفًا لدى الصحابة - رضوان الله عليهم - فلم يحتاجوا إلى بيانه، لأنهم لو كانوا فى حاجة إلى معرفة ذلك لسألوا عنه الرسول ﷺ، فعدم سؤالهم دليل على عدم خفائه عليهم.

ومنذ فترة طويلة وأنا مهتم بهذه القضية لأهميتها، كما اهتم بها غيرى من العلماء.

وقد طوّفت بين ثنايا المصنفات، ووقفت على الكثير مما كتبه السابقون - جزاهم الله خيرًا -، واقتبست من تلك الآراء أرجحها، وتركت ما تكرر منها، وما كان مجهول الأصل، ثم رتبت هذه الأقوال ترتيبًا زمنيًا، وعلقت على ما يستحق التعليق منها.

وفى نهاية المطاف سأذكر رأيى فى هذه القضية الهامة مع بيان سبب ذلك.

وقبل الدخول فى بيان آراء العلماء السابقين أقول: لقد اتفق العلماء قديمًا وحديثًا على أنه لا يجوز أن يكون المراد بالأحرف السبعة: هؤلاء القراء السبعة المشهورين(١). كما يظنه بعض العوام، والكثيرون من الذين لا صلة لهم بعلوم القرآن، لأن هؤلاء القراء السبعة ما كانوا قد وجدوا أثناء نزول القراءات.

* وهذه أقوال العلماء فى بيان المراد من الأحرف السبعة حسب ترتيبهم الزمنى:

• **القول الأول:** ورد عن كل من:

١ - الإمام على بن أبى طالب (ت ٤٠هـ - رضى الله عنه).

٢ - وعبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) فقد قالا: نزل القرآن بلغة كل حيٍّ من أحياء العرب. اهـ(٢).

* تعليق على هذا القول:

قال شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبى شامة (ت ٦٦٥هـ): هذا هو الحق، لأنه إنما أبيح أن يقرأ بغير لسان قريش توسعة على العرب، فلا ينبغى أن يوسع على قوم دون قوم، فلا يكلف أحد إلا قدر استطاعته، فمن كانت لغته الإمالة، أو تخفيف الهمز، أو الإدغام، أو ضمّ ميم الجمع، أو صلة هاء الكناية، أو نحو ذلك فكيف يكلف غيره. اهـ(٣).

• **القول الثانى:** رواه كل من:

١ - محمد بن السائب الكلبى (ت ١٣٦هـ).

٢ - الأعمش سليمان بن مهران الأسدى بالولاء (ت ١٤٧هـ) عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) فقد قالا نقلاً عن أبى صالح مولى أمّ هانئ بنت أبى طالب، عن ابن عباس: أنزل القرآن على سبعة أحرف منها خمسة بلغة العجز من هوازن. اهـ(٤).

والعجز من هوازن هم:

١ - سعد بن بكر. ٢ - جشم بن بكر. ٣ - نصر بن معاوية. ٤ - ثقيف.

---

(١) وهم: ١ - نافع بن أبى نعيم (ت ١٦٩هـ). ٢ - عبد الله بن كثير (ت ١٢٠هـ).
٣ - أبو عمرو بن العلاء البصرى (ت ١٥٤هـ). ٤ - عبد الله بن عامر (ت ١١٨هـ).
٥ - عاصم بن أبى النجود (ت ١٢٧هـ). ٦ - حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦).
٧ - على بن حمزة الكسائى (ت ١٨٩هـ).

(٢) انظر: المرشد الوجيز لأبى شامة/ ٩٦.

(٣) انظر: المرشد الوجيز لأبى شامة/ ٩٧.

(٤) انظر: المرشد الوجيز/ ٩٢.

وهؤلاء هم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء البصرى (ت ١٥٤هـ): أفصح العرب عليا هوازن، وسفلى تميم. اهـ[١].

• **القول الثالث:** ورد عن كل من:

١ - أبى عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ).

٢ - أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١هـ).

٣ - عبد الحق بن غالب المشهور بابن عطية (ت ٥٤٦هـ).

فقد قال أبو عبيد القاسم بن سلام: المراد سبع لغات من لغات العرب، وليس معناه أن يكون فى الحرف الواحد سبعة أوجه، هذا لم نسمع به قط، ولكن نقول: هذه اللغات السبع متفرقة فى القرآن، فبعضه نزل بلغة قريش، وبعضه نزل بلغة هوازن، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة أهل اليمن، وكذلك سائر اللغات، ومعانيها فى هذا كله واحدة. ثم قال: ومما يبين ذلك قول ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ: إنى سمعت القرآن فوجدتهم متقاربين، فاقرءوا كما علمتم. اهـ[٢].

• **القول الرابع:**

قال أبو العباس أحمد بن واصل، المتوفى أوائل المائة الثالثة هـ: معنى ذلك سبعة معان فى القراءة:

* **الأول:** أن يكون الحرف له معنى تختلف فيه قراءتان تخالفان بين نقطة ونقطة مثل: ﴿تعلمون﴾ و﴿يعلمون﴾[٣].

* **والثانى:** أن يكون المعنى واحداً وهو بلفظين مختلفين، مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿فاسعوا﴾، و﴿فامضوا﴾[٤].

* **والثالث:** أن تكون القراءتان مختلفتين فى اللفظ إلا أنّ المعنيين مفترقان فى الموصوف، مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ملك﴾ و﴿مالك﴾[٥].

---

(١) انظر: المرشد الوجيز / ٩٣. (٢) انظر: المرشد الوجيز/ ٩١، والإتقان (١/ ١٣٥)، والبرهان (١/ ٢١٧).

(٣) نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤] فقد ورد فى «تعلمون» قراءتان متواترتان: الأولى ﴿تعلمون﴾ بالتاء، والثانية ﴿يعلمون﴾ بالياء.

(٤) من قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩]، والقراءة المتواترة: ﴿فاسعوا﴾ أمّا ﴿فامضوا﴾ فهى شاذة.

(٥) من قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] فيها قراءتان متواترتان: الأولى ﴿مالك﴾ بألف بعد الميم، والثانية ﴿ملك﴾ بحذف الألف.

* والرابع: أن يكون فى الحرف لغتان، والمعنى واحد، وهجاؤهما واحد، مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿الرشَد﴾ و﴿الرُّشْد﴾[١].

* والخامس: أن يكون الحرف مهموزاً، وغير مهموز، مثل: ﴿النبئ﴾ و﴿النبىّ﴾[٢].

* والسادس: التثقيل، والتخفيف، مثل: ﴿الأكْل﴾ و﴿الأكُل﴾[٣].

* والسابع: الإثبات، والحذف، مثل: ﴿المنادى﴾ و﴿المناد﴾[٤].

• **القول الخامس:**

قال القاسم بن ثابت السرقسطى (ت ٣٠٢هـ): لو أن رجلاً مثل مثالاً يريد به الدلالة على معنى قول النبى ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» وجعل الأحرف على مراتب سبعة فقال:

١ ـ منها لقريش. ٢ ـ ومنها لكنانة. ٣ ـ ومنها لأسد. ٤ ـ ومنها لهذيل.
٥ ـ ومنها لتميم. ٦ ـ ومنها لضبّة وألفافها. ٧ ـ ومنها لقيس.

لكان قد أتى على قبائل مضر فى مراتب سبعة لتستوعب اللغات التى نزل بها القرآن[٥].

ثم قال: وإن فى لغة مضر شواذ لا نختارها، ولا نجيز أن يكون القرآن قد أتى بها مثل:

١ ـ كشكشة قيس، فيجعلون كاف المؤنث شيناً[٦].

٢ ـ وعنعنة تميم يقولون «عن» فى موضع «أن».

٣ ـ وكما ذكر عن بعضهم أنه يبدل السين تاء[٧]. اهـ[٨].

• **القول السادس:**

قال أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى (ت ٥١٠هـ): أظهر الأقاويل، وأوضحها، وأشبهها بظاهر الحديث أن المراد من هذه الحروف اللغات:

---

(١) من قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾ [الأعراف: ١٤٦]. وقد ورد فيها قراءتان متواترتان: الأولى: ﴿الرَّشَد﴾ بفتح الراء المشددة، وفتح الشين. والثانية: ﴿الرُّشْد﴾ بضم الراء المشددة، وسكون الشين.

(٢) نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [آل عمران: ٦٨]. وقد ورد فيها قراءتان متواترتان: ﴿النبئ﴾ بالهمز و﴿النبىّ﴾ بتشديد الياء.

(٣) من قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤]. فيها قراءتان متواترتان: ﴿الأكْل﴾ بإسكان الكاف، و﴿الأكُل﴾ بضم الكاف.

(٤) من قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١]. فيها قراءتان متواترتان: ﴿المنادى﴾ بإثبات الياء، و﴿المناد﴾ بحذف الياء.

(٥) انظر: المرشد الوجيز/ ١٣١.

(٦) فيقولون فى نحو: ﴿ربك﴾ «ربش»، ﴿تحتك﴾ «تحتش».

(٧) فيقولون فى نحو ﴿الناس﴾ «النات».

(٨) انظر: المرشد الوجيز / ١٣١ ـ ١٣٣.

وهو أن يقرأ كل قوم من العرب بلغتهم، وما جرت عليه عادتهم من الإدغام، والإظهار، والإمالة، والتفخيم، والإشمام، والإتمام، والهمز، والتليين، وغير ذلك من وجوه اللغات إلى سبعة أوجه منها فى الكلمة الواحدة.

ثم قال: ولا يكون هذا الاختلاف داخلا تحت قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا (٨٢) ﴾ [النساء: ٨٢]، إذ ليس معنى هذه الحروف أن يقرأ كل فريق بما شاء مما يوافق لغته منغير توقيف، بل كل هذه الحروف منصوصة، وكلها كلام الله ـ عز وجل ـ نزل بها الروح الأمين على النبى ﷺ، يدل عليه قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف» فجعل الأحرف كلها منزلة، وكان رسول الله ﷺ يعارض «جبريل» ـ عليه السلام ـ فى كل شهر رمضان بما يجتمع عنده من القرآن فيحدث الله فيه ما شاء، وينسخ ما شاء، وكان يعرض عليه فى كل عرضة وجهًا من الوجوه التى أباح الله له أن يقرأ القرآن به، وكان يجوز لرسول الله ﷺ بأمر الله ـ تعالى ـ أن يقرأ ويقرئ بجميع ذلك، وهى كلها متفقة المعانى، وإن اختلف بعض حروفها. اهـ[1].

● **القول السابع:**

قال فخر الدين محمد بن عمر أبو الفضل الرازى (ت ٦٠٦هـ): الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف فى الاختلاف:

الأول: اختلاف الأسماء من إفراد، وتثنية، وجمع، وتذكير، وتأنيث.

والثانى: اختلاف تصريف الأفعال من ماض، ومضارع، وأمر.

والثالث: اختلاف وجوه الإعراب.

والرابع: الاختلاف بالنقص والزيادة.

والخامس: الاختلاف بالتقديم والتأخير.

والسادس: الاختلاف بالإبدال.

والسابع: اختلاف اللغات: كالفتح والإمالة، والتفخيم والترقيق، والإدغام، والإظهار، ونحو ذلك. اهـ[2].

---

(١) انظر: المرشد الوجيز/ ١٣٥.

(٢) انظر: الإتقان (١/ ١٣٣)، ومع القرآن / ٣٨٤.

• **القول الثامن:**

قال الشيخ علي بن محمد أبو الحسن السخاوي (ت ٦٤٣هـ): فإن قيل: أين السبعة الأحرف التي أخبر رسول الله ﷺ أن القرآن أنزل عليها في قراءتكم هذه المشهورة؟

أقول: هي متفرقة في القرآن وجملة ذلك سبعة أوجه:

* الأول: كلمتان تقرأ بكل واحدة في موضع الأخرى نحو: ﴿يسيركم﴾ و﴿ينشركم﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢][١].

* والثاني: زيادة كلمة نحو: ﴿هو الغني الحميد﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحديد: ٢٤][٢].

* والثالث: زيادة حرف نحو: ﴿من تحتها﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [التوبة: ١٠٠][٣].

* والرابع: مجيء حرف مكان آخر نحو: ﴿يقول﴾ و﴿نقول﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [آل عمران: ١٨١][٤].

* والخامس: تغيير في الحركات نحو ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧][٥].

---

(١) فقد قرأ ابن عامر، وأبو جعفر ﴿ينشركم﴾ بياء مفتوحة وبعدها نون ساكنة وبعد النون شين معجمة، من النشر ضدّ الطيّ، أي يفرقكم. وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿يسيركم﴾ بياء مضمومة، وبعدها سين مهملة مفتوحة، وبعدها ياء مكسورة مشدّدة من التسيير، أي يحملكم على السير، ويمكنكم منه. انظر: المهذب في القراءات العشر (٢/ ٧).

(٢) قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر بحذف لفظ «هو» على جعل خبر إنّ «الغنيّ». وقرأ الباقون من القراء العشرة بإثبات لفظ «هو» على أنه ضمير فصل بين الاسم والخبر. انظر: المهذب (٢/ ٣٩٩).

(٣) فقد قرأ ابن كثير بزيادة «منْ» قبل «تحتها» موافقة لرسم المصحف المكي. وقرأ الباقون من القراء العشرة بحذف «من» موافقة لرسم بقية المصاحف. انظر: المهذب (١/ ٢٨٤).

(٤) فقد قرأ حمزة «ويقول» بياء الغيبة لمناسبة قوله تعالى: ﴿لقد سمع الله﴾. وقرأ الباقون من القراء العشرة «ونقول» بنون العظمة. انظر: المهذب (١/ ١٤٩).

(٥) فقد قرأ ابن كثير بنصب ميم «آدم» ورفع تاء «كلمات» على إسناد الفعل إلى «كلمات» وإيقاعه على «آدم». وقرأ الباقون من القراء العشرة برفع الميم، ونصب التاء، على إسناد الفعل إلى آدم وإيقاعه على كلمات. انظر: المستنير (١/ ١٧، ١٨).

* والسادس: التشديد والتخفيف نحو: ﴿تساقط﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) ﴾ [مريم: ٢٥][١].

* والسابع: التقديم والتأخير، نحو﴿ وقاتلوا وقتلوا﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا ﴾ [آل عمران: ١٩٥][٢].

• **القول التاسع:**

قال شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي (ت ٦٦٥هـ): بعد أن نقل في كتابه: «المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز» الآراء المتعدّدة التي وردت في هذه القضية الهامة:

وهذه الطرق المذكورة في بيان وجوه السبعة الأحرف في هذه القراءات المشهورة كلها ضعيفة، إذ لا دليل على تعيين ما عينه كل واحد منهم، ومن الممكن تعيين ما لم يعينوا، ثم لم يحصل حصر جميع القراءات فيما ذكروه من الضوابط، فما الدليل على جعل ما ذكروه مما دخل في ضابطهم من جملة الأحرف السبعة دون ما لم يدخل في ضابطهم.

وكان أولى من جميع ذلك لو حملت على سبعة أحرف من الأصول المطردة مثل:

١ ـ صلة ميم الجمع، وهاء الضمير، وعدم ذلك.

٢ ـ والإدغام، والإظهار.

٣ ـ والمدّ، والقصر.

٤ ـ وتحقيق الهمز، وتخفيفه.

٥ ـ والإمالة، وتركها.

---

(١) فقد قرأ حفص «تساقط» بضم التاء، وتخفيف السين، وكسر القاف، على أنه مضارع «ساقط» والفاعل ضمير يعود على النخلة، و«رطبا» مفعول. وقرأ الباقون من القراء العشرة بفتح التاء، وتشديد السين، وفتح القاف، على أنه مضارع «تساقط» أدغمت التاء في السين، والفاعل ضمير يعود على النخلة، و«رطبا» تمييز. انظر: المهذب (٢/ ١٢٩، ١٣٠).

(٢) فقد قرأ حمزة، والكسائي، وخلف البزار «وقتلوا وقاتلوا» ببناء الفعل الأول للمجهول، والثاني للفاعل. وقرأ الباقون من القراء العشرة «وقاتلوا وقتلوا» ببناء الفعل الأول للفاعل، والثاني للمفعول. انظر: المستنير في تخريج القراءات المتواترة (١/ ١٢٤).

٦ ـ والوقف بالسكون، والإشارة إلى الحركة.

٧ ـ وفتح الياءات، وإسكانها، وإثباتها، وحذفها. اهـ[١].

• **القول العاشر:**

قال محمد بن محمد بن محمد بن على بن الجزرى (ت ٨٣٣هـ): بعد أن نقل فى كتابه: «النشر فى القراءات العشر» الكثير من الآراء التى وردت فى بيان المراد من الأحرف السبعة قال: ... ولا زلت أستشكل هذا الحديث، وأفكر فيه وأمعن النظر من نيّف وثلاثين سنة حتى فتح الله علىّ بما يمكن أن يكون صوابًا إن شاء الله ـ تعالى ـ.

وذلك أنى تتبعت القراءات: صحيحها، وشاذها، وضعيفها، ومنكرها، فإذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف لا يخرج عنها:

* الأول: أن يكون الاختلاف فى الحركات بلا تغير فى المعنى والصورة، نحو: «يحسب» بفتح السين، وكسرها.

* والثانى: أن يكون بتغير فى المعنى فقط دون التغير فى الصورة نحو: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ٣٧].

* والثالث: أن يكون فى الحروف مع التغير فى المعنى لا الصورة، نحو: ﴿تبلوا﴾ و﴿تتلوا﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ [يونس: ٣٠][٢].

* والرابع: أن يكون فى الحروف مع التغير فى الصورة لا المعنى نحو: ﴿الصراط﴾ و﴿السراط﴾ من نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦][٣].

---

(١) انظر: المرشد الوجيز لأبى شامة/ ١٢٧.

(٢) فقد قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزار «تتلوا» بتاءين من التلاوة، أى تقرأ كل نفس ما عملته. وقرأ الباقون من القراء العشرة «تبلوا» بالباء الموحدة، من البلاء، أى تختبر ما قدمت من عمل فتعاين حسنه وقبحه. انظر: المهذب (١/ ٢٦٩).

(٣) فقد قرأ قنبل، ورويس بالسين على الأصل لأنه مشتق من السرط وهو البلع، وهو لغة عامة العرب. وقرأ حمزة بالصاد المشمة صوت الزاى، وهى لغة قيس. وقرأ الباقون من القراء العشرة بالصاد الخالصة، وهى لغة قريش.

* والخامس: أن يكون في الحروف والصورة نحو: ﴿يأتل﴾ و﴿يتألّ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾ [النور: ٢٢][1].

* والسادس: أن يكون في التقديم، والتأخير، نحو: ﴿ وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

* والسابع: أن يكون في الزيادة والنقصان نحو: ﴿وأوصى﴾ ﴿ووصّى﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ [البقرة: ١٣٢][2].

• القول الحادي عشر:

للمؤلف الدكتور/ محمد بن محمد بن محمد بن سالم بن محيسن: ومضمونه أن المراد من الأحرف السبعة هو:

أن القرآن نزل بلغة كل حيّ من أحياء العرب.

وهذا القول هو الوارد عن كل من:

١ ـ الإمام عليّ بن أبي طالب (ت ٤٠هـ ـ رضي الله عنه).

٢ ـ عبد الله بن عباس (ت ٧٨هـ ـ رضي الله عنهما).

فإن قيل: لم رجّحت هذا القول؟

أقول: من يـنعم النظر في هذا القول يجد أنه يندرج تحته الكثير من اللهجات العربية المشهورة، وهذه اللهجات كلها تندرج تحت قولهما: نزل بلغة كل حيّ من أحياء العرب.

تمّ مبحث بيان المراد من الأحرف السبعة

ولله الحمد والشكر

* * *

(١) قرأ أبو جعفر «يتألّ» على وزن يتفعل، مضارع «تلى» بمعنى «حلف»، وقرأ الباقون من القراء العشرة «يأتل» على وزن «يفتعل» مضارع «ائتلى» من الإلية وهي الحلف.

(٢) قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر «وأوصى» وهي موافقة لرسم المصحف المدني والشامي. وقرأ الباقون من القراء العشرة «ووصى» وهي موافقة لرسم بقية المصاحف.

المبحث السادس: تاريخ القراء العشرة
وسلسلة أسانيدهم فى القراءة حتى رسول الله ﷺ

● **الإمام الأول: نافع المدنى (ت ١٦٩هـ).**

هو: أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم الليثى أصله من أصفهان، وكان شديد سواد اللون، وكان حليف حمزة بن عبد المطلب و أخيه العباس. قال عنه الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ): نافع إمام الناس فى القراءة. اهـ(١).

وقال أحمد بن هلال المصرى: قال لى الشيبانى، قال لى رجل ممن قرأ على نافع إن نافعًا كان إذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك، فقلت له: يا أبا عبد الله، أو يا أبا رويم أتتطيب كلما قعدت تقرئ؟ قال: ما أمسّ طيبًا ولكنى رأيت النبى ﷺ وهو يقرأ فى «فيّ» فمن ذلك أشمّ من «فيّ» هذه الرائحة. اهـ(٢).

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ صاحب دعابة وطيب أخلاق. قال عنه ابن معين: كان ثقة، وقال أبو حاتم كان صدوقًا(٣).

* وقد انتهت إلى الإمام نافع رئاسة الإقراء بالمدينة المنورة، وأقرأ بها أكثر من سبعين سنة.

قال عنه الذهبى (ت ٧٤٨هـ): حدثنا ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) عن محمد بن إسحاق (ت ٢٩٠هـ) عن أبيه قال: لما حضرت نافعًا الوفاة قال له أبناؤه: أوصنا، قال: اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين.

وولد الإمام نافع سنة ٧٠ سبعين هجرية. وتوفى بالمدينة المنورة سنة ١٦٩ تسع وستين ومائة من الهجرة ـ رحمه الله تعالى ـ(٤).

* **شيوخ الإمام نافع:**

اتفقت جميع المصادر على أن الإمام نافعًا قرأ على سبعين من التابعين، أذكر منهم:

١ ـ أبا جعفر يزيد بن القعقاع (ت ١٢٨هـ).

٢ ـ عبد الرحمن بن هرمز الأعرج (ت ١١٧هـ).

٣ ـ شيبة بن نصاح القاضى (ت١٣٠هـ).

(١، ٢) انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ٩٠)، ط. القاهرة. (٣، ٤) انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ٩٢)، ط. القاهرة.

٤ - يزيد بن رومان (ت ١٢٠هـ).

٥ - مسلم بن جندب الهذلي (ت ١٣٠هـ).

* وقد تلقى هؤلاء الخمسة القراءة عن ثلاثة من الصحابة وهم:

١ - أبو هريرة (ت ٥٩هـ - رضى الله عنه).

٢ - عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما).

٣ - عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي (ت ٧٨هـ).

* وقد قرأ هؤلاء الثلاثة على: أُبَيّ بن كعب (ت ٢٠هـ)، وقرأ أُبَيّ بن كعب على رسول الله ﷺ[١].

من هذا يتبين أن قراءة الإمام نافع متواترة، ومتصلة السند بالرسول ﷺ.

* تلاميذ الإمام نافع:

لقد تتلمذ على الإمام نافع عدد كثير لا يحصون، من المدينة المنورة، ومصر، والشام، والبصرة، وغير ذلك من بلاد المسلمين، من تلاميذ الإمام نافع:

١ - الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة (ت ١٧٩هـ).

٢ - أبو عمرو بن العلاء البصري (ت ١٥٤هـ).

٣ - إسماعيل بن جعفر بن وردان (ت ١٦٠هـ).

٤ - سليمان بن جماز (ت ١٧٠هـ).

٥ - عيسى بن مينا قالون (ت ٢٢٠هـ).

٦ - أبو سعيد عثمان المصري «ورش» (ت ١٩٧هـ)[٢].

• **الإمام الثاني: ابن كثير (ت ١٢٠هـ).**

هو: عبد الله بن كثير بن عمر بن عبد الله بن زاذان بن فيروز بن هرمز المكي.

قال عنه ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ): كان ابن كثير إمام الناس في القراءة بمكة المكرمة لم ينازعه فيها منازع. اهـ[٣].

وقال الأصمعي (ت ٢١٥هـ): قلت لأبي عمرو بن العلاء البصري: قرأت على ابن كثير؟ قال: نعم ختمت على ابن كثير بعد ما ختمت على مجاهد وكان أعلم

(١) انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١/ ١١٢)، . القاهرة.

(٢) انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (١/ ٩٢)، ط. القاهرة.

(٣) انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (١/ ٧١)، ط. القاهرة.

بالعربية من مجاهد وكان فصيحًا، بليغًا، مفوّهًا، أبيض اللحية، طويلاً، أسمرًا، جسيمًا، يخضب الحنّاء، عليه السكينة والوقار. اهـ(١).

ولد ابن كثير سنة ٤٥ خمس وأربعين، وتوفى سنة ١٢٠هـ عشرين ومائة هجرية، ـ رحمه الله تعالى ـ.

* شيوخ الإمام ابن كثير:

أخذ ابن كثير القراءة عن عدد من القراء أذكر منهم:

١ ـ أبا السائب عبد الله بن السائب المخزومى (ت ٦٨هـ).

٢ ـ أبا الحجاج مجاهد بن جبر المكى (ت ١٠٤هـ).

٣ ـ درباس مولى ابن عباس.

* وقرأ عبد الله بن السائب شيخ ابن كثير على كل من:

١ ـ أُبَيّ بن كعب (ت ٣٠هـ). ٢ ـ عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ).

* وقرأ مجاهد بن جبر شيخ ابن كثير على كل من:

١ ـ عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ). ٢ ـ عبد الله بن السائب (ت ٦٨هـ).

* وقرأ عبد الله بن عباس على كل من:

١ ـ أُبَيّ بن كعب (ت ٣٠هـ). ٢ ـ زيد بن ثابت (ت ٤٥هـ).

وقرأ كل من أُبَيّ بن كعب، وزيد بن ثابت على رسول الله ﷺ(٢).

من هذا يتبين أن قراءة ابن كثير متواترة، ومتصلة السند بالرسول ﷺ.

* تلاميذ الإمام ابن كثير:

أخذ القراءة عن ابن كثير عدد كثير، أذكر منهم:

١ ـ البزّى: أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبى بزّة (ت ٢٥٠هـ).

٢ ـ قنبل: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد المخزومى (ت ٢٩١هـ).

٣ ـ إسماعيل بن عبد الله القسطنطين (ت ١٧٠هـ).

٤ ـ إسماعيل بن مسلم أبو إسحاق المخزومى (ت ١٥٩هـ).

٥ ـ حماد بن سلمة (ت ١٦٧هـ).

(١) انظر: النشر لابن الجزرى (١/ ١٢٠، ١٢١)، ط. القاهرة.

(٢) انظر: النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى (١/ ١٢٠)، ط. القاهرة.

٦ ـ الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ).

٧ ـ سفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ).

٨ ـ أبا عمرو بن العلاء البصرى (ت ١٥٤هـ)(١).

● **الإمام الثالث: أبو عمرو بن العلاء البصرى (ت ١٥٤هـ).**

هو: زبّان بن العلاء بن عمار بن العريان المازنى التميمى، البصرى، وقيل: اسمه كنيته، وكان إمام البصرة، ومقرئها.

* قال عنه ابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ): كان أبو عمرو بن العلاء أعلم الناس بالعربية، والقرآن، مع الصدق، والثقة، والأمانة، والدين. اهـ(٢).

* وقال وكيع: قدم أبو عمرو بن العلاء الكوفة فاجتمعوا إليه كما اجتمعوا على هشام بن عروة. اهـ.

* وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ): كان أبو عمرو أعلم الناس بالقراءات، والعربية، وأيام الناس والشعر، وأيام العرب. اهـ(٣).

* وقال ابن معين: أبو عمرو بن العلاء ثقة. اهـ(٤).

* ولد أبو عمرو بن العلاء بمكة المكرمة سنة ٦٨، وقيل سنة ٦٥هـ، وتوفى بالكوفة سنة ١٥٤هـ أربع وخمسين ومائة من الهجرة(٥).

* **شيوخ الإمام أبى عمرو بن العلاء البصرى:**

قرأ أبو عمرو على عدد كثير: بمكة، والمدينة، والكوفة، والبصرة، ويعتبر أبو عمرو أكثر القراء شيوخًا، أذكر منهم:

١ ـ أبا جعفر يزيد بن القعقاع (ت ١٢٨هـ). ٢ ـ يزيد بن رومان (ت ١٢٠هـ).

٣ ـ شيبة بن نصاح (ت ١٣٠هـ). ٤ ـ نافع بن أبى نعيم (ت ١٦٩هـ).

٥ ـ عبد الله بن كثير (ت ١٢٠هـ). ٦ ـ مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ).

٧ ـ الحسن البصرى (ت ١١٠هـ).

(١) انظر: غاية النهاية فى القراءات العشر (١/ ٤٤٣)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ٣١٤).
(٢) انظر: النشر فى القراءات العشر (١/ ١٣٤)، ط. القاهرة.
(٣) انظر: معرفة القراء الكبار للذهبى (١/ ٨٥)، ط. القاهرة.
(٤) انظر: معرفة القراء الكبار للذهبى (١/ ٨٦).
(٥) انظر: المهذب فى القراءات العشر للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن (١/ ٧)، ط. القاهرة.

٨ ـ حميد بن قيس الأعرج المكى (ت ١٣٠هـ).
٩ ـ عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى (ت ١١٧هـ).
١٠ـ عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ).
١١ـ عاصم بن أبى النجود (ت ١٢٧هـ).
١٢ـ نصر بن عاصم (ت ١٢٩هـ).
١٣ـ يحيى بن يعمر (ت ١٢٩هـ).
١٤ـ أبا العالية رفيع بن مهران الرياحى.

* وقرأ أبو العالية الرياحى شيخ أبى عمرو، على كل من:
١ ـ عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه).
٢ ـ أُبَىّ بن كعب (ت ٣٠هـ ـ رضى الله عنه).
٣ ـ زيد بن ثابت (ت ٤٥هـ ـ رضى الله عنه).
٤ ـ عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما).

* وقرأ كل من: ١ ـ زيد بن ثابت. ٢ ـ وأُبَىّ بن كعب على رسول الله ﷺ[١].
من هذا يتبين أن قراءة أبى عمرو بن العلاء البصرى متواترة، ومتصلة السند بالرسول ﷺ.

* **تلاميذ أبى عمرو بن العلاء:**

أخذ القراءة عن أبى عمرو بن العلاء عدد كثير، أذكر منهم:
١ ـ الدّورى: أبو عمر حفص بن عبد العزيز (ت ٢٤٦هـ).
٢ ـ السّدوسى: أبو سعيد صالح بن زياد (ت ٢٦١هـ).
٣ ـ سلام بن سليمان الطويل (ت ١٧١هـ).
٤ ـ شجاع بن أبى نصر (ت ١٩٠هـ).
٥ ـ العباس بن الفضل بن عمرو بن حنظلة (ت ١٨٦هـ).
٦ ـ عبد الله بن المبارك بن واضح (ت ١٨١هـ).
٧ ـ أبو زيد الأنصارى سعيد بن أوس (ت ٢١٥هـ).
٨ ـ يونس بن حبيب البصرى (ت ١٨٥هـ).
٩ ـ أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ)[٢].

---

(١) انظر: النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى (١/ ١٢٣)، ط. القاهرة.
(٢) انظر: معرفة القراء الكبار للذهبى (١/ ٨٥)، ط. القاهرة.

● **الإمام الرابع: ابن عامر الشامى (ت ١١٨هـ).**

هو: عبد الله بن عامر الشامى اليحصبى، وهو من التابعين، قال ابن عامر عن نفسه: ولدت سنة ثمان من الهجرة، بضيعة يقال لها رحاب، وقبض رسول الله ﷺ ولى سنتان. اهـ[١].

قال ابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ): كان ابن عامر إمامًا كبيرًا، وتابعًا جليلا، وعالمًا شهيرًا، أمّ المسلمين بالجامع الأموى سنين كثيرة فى أيام عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ، فكان يأتمّ به وهو أمير المؤمنين. وجمع له بين الإمامة، والقضاء، ومشيخة الإقراء بدمشق، وقد أجمع الناس على قراءته، وعلى تلقيها بالقبول[٢].

وقال عنه أحمد بن عبد الله العجلى: ابن عامر الشامى ثقة[٣].

توفى ابن عامر بدمشق سنة ١١٨هـ ثمان عشرة ومائة هجرية ـ رحمه الله تعالى ـ.

* **شيوخ الإمام ابن عامر الشامى:**

قال ابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ): قرأ ابن عامر على كل من:

١ ـ أبى هاشم المغيرة بن أبى شهاب (ت ٩١هـ).

٢ ـ عبد الله بن عمرو بن المغيرة المخزومى.

٣ ـ أبى الدرداء عويمر بن زيد بن قيس (ت ٣٢هـ).

* وقرأ عبد الله بن المغيرة شيخ ابن عامر على: عثمان بن عفان (ت ٣٥هـ ـ رضى الله عنه).

* وقرأ أبو الدرداء شيخ ابن عامر وعثمان بن عفان على رسول الله ﷺ. اهـ[٤].

* من هذا يتبين أن قراءة ابن عامر الشامى متواترة، ومتصلة السند بالهادى البشير ﷺ.

* **تلاميذ ابن عامر:**

أخذ القراءة عن ابن عامر عدد كثير، أذكر منهم:

١ ـ هشام بن عمار الدمشقى (ت ٢٤٥هـ).

٢ ـ ابن ذكوان عبد الله بن أحمد القرشى الدمشقى (ت ٢٤٢هـ).

---

(١) انظر: النشر فى القراءات العشر بتحقيق الدكتور / محمد محمد سالم محيسن (١/ ٧).

(٢) انظر: النشر فى القراءات العشر بتحقيق الدكتور/ محمد محمد سالم محيسن (١/ ١٤٤)، ط. القاهرة.

(٣) انظر: معرفة القراء الكبار للذهبى (١/ ٦٩)، ط. القاهرة.

(٤) انظر: النشر فى القراءات العشر (١/ ١٤٤)، ط. القاهرة.

٣ - بحير بن الحارث الذمارى، الذى خلف ابن عامر فى القيام بالإقراء والتعليم.
٤ - عبد الرحمن بن عامر، شقيق الإمام ابن عامر.
٥ - ربيعة بن زيد. ٦ - يزيد بن أبى مالك(١).

● **الإمام الخامس: عاصم الكوفى (ت ١٢٧هـ).**

هو: عاصم بن بهدلة أبى النجود الأسدى، ويكنى أبا بكر وهو من علماء التابعين.

قال عنه ابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ): كان عاصم هو الإمام الذى انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد أبى عبد الرحمن السلمى (ت ٧٣هـ) ثم قال: وقد رحل الناس إليه للقراءة، وكان قد جمع بين الفصاحة والإتقان، و تحرير، والتجويد، وكان أحسن الناس صوتًا بالقرآن. اهـ(٢).

وقال أبو بكر بن عياش: لا أحصى ما سمعت أبا إسحاق السبيعى يقول: ما رأيت أحدًا أقرأ للقرآن من عاصم. اهـ(٣).

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبى عن عاصم فقال: رجل صالح ثقة. اهـ(٤).

وقال ابن عياش: دخلت على عاصم وقد احتضر فجعل يردّد هذه الآية يحققها كأنه فى الصلاة: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٧٢]. اهـ(٥).

توفى الإمام عاصم بالكوفة سنة ١٢٧هـ سبع وعشرين ومائة هجرية، - رحمه الله -.

* **شيوخ الإمام عاصم:**

قال ابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ): قرأ عاصم على كل من:
١ - أبى عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمى (ت ٧٣هـ).
٢ - أبى مريم زرّ بن حبيش الأسدى (ت ٨٢هـ).
٣ - أبى عمرو سعد بن إلياس الشيبانى (ت ٩٦هـ).

* وقرأ هؤلاء الثلاثة على عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ - رضى الله عنه).

* وقرأ كل من أبى عبد الرحمن السلمى وزرّ بن حبيش على كل من:
١ - عثمان بن عفان (ت ٣٥هـ - رضى الله عنه).
٢ - علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ - رضى الله عنه).

---
(١) انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ٦٨) فما بعدها.
(٢ : ٥) انظر: النشر فى القراءات العشر (١/ ١٥٥)، ط. القاهرة.

* وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي أيضًا على كل من:
١ ـ أُبَيّ بن كعب (ت ٣٠هـ ـ رضى الله عنه). ٢ ـ زيد بن ثابت (ت ٤٥هـ ـ رضى الله عنه).
* وقرأ كل من:
١ ـ عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه).
٢ ـ وعثمان بن عفان (ت ٣٥هـ ـ رضى الله عنه).
٣ ـ وعليّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه).
٤ ـ وأُبَيّ بن كعب (ت ٢٠هـ ـ رضى الله عنه).
٥ ـ وزيد بن ثابت (ت ٤٥هـ ـ رضى الله عنه).
على رسول الله ﷺ[١].
من هذا يتبين أن قراءة عاصم متواترة، ومتصلة السند بالنبى ﷺ.
* تلاميذ الإمام عاصم:
أخذ القراءة عن الإمام عاصم عدد كثير، أذكر منهم:
١ ـ شعبة: أبو بكر بن عياش (ت ١٩٣هـ).
٢ ـ حفص بن سليمان بن المغيرة (ت ١٨٠هـ).
٣ ـ أبان بن تغلب (ت ١٤١هـ).
٤ ـ حماد بن سلمة (ت ١٦٧هـ).
٥ ـ سليمان بن مهران العمش (ت ١٤٧هـ).
٦ ـ شيبان بن معاوية (ت ١٦٤هـ).
* وروى عن عاصم حروف القرآن كل من:
١ ـ أبى عمرو بن العلاء البصرى (ت ١٥٤هـ).
٢ ـ حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦هـ).
٣ ـ هارون بن موسى الأعور (ت ١٤٦هـ)[٢].

• الإمام السادس: حمزة الكوفى (ت ١٥٦هـ).

هو: حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات، ويكنى أبا عمارة.

---
(١) انظر: النشر فى القراءات العشر (١/ ١٥٥)، ط. القاهرة.
(٢) انظر: معرفة القراء الكبار للذهبى (١/ ٧٣) فما بعدها.

قال عنه ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): كان حمزة إمام الناس في القراءة بالكوفة بعد عاصم والأعمش وكان ثقة، كبيراً، حجّة، رضيّا، قيّما بكتاب الله، مجوّدًا، عارفًا بالفرائض والعربية، حافظًا للحديث، ورعًا، عابدًا، خاشعًا، ناسكًا، زاهدًا، قانتًا لله ـ تعالى ـ لم يكن له نظير.

ثم قال ابن الجزري: وكان حمزة يجلب الزيت من العراق إلى حلوان، ويجلب الجبن والجوز من العراق إلى الكوفة. اهـ[1].

وقال لحمزة الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ: شيئان غلبتنا عليهما، لسنا ننازعك عليهما: القرآن، والفرائض. اهـ[2].

وقال حمزة عن نفسه: ما قرأت حرفًا من كتاب الله ـ تعالى ـ إلا بأثر. اهـ[3].

ولد حمزة سنة ٨٠ ثمانين، وتوفي في خلافة أبي جعفر المنصور (ت ١٥٦هـ) سنة ١٥٦ ست وخمسين ومائة ـ رحمه الله تعالى ـ.

* **شيوخ الإمام حمزة:**

قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): قرأ حمزة على كل من:

١ ـ أبي حمزة حمران بن أعين (ت ١٢٩هـ).

٢ ـ أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي (ت ١٣٢هـ).

٣ ـ محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى (ت ١٤٨هـ).

٤ ـ أبي محمد طلحة بن مصرف اليامي (ت ١١٢هـ).

٥ ـ أبي عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب.

* وقرأ أبو محمد طلحة بن مصرف شيخ حمزة على: أبي محمد يحيى بن وثاب (ت ١٠٣هـ).

وقرأ أبو محمد يحيى بن وثاب على كل من:

١ ـ أبي شبل علقمة بن قيس (ت ٦٢هـ). ٢ ـ الأسود بن يزيد بن قيس (ت ٦٢هـ).

٣ ـ زرّ بن حبيش (ت ٨٢هـ). ٤ ـ زيد بن وهب الكوفي (ت ٨٢هـ).

٥ ـ عبيد بن نضلة (ت ٧٥هـ).

(١، ٢) انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١/ ١٦٦)، ط. القاهرة.

(٣) انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (١/ ٩٥).

* وقرأ عبيد بن نضلة على: علقمة بن قيس الصحابى (ت ٦٢هـ).

* وقرأ أبو إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعى (ت ١٣٢هـ) شيخ حمزة على كل من:

١ ـ أبى عبد الرحمن السلمى (ت ٧٣هـ). ٢ ـ زرّ بن حبيش بن أبى مريم (ت ٨٢هـ).

٣ ـ عاصم بن ضمرة. ٤ ـ الحارث بن عبد الله الهمذانى.

* وقرأ عاصم بن ضمرة والحارث بن عبد الله الهمذانى على كل من:

١ ـ علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ). ٢ ـ عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه).

* وقرأ كل من: علىّ بن أبى طالب، وعبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنهما ـ على رسول الله ﷺ[1].

من هذا يتبين أن قراءة حمزة متواترة، ومتصلة السند بالرسول ﷺ.

* تلاميذ حمزة الكوفى:

أخذ القراءة عن حمزة عدد كثير، أذكر منهم:

١ ـ خلف بن هشام البزار (ت ٢٢٩هـ).

٢ ـ خلاد بن خالد الصيرفى (ت ٢٢٠هـ).

٣ ـ سفيان الثورى (ت ١٦١هـ).

٤ ـ على بن حمزة الكسائى (ت ١٨٩هـ).

٥ ـ أبا زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢١٧هـ).

٦ ـ يحيى بن المبارك بن المغيرة (ت ٢٠٢هـ)[2].

• **الإمام السابع: الكسائى الكوفى (ت ١٨٩هـ).**

هو: على بن حمزة النحوى، ويكنى أبا الحسن، وقيل له الكسائى من أجل أنه أحرم فى كساء.

* قال عنه ابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ): كان الكسائى إمام الناس فى القراءة فى زمانه، وأعلمهم بالقراءة. اهـ[3].

* وقال أبو بكر بن الأنبارى (ت ٣٢٨هـ): اجتمعت فى الكسائى أمور: كان أعلم الناس بالنحو، وواحدهم فى الغريب، وكان أوحد الناس فى القرآن، فكانوا

(١) انظر: النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى (١/ ١٦٥)، ط. القاهرة.
(٢) انظر: معرفة القراء الكبار للذهبى (١/ ٩٢)، ط. القاهرة.
(٣) انظر: النشر فى القراءات العشر (١/ ١٧٢)، ط. القاهرة.

يكثرون عليه فيجمعهم ويجلس على كرسي ويتلو القرآن من أوله إلى آخره، وهم يسمعون ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادئ. اهـ[١].

* وقال الذهبي (ت ٧٢٨هـ): انتهت إلى الكسائي الإمامة في القراءة بعد وفاة شيخه حمزة وكذا في العربية. اهـ[٢].

توفي الكسائي ببلدة يقال لها رنبويه بالريّ سنة ١٨٩هـ تسع وثمانين ومائة.

ولما توفي كل من الكسائي ومحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة قال هارون الرشيد: دفنّا النحو والفقه معًا بالري[٣].

* شيوخ الإمام الكسائي:

أخذ الإمام الكسائي القراءة عن عدد كثير، أذكر منهم:

١ ـ حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦هـ)، وحمزة هو الإمام السادس، وقد تقدم سنده حتى رسول الله ﷺ، وبناء عليه فالإمام الكسائي يعتبر موصول السند حتى رسول الله ﷺ.

٢ ـ محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى (ت ١٤٨هـ)، وهو أحد شيوخ الإمام حمزة الكوفي.

٣ ـ عيسى بن عمر الهمذاني.

* وقرأ عيسى بن عمر الهمذاني، على عاصم بن أبي النجود (ت ١٢٧هـ) وهو الإمام الخامس، وقد تقدم سند عاصم حتى رسول الله ﷺ.

* وروى الإمام الكسائي حروف القراءات عن كل من:

١ ـ أبي بكر بن عياش. ٢ ـ إسماعيل بن جعفر.

* وقرأ إسماعيل بن جعفر على كل من:

١ ـ شيبة بن نصاح (ت ١٣٠هـ). ٢ ـ الإمام نافع المدني (ت ١٦٩هـ).

ونافع المدني هو الإمام الأول من القراء السبعة، وقد تقدم سنده حتى رسول الله ﷺ[٤].

من هذا يتبين أن قراءة الإمام الكسائي متصلة السند حتى رسول الله ﷺ.

* تلاميذ الإمام الكسائي:

أخذ القراءة عن الكسائي عدد كثير أذكر منهم:

---

(١) انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ١٠٢)، ط. القاهرة. (٢) انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ١٠١)، ط. القاهرة.
(٣) انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ١٠٧)، ط. القاهرة. (٤) انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١/ ١٧٢).

١ - أبا الحارث: الليث بن خالد البغدادي (ت ٢٤٠هـ).
٢ - أبا عمر حفص الدوري (ت ٢٤٦هـ).
٣ - قتيبة بن مهران الأصبهاني (ت ٢٠٢هـ).
٤ - أبا عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ).
٥ - نصر بن يوسف الرازي. ٦ - أحمد بن شريح النهشلي.
٧ - عيسى بن سليمان الشيرازي. ٨ - أبا حمدون الطيب بن إسماعيل[١].

- **الإمام الثامن: أبو جعفر المدني (ت ١٢٨هـ).**

هو: يزيد بن القعقاع المخزومي المدني. قال عنه ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): كان أبو جعفر تابعيًا كبير القدر، انتهت إليه رئاسة القراءة بالمدينة. اهـ[٢].

وقال يحيى بن معين: كان أبو جعفر إمام أهل المدينة وكان ثقة. اهـ[٣].

*** شيوخ الإمام أبي جعفر:**

أخذ أبو جعفر القراءة عن كل من:
١ - مولاه: عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة (ت ٧٨هـ).
٢ - عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ - رضي الله عنهما).
٣ - أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي (ت ٥٧هـ).
* وقرأ هؤلاء الثلاثة على أُبَيّ بن كعب الخزرجي (ت ٢٠هـ).
* وقرأ أُبَيّ بن كعب على رسول الله ﷺ[٤].

من هذا يتبين أن قراءة أبي جعفر صحيحة، ومتصلة السند بالهادي البشير ﷺ.

*** تلاميذ الإمام أبي جعفر:**

أخذ القراءة عن أبي جعفر عدد كثير، أذكر منهم:
١ - الإمام نافع المدني (ت ١٦٩هـ)، وهو الإمام الأول من القراء العشرة.
٢ - أبا الحارث عيسى بن وردان (ت ١٦٠هـ).
٣ - أبا الربيع سليمان بن مسلم بن جمّاز (ت ١٧٠هـ).
٤ - أبا عمرو بن العلاء البصري (ت ١٥٤هـ) وهو الإمام الثالث من القراء العشرة[٥].

---

(١) انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (١/ ١٠٠). (٢ : ٤) انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ١٧٨)، ط. القاهرة.
(٥) انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ١٨٦)، ط. القاهرة.

• الإمام التاسع يعقوب الحضرمي (ت ٢٠٥هـ).

هو: أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي.

قال عنه ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): كان يعقوب إمامًا كبيرًا، ثقة، عالمًا، صالحًا، دينًا، انتهت إليه رئاسة القراءة بعد أبي عمرو بن العلاء وكان إمام جامع البصرة سنين. اهـ[١].

وقال أبـو حاتم السـجستاني: يعـقوب أعلم من رأيت بالحـروف، والاختـلاف في القراءات، وعللها، ومذاهب النحو، وأروى الناس لحروف القرآن، وحديث الفقهاء. اهـ.

وقال أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ): يعقوب صدوق[٢].

وقال علي بن جعفر السعدي: كان يعقوب أقرأ أهل زمانه، وكان لا يلحن في كلامه[٣].

توفي يعقوب في ذي الحجة سنة ٢٠٥هـ خمس ومائتين من الهجرة، ـ رحمه الله تعالى ـ[٤].

*** شيوخ الإمام يعقوب:**

أخذ يعقوب القراءة عن عدد كثير، أذكر منهم:

١ ـ أبا المنذر سلام بن سليمان المزني (ت ١٧١هـ).

٢ ـ شهاب بن شرنفة (ت ١٦٢هـ)[٥]. ٣ ـ أبا يحيى مهدي بن ميمون (ت ١٧١هـ).

٤ ـ أبا الأشهب جعفر بن حبان العطاردي (ت ١٦٥هـ).

* وقرأ أبو الأشـهب جعفـر بن حبان العطـاردي شيخ يعقـوب على: أبي رجاء عمران بن ملحان العطاردي (ت ١٠٥هـ).

* وقال أبو رجاء عمران العطاردي على: أبي موسى الأشعري (ت ٤٤هـ).

* وقرأ أبو موسى الأشعري على رسول الله ﷺ[٦].

من هذا يتبين أن قراءة يعقوب الحضرمي متواترة، ومتصلة السند بالرسول ﷺ.

*** تلاميذ يعقوب الحضرمي:**

أخذ القراءة عن يعقوب عدد كثير، أذكر منهم:

١ ـ رويس: عبد الله بن المتوكل البصري (ت ٢٣٨هـ).

٢ ـ روح: أبو الحسن بن عبد المؤمن البصري (ت ٢٣٤هـ)[٧].

(١) انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ١٧٨)، ط. القاهرة.

(٢) انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ١٣٠)، ط. القاهرة. (٣) انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ١٣١)، ط. القاهرة.

(٤) انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ١٨٦)، ط. القاهرة.

(٥) شُرُنْفَة: بضم الشين المعجمة والنون، وبفتح الفاء. (٦، ٧) انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ١٨٦)، ط. القاهرة.

• **الإمام العاشر: خلف البزّار (ت ٢٢٩هـ):**

هو: أبو محمد خلف بن هشام البزار البغدادى، ولد سنة ١٥٠هـ خمسين ومائة، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، وابتدأ فى طلب العلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وكان إمامًا كبيرًا، عالمًا، ثقة، زاهدًا، عابدًا(١).

قال ابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ): قال أبو بكر بن أشته: إن خلف البزار خالف شيخه حمزة ـ يعنى فى اختياره ـ فى مائة وعشرين حرفًا. اهـ.

ثم قال ابن الجزرى: لقد تتبعت اختيار خلف فلم أره يخرج عن قراءة الكوفيين فى حرف واحد، ولا عن حمزة، والكسائى، وأبى بكر شعبة إلا فى حرف واحد، وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (٩٥) ﴾[الأنبياء: ٩٥]. قرأها حفص، والجماعة «وحرام» بالألف(٢).

توفى خلف فى جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ومائتين ـ رحمه الله تعالى ـ.

* **شيوخ الإمام خلف البزار:**

أخذ خلف القراءة عن كل من: ١ ـ سليم بن عيسى.

٢ ـ يعقوب بن خليفة الأعشى، عن أبى بكر شعبة بن عياش (ت ٩٥هـ).

٣ ـ أبى زيد سعيد بن أوس الأنصارى (ت ٢١٥هـ).

*وقرأ كل من أبى بكر بن عياش وأبى زيد سعيد بن أوس، على عاصم الإمام الخامس من القراء العشرة وقد تقدم سند الإمام عاصم حتى رسول الله ﷺ(٣).

من هذا يتبين أن قراءة الإمام خلف البزار متواترة، ومتصلة السند بالرسول ﷺ.

* **تلاميذ الإمام خلف البزار:** أخذ القراءة عن خلف البزار عدد كثير، أذكر منهم:

١ ـ إسحاق بن إبراهيم الوراق المروزى (ت ٢٨٦هـ).

٢ ـ أبا الحسن إدريس بن عبد الكريم البغدادى (ت ٢٩٣هـ).

٣ ـ محمد بن إسحاق شيخ ابن شنبوذ (ت ٢٢٦هـ)(٤).

تم مبحث تاريخ القراء العشرة

ولله الحمد والشكر

* * *

(١) انظر: النشر فى القراءات العشر (١/ ١٩١)، ط. القاهرة.

(٢) فى كلمة «وحرام» قراءتان صحيحتان: الأولى قراءة كل من شعبة، وحمزة، والكسائى «وحِرْم» بكسر الحاء، وسكون الراء، وحذف الألف. والثانية: قراءة باقى القراء العشرة «وحرام» بفتح الحاء، والراء، وألف بعد الراء، انظر: المهذب فى القراءات العشر (٢/ ١٦٤).

(٣ ، ٤) انظر: النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى (١/ ١٩١)، ط. القاهرة.

المبحث السابع: تاريخ الرواة العشرين

لقد عقدت بحثًا خاصًا ضمنته الحديث عن تاريخ الأئمة العشرة وبينت أن هؤلاء القراء العشرة تتلمذ على كل واحد منهم عدد كثير، إلا أنه اشتهر من تلاميذ كل إمام راويان، تصدّى كل راو لتعلّم قراءة شيخه، ثم تعليمها للمسلمين، حتى اشتهرت واستفاضت، ونقلت إلينا نقلاً متواترًا، ولله الحمد والشكر تلقيت جميع هذه الروايات العشرين وقرأت بها بالسند الصحيح حتى رسول الله ﷺ.

ومن أراد أن يقف على سند أحد هؤلاء الرواة العشرين فما عليه إلا أن يرجع إلى سند شيخه فإنه سيجد ما يثلج صدره.

وهذه نبذة مختصرة عن تاريخ كل راو من الرواة العشرين، فأقول وبالله التوفيق:

● **راويا الإمام الأول نافع: قالون، وورش:**

* فأمّا قالون (ت ٢٢٠هـ): فهو: عيسى بن مينا المدنى معلّم العربية، ويكنى أبا موسى، وقالون لقب له، يروى أن نافعًا لقّبه به لجودة قراءته، لأن قالون بلسان الروم: جيّد. وكان قالون قارئ المدينة، ونحويها، وكان أصمّ لا يسمع البوق فإذا قرئ عليه القرآن يسمعه.

قال قالون عن نفسه: قرأت على نافع قراءته غير مرّة، وكتبتها عنه، توفى قالون سنة عشرين ومائتين، ـ رحمه الله تعالى ـ[1].

* وأمّا ورش (ت ١٩٧هـ) الراوى الثانى عن نافع: فهو: عثمان بن سعيد المصرى، ويكنى أبا سعيد، وورش لقب له، ونافع هو الذى لقبه به لشدّة بياضه.

قال ابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ): رحل ورش من مصر إلى المدينة المنورة ليقرأ على نافع فقرأ عليه أربع ختمات فى سنة ١٥٥هـ خمس وخمسين ومائة، ورجع إلى مصر فانتهت إليه رياسة الإقراء بها، فلم ينازعه فيها منازع، مع براعته فى العربية، ومعرفته بالتجويد، وكان حسن الصوت. اهـ[2].

(١ ، ٢) انظر: النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى (١/ ١١٣)، ط. القاهرة.

وقال الذهبي (ت ٧٢٨هـ): كان ورش أشقر، سمينًا، مربوعًا، يلبس مع ذلك ثيابًا متواضعة، وإليه انتهت رياسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه. اهـ[١].

توفي ورش سنة سبع وتسعين ومائة من الهجرة، ـ رحمه الله تعالى ـ.

● **راويا الإمام الثاني ابن كثير: البزّي وقنبل:**

* فأمّا البزّي (ت ٢٥٠هـ): فهو: أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزّة[٢]. المؤذن المكي، ويكنى أبا الحسن.

قال عنه ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): كان البزّي إمامًا في القراءة، محققًا، ضابطًا، متقنًا لها، ثقة فيها، انتهت إليه مشيخة الإقراء بمكة، وكان مؤذن المسجد الحرام. اهـ[٣].

وقال أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ): حدثنا فارس بن أحمد، عن أحمد بن محمد بن أبي بزّة قال: قرأت على عكرمة بن سليمان (ت ١٩٨هـ) فلما بلغت والضحى قال: كبِّر، قرأنا على عبد الله بن كثير فقال لنا كبِّر، فإني قرأت على مجاهد فقال لي: كبِّر، قرأت على ابن عباس فقال لي: كبِّر، قرأت على أُبَيّ بن كعب فقال لي: كبِّر، قرأت على النبي ﷺ فقال لي: كبِّر. اهـ [رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٠٤)][٤].

ولد البزّي سنة ١٧٠هـ سبعين ومائة، وتوفي سنة ٢٥٠هـ خمسين ومائتين هجرية ـ رحمه الله تعالى ـ.

* وأما قنبل (ت ٢٩١هـ) الراوي الثاني عن ابن كثير: فهو: محمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن خالد بن سعيد المكي المخزومي بالولاء، ويكنى أبا عمرو، ويلقّب بقنبل، وذلك لأنه من قوم يقال لهم القنابلة.

وقيل: إنه كان يستعمل دواء يسقى البقر يسمى قنبل، فلما أكثر من استعماله عرف به[٥].

(١) انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (١/ ١١٦)، ط. القاهرة.
(٢) قال البخاري: اسم أبي بزّة: بشار مولى عبد الله بن السايب المخزومي، وأبو بزّة فارسي، وقيل همذاني أسلم على يد السايب بن صفي المخزومي. انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (١/ ١٤٣)، ط. القاهرة.
(٣) انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ١٢١)، ط. القاهرة.
(٤) انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ١٤٥)، ط. القاهرة.
(٥) انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ٤٤)، ط. القاهرة.

قال عنه ابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ): كان قنبل إمامًا فى القراءة، متقنًا، ضابطًا، انتهت إليه مشيخة الإقراء بالحجاز، ورحل إليه الناس من الأقطار(١).

ولد قنبل سنة ١٩٥هـ خمس وتسعين ومائة، وتوفى بمكة سنة ٢٩١هـ إحدى وتسعين ومائتين ـ رحمه الله تعالى ـ.

● **راويا الإمام الثالث أبى عمرو بن العلاء:** الدورى، والسوسى:

* فالدورى (ت ٢٤٦هـ): هو: أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الدورى النحوى، البغدادى، الضرير، والدور: محلّة معروفة بالجانب الشرقى من بغداد(٢).

قال ابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ): كان الدورى إمام القراءة فى عصره، وشيخ الإقراء فى وقته، ثقة، ثبتًا، ضابطًا، كبيرًا، وهو أول من جمع القراءات، ولقد روينا القراءات العشر عن طريقه. اهـ(٣).

وقال أبو على الأهوازى (ت ٤٤٦هـ): رحل الدورى فى طلب القراءات، وقرأ بسائر الحروف السبعة، وجمع من ذلك شيئًا كثيرا، وهو ثقة فى جميع ما يرويه، وعاش دهرًا، وذهب بصره فى آخر عمره، وكان ذا دين وخير(٤).

توفى الدورى سنة ٢٤٦هـ ست وأربعين ومائتين هجرية ـ رحمه الله تعالى ـ.

* وأما السوسى (ت ٢٦١هـ) الراوى الثانى عن أبى عمرو: فهو: شعيب صالح ابن زياد بن عبد الله.

قال ابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ): كان السوسى مقرئًا، ضابطًا، محرّرًا، ثقة(٥).

وقال أبو حاتم: كان السوسى صدوقًا(٦).

توفى السوسى سنة ٢٦١هـ إحدى وستين ومائتين هجرية وقد قارب التسعين، ـ رحمه الله تعالى ـ(٧).

---

(١) انظر: النشر فى القراءات العشر (١/ ١٢١)، ط. القاهرة.
(٢) انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ١٥٩)، ط. القاهرة.
(٣) انظر: النشر فى القراءات العشر (١/ ١٣٤)، ط. القاهرة.
(٤) انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ١٥٨)، ط. القاهرة.
(٥) انظر: النشر فى القراءات العشر (١/ ١٣٤)، ط. القاهرة.
(٦) انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ١٦٠)، ط. القاهرة.
(٧) انظر: النشر فى القراءات العشر (١/ ١٣٤)، ط.القاهرة.

● **راويا الإمام الرابع ابن عامر:** هشام، وابن ذكوان:

* فهشام (ت ٢٤٥هـ) هو: هشام بن عمار بن نصير القاضي الدمشقي، ويكنى أبا عمرو.

قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): كان هشام عالم أهل دمشق، وخطيبهم، ومقرئهم، ومحدّثهم، ومفتيهم، مع الثقة والضبط والعدالة. اهـ(١).

وقال الدارقطني: هو صدوق كبير المحل(٢).

توفي هشام آخر المحرم سنة ٢٤٥هـ خمس وأربعين ومائتين ـ رحمه الله تعالى ـ(٣).

* وأمّا ابن ذكوان (ت ٢٤٢هـ) الراوي الثاني عن ابن عامر: فهو: عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان، القرشي الدمشقي، ويكنى أبا عمرو.

قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): كان ابن ذكوان شيخ الإقراء بالشام، وإمام الجامع الأموي، إليه انتهت مشيخة الإقراء بعد أيوب بن تميم. اهـ(٤).

وقال أبو زرعة الدمشقي: لم يكن بالعراق، ولا بالحجاز، ولا بالشام، ولا بمصر، ولا بخراسان في زمان ابن ذكوان أقرأ عندي منه. اهـ(٥).

ولد ابن ذكوان سنة ١٧٣هـ ثلاث وسبعين ومائة، وتوفي بدمشق سنة ٢٤٢هـ اثنين وأربعين ومائتين ـ رحمه الله تعالى ـ(٦).

● **راويا الإمام الخامس عاصم:** شعبة، وحفص:

* فشعبة (ت ١٩٣هـ): هو: أبو بكر شعبة بن عياش بن سالم الكوفي(٧).

قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): كان شعبة إمامًا كبيرًا عالمًا، عاملاً، حجة من كبار أئمة السنة، ولما حضرته الوفاة بكت أخته فقال لها: ما يبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية فقد ختمت فيها ثمان عشرة ألف ختمة(٨).

(١) انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ١٤٢)، ط. القاهرة.
(٢) انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ١٦١)، ط. القاهرة.
(٣) انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ١٦١)، ط. القاهرة.
(٤) انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ١٤٥)، ط. القاهرة.
(٥) انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ١٦٤)، ط. القاهرة.
(٦) انظر: المهذب في القراءات العشر (١/ ١٠)، ط. القاهرة.
(٧) انظر: سراج القارئ لابن القاصح ص١١، ط. القاهرة.
(٨) انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ١٥٦)، ط. القاهرة.

ولد شعبة سنة ٩٥هـ خمس وتسعين، وتوفى فى جمادى الأولى سنة ١٩٣هـ ثلاث وتسعين ومائة، ـ رحمه الله تعالى ـ[١].

* وأمّا حفص (ت ١٨٠هـ) الراوى الثانى عن عاصم: فهو: أبو عمر حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدى الكوفى.

قال ابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ): كان حفص أعلم أصحاب عاصم بقراءة عاصم، وكان ربيب عاصم ابن زوجته. اهـ[٢].

وقال ابن المنادى: كان الأولون يعدّونه فى الحفظ فوق ابن عياش ويصفونه بضبط الحروف التى قرأها على عاصم وأقرأ الناس دهرًا طويلاً. اهـ[٣].

وقال الحافظ الذهبى (ت ٧٢٨هـ): كان حفص فى القراءة ثبتًا، ضابطًا، وكانت القراءة التى أخذها عن عاصم ترتفع إلى على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ. اهـ[٤].

ولد حفص سنة ٩٠هـ تسعين، وتوفى سنة ١٨٠هـ ثمانين ومائة هجرية، ـ رحمه الله تعالى ـ.

● **راويا الإمام السادس حمزة: خلف، وخلاد:**

* فخلف (ت ٢٢٩هـ): هو: خلف بن هشام البزار، ويكنى أبا محمد.

قال الحسين بن نهم: ما رأيت أنبل من خلف بن هشام، كان يبدأ بأهل القرآن ثم يأذن للمحدّثين، وكان يقرأ علينا من حديث أبى عوانة خمسين حديثًا، وثقه ابن معين والنسائى.

وقال الدارقطنى: كان خلف عابدًا، فاضلاً.

ولد خلف سنة ١٥٠هـ خمسين ومائة، وتوفى فى جمادى الآخرة سنة ٢٢٩هـ تسع وعشرين ومائتين، ـ رحمه الله تعالى ـ[٥].

* وأمّا خلاد (ت ٢٢٠هـ) الراوى الثانى عن حمزة: فهو: خلاد بن خالد، ويقال ابن خليد الصيرفى.

---

(١) انظر: الإرشادات الجلية فى القراءات السبع ص٩، ط. القاهرة.
(٢) انظر: النشر فى القراءات العشر (١/ ١٦٤)، ط. القاهرة.
(٣، ٤) انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ١١٧)، ط. القاهرة.
(٥) انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ١٧٢)، ط. القاهرة.

قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): كان خلاد إمامًا في القـراءة، ثقة، عارفًا، محققًا، مجوّدًا، أستاذًا، ضابطًا، متقنًا. اهـ[١].

توفي خلاد بالكوفة سنة ٢٢٠هـ عشرين ومائتين هجرية، ـ رحمه الله تعالى ـ.

● **راويا الإمام السابع الكسائي:** أبو الحارث، وحفص الدوري:

* فأبو الحارث (ت ٢٤٠هـ): هو: الليث بن خالد البغدادي.

قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): كان أبو الحارث ثقة، قيّما بالقراءة، ضابطًا لها محققًا[٢].

توفي أبو الحارث سنة ٢٤٠هـ أربعين ومائتين هجرية، ـ رحمه الله تعالى ـ.

* وأمّا حفص الدوري (ت ٢٤٦هـ) الراوي الثاني عن الكسائي: فهو أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري، وهو أحد رواة الإمام الثالث أبي عمرو بن العلاء البصري وقد تقدمت ترجمته ضمن راويا أبي عمرو بن العلاء.

● **راويا الإمام الثامن أبي جعفر:** ابن وردان، وابن جمّاز:

* فابن وردان (ت ١٦٠هـ):

هو: أبو الحارث عيسى بن وردان المدني.

قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): كان ابن وردان مقرئًا رأسًا في القرآن، ضابطًا محققًا، من قدماء أصحاب نافع ومن أصحابه في القراءة على أبي جعفر. اهـ[٣].

توفي ابن وردان سنة ١٦٠هـ ستين ومائة من الهجرة ـ رحمه الله تعالى ـ.

* أمّا ابن جمّاز الراوي الثاني عن أبي جعفر (ت ١٧٠هـ): فهو: أبو الربيع سليمان بن مسلم بن جماز المدني.

قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): كان ابن جماز مقرئًا، جليلاً، ضابطًا، نبيلاً، مقصودًا في قراءة أبي جعفر. اهـ[٤].

---

(١) انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ١٦٦)، ط. القاهرة.
(٢) انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ١٧١)، ط. القاهرة.
(٣، ٤) انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ١٧٩)، ط. القاهرة.

توفي ابن جماز سنة ١٧٠هـ سبعين ومائة من الهجرة ـ رحمه الله تعالى ـ.

● **راويا الإمام التاسع يعقوب:** رويس، وروح:

* فرويس (ت ٢٣٨هـ): هو: أبو عبد الله محمد بن المتوكل اللؤلؤى البصرى، ورويس لقب له.

قال ابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ): كان رويس إمامًا فى القراءة قيِّما بها، ماهرًا، ضابطًا، مشهورًا، حاذقًا. اهـ(١).

توفى بالبصرة سنة ٢٣٨هـ ثمان وثلاثين ومائتين من الهجرة ـ رحمه الله تعالى ـ.

* وأمّا روح الراوى الثانى عن يعقوب (ت ٢٣٤هـ): فهو: أبو الحسن روح بن عبد المؤمن البصرى، النحوى.

قال ابن الجزرى: كان روح مقرئًا جليلاً، ثقة، ضابطًا، مشهورًا، من أجلّ أصحاب يعقوب وأوثقهم. اهـ(٢).

توفى روح سنة ٢٣٤هـ أربع وثلاثين ومائتين من الهجرة ـ رحمه الله تعالى ـ.

● **راويا الإمام العاشر خلف البزّار:** إسحاق، وإدريس:

* فإسحاق (ت ٢٨٦هـ): هو: أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عثمان الورّاق المروزى.

قال ابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ): كان إسحاق ثقة، قيِّما بالقراءة، ضابطًا لها، متفردًا برواية اختيار خلف لا يعرف غيره. اهـ(٣).

توفى إسحاق سنة ٢٨٦هـ ستّ وثمانين ومائتين من الهجرة، ـ رحمه الله تعالى ـ.

* وأمّا إدريس الرّاوى الثانى عن خلف البزّار (ت ٢٩٢هـ): فهو: أبو الحسن إدريس بن عبد الكريم البغدادى الحدّاد.

---

(١) انظر: النشر فى القراءات العشر (١/ ١٨٦)، ط. القاهرة.

(٢) انظر: النشر فى القراءات العشر (١/ ١٨٧)، ط. القاهرة.

(٣) انظر: النشر فى القراءات العشر (١/ ١٩١)، ط. القاهرة.

قال ابن الجزرى: كان إدريس إمامًا، ضابطًا، متقنًا، ثقة، وقد سئل عنه الدارقطنى فقال: ثقة، وفوق الثقة بدرجة. اهـ[1].

توفى إدريس سنة ٢٩٢هـ اثنتين وتسعين ومائتين من الهجرة ـ رحمه الله تعالى ـ.

* وقد نظم الإمام ابن الجزرى الأئمة العشرة، ورواتهم العشرين فى متن الطيبة فى القراءات العشر فقال:

وَمِنْهُمُ عَشْرٌ شُمُوسٌ ظَهَرَا ... ضِيَاؤُهُمْ وَفِي الأَنَامِ انْتَشَرَا
حَتَّى اسْتَمَدَّ نُورُ كُلِّ بَدْرِ ... مِنْهُمْ وَعَنْهُمْ كُلُّ نَجْمٍ دُرِّى
وَهَا هُمُو يَذْكُرُهُمُو بَيَانِى ... كُلُّ إِمَامٍ عَنْهُ رَاوِيَانِ
فَنَافِعٌ بِطَيْبَةٍ قَدْ حَظِيَا ... فَعَنْهُ قَالُونٌ وَوَرْشٌ رَوَيَا
وَابْنُ كَثِيرٍ مَكَّةٌ لَهُ بَلَدْ ... بَزٌّ وَقُنْبُلٌ لَهُ عَلَى سَنَدْ
ثُمَّ أَبُو عَمْرٍو فَيَحْيَى عَنْهُ ... وَنَقَلَ الدُّورِى وَسُوسٍ مِنْهُ
ثُمَّ ابْنُ عَامِرٍ الدِّمَشْقِى بِسَنَدْ ... عَنْهُ هِشَامٌ وَابْنُ ذَكْوَانَ وَرَدْ
ثَلاَثَةٌ مِنْ كُوفَةٍ فَعَاصِمُ ... فَعَنْهُ شُعْبَةٌ وَحَفْصٌ قَائمُنْهُ وَخَلادٌ
وَحَمْزَةٌ عَنْهُ سُلَيْمٌ فَخَلَفْ ... كِلاَهُمَا اغْتَرَفْ
ثُمَّ الْكِسَائِىُّ الْفَتَى عَلِىُّ ... عَنْهُ أَبُو الْحَارِث وَالدُّورِىُّ (٣٠)
ثُمَّ أَبُو جَعْفَرٍ الْحَبْرُ الرِّضَى ... فَعَنْهُ عِيسَى وَابْنُ جَمَّازٍ مَضَى
تَاسِعُهُمْ يَعْقُوبُ وَهْوَ الْحَضْرَمِى ... لَهُ رُوَيْسٌ ثُمَّ رَوْحٌ يَنْتَمِى
وَالْعَاشِرُ الْبَزَّارُ وَهْوَ خَلَفُ ... إِسْحَاقُ مَعْ إِدْرِيسَ عَنْهُ يُعْرَفُ

تمَّ مبحث تاريخ الرواة العشرين

ولله الحمد والشكر

* * *

(١) انظر: النشر فى القراءات العشر (١/ ١٩١)، ط. القاهرة.

(٢) انظر: متن الطيبة فى القراءات العشر لابن الجزرى ص٣، ٤. ط. القاهرة.

المبحث الثامن: دخول القراءات الأمصار واشتهارها

لقد كثرت الفتوحات الإسلامية، وانتشر حفاظ القرآن فى الأمصار الآتية بعدُ يعلمونه بالأحرف التى تلقوها عن صحابة رسول الله ﷺ.

والأمصار هى:

١ـ المدينة المنورة. ٢ ـ مكة المكرمة. ٣ ـ البصرة. ٤ ـ الشام. ٥ ـ الكوفة.

وهذه الأمصار الخمسة هى التى وصلتنا عن طريق قرآئها ومعلميها القراءات التى يقرأ بها المسلمون الآن فى جميع بقاع الأرض.

وهذا تفصيل الحديث عن أساتذة كل مِصْرٍ على حدة:

● **أولاً: أساتذة المدينة المنورة:**

(١) عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة (ت ٧٨هـ) من كبار التابعين، وكان أقرأ أهل المدينة فى زمانه. وقد أخذ القراءة عرضًا عن: أُبَىّ بن كعب (ت ٢٠هـ ـ رضى الله عنه)[١].

* **تلاميذ عبد الله بن عياش:**

روى القراءة عنه عرضًا كل من:

١ ـ مولاه أبى جعفر يزيد بن القعقاع (ت ١٢٨هـ).

٢ ـ شيبة بن نصاح (ت ١٣٠هـ).

٣ ـ عبد الرحمن بن هرمز (ت ١١٧هـ).

٤ ـ مسلم بن جندب (ت ١٣٠هـ).

٥ ـ يزيد بن رومان (ت ١٢٠هـ).

وهؤلاء الخمسة من شيوخ الإمام نافع بن أبى نعيم (ت ١٦٩هـ) وهو الإمام الأول من القراء العشرة الذى وصلتهم قراءاتهم، وقد قرأت بكل ذلك ولله الحمد والشكر[٢].

---

(١) انظر: غاية النهاية فى طبقات القراء (١/ ٤٣١)، ومعرفة القراء الكبار للذهبى (١/ ٤٩).

(٢) انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ٤٩).

(٢) يزيد بن رومان (ت ١٢٠هـ) مولى الزبير بن العوام ومن التابعين الأجلاء.

أخذ القراءة عن: عبد الله بن عياش (ت ٧٨هـ).

* تلاميذ يزيد بن رومان: روى القراءة عنه عرضًا كل من:

١ - الإمام نافع بن أبى نعيم الإمام الأول من القراء العشرة (ت ١٦٩هـ).

٢ - الإمام أبى عمرو بن العلاء البصرى، الإمام الثالث من القراء العشرة (ت ٥٤هـ)[1].

(٣) عبد الرحمن بن هرمز الأعرج المدنى، وهو تابعى جليل (ت ١١٧هـ).

* شيوخه: أخذ القراءة عن كل من:

١ - أبى هريرة (ت ٥٧هـ - رضى الله عنه).

٢ - عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما).

* تلاميذ عبد الرحمن بن هرمز:

الإمام نافع بن أبى نعيم، الإمام الأول من القراء العشرة (ت ١٦٩هـ).

(٤) شيبة بن نصاح، مقرئ المدينة المنورة وقاضيها، مولى أم سلمة أم المؤمنين - رضى الله عنها -، وهو من قراء التابعين الذين أدركوا أصحاب النبى ﷺ (ت ١٣٠هـ).

* شيوخه: عرض القرآن على عبد الله بن عياش (ت ٧٨هـ).

* تلاميذ عبد الرحمن بن هرمز: قرأ عليه القرآن كل من:

١ - نافع بن أبى نعيم الإمام الأول من القراء العشرة (ت ١٦٩هـ).

٢ - سليمان بن مسلم بن جماز أحد رواة الإمام أبى جعفر يزيد بن القعقاع الإمام الثامن من القراء العشرة (ت ١٧٠هـ).

---

(١) انظر: غاية النهاية فى طبقات القراء (٢/ ٣٨١).

٣ ـ أبي عمرو بن العلاء البصري الإمام الثالث من القراء العشرة (ت ١٥٤هـ)[١].

(٥) مسلمة بن جندب، أبو عبد الله الهذلي مولاهم، المدني من التابعين المشهورين (ت ١٣٠هـ).

* شيوخه: عرض القرآن على: عبد الله بن عياش (ت ٧٨هـ).

* **تلاميذ مسلمة بن جندب:** عرض عليه القرآن: نافع بن أبي نعيم الإمام الأول من القراء العشرة[٢].

- **ثانيًا: أساتذة مكة المكرمة:**

(١) عبد الله بن السائب، قارئ أهل مكة (ت ٧٠هـ).

* شيوخه: روى القراءة عرضًا عن كل من:

١ ـ أُبَيّ بن كعب (ت ٢٠هـ). ٢ ـ عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ).

* **تلاميذ عبد الله بن السائب:** عرض عليه القرآن كل من:

١ ـ مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ).

٢ ـ عبد الله بن كثير الإمام الثاني من القراء العشرة (ت ١٢٠هـ)[٣].

(٢) عبيد بن عمير بن قتادة من خيرة التابعين (ت ٧٤هـ).

* شيوخه: روى القراءة عن أُبَيّ بن كعب (ت ٢٠هـ).

* **تلاميذ عبيد بن عمير:** روى القراءة عنه:

١ ـ مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ).

٢ ـ عطاء بن يسار (ت ١٠٢هـ).

٣ ـ عمرو بن دينار (ت ١٢٦هـ)[٤].

---

(١) انظر: غاية النهاية (١/ ٣٢٩).

(٢) انظر: غاية النهاية (٢/ ٢٩٧)، ومعرفة القراء الكبار (١/ ٦٧).

(٣) انظر: غاية النهاية (١/ ٤١٩)، ومعرفة القراء الكبار (١/ ٤٢).

(٤) انظر: غاية النهاية (١/ ٤٩٧).

(٣) عطاء بن يسار، مولى ميمونة أم المؤمنين، من خيرة التابعين (ت ١٠٢هـ).

* شيوخه: روى القراءة عن كل من:

١ - أُبَيّ بن كعب (ت ٢٠هـ). ٢ - زيد بن ثابت (ت ٤٥هـ)[1].

* **تلاميذ عطاء بن يسار:**

روى القراءة عنه كل من:

١ - زيد بن أسلم (ت ١٣٠هـ).

٢ - شريك - لم أقف له على ترجمة - (ت ١٠٢هـ) على خلاف.

(٤) مجاهد بن جبر أبو الحجاج، أحد أعلام التابعين، والأئمة المفسرين (ت ١٠٤هـ).

* شيوخه: قرأ على كل من:

١ - عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ). ٢ - عبد الله بن السائب (ت ٧٠هـ).

* **تلاميذ مجاهد بن جبر:** أخذ عنه القراءة عرضًا كل من:

١ - عبد الله بن كثير، الإمام الثاني من القراء العشرة (ت ١٢٠هـ).

٢ - أبي عمرو بن العلاء البصري، الإمام الثالث من القراء العشرة (ت ١٥٤هـ).

٣ - ابن محيصن محمد بن عبد الرحمن (ت ١٢٢هـ).

٤ - حميد بن قيس (ت ١٣٠هـ)[2].

• **ثالثا: أساتذة البصرة:**

(١) يحيى بن يعمر أبو سليمان البصري من خيرة التابعين (ت ٨٩هـ).

* شيوخه: عرض القرآن على كل من:

١ - عبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ).

٢ - عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ).

٣ - أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ).

---

(١) انظر: غاية النهاية (١/ ٥١٢).

(٢) انظر: غاية النهاية (٢/ ٤١، ٤٢).

* **تلاميذ يحيى بن يعمر:** عرض القرآن عليه كل من:

١ ـ أبي عمرو بن العلاء البصري، الإمام الثالث من القراء العشرة (ت ١٥٤هـ).

٢ ـ عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧هـ)[١].

(٢) أبو العالية الرياحي، من كبار التابعين (ت ٩٠هـ).

* شيوخه: أخذ القرآن عرضًا عن كل من:

١ ـ أُبَيّ بن كعب (ت ٢٠هـ). ٢ ـ زيد بن ثابت (ت ٤٥هـ).

٣ ـ عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ).

* **تلاميذ أبي العالية الرياحي:** قرأ عليه كل من:

١ ـ شعيب بن الحبحاب الأزدي البصري (ت ١٣٠هـ).

٢ ـ الأعمش سليمان بن مهران (ت ١٤٧هـ).

٣ ـ أبي عمرو بن العلاء البصري، الإمام الثالث من القراء العشرة (ت ١٥٤هـ)[٢].

(٣) نصر بن عاصم الليثي البصري، من خيرة علماء التابعين (ت ٩٩هـ).

* شيوخه: قرأ القرآن على أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ).

* **تلاميذ نصر بن عاصم:** روى القراءة عنه عرضًا كل من:

١ ـ عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧هـ).

٢ ـ أبي عمرو بن العلاء البصري، الإمام الثالث من القراء العشرة (ت ١٥٤هـ).

وروى عنه القراءات: مالك بن دينار البصري (ت ١٢٧هـ)[٣].

- **رابعًا: أساتذة الشام:**

(١) أبو الدرداء عويمر بن زيد الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل، قرأ القرآن في عهد النبي ﷺ، وكان من العلماء الحكماء، وقد ولي قضاء دمشق (ت ٣٢هـ).

---

(١) انظر: غاية النهاية (٢/ ٣٨١).

(٢) انظر: غاية النهاية (٢/ ٢٨٤).

(٣) انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ٥٨).

* **تلاميذه:**

إن تلاميذ أبي الدرداء لا يحصون لكثرة عددهم، وفي مقدمتهم عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي، الإمام الرابع من القراء العشرة (ت ١١٨هـ)(١).

(٢) المغيرة بن شهاب المخزومي، من خيرة التابعين (ت ٩١هـ).

* شيوخه: أخذ القراءة عرضًا عن: عثمان بن عفان (ت ٢٥هـ ـ رضي الله عنه).

* **من تلاميذ المغيرة بن شهاب:** ابن عامر الشامي الإمام الرابع من القراء العشرة (ت ١١٨هـ)(٢).

• **خامسًا: أساتذة الكوفة:**

(١) علقمة بن قيس النخعي، ولد في حياة النبي ﷺ وكان أعرج، وكان من أحسن الناس صوتًا بالقرآن (ت ٦٢هـ).

* شيوخه: أخذ القراءة عرضًا عن: عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضي الله عنه). وسمع القرآن من:

١ ـ عليّ بن أبي طالب (ت ٤٠هـ ـ رضي الله عنه).

٢ ـ أبي الدراء (ت ٣٢هـ ـ رضي الله عنه).

٣ ـ عائشة أم المؤمنين (ت ٥٨ ـ رضي الله عنها).

* **تلاميذ علقمة بن قيس:** عرض عليه القرآن كل من:

١ ـ إبراهيم بن يزيد النخعي (ت ٩٠هـ).

٢ ـ أبي إسحاق السبيعي (ت ١٣٢هـ).

٣ ـ يحيى بن وثاب (ت ١٠٣هـ)(٣).

(٢) أبو عبد الرحمن السلمي، الضرير، ولد في حياة النبي ﷺ وكان من خيرة التابعين (ت ٧٣هـ).

---

(١) انظر: غاية النهاية (١/ ٦٠٦)، ومعرفة القراء الكبار (١/ ٣٨).

(٢) انظر: غاية النهاية (٢/ ٣٠٥، ٣٠٦)، ومعرفة القراء الكبار (١/ ٤٣).

(٣) انظر: غاية النهاية (١/ ٥١٦).

* شيوخه: أخذ القراءة عن كل من:

١ ـ عثمان بن عفان (ت ٣٥هـ ـ رضي الله عنه).

٢ ـ عليّ بن أبي طالب (ت ٤٠هـ ـ رضي الله عنه).

٣ ـ عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضي الله عنه).

٤ ـ زيد بن ثابت (ت ٤٥هـ ـ رضي الله عنه).

٥ ـ أُبيّ بن كعب (ت ٢٠هـ ـ رضي الله عنه)(١).

*** تلاميذ أبي عبد الرحمن السُّلمي:**

أخذ القرآن عنه عدد كثير أذكر منهم:

١ ـ عاصم بن بهدلة أبي النّجود الأسدي، الإمام الخامس من القراء العشرة (ت ١٢٧هـ).

٢ ـ عطاء بن السَّائب أبا زيد الثقفي الكوفي (ت ١٣٦هـ).

٣ ـ أبا إسحاق السبيعي الكوفي (ت ١٣٢هـ).

٤ ـ يحيى بن وثّاب الأسدي الكوفي (ت ١٠٣هـ).

٥ ـ الحسن بن علي بن أبي طالب (ت ٥٠هـ ـ رضي الله عنهما).

٦ ـ الحسين بن علي بن أبي طالب (ت ٦١هـ ـ رضي الله عنهما)(٢).

(٣) الأسود بن يزيد النّخَعيّ الكوفي، وهو من خيرة التابعين، كان يختم القرآن كل ستّ ليالي، وفي رمضان كل ليلتين (ت ٧٥هـ).

* شيوخه: أخذ القراءة عرْضًا عن عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضي الله عنه).

*** تلاميذ الأسود بن يزيد النخَعيّ:** قرأ عليه كل من:

١ ـ يحيى بن وثّاب (ت ١٠٣هـ). ٢ ـ إبراهيم النخَعيّ (ت ٩٠هـ).

٣ ـ أبي إسحاق السبيعي (ت ١٣٢هـ)(٣).

---

(١) انظر: غاية النهاية (١/ ٤١٣).

(٢) انظر: غاية النهاية (١/ ٤١٣)، ومعرفة القراء الكبار (١/ ٤٥).

(٣) انظر: غاية النهاية (١/ ١٧١)، ومعرفة القراء الكبار (١/ ٤٣، ٤٤).

(٤) سعيد بن جبير الأسدى الكوفى، من خيرة التابعين (ت ٧٥هـ).

* شيوخه: قرأ القرآن على عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما).

* **تلاميذ سعيد بن جبير:** أخذ القراءة عنه عدد كثير، أذكر منهم:

أبا عمرو بن العلاء البصرى، الإمام الثالث من القراء العشرة (ت ١٥٤هـ)[1].

(٥) عمرو بن عبد الله السُّبيعى الهمدانى الكوفى، من كبار التابعين (ت ١٣٢هـ).

* شيوخه: أخذ القراءة عَرْضًا عن كل من:

١ - أبى عبد الرحمن السُّلمى (ت ٧٢هـ). ٢ - زرّ بن حُبَيْش (ت ٨٣هـ).

* **تلاميذ عمرو بن عبد الله السُّبَيْعى:**

قرأ عليه عدد كثير، أذكر منهم:

حمزة بن حبيب الزّيات، الإمام السابع من القراء العشرة (ت ١٥٦هـ)[2].

تم مبحث

دخول القراءات الأمصار واشتهارها

ولله الحمد والشكر

* * *

---

(١) انظر: غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى (١/ ٣٠٥).

(٢) انظر: غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى (١/ ٣٠٢).

المبحث التاسع: أنواع القراءات، وبيان حكم كل نوع

هذا بيان لما ذكره العلماء فى هذه القضية فأقول وبالله التوفيق:

● **أولاً: قال أبو الفتح عثمان بن جنـى (ت ٣٩٢هـ): القراءات على ضربين:**

الأول: ضرب اجتمع عليه أكثر قرّاء الأمصار.

والثانـي: ضـرب تعدّى ذلك، فـسمّـاه أهل زماننا شـاذًا، أى خارجًـا عن قراءة القراء السبعة(١).

● **ثانيًا: قال مكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧هـ):**

إن جميع ما روى من القرآن على ثلاثة أقسام:

* القسم الأول: يقرأ به اليوم، وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال:

١ ـ أن ينقل عن الثقات عن النبى ﷺ.

٢ ـ يكون وجهه فى العربية التى نزل بها القرآن سائغًا.

٣ ـ يكون موافقًا لخط المصحف.

فإذا اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاث قرئ به، وقطع بصحته لأنه أخذ عن إجماع من جهة موافقة خط المصحف، وكفر من جحده.

* القسم الثاني: ما صحّ نقله عن الآحاد، وصحّ وجهه فى العربية، وخالف لفظه خط المصحف، فهذا يقبل، ولا يقرأ به لعلتين:

العلة الأولى: أنه لم يؤخذ بإجماع، وإنما أخذ بأخبار الآحاد، ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد.

والعلة الثانيـة: أنه مخالف لمـا قد أجمع عليه، فـلا يقطع بصحتـه، وما لم يقطع بصحته لا تجوز القراءة به، ولايكفر من جحده، ولبئس ما صنع إذا جحده.

* والقسم الثالث: هو ما نقله غير ثقـة، أو نقله ثقة ولا وجه له فى العربية، فهذا لا يقبل، وإن وافق خطّ المصحف. اهـ.

---

(١) انظر: المحتسب لابن جنى (١/ ٣٢).

● **ثالثا: قال جلال الدين السيوطى (ت ٩١١هـ):**

إن القراءات ستة أنواع:

* النوع الأول: المتواتر: وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه، وغالب القراءات كذلك.

* والنوع الثاني: المشهور: وهو ما صحّ سنده ولم يبلغ درجة التواتر، ووافق العربية، والرسم، واشتهر عند القراء، فلم يعدّ من الغلط، ولا من الشذوذ.

فهذا يقرأ به على ما ذكر ابن الجزرى.

* والنوع الثالث: الآحاد: وهو ما صحّ سنده، وخالف الرسم، أو العربية، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور، وهذا لا يقرأ به.

* والنوع الرابع: الشاذّ: وهو ما لم يصح سنده، وفيه كتب مؤلفة[1].

* والنوع الخامس: الموضوع: كقراءات الأوزاعى.

* والنوع السادس: المدرج: وهو ما زيد فى القراءات على وجه التفسير. اهـ.

● **رابعا: قال الدكتور/محمد محمد محمد سالم محيسن مؤلف هذا الكتاب:**

أرى أن القراءات تنقسم قسمين:

القسم الأول: قراءات صحيحة. والثاني: قراءات شاذة.

* والقسم الأول، أى القراءات الصحيحة تحته نوعان:

* النوع الأول: القراءات المتواترة: وهى ما وافقت اللغة العربية، والرسم العثمانى، ونقلت بطريق التواتر.

---

(١) من الكتب المؤلفة فى القراءات الشاذة وهى مطبوعة:
١ ـ المحتسب لابن جنىّ، ويقع فى جزءين، ط. القاهرة.
٢ ـ مختصر شواذ القرآن لابن خالويه، ط. القاهرة ١٩٣٤م.
٣ ـ القراءات الشاذة للشيخ عبد الفتاح القاضى، ط. القاهرة.

ويندرج تحت هذا النوع معظم القراءات التى وصلتنا[١].

*والنوع الثانى: القراءات المشهورة: وهى ما وافقت اللغة العربية.

ويندرج تحت هذا النوع بعض كلمات مخصوصة ضمن قراءات الأئمة العشرة.

وحكم هذا القسم بنوعيه: أنه يجب اعتقاد أنه القرآن المنزّل على نبينا «محمد» ﷺ الثابت فى العرضة الأخيرة، المتعبّد بتلاوته، ويحرم جحوده، ومن أنكره أو أنكر بعضه فقد كفر بما أنزل على نبينا «محمد» ﷺ.

* والقسم الثانى: أى القراءات الشاذّة، تحته أربعة أنواع:

*النوع الأول: الآحاد: والمراد به ما وافق اللغة العربية، والرسم العثمانى، ونقل بطريق الآحاد، ولكنه مع ذلك لم يشتهر، ولم يستفض بين رجال القراءات المعنيين بهذا العلم.

*والنوع الثانى: الشاذ: وهو ما فقد أحد الأركان الثلاثة، أو معظمها.

*والنوع الثالث: المدرج: وهو ما زيد فى القراءات على وجه التفسير، مثل قراءة سعد بن أبى وقّاص ـ رضى الله عنه ـ.

﴿ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ من أمّ ﴾[النساء: ١٢].

*والنوع الرابع: الموضوع: كقراءات الأوزاعى.

تم مبحث أنواع القراءات وبيان حكم كل نوع

ولله الحمد والشكر

* * *

(١) وهى قراءات الأئمة العشرة وهم:

١ ـ الإمام نافع بن أبى نعيم (ت ١٦٩هـ).
٢ ـ الإمام عبد الله بن كثير المكى (ت ١٢٠هـ).
٣ ـ الإمام أبو عمرو بن العلاء البصرى (ت ١٥٤هـ).
٤ ـ الإمام عبد الله بن عامر الشامى (ت ١١٨هـ).
٥ ـ الإمام عاصم بن بهدلة أبو النجود (ت ١٢٧هـ).
٦ ـ الإمام حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦هـ).
٧ ـ الإمام الكسائى على بن حمزة الكوفى (ت ١٨٩هـ).
٨ ـ الإمام أبو جعفر يزيد بن القعقاع (ت ١٢٨هـ).
٩ ـ الإمام يعقوب بن إسحاق الحضرمى (ت ٢٠٥هـ).
١٠ـ الإمام خلف بن هشام البزّار (ت ٢٢٩هـ).

المبحث العاشر: صلة القراءات العشر بالأحرف السبعة

بالرجوع إلى ما كتب فى هذه القضية أمكننى تلخيصها فى قولين:

• **القول الأول:**

مؤدّاه أن القراءات العشر تعتبر حرفًا واحدًا من الأحرف السبعة التى نزلت على الرسول ﷺ وقد مال إلى هذا القول وجنح إليه كل من:

١ - أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ).

٢ - أبى طاهر عبد الواحد بن أبى هاشم، تلميذ ابن جرير الطبرى.

وهذا ما ذكره كل منهما فى هذا المقام:

* ١ - قال أبو جعفر الطبرى (ت ٣١٠هـ): الأمّة أمرت بحفظ القرآن، وخيرت فى قراءته وحفظه بأىّ تلك الأحرف السبعة شاءت، كما أمرت إذا هى حنثت فى يمين وهى موسرة أن تكفّر بأىّ الكفّارات الثلاث شاءت: إمّا بعتق، أو إطعام، أو كسوة.

فلو أجمع جميعها على التكفير بواحدة من الكفارات الثلاث دون حظرها التكفير فيها بأىّ الثلاث شاءت المكفّر كانت مصيبة حكم الله، مؤدّية فى ذلك الواجب عليها من حق الله.

فكذلك الأمّة أمرت بحفظ القرآن، وخيِّرت فى قراءته بأىّ الأحرف السبعة شاءت:

فرأت لعلّة من العلل، أوجبت عليها الثبات على حرف واحد، فقرأته بحرف واحد، ورفضت القراءة بالأحرف الستة الباقية، ولم تحظر قراءته بجميع حروفه على قارئه بما أذن فى قراءته به.... فحملهم عثمان على حرف واحد وجمعهم على مصحف واحد، وحرق ما عدا المصحف الذى جمعهم عليه، فاستوسقت له الأمّة على ذلك بالطاعة، ورأت أن فيما فعل من ذلك الرشد والهداية، فتركت القراءة بالأحرف الستّة التى عزم عليها إمامها العادل فى تركها طاعة منها له، ونظرًا منها لأنفسها، ولمن بعدها من سائر أهل ملتها، حتى درست من الأمّة معرفتها، وعفت آثارها. فلا سبيل اليوم لأحد إلى القراءة بها لدثورها، وعفوّ آثارها.

وتتابع المسلمون على رفض القراءة بها من غير جحود منهم صحتها، فلا قراءة اليوم لأحد من المسلمين إلا بالحرف الواحد الذى اختاره لهم إمامهم الشفيق الناصح دون ما عداه من الأحرف الستة الباقية.

ثم قال: فإن قال بعض من ضعفت معرفته: كيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله ﷺ. وأمرهم بقراءتها؟ قيل: إن أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض، وإنما كان أمر إباحة، ورخصة. اهـ[١].

* ٢ ـ وقال أبو طاهر عبد الواحد بن أبى هاشم تلميذ ابن جرير الطبرى: إن الأمر بقراءة القرآن على سبعة أحرف أمر تخيير... إلى أن قال: فثبتت الأمّة على حرف واحد من الأحرف السبعة التى خيروا فيها.

وكان سبب ثباتهم على ذلك، ورفض السنّة ما أجمع عليه صحابة رسول الله ﷺ حين خافوا على الأمّة تكفير بعضهم بعضًا أن يستطيل ذلك إلى القتال، وسفك الدماء، وتقطيع الأرحام، فرسموا لهم مصحفًا أجمعوا جميعًا عليه، وعلى نبذ ما عداه لتصير الكلمة واحدة، فكان ذلك حجة قاطعة، وفرضًا لازمًا.

وأمّا ما اختلفت فيه أئمة القراءة بالأمصار من: النصب، والرفع، والتحريك، والإسكان، والهمز، وتركه، والتشديد، والتخفيف، والمدّ، والقصر، وإبدال حرف بحرف يوافق صورته، فليس ذلك بداخل فى معنى قول النبىﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» وذلك من قبل أن كل حرف اختلفت فيه أئمة القراءة لا يوجب المراء كفرًا لمن مارى به فى قول أحد من المسلمين. اهـ[٢].

• **القول الثانى:**

مفاده أن القراءات العشر تعتبر بعض الأحرف السبعة التى نزلت على الرسول ﷺ.

وقد جنح إلى هذا القول جمهور العلماء أذكر منهم:

١ ـ مكىّ بن أبى طالب (ت ٤٣٧هـ).

٢ ـ أبا العباس أحمد بن عمار المقرئ (ت ٤٤٠هـ).

٣ ـ أبا علىّ الأهوازىّ (ت ٤٥٦هـ).

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (١/ ٥٨، ٦٣، ٦٤)، والمرشد الوجيز ص ١٣٩، ١٤٠.

(٢) انظر: المرشد الوجيز ص١٤٨، ١٤٩.

* وقد قال مكى بن أبى طالب فى هذا المقام:

هذه القراءات كلها التى يقرؤها الناس اليوم، وصحّت روايتها عن الأئمة إنما هى جزء من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ووافق اللفظ بها خطّ المصحف الذى أجمع الصحابة فمن بعدهم عليه وعلى اطِّراح ما سواه. اهـ[1].

* وقال أبو العباس أحمد بن عمار المقرئ (ت ٤٤٠هـ): أصحّ ما عليه الحذّاق من أهل النظر فى معنى ذلك: أن ما نحن عليه فى وقتنا هذا من هذه القراءات هو بعض الحروف السبعة التى نزل عليها القرآن.

●● **تعليق وترجيح:**

أرى أن القول الثانى الذى مضمونه: أن القراءات العشر التى نقرؤها الآن هى بعض الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن الكريم وهذا القول هو الذى تطمئن إليه النفس، وهناك أكثر من دليل على ذلك، من هذه الأدلة:

أولاً: لم يثبت من طريق صحيح، ولا ضعيف أن عثمان بن عفان أمر بالقراءة بحرف واحد وهو حرف قريش، وترك باقى القراءات التى ثبتت فى العرضة الأخيرة.

ثانيًا: من ينعم النظر فى القراءات العشر التى نقرأ بها الآن يجدها مشتملة على عدد من اللهجات العربية الفصيحة غير لهجة قريش، فوجود هذه اللهجات من أقوى الأدلة على أن هذه القراءات العشر هى بعض الأحرف السبعة، التى نزل بها القرآن الكريم، وهى التى ثبتت فى العرضة الأخيرة، أى التى لم تنسخ تلاوتها.

* فإن قيل: لماذا اشتهر القراء السبعة دون غيرهم؟

أقول: قد أجاب على هذا السؤال مكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧هـ) فقال: فإن سأل سائل: ما العلة التى من أجلها اشتهر هؤلاء السبعة بالقراءة دون من هم فوقهم، فنسبت إليهم السبعة الأحرف مجازًا، وصاروا فى وقتنا أشهر من غيرهم ممن هو أعلى درجة منهم وأجلّ قدرًا؟

---

(١) انظر: الإبانة لمكى بن أبى طالب ص٢، ٣. والمرشد الوجيز ص١٥١.

فالجواب: أن الرواة عن الأئمة من القراء كانوا فى العصر الثانى، والثالث كثيراً فى العدد، كثيراً فى الاختلاف، فأراد الناس فى العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التى توافق المصحف ما يسهل حفظه، وتنضبط القراءة به، فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة، والأمانة فى النقل، وحسن الدين، وكمال العلم، واشتهر أمره، وأجمع أهل مصره على عدالته فيما نقل، وثقته فيما قرأ وروى، وعلمه بما يقرأ به، ولم تخرج قراءته عن خط مصحفهم المنسوب إليهم، فأفردوا من كل مصر وجّه إليه عثمان مصحفًا إمامًا، هذه صفته وقراءته على مصحف ذلك المصْر:

فكان أبو عمرو من أهل البصرة. وحمزة، وعاصم من أهل الكوفة وسوادها. والكسائى من أهل العراق. وابن كثير من أهل مكة. وابن عامر من أهل الشام. ونافع من أهل المدينة. وكلهم ممن اشتهرت أمانته، وطال عمره فى الإقراء، وارتحل الناس إليه من البلدان. اهـ[١].

تم مبحث

صلة القراءات العشر بالأحرف السبعة

ولله الحمد والشكر

* * *

---

(١) انظر: المرشد الوجيز ص١٥٥، ١٥٦.

المبحث الحادى عشر: أركان القراءة الصحيحة

بالبحث تبين أنه ورد فى هذه القضية عدد من الأقوال، وحسبى أن أشير إلى أشهر هذه الأقوال فأقول وبالله التوفيق:

● **أولاً: قال مكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧هـ):**

أكثر اختياراتهم فى الحروف إذا اجتمع فيها ثلاثة أشياء:

الأول : قوّة وجهه فى العربية.

والثانى: موافقته لخط المصحف.

والثالث: اجتماع الأمّة عليه.

ثم قال: وإنما الأصل الذى يعتمد عليه فى هذا:

١ - أن ما صحّ سنده. ٢ - واستقام وجهه في العربية. ٣ - ووافق لفظه خط المصحف.

فهو من السبعة المنصوص عليها، ولو رواه سبعون ألفًا مفترقين، أو مجتمعين، فهذا هو الأصل الذى بنى عليه فى ثبوت القراءات عن سبعة، أو عن سبعةآلاف، فاعرفه، وابن عليه». اهـ[(١)].

● **ثانياً: قال أبو محمد إبراهيم الجعبرى (ت ٧٣٢هـ):**

الشرط واحد: وهو صحة النقل، فيلزم الآخران، بهذا الضابط يعرف ما هو من الأحرف السبعة، وغيرها، فمن أحكم معرفة حال النَّقلة، وأمعن فى العربية، وأتقن الرسم انحلّت له هذه الشبهة. اهـ[(٢)].

● **ثالثاً: قال ابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ):**

أركان القراءة الصحيحة ثلاثة وهى:

١ - كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه.

٢ - ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.

٣ - وصحّ سندها.

(١) انظر: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ص١٥٨.

(٢) انظر: النشر فى القراءات العشر (١/ ١٣).

فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردّها، ولا يحلّ إنكارها، بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين.

ومتى اختلّ ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها:

١ - ضعيفة. ٢ - أو شاذّة. ٣ - أو باطلة.

سواء كانت عن السبعة، أم عمن هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عن أئمة التحقيق من السلف، والخلف، صرّح بذلك كل من:

١ - الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى (ت ٤٤٤هـ).

٢ - أبو محمد مكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧هـ).

٣ - الإمام أبو العباس أحمد بن عمار المهدوى (ت ٤٣٠هـ).

٤ - أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبى شامة (ت ٦٦٥هـ)(١).

وهذه الأركان الثلاثة أشار إليها ابن الجزرى فى متن طيبة النشر فى القراءات العشر فقال:

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوِ ... وَكَانَ لِلرَّسْمِ احْتِمَالاً لا يَحْوِى

وَصَحَّ إِسْنَادًا هُوَ الْقُرآنُ ... فَهَذِهِ الثَّلاَثَةُ الأَرْكَانُ

وَحَيْثُمَا يَخْتَلَّ رُكْنٌ أَثْبِت ... شُذُوذَهُ لَوْ أَنَّهُ فِى السَّبْعَةِ(٢)

- **رابعًا: قال محمد بن محمد أبو القاسم النويرى (ت ٨٥٧هـ):**

إن القرآن عند الجمهور من أئمة المذاهب الأربعة منهم:

١ - محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الغزالى (ت ٥٠٥هـ).

٢ - عبيد الله بن مسعود بن محمود الحنفى (ت ٧٤٧هـ).

٣ - موفّق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادى (ت ٦٢٩هـ).

---

(١) انظر: النشر فى القراءات العشر (١/ ٩).

(٢) انظر: متن الطيبة فى القراءات العشر ص٣.

هو ما نقل بين دفتى المصحف نقلاً متواتراً، فالتواتر جزء من الحدّ فلا تتصوّر ماهيّة القرآن إلا به. اهـ[١].

● **خلاصة ما سبق من آراء، مع بيان الرأى الراجح:**

من ينعم النظر فى الأقوال التى ذكرنها فى هذه القضية يستطيع أن يحكم بأنه هناك إجماع من العلماء على أن القراءة الصحيحة هى ما اجتمع فيها ركنان:

* الركن الأول: موافقة القراءة لوجه من أوجه اللغة العربية، سواء كان أفصح، أو فصيحًا، مجمعًا عليه، أو مختلفًا فيه.

* والركن الثانى: موافقة القراءة لخط أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا.

وقد اختلفوا فى الركن الثالث على قولين:

الأول: ذهب جمهور العلماء إلى اشتراط التواتر.

والثانى: ذهب ابن الجزرى وبعض المتأخرين إلى الاكتفاء بصحة السند بدلاً من التواتر.

وأرى أن قول الجمهور هو الراجح الذى لا ينبغى العدول عنه، وهو ما يطمئن إليه القلب.

تم مبحث أركان القراءة الصحيحة

ولله الحمد والشكر

* * *

(٣) انظر: القراءات الشاذة للشيخ القاضى ص٣.

الفهرس

الموضـوع	الصفحة

منهجى فى هذا التفسير

هذه أهمّ الأمور التى سأتبعها فى تفسيرى هذا ـ بإذن الله تعالى ـ:

١ ـ كتابة الآية القرآنية ثم ذكر رقمها وفقًا لترتيب القرآن.

٢ ـ إذا كان للآية سبب نزول سأذكره قبل تفسير الآية.

٣ ـ الأحكام المنسوخة سأذكرها قبل تفسير الآية، متبعـًا فى ذلك الروايات الصحيحة.

٤ ـ إذا كان فى الآية قراءات متواترة سأذكرها بعد تفسير الآية ثم أوجهها مع نسبة كل قراءة إلى قارئها.

٥ ـ عقيدتى فى آيات الأسماء والصفات عقيدة أهل السنّة والجماعة، فلا تشبيه، ولا تمثيل، ولا تأويل، ولا تعطيل.

٦ ـ الآيات المتشابهة سأفوض العلم فيها إلى الله ـ تعالى ـ، وأقول: الله أعلم بمراده.

٧ ـ سأجتهد فى البحث عن التفسير المأثور عن النبى ﷺ، أو الصحابة، أو التابعين مسندًا القول إلى قائله.

٨ ـ سأجتهد فى تفسير القرآن بالقرآن إذا اقتضت مصلحة التفسير ذلك لزيادة إيضاح المعنى.

٩ ـ القضايا النحوية، والصرفية، والبلاغيّة سأذكرها بعبارة سهلة وموجزة حسب مقتضيات الأحوال.

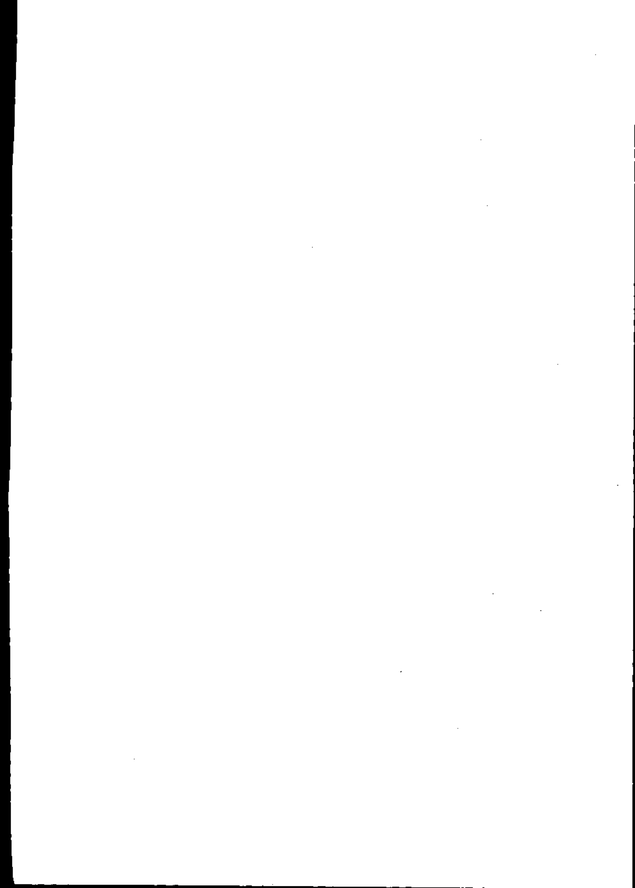
١٠ ـ المعانى الدلالية للكلمة القرآنية سأذكر أصحّها وأوضحها، معرضًا عن المعانى الضعيفة.

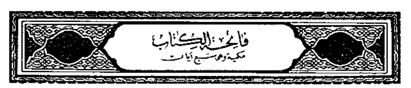
١١ ـ سأستشهد بالأحاديث التى تلقى الضوء على المعنى الذى يدلّ عليه النصّ القرآنى.

١٢ ـ لن أتعرض للإسرائيليّات إلا بقدر الضرورة التى يحتاجها فهم الآية القرآنية.

أسأل الله أن يهدينى إلى الحق والصواب إنه سميع الدعاء.

* * *





اختلفوا فيها: فعند أكثر العلماء: هى مكيّة من أوائل ما نـزل من القرآن، ومن الأدلة الواردة على ذلك ما يأتى:

أولا: قال أبى الحسن على بن أحمد الواحدى (ت ٤٦٨هـ): أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد بن أحمد الزاهد، أخبرنا جدّى، حدثنا إبراهيم بن الحارث، وعلى بن سهل بن المغيرة قالا: حدّثنا يحيى بن أبى بكير، حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق، عن أبى ميسرة: أن رسول الله ﷺ كان إذا برز سمع مناديًا يناديه: يا محمد، فإذا سمع الصوت انطلق هاربًا، فقال له ورقة بن نوفل: إذا سمعت النداء فاثبت حتى تسمع ما يقول لك، قال: فلما برز سمع النداء: يا محمد، فقال: «لبيك»، قال: قل: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، ثم قال: قل: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) ... ﴾ حتى فرغ من فاتحة الكتاب[١].

ثانيًا: قال أبو الحسن الواحدى: أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد المفسّر، أخبرنا الحسن بن جعفر المفسر، قال: أخبرنا أبو الحسن بن محمد بن محمود المروزى، حدثنا عبد الله بن محمود السّعدى، حدثنا أبو يحيى القَصْرِىّ، حدثنا مروان ابن معاوية، عن العلاء بن المسيّب، عن الفضيل بن عمرو، عن علىّ بن أبى طالب قال: نزلت الفاتحة بمكة من كنز تحت العرش.اهـ[٢].

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ الباء حرف جرّ، وهى وما دخلت عليه متعلق بمحذوف لدلالة الكلام عليه، والتقدير: أبدأ ببسم الله.

* ﴿ اللَّهِ ﴾ قال الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ): هو اسم عَلَم خاص لله ـ عزّ وجلّ ـ لا اشتقاق له كأسماء الأعلام للعباد، مثل: زيد وعمرو.

(١) انظر أسباب النزول للواحدى ص٢١ ـ ٢٢.

(٢) المرجع المتقدم ص٢٢.

* ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما): هما اسمان رقيقان، أحدهما أرقّ من الآخر(١).

واختلفوا في معناهما: فمنهم من قال: هما بمعنى واحد مثل: «ندمان ونديم» ومعناهما: ذو الرحمة.

وقال المبرّد محمد بن يزيد (ت ٣٨٥هـ): هو إنعام بعد إنعام، وتفضُّل بعد تفضُّل(٢).

ومنهم من فرّق بينهما فقال: للرحمن معنى العموم، وللرحيم معنى الخصوص، فالرحمن من تصل رحمته إلى الخلق على العموم، والرحيم من تصل رحمته إلى الخلق على الخصوص.

ولذلك يدعى غير الله رحيمًا، ولا يدعى رحمانًا، فالرحمن عامّ المعنى خاصّ اللفظ، والرحيم عامّ اللفظ خاصّ المعنى.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)﴾.

❀ معاني المفردات:

* ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الحمد: هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري، والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة، ويكون بمعنى الثناء عليه بما فيه من الخصال الحميدة، يقال: حمدت فلانًا على ما أسدى إليّ من نعمة، وحمدته على علمه وشجاعته.

والشكر لا يكون إلا على النعمة، والحمد أعمّ من الشكر، إذ لا يقال: شكرت فلانًا على علمه، فكل حامد شاكر، وليس كل شاكر حامدًا.

وقيل: الحمد باللسان قولا، والشكر بالأركان فعلا.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ...﴾ إلخ [الإسراء: ١١١].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

* ﴿لِلَّهِ﴾ اللام فيه للاستحقاق، كما يقال: الدار لزيد.

* ﴿رَبِّ﴾ الربّ: يكون بمعنى المالك، كما يقال لمالك الدار: ربّ الدار، ويقال: ربّ الشيء إذا ملكه.

ويكون بمعنى التربية والإصلاح، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ هو مالك العالمين ومربّيهم.

(١ ، ٢) انظر: تفسير البغوي (١/ ٣٨).

* ﴿ الْعَالَمِينَ ﴾: جمع عالم، والعالم جمع لا واحد له من لفظه.

واختلفوا في ﴿ الْعَالَمِينَ ﴾: فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): هم «الجنّ والإنس» لأنهم مكلفون بالخطاب، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ [الفرقان: ١][1].

وقال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ): هم جميع المخلوقين، قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ [الشعراء: ٢٣ ـ ٢٤]، واشتقاقه من العلم والعلامة، سموّا به لظهور أثر الصنعة فيهم[2].

﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٣ ﴾: تقدم معناهما.

﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ ﴾

❀ معانى المفردات:

* الـ ﴿ مَالِكِ ﴾ بالألف: هو المتصرّف فى الأعيان المملوكة كيف يشاء.
* ﴿ يَوْمِ الدِّينِ ﴾: أى: يوم الحساب، والجزاء، وهو يوم القيامة.

✳ **المعنى**: هذه الآية تدلّ على أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو المالك ليوم الجزاء وحده، وأنه هو المتصرف بالأمر والنهى فى المأمورين لا يشاركه أحد فى ذلك. وإنما خصّ يوم الدين بالذكر، تعظيمًا لشأنه، وتفخيمًا لأمره.

القراءات وتوجيهها:

قرأ عاصم، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿ مالك ﴾ بإثبات ألف بعد الميم، على أنه اسم فاعل، من «ملك ملكًا» بكسر الميم.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ ملك ﴾ بحذف الألف على وزن «فخذ» صيغة مبالغة.

والملك بحذف الألف: هو المتصرف بالأمر والنهى فى المأمورين[3].

(١ ، ٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٠).

(٣) قال ابن الجزرى: مالك (نـ)ـل (ظـ)ـلا (روى).

انظر: المغنى فى توجيه القراءات للدكتور/ محمد سالم محيسن (١/ ١٢٥).

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِيَّاكَ ﴾: «إيّا» ضمير منفصل منصوب على الاختصاص، ويستعمل مقدمًا على الفعل فيقال: «إياك أعنى وإياك أسأل». ولا يستعمل مؤخرًا إلا منفصلا عن الفعل فيقال: «ما عنيتُ إلا إياك».

* ﴿ نَعْبُدُ ﴾: أى: نوحدك ونعبدك حالة كوننا خاضعين لك.

✵ المعنى: أى نخصّك يا ربنا وحدك بالعبادة، ولا نعبد معك غيرك من إنس، أو جنّ، أو ملك، أو شمس، أو حجر، أو غير ذلك من جميع المخلوقات.

وسمّى العبد عبدًا لذلته، وانقياده لله رب العالمين، ولذا قيل: طريق معبّد أى مذلّل.

* ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾: أى نخصك يا ربنا وحدك بطلب المعونة منك على عبادتك، وعلى جميع أمورنا، ولا نستعين بغيرك من سائر المخلوقات.

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ اهْدِنَا ﴾: أرشدنا.

* ﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾: أى: الطريق الذى لا اعوجاج فيه وهو الإسلام، وقال ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه): هو القرآن، وقال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): هو طريق الجنة.

▦ القراءات وتوجيهها:

قرأ رويس، وقنبل بخلف عنه «السراط، وسراط» أى: معرفًا ومنكرًا حيث وقعا فى القرآن بالسين، على الأصل، لأنه مشتق من السرْط وهو البلع، وهى لهجة عامة العرب.

وقرأ خلف عن حمزة بالصاد المشمّة صوت الزاى حيث وقعا، وكذا خلاد عن حمزة بخلف عنه، وهى لهجة قيس.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بالصاد الخالصة، وهى لهجة قريش[١].

---

(١) قال ابن الجزرى:

.... السراط مع ... سراط (ز)ن خُلفا (غـ)ـلا كيف وقع

والصاد كالزاى (ضـ)ـفا الأوّل (قـ)ـف ... وفيه والثانى وذى اللام اختلف

﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ (٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾: أى: مننت عليهم بالهداية والتوفيق.

* ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾: أى: غير طريق الذين غضبت عليهم، وغير طريق الضالّين عن الهدى، وقيل: ﴿ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ هم اليهود، والضّالون هم النصارى.

القراءات وتوجيهها:

قرأ حمزة ويعقوب ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ حيثما وقعت فى القرآن بضم الهاء، على الأصل، وهو لهجة قريش، والحجازيين.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: بكسر الهاء، لمجانسة الياء، وهو لهجة قيس، وتميم، وبنى سعد[1].

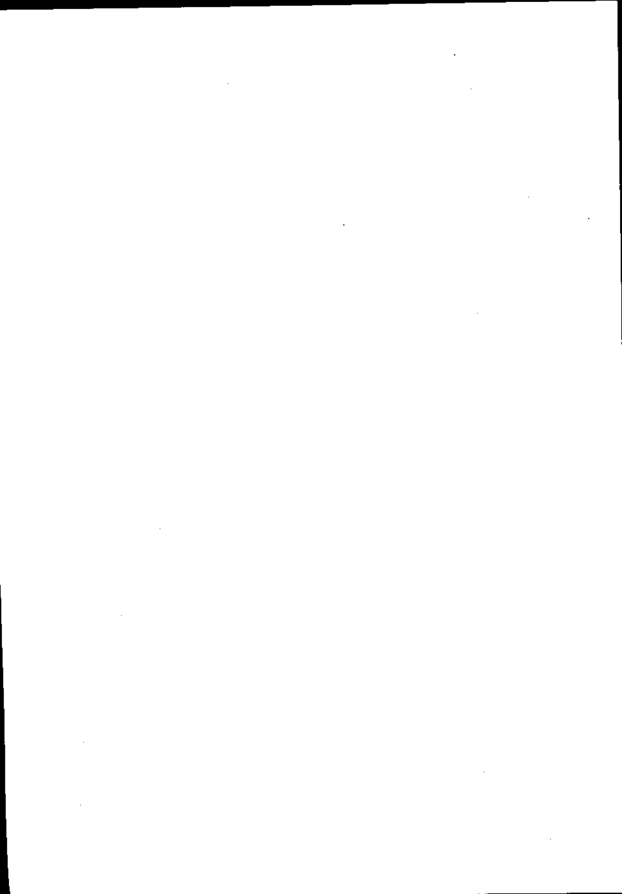
ااتم تفسير سورة الفاتحة، ولله الحمد والشكراا

[ويليها تفسير سورة البقرة]

---

(١) قال ابن الجزرى: .... عليهم إليهم لديهم		بضمّ كسر الهاء (ظـ)ـبى (فـ)ـهم

وانظر: المهذب فى القراءات العشر للدكتور/ محمد سالم محيسن (١/ ٤٥، ٤٦).





هى من السور المدنية بلا خلاف، ومن الأدلة على ذلك ما يلى:

* قال أبو الحسن على بن أحمد الواحدى (ت ٤٦٨هـ): أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم، أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد بن محمد بن وسف، حدثنا يعقوب بن سفيان الصغير، حدثنا يعقوب بن سفيان الكبير، حدثنا هشام بن عمّار، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا شعيب بن زريق، عن عطاء الخراسانى، عن عكرمة البربرى مولى عبد الله بن عباس (ت ١٠٥هـ) قال:

(أول سورة أنزلت بالمدينة سورة البقرة) اهـ[١].

* وقال أبو الحسن الواحدى: أخبرنا أبو عثمان الثقفى الزعفرانى، أخبرنا أبو عمرو ابن مطر، أخبرنا جعفر بن محمد بن الليث، حدثنا أبو حذيفة، حدّثنا شبْل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (ت ١٠٤هـ) قال: (أربع آيات من أول سورة البقرة نزلت فى المؤمنين، وآيتان بعدها نزلتا فى الكافرين، وثلاث عشرة بعدها نزلت فى المنافقين) اهـ[٢].

﴿ الٓمٓ ① ﴾

المعنى: قال الشعبى عامر بن شراحيل (ت ١٠٥هـ):

(﴿ الٓمٓ ﴾ وسائر حروف الهجاء من أوائل السور: من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه، وهى سرّ القرآن، فنحن نؤمن بظاهرها ونَكِل العِلْم فيها إلى الله ـ تعالى ـ، وفائدة ذكرها: طلب الإيمان بها[٣].

وقال أبو بكر الصدّيق (ت ١٣هـ ـ رضى الله عنه):

(فى كل كتاب سرّ، وسرّ الله فى القرآن أوائل السور) اهـ[٤].

---

(١) انظر: أسباب نزول القرآن للواحدى ص٢٤.

(٢) المصدر المتقدم ص٢٤، ٢٥.

وانظر: أسباب النزول للشيخ عبد الفتاح القاضى ص١٢.

(٣، ٤) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٤).

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ أي: هذا الكتاب وهو القرآن.

قال أبو زكريا الفرّاء (ت ٢٠٧هـ): كان الله قد وعد نبيه ﷺ أن ينزل عليه كتابًا لا يمحوه الماء ولا يخلق على كثرة الردّ، فلما أنزل الله القرآن قال: ذلك الكتاب الذي وعدتك أن أنزله عليك[١].

* ﴿ الْكِتَابُ ﴾: مصدر بمعنى المكتوب، وأصل الكتاب: الضمّ والجمع، وسمّى الكتاب كتابًا لأنه جَمْع حرف إلى حرف.

* ﴿ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أي: لا شك في أنه من عند الله، وأنه الحق والصدق.

* ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أي: القرآن هدًى لأهل التقوى، وقيل: ﴿ هُدًى ﴾ منصوب على الحال، أي حالة كونه هاديًا للمتقين.

قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما): المتقي من يتقي الشرك، والفواحش، والكبائر. اهـ[٢].

وهو مأخوذ من الاتقاء، وأصله الحجز بين شيئين.

فكأن المتقي يجعل امتثال أمر الله ـ تعالى ـ، والاجتناب عما نهاه عنه حاجزًا بينه وبين العذاب.

قال عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضي الله عنه) لكعب الأحبار ـ رضي الله عنه ـ: حدثنا عن التقوى، فقال: هل أخذت طريقًا ذا شوك؟ قال: نعم، قال: فما عملت فيه؟ قال: حذّرت وتشمّرت، قال كعب: وذلك التقوى اهـ[٣].

وقال عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ ـ رضي الله عنه): التقوى: ترك ما حرّم الله، وأداء ما افترض الله، فما رزق الله بعد ذلك فهو خير إلى خير. اهـ[٤].

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ٤٤).

(٢ : ٤) المصدر المتقدم (١/ ٤٥).

وقال عبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما): التقوى أن لا ترى نفسك خيرًا من أحد. اهـ[١].

فإن قيل: ما الحكمة من تخصيص المتقين بالذِّكر؟

أقول: لأنهم هم المنتفعون بهدى القرآن دون غيرهم.

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾: الذين فى محلّ جرّ صفة للمتقين.

* ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾: يصدّقون، وحقيقة الإيمان: التصديق بالقلب، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ [يوسف: ١٧]، أى بمصدّق لنا.

والإيمان فى الشريعة: الاعتقاد بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان، فسمّى الإقرار، والعمل إيمانًا لوجه من المناسبة.

والإسلام: هو الخضوع، والانقياد.

فكلّ إيمان إسلام، وليس كل إسلام إيمانًا إذا لم يكن معه تصديق، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٤]

وذلك لأن الرجل قد يكون مستسلمًا فى الظاهر، غير مصدّق فى الباطن، وقد يكون مصدّقًا فى الباطن غير منقاد فى الظاهر.

* ﴿ بِالْغَيْبِ ﴾ الغيب: مصدر وضع موضع الاسم، فقيل للغائب: غيب، كما قيل: للعادل: عَدْل. والغيب: ما كان مغيبًا عن العيون.

قال ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما): (الغيب هنا فى الآية: كل ما أمرت بالإيمان به فيما غاب عن بصرك من: الملائكة، والبعث، والجنة، والنار، والصراط، والميزان) اهـ[٢].

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٥).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٧).

* ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ ﴾ أي: يؤدّونها ويحافظون عليها في مواقيتها، بحدودها، وأركانها، وواجباتها، وشروطها، وهيئاتها.

والمراد بها: الصلوات الخمس المفروضة، وإن ذكرت بلفظ الواحد، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢١٣]

والمراد بالكتاب: الكتب المنزلة من عند الله ـ تعالى ـ على الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

والصلاة في اللغة: الدعاء، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣]، أي: ادع لهم.

وفي الشريعة: اسم لأفعال مخصوصة من قيام، وركوع، وسجود، وقعود، ودعاء، وثناء.

* ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾ أي: أعطيناهم، والرزق: اسم لكل ما ينتفع به.

* ﴿ يُنفِقُونَ ﴾ أي: يتصدقون، وأصل الإنفاق: الإخراج عن اليد والملك.

قال قتادة بن دعامة السدوسي البصري (ت ١١٨هـ): أي: ينفقون في سبيل الله، وطاعته. اهـ[١].

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ أي: القرآن.

* ﴿ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ من التوراة، والإنجيل، والزبور، وسائر الكتب المنزّلة على الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

* ﴿ بِالآخِرَةِ ﴾ أي: بالدار الآخرة، وقد سميت الدنيا: دنيا لدنوّها من الآخرة. وسميت الآخرة آخرة: لتأخرها، وكونها بعد الدنيا.

* ﴿ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ أي: يستيقنون أنها كائنة، من الإيقان وهو العلم.

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ٤٧).

﴿ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أُولَئِكَ ﴾ أى: الموصوفون بما ذكر فى الآية السابقة رقم: ٤.

* ﴿ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ أى: على رشد، وبيان، وبصيرة.

* ﴿ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ وهنيئًا لمن رزق الهداية من ربّ العالمين.

* ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ أى: الناجون من النار، والفائزون بالجنة، وصدق الله إذ قال: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧) ﴾

❀ سبب نزول هاتين الآيتين:

أخرج ابن جرير الطبرى، وابن المنذر، وابن أبى حاتم عن أبى العالية رفيع بن مهران الرياحى (ت ٩٠هـ)، قال: نزلت هاتان الآيتان فى قادة الأحزاب، وهم الذين ذكرهم الله فى هذه الآية: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) ﴾ [إبراهيم: ٢٨].

قال: فهم الذين قتلوا يوم بدر، ولم يدخل من القادة أحد فى الإسلام إلا رجلان: أبو سفيان، والحكم بن أبى العاص[١].

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أى: مشركو العرب، والكفر: الجحود، وأصله: من الستر، ومنه سمّى الليل كافراً لأنه يستر الأشياء بظلمته، فالكافر يستر الحقّ بجحوده.

والكفر على أربعة أنواع:

١ ـ كفر إنكار. ٢ ـ وكفر جحود. ٣ ـ وكفر عناد. ٤ ـ وكفر نفاق:

(١) انظر: الدرّ المنثور فى التفسير المأثور للسيوطى (١/ ٦٥).

١ ـ فكفر الإنكار: هو أن لا يعرف الله ـ تعالى ـ أصلا، ولا يعترف به، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧) ﴾ [آل عمران: ٩٧].

٢ ـ وكفر الجحود: هو أن يعرف الله ـ تعالى ـ بقلبه، ولا يعترف بلسانه ككفر اليهود، ودليل ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩) ﴾ [البقرة: ٨٩].

٣ ـ وكفر العناد: هو أن يعرف الله ـ تعالى ـ بقلبه، ويعترف بلسانه، ولا يدين به، ككفر أبى طالب.

ودليل ذلك قوله:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البريّة دينا

لولا الملامة أو حذار مسبّة ... لوجدتنى سمحًا بذاك مبينا

٤ ـ وكفر النفاق: هو أن يقرّ المرء باللسان، ولا يعتقد بالقلب، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) ﴾ [البقرة: ٨].

* ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ﴾ أى: متساو لديهم.

* ﴿ أَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ أى: خوّفتهم، وحذرتهم، وأصل الإنذار: إعلام مع تخويف، وتحذير، فكل منذر «مُعْلِم» وليس كل مُعْلم منذرًا.

* ﴿ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾: «أم» حرف عطف، وهى هنا متصلة لأن ما قبلها وما بعدها لا يستغنى أحدهما عن الآخر، وأم المتصلة: هى المسبوقة بهمزة التسوية، كما فى هذه الآية الكريمة، أى: سواء عليهم الإنذار وعدمه.

* **المعنى**: إن الذين كفروا بالله ـ تعالى ـ هؤلاء يستوى عندهم الإنذار وعدمه، فهم لا ينتفعون به؛ لأن قلوبهم مغلقة فلا يصل إليها النور الإلهى، وصدق الله إذ قال: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ (٤٠) ﴾ [النور: ٤٠].

* ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ أى: طبع عليها فلا تعى خيرًا، ولا تفهمه.

وحقيقة الختم: الاستيثاق من الشىء كيلا يدخله ما خرج منه، ولا يخرج عنه ما فيه.

* ﴿ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ أي: على موضع سمعهم، فلا يسمعون الحقّ ولا ينتفعون به.

والمراد: (أسماعهم) ولعلّ الحكمة من تعبير القرآن بـ «سمعهم» ليتناسب مع قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قُلُوبِهِمْ ﴾.

واعلم أن «سمع» مصدر لا يثنى ولا يجمع، وهو يدلّ على القليل والكثير بلفظه.

* ﴿ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ أي: وجعل على أبصارهم غشاوة، أي: غطاء فلا يرون الحق، قال ـ تعالى ـ: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٨) ﴾ [النحل: ١٠٨].

* ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ أي: شديد فى الدار الآخرة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) ﴾

[الحج: ١٩ ـ ٢٢].

وقيل: العذاب العظيم فى الدنيا بالقتل، والأسر، وفى الآخرة بالعذاب المهين الدائم الذى لا ينقطع أبدًا.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦) ﴾ [النساء: ٥٦].

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) ﴾

أخرج عبد الرزاق، وابن جرير عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ حتى بلغ ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦)﴾ [البقرة: ١٦] قال: هذه فى المنافقين. اهـ[(١)].

❀ معانى المفردات:

* ﴿ النَّاسِ ﴾: جمع إنسان، وسمّى به لأن الله عهد إلى آدم ـ عليه السلام ـ فنسى، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) ﴾ [طه: ١١٥]. وقيل سمّى به: لأنه يستأنس به.

(١) انظر: الدرّ المنثور فى التفسير المأثور للسيوطى (١/ ٦٦).

* ﴿ من يقول آمنَّا بالله ﴾ أي: صدقنا بوحدانيته، وأنه ليس كمثله شيء، وأنه فعّال لما يريد، ولا يسأل عمّا يفعل. قال ـ تعالى ـ: ﴿ما اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢) ﴾ [المؤمنون: ٩١ ـ ٩٢].

* ﴿وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ وهو يوم القيامة، وما فيه من حساب، وجزاء، وعقاب، وجنة، ونار... إلخ.

* ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ فهم كاذبون فى قولهم: ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ وقد كشف الله ـ تعالى ـ سترهم، وفضحهم وأنزل فيهم الكثير من الآيات، منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) ﴾ [المنافقون: ١].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ (٦٤) ﴾ [التوبة: ٦٤].

﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ ﴾ أصل الخداع فى اللغة: الإخفاء، ومنه المخدع للبيت الذى يُخفى فيه المتاع. فالمخادع يظهر خلاف ما يبطن.

وقيل: أصل الخداع: الفساد، وحينئذ يكون المعنى: المنافقون يفسدون ما أظهروا من الإيمان بما أضمروا من الكفر، وصدق الله إذ قال: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (٢٣) ﴾ [الفرقان: ٢٣].

* ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى: ويخادعون المؤمنين بقولهم لهم إذا رأوهم آمنّا، والحال أنهم غير مؤمنين.

* ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ ﴾: لأن وبال خداعهم راجع إليهم، لأن الله يُطلع نبيه «محمدًا» ﷺ على نفاقهم فيُفتضحون فى الدنيا، ويستوجبون العقاب فى الآخرة.

وصدق الله إذ قال: ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) ﴾ [النساء: ١٣٨].

* ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يعلمون أنهم يخدعون أنفسهم، وأن وبال خداعهم سيعود عليهم في الدنيا بالخزي والفضيحة، وفي الآخرة بالعذاب الدائم الأليم، وصدق الله إذ قال: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣)﴾ [الحديد: ١٣].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو: ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾ بضم الياء، وفتح الخاء، وإثبات ألف بعدها، وكسر الدال، لمجانسة اللفظ الأول، وعلى هذا يجوز أن تكون المفاعلة من الجانبين، إذ هم يخادعون أنفسهم بما يمنونها من أباطيل، وهي تمنيهم كذلك، أو من جانب واحد فتتحد مع القراءة الآتية.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ بفتح الياء، وإسكان الخاء، وحذف الألف، وفتح الدال، مضارع «خدع» على أن المفاعلة من جانب واحد، مثل قول المعلّم: عاقبت المقصّر(١).

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠)﴾

معاني المفردات:

* ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شكّ، ونفاق. وأصل المرض: الضعف، وسمّى الشك والنفاق في الدنيا مرضًا لأنه يضعف الدين بل يقضي عليه، كما أن المرض يضعف البدن.

* ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ لأن الآيات كانت تنزل تترى آية بعد آية، كلما كفروا بآية ازدادوا كفرًا ونفاقًا، يدلّ على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥)﴾ [التوبة: ١٢٤ ـ ١٢٥]

---

(١) قال ابن الجزري: وما يخادعون يخدعون (كنز ثوى)

انظر: المغني في توجيه القراءات للدكتور/ محمد سالم محيسن (١/ ١٢٧).

* ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾: مؤلم يخلص ألمـه إلى قلوبهم، فضلا عن أجسادهم، وصدق الله إذ قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠) ﴾

[النساء: ١٤٠]

وصدق قوله: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) ﴾

[النساء: ١٤٥]

* ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾: الباء للسببية، وما مصدريّة، أى العذاب الأليم الذى أعدّه الله للمنافقين بسبب تكذيبهم لله ورسوله ﷺ.

وصدق الله إذ قال: ﴿ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً (٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً (٦١) ﴾ [الأحزاب: ٦٠ ـ ٦١].

القراءات وتوجيهها:

﴿ يَكْذِبُونَ ﴾: قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿يُكَذِّبون﴾ بضم الياء، وفتح الكاف، وكسر الذال مشـدّدة، مضارع «كذّب» المعدى بالتضعيف من التكذيب لله ورسوله، والمفعول محذوف تقديره: يكذبونه.

وقرأ الباقون ﴿ يَكْذِبون ﴾ بفتح الياء، وسكون الكاف، وكسر الذال مخفّفة، من «كذب» اللازم، وهو من الكذب الذى اتصفوا به، كما أخبر الله عنهم، وصدق الله إذ قال: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا (١٢) ﴾ [الأحزاب: ١٢][١].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ (١٢) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ أى: إذا قال النبى ﷺ، والمؤمنون للمنافقين:

(١) قال ابن الجزرى: اضمم شدّ يكذبون (كـ)ـما (سما)

انظر: المغنى فى توجيه القراءات للدكتور/ محمد سالم محيسن (١/ ١٢٩)، والمستنير فى تخريج القراءات للدكتور/ محمد سالم محيسن (١/ ١٦).

* ﴿ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ ﴾: بالكفر، وصدّ الناس عن الإيمان بالنبيّ محمد ﷺ.

* ﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ أي: هذا دأبهم وديدنهم، والله يعلم إنهم كاذبون فى قولهم ذلك، لأن المنافقين شأنهم الأمر بالمنكر، والنهى عن المعروف، وقد فضحهم الله ـ تعالى ـ وكشف عن حقيقة أمرهم فقال: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴾ [التوبة: ٦٧].

* ﴿ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾: «ألا» أداة تنبيه ينبّه بها المخاطب ﴿ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾ أي: ليسوا مصلحين كما زعموا، بل هم مفسدون، وصدق الله إذ قال فى بعض المنافقين وهو الأخنس بن شريق: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) ﴾ [البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٥].

* ﴿ وَلَٰكِن لاَّ يَشْعُرُونَ ﴾ أي: لا يعلمون أنهم مفسدون، لأنهم يظنون أن الذى هم عليه صلاح.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لاَّ يَعْلَمُونَ (١٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ أى: للمنافقين.

* ﴿ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ﴾ أى: عبد الله بن سلام وغيره من مؤمنى أهل الكتاب.

وقيل: كما آمن المهاجرون، والأنصار.

* ﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾: أخرج ابن جرير عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ قال: يعنون أصحاب النبى ﷺ. اهـ[١].

فأخبر الله نبيّه ﷺ والمؤمنين بذلك، وردّ الله ـ تعالى ـ عليهم قولهم ذلك فقال ـ تعالى ـ:

---

(١) انظر: الدرّ المنثور فى التفسير المأثور للسيوطى (١/ ٦٩).

* ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾: والسفيه: خفيف العقل، وقيل: الكذاب الذى يتعمّد العمل بخلاف ما يعلم.

قال الطبرى محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ): حدّثنا أبو كريب عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) يقول الله ـ جلّ ثناؤه ـ: ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ يقول: الجهّال. اهـ[1].

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤)﴾

❁ سبب نزول هذه الآية:

أخرج على بن أحمد بن محمد بن على الواحدى (ت ٤٦٨هـ) قال: نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أُبىّ وأصحابه، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال عبد الله بن أُبَىّ: انظروا كيف أردّ هؤلاء السفهاء عنكم، فذهب فأخذ بيد أبى بكر فقال: مرحبًا بالصّدّيق سيّد بنى تميم وشيخ الإسلام، وثانى رسول الله ﷺ فى الغار، الباذل نفسه وماله لرسول الله ﷺ، ثم أخذ بيد عمر فقال: مرحبًا بسيّد عدىّ بن كعب الفاروق، القوىّ فى دين الله، الباذل نفسه وماله لرسول الله ﷺ، ثم أخذ بيد علىّ وقال: مرحبًا بابن عمّ رسول الله ﷺ وختنه، سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله ﷺ، ثم افترقوا فقال عبد الله بن أُبىّ لأصحابه: كيف رأيتمونى فعلت؟ فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت، فأثنوا عليه خيرًا، فرجع المسلمون إلى النبى ﷺ وأخبروه بذلك، فنزلت هذه الآية[2].

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى: هؤلاء المنافقون إذا لقوا المهاجرين، والأنصار.

* ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ كإيمانكم.

* ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾: «خلوا»: أى: رجعوا إلى شياطينهم أى: إلى رؤسائهم، وكهنتهم.

(١) انظر: تفسير الطبرى بتحقيق محمود محمد شاكر (١/ ٢٩٥).

(٢) انظر: الدرّ المنثور فى التفسير المأثور للسيوطى (١/ ٦٩).

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: وهم خمسة نفر من اليهود:

١ ـ كعب بن الأشرف بالمدينة. ٢ ـ وأبو بردة في بني أسلم.

٣ ـ وعبد الدّار في جهينة. ٤ ـ وعوف بن عامر في بني أسد.

٥ ـ وعبد الله بن السوداء بالشام.

ولا يكون كاهن إلا ومعه شيطان تابع له. اهـ(١).

والشيطان المتمرّد العاتي يكون من الجنّ، والإنس. قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام: ١١٢].

* ﴿ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ أي: على دينكم.

* ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ أي: بمحمد ﷺ وأصحابه، بما نظهر من الإسلام.

﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) ﴾

قال أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ): اختلف في صفة استهزاء الله ـ جلّ جلاله ـ الذي ذكر أنه فاعله بالمنافقين الذين وصف صفتهم: فقال بعضهم: استهزاؤه بهم، كالذي أخبرنا ـ تبارك اسمه ـ أنه فاعل بهم يوم القيامة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥) ﴾ [الحديد: ١٣ ـ ١٥]

وقال آخرون: بل استهزاء الله بهم: توبيخه إياهم، ولومه لهم على ما ارتكبوا من معاصي الله والكفر به. اهـ(٢).

(١) انظر: الدرّ المنثور للسيوطي (١/ ٦٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/ ٣٠١) بتحقيق محمود محمد شاكر.

وصدق الله إذ قال: ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠، الأنبياء: ١١]

❀ معانى المفردات:

* ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ أى: يجازيهم على استهزائهم، وسمّى الجزاء استهزاء لأنه بمقابلته، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠]

* ﴿ وَيَمُدُّهُمْ ﴾ أى: يتركهم، ويمهلهم، وصدق الله إذْ قال: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾ [مريم: ٧٥]

والمدّ والإمداد واحد، وأصله الزيادة.

إلا أن «المدّ» كثيراً ما يأتى فى الشرّ، والإمداد فى الخير، قال الله ـ تعالى ـ فى «المدّ»: ﴿ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٧٩) ﴾ [مريم: ٧٩]

وقال فى الإمداد: ﴿ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) ﴾ [الطور: ٢٢]

* ﴿ فِي طُغْيَانِهِمْ ﴾ أى: فى ضلالتهم. وأصل الطغيان: مجاوزة الحدّ، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) ﴾ [الحاقة: ١١]

* ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ أى: يتردّدون فى الضلالة متحيرين.

جاء فى القاموس المحيط: «العَمَه»: التردّد فى الضلال، والتحير فى منازعة، أو طريق. اهـ[١].

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦) ﴾

أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبى حاتم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَىٰ ﴾، قال: الكفر بالإيمان. اهـ[٢].

وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَىٰ ﴾ قال: أخذوا الضلالة، وتركوا الهدى. اهـ[٣].

(١) انظر: ترتيب القاموس المحيط مادة (عمه) (٣/ ٢٧٧).

(٢) انظر: تفسير الشوكانى (١/ ٧٣)، والدرّ المنثور (١/ ٧٠).

(٣) انظر: المرجعين المتقدمين.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ قال: استبدلوا الضلالة بالهدى، قد ـ والله ـ رأيتموهم خرجوا من الهدى إلى الضلالة، ومن الجماعة إلى الفرقة، ومن الأمن إلى الخوف، ومن السُّنَّة إلى البدعة. اهـ[1].

❀ معاني المفردات:

* ﴿اشْتَرَوُا﴾ الشراء هنا مستعار للاستبدال، أي: استبدلوا الضلالة بالهدى، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]

فأمّا أن يكون معنى الشراء: المعاوضة كما هو أصله حقيقة «فلا» لأن المنافقين ما كانوا مؤمنين فيبيعوا إيمانهم، والعرب تستعمل ذلك في كل من استبدل شيئًا بشيء.

قال أبو ذؤيب الهذلي:

فإن تزعميني كنت أجهل فيكمو فإني شريت الحلم بعدك بالجهل

* ﴿الضَّلالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ أصل الضلالة: الحيرة، والجور عن القصد، وفقد الاهتداء. وأصل الربح: الفضل، وهو اسم ما ربحه التاجر، وأسند الربح إلى التجارة على عادة العرب في قولهم: ربح بيعك، وخسرت صفقتك، وهو من الإسناد المجازي من إسناد الفعل إلى ملابس للفاعل، وهو المسمى في علم المعاني: بالمجاز المرسل.

وما كانوا مهتدين: في شرائهم الضلالة بالهدى، بل كانوا ضالين، وكافرين، وخاسرين.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٨)﴾

أخرج ابن جرير عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضي الله عنه) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ الآية، قال: إن ناسًا دخلوا الإسلام مقدم النبي ﷺ المدينة، ثم نافقوا، فكان مثلهم كمثل رجل كان في ظلمة، فأوقد نارًا ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ من قذى، أو أذى، فأبصره حتى عرف ما يتقي، فبينما هو كذلك إذْ طفئت

(١) انظر: تفسير الشوكاني (١/ ٧٣).

ناره، فأقبل لا يدرى ما يتقى من أذى، فكذلك المنافق كان فى ظلمة الشرك فأسلم، فعرف الحلال من الحرام، والخير من الشرّ، بينما هو كذلك إذْ كفر، فصار لا يعرف الحلال من الحرام، ولا الخير من الشرّ، فهم ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ ﴾ أى: فهم الخرس الذين لا يرجعون إلى الإسلام. اهـ(١).

وأخرج ابن أبى إسحاق، وابن جرير، وابن أبى حاتم، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَثَلُهُمْ ﴾ الآية، قال: ضرب الله مثلا للمنافقين يبصرون الحقّ ويقولون به، حتى إذا خرجوا من ظلمة الكفر أطفأوه بكفرهم، ونفاقهم، فتركهم فى ظلمات الكفر لا يبصرون هدى، ولا يستقيمون على حقّ ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ عن الخير ﴿ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴾ إلى هدى، ولا إلى خير» اهـ(٢).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ مَثَلُهُمْ ﴾ أى: شبَهُهم، وقيل: صفتهم. والمثل قول سائر فى الناس يعرف به الشىء.

* ﴿ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً ﴾ أى: أوقد نارًا، مثل استجاب بمعنى أجاب، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

* ﴿ فَلَمَّا أَضَاءَتْ ﴾ أى: النار، ﴿ مَا حَوْلَهُ ﴾ أى: حول المستوقد، والإضاءة: فرط الإنارة، و «أضاء» يستعمل لازمًا ومتعديًا، يقال: أضاء الشىء بنفسه، وأضاء غيره، وهو هنا متعدّ والمفعول «ما» وهى موصولة بمعنى الذى، و «حوله» منصوب على الظرفية.

* ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ ﴾: «ذهب» من «الذهاب» وهو زوال الشىء.

* ﴿ وَتَرَكَهُمْ ﴾ أى: أبقاهم «فى ظلمات» جمع ظلمة.

* ﴿ لاَّ يُبْصِرُونَ ﴾ أى: ما حولهم.

قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): نزلت هذه الآية ﴿ مَثَلُهُمْ ﴾...إلخ فى المنافقين، يقول مثلهم فى نفاقهم كمثل رجل أوقد نارًا فى ليلة مظلمة فى مفازة

(١) انظر: الدرّ المنثور للسيوطى (١/ ٧١).
(٢) انظر: المرجع المتقدم (١/ ٧٢).

فاستدفأ، ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف، فبينما هو كذلك إذْ طفئت ناره، فبقى فى ظلمة خائفًا متحيرًا، فكذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان، أمنُوا على أموالهم، وأولادهم، وناكحوا المؤمنين، وقاسموهم الغنائم، فذلك نورهم، فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف». اهـ[1].

* ﴿ صُمٌّ ﴾ أى: هم صمّ عن الحق لا يقبلونه، وإذا لم يقبلوه، فكأنهم لم يسمعوه.

والصمم: الانسداد، يقال: قناة صمّاء: إذا لم تكن مجوّفة، وفلان أصمّ: إذا انسدت خروق مسامعه.

* ﴿ بُكْمٌ ﴾ أى: هم خرس عن الحقّ لا يقولونه. والأبكم: الذى لا ينطق ولا يفهم، فإذا فَهِمَ فهو الأخرس.

* ﴿ عُمْيٌ ﴾ أى: لا بصائر لهم، ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له. والعَمَى: ذهاب البصر.

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ هذا مثل آخر ضرب به الله ـ تعالى ـ للمنافقين، أى: هم كأصحاب صيّب.

و (الصيّب): المطر، وأصله «صيوب» على وزن «فعول» اجتمعت الواو، والياء، وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء فى الياء، كما فعلوا فى: «سيّد، وميّت».

* ﴿ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ أى: من السحاب، وقيل: هى السماء بعينها، والسماء: كل ما علاك فأظلّك. وهى من أسماء الأجناس يكون للواحد، والجمع. والسماء يُذَكَّر ويُؤَنَّث، قال ـ تعالى ـ: ﴿ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ﴾ [المزمل: ١٨]، وقال: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (١) ﴾ [الانفطار: ١]

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٥٢، ٥٣).

* ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ﴾ أى: فى الصيّب ظلمات، وهى جمع «ظلمة» وقد جمعت إشارة إلى أنه انضمّ إلى ظلمة الليل، ظلمة الغيم.

* ﴿وَرَعْدٌ﴾: هو الصوت الذى يسمع من السحاب. وقيل: هو اسم لصوت الملَك الذى يزجر السحاب.

* ﴿وَبَرْقٌ﴾: هو النار التى تخرج من الرعد.

وقال علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه)، وعبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): الرعد: اسم ملك يسوق السحاب، والبرق: لمعان سَوْط من نور، يزجر به الملك السحاب(١).

* ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ﴾: هذه جملة مستأنفة فى محلّ نصب وقعت مقولا لقول محذوف، كأن قائلا قال: فكيف حالهم عند ذلك الرعد؟ فقيل: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم﴾، والمراد «رأس الإصبع» وإطلاق الإصبع على بعضها مجاز مرسل علاقته الجزئية والكلية.

و ﴿الصَّوَاعِقِ﴾: جمع صاعقة، وهى الصيحة التى قد يموت من يسمعها، أو يغشى عليه، ويقال لكل عذاب مهلك: صاعقة.

* ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾: مفعول لأجله، أى: مخافة الهلاك، والموت: ضدّ الحياة.

* ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ أى: مهلكهم، دليله قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦]، أى: تهلكوا جميعـًا، والإحاطة: الأخذ من جميع الجهات حتى لا تفوت المحاط به بوجه من الوجوه.

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ﴾ من أفعال المقاربة، يقال: كاد يفعل كذا: إذا قارب ولم يفعل، وكل ما فى القرآن منْ: «كاد، وأكاد، وكادوا» فإنه لا يكون أبدًا.

(١) انظر: تفسير البغوى (١/٥٣).

وهذه جملة مستأنفة كأنه قيل: فكيف حالهم مع ذلك البرق؟ قيل: يكاد البرق.

* ﴿ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾: يختلسها بسرعة؛ لأن الخطف معناه: الأخذ بسرعة، ولذا سمى بعض الطير خطّافًا لسرعته.

* ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾: أى: وقفوا متحيّرين.

* ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾ أى: بأسماعهم، وأبصارهم الظاهرة، كما ذهب بأسماعهم، وأبصارهم الباطنة.

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أى: قادر، وهذا من جملة مقدوراته ـ سبحانه وتعالى ـ، وصدق الله إذ قال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)﴾ [سورة الملك: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾: لما فرغ الله ـ سبحانه وتعالى ـ من ذكر: المؤمنين، والكافرين، والمنافقين، أقبل عليهم بالخطاب التفاتًا للأمر المهم، و «يا» حرف نداء، والمنادى «أىّ» وهو اسم مفرد مبنىّ على الضم، و «ها» حرف تنبيه مقحم بين المنادى وصفته.

* أخرج البزّار، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقى فى الدلائل، عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: «ما كان» ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أنزل بالمدينة، وما كان ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ فبمكة[١].

* وأخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبى حاتم، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ قال: هى للفريقين جميعًا من الكفار، والمؤمنين[٢].

---

(١) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٧٣).

(٢) انظر: المرجع المتقدم (١/ ٧٤).

* ﴿ اعْبُدُوا ﴾: وحّدوا، قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: كل ما ورد فى القرآن من العبادة فمعناه: التوحيد[١].

* ﴿ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾: الخلق: اختراع الشيء على غير مثال سبق، وهو من خصائص الربوبيّة، والألوهية، قال ـ تعالى ـ: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ﴾ [سورة العلق: ١، ٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ ﴾ [فاطر: ١١].

* ﴿ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ أى: وخلق الذين من قبلكم. وصدق الله إذْ قال: ﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ ۝ ﴾ [الشعراء: ١٨٤]، وإذْ قال: ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ۝ ﴾ [الحجر: ٢٧].

* ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أى: لكى تنجو من العذاب. و «لعلّ»: أصلها للترجى، والتوقع، وذلك مستحيل على الله ـ سبحانه وتعالى ـ، ولكنه لما كانت المخاطبة منه ـ سبحانه وتعالى ـ للبشر كان بمنزلة قوله ـ تعالى ـ لهم: افعلوا ذلك على الرجاء منكم، أى لكى تنجوا من عذابى يوم القيامة، وصدق الله إذ قال: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ ۝ ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

* أخرج ابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن عون بن عبد الله بن غنية قال: «لعلّ» من الله واجبة[٢].

* ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا ﴾ أى: وطاء تستقرون عليها، و «الجعل» هنا بمعنى: الخلق.

* ﴿ وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ أى: سقفًا مرفوعًا، وصدق الله إذْ قال: ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

وإذْ قال: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝ ﴾ [الذاريات: ٤٧].

* ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ﴾: وهو المطر.

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٥٥).
(٢) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٧٤).

* ﴿ فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ أي: من ألوان الثمرات، وأنواع النبات.

* ﴿ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ أي: طعامًا لكم، وعلفًا لدوابكم، وصدق الله إذ قال: ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ (٣٢) ﴾

[سورة عبس: ٢٥ : ٣٢]

* ﴿ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ أي: أمثالا تعبدونهم كعبادة الله، وهذا هو الشرك الأكبر والعياذ بالله ـ تعالى ـ.

وكل ما يعبد من دون الله ـ تعالى ـ سواء كان إنسًا، أو جنًا، أو ملكًا، أو حجرًا، أو شجرًا، أو شمسًا، أو قمرًا، أو غير ذلك هو وثن.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [يوسف: ٤٠]

* ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أن هذه الأنداد لا تنفع ولا تضر، وأن الذي يجب أن يعبد هو الله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، والذي بيده ملكوت كل شيء.

اقرأ معي قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢)﴾ [مريم: ٤١ ـ ٤٢]

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ ﴾: أي: شك؛ لأن الله ـ تعالى ـ الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، على أنهم شاكون.

* ﴿ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ أي: «القرآن» نزّله الله ـ تعالى ـ على نبيّه «محمد» ﷺ مفرقـًا حسب الوقائع والأحداث خلال مدّة بعثته ﷺ وهي ثلاث وعشرون سنة، و «العبد» مأخوذ من «التعبّد» وهو التذلّل، والخضوع لله ـ تعالى ـ.

* ﴿ فَأْتُوا ﴾ فعل أمر والمراد به التعجيز. * ﴿ بِسُورَةٍ ﴾: والسورة الطائفة من القرآن ذات بداية، ونهاية، عرف ذلك بتوقيف من الشارع، وسميت بذلك لأنها مشتملة على كلماتها، كاشتمال سور البلد عليها.

* ﴿ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ أي: مثل القرآن و ﴿مِنْ﴾ صلة، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [النور: ٣٠].

* ﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ أي: واستعينوا بآلهتكم التى تعبدونها من دون الله، والشهداء: جمع شاهد بمعنى الحاضر، أو القائم بالشهادة.

والمراد هنا: الآلهة التى يعبدونها من دون الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾: أن «محمدًا» ﷺ تَقَوَّلَ القرآن من تلقاء نفسه، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤) ﴾ [الفرقان: ٤].

* ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا ﴾ أي: فيما مضى.

* ﴿ وَلَن تَفْعَلُوا ﴾ أي: ولن تطيقوا ذلك أبدًا فيما يأتى، وتبيّن عجزكم ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ ﴾ أي: بالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبأن «محمدًا» ﷺ نبيّ ورسول من عند الله ـ تعالى ـ.

و ﴿ لَن ﴾ للنفى المؤكد لما دخلت عليه، وهذا من الغيوب التى أخبر الله ـ تعالى ـ بها فى القرآن قبل وقوعها؛ لأن المعارضة ما وقعت من أحد أبدًا فى أيام النبوّة، ولن تقع فى المستقبل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

* ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾: لعلّ المراد من الحجارة: الأصنام التى كانوا يعبدونها من دون الله ـ تعالى ـ لأنهم قرنوا أنفسهم بها فى الدنيا، فجعلت وقودًا للنار معهم، وصدق الله إذ قال: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

* ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ أى: هيئت للكافرين.

* مهمة: كرّر الله ـ سبحانه وتعالى ـ تحدّى الكفار فى مواضع فى القرآن: منها هذا الموضع.

* ومنها قوله ـ تعالى ـ فى سورة القصص: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ (٤٨) قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٩)﴾ [القصص: ٤٨، ٤٩]

* ومنها قوله ـ تعالى ـ فى سورة الإسراء: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)﴾ [الإسراء: ٨٨]

* ومنها قوله ـ تعالى ـ فى سورة هود: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣)﴾ [هود: ١٣].

* ومنها قوله ـ تعالى ـ فى سورة يونس: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٨)﴾ [يونس: ٣٧، ٣٨].

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥)﴾

• **مهمة:** لما ذكر الله ـ تعالى ـ ما أعدّ للكافرين، والمنافقين يوم القيامة من العذاب الأليم الذى لا يتناهى.

أعقب ذلك بالنعيم المقيم الدائم الذى أعدّه للمؤمنين، ليجمع بين الترهيب، والترغيب، والوعد، والوعيد، لما فى ذلك من تنشيط عباده المؤمنين لطاعته، وتخويف الكافرين، والمنافقين، ليتوبوا عمّا هم فيه.

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ التبشير: الإخبار بكل ما يظهر أثره على بشرة الوجه، من البشر، والسرور، والأصل فى البشارة الاستعمال فى الخير، وهو الأغلب، وقد تستعمل فى الشر، على سبيل التهكم، وهو نادر، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) ﴾ [النساء: ١٣٨].

* ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾: قال عثمان بن عفان(ت ٣٥هـ ـ رضى الله عنه)، ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ أى: أخلصوا الأعمال، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ﴾ [الكهف: ١١٠][١].

وقال معاذ بن جبل (ت ١٧هـ ـ رضى الله عنه): العمل الصالح الذى فيه أربعة أشياء: العلم، والنيّة، والصبر، والإخلاص. اهـ[٢].

* ﴿ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ ﴾: جمع جنّة، والجنة: البستان الذى فيه أشجار مثمرة، وسميت بذلك لاجتنانها، وتسترها بالأشجار.

* ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ أى: تجرى من تحت أشجارها، ومساكنها، المياه فى الأنهار؛ لأن النهر لا يجرى، والأنهار: جمع «نهْر» وسمّى بذلك لسعتَه، وضيائه.

* ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ أى: كلما أطعموا من الجنة، أىّ ثمرة، ﴿ قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾، لأنه شبيهه، ونظيره، لا أنّه هو، وذلك لأن اللون يشبه اللون، وإن كان الحجم، والرائحة، والطعم مختلفة، كما قال ـ تعالى ـ:

* ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾: قال ابن عباس (٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ ـ رحمه الله تعالى): متشابهًا فى الألوان مختلفًا فى الطعوم[٣].

وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ ـ رحمه الله تعالى)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ ـ رحمه الله): ﴿ مُتَشَابِهًا ﴾ أى: يشبه بعضه بعضًا فى الجودة، أى كله خيار لا رذالة فيه[٤].

(١ : ٤) انظر: تفسير البغوى (١/ ٥٦).

* ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا ﴾ أي: في الجنان. ﴿ أَزْوَاجٌ ﴾: نساء، وجوار من الحور العين. ﴿ مُطَهَّرَةٌ ﴾: من البول، والغائط، والحيض، والنفاس، والبصاق، والمخاط، وكل قذر.

* ﴿ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ أي: دائمون أبدًا، لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها، وقد جاء لفظ أبدًا في غير موضع في القرآن من ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [التغابن: ٩].

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

۞ سبب نزول الآيتين:

قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما)، وابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضي الله عنه): لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين يعني قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾... إلخ.

قال المنافقون: الله أجلّ وأعلى من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله ـ تعالى ـ الآيتين: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي... ﴾...إلخ[1].

وقال الحسن البصري (ت ١١٠هـ ـ رحمه الله تعالى)، وقتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨هـ ـ رحمه الله تعالى): لما ضرب الله المثل بالذباب، والعنكبوت فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ [الحج: ٧٣]، وقال: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾ [العنكبوت: ٤١].

قالت اليهود: ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة؟

فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي... ﴾...إلخ[2].

(١) انظر: أسباب النزول للشيخ عبد الفتاح القاضي ص١٣، وتفسير الشوكاني (١/ ٨٩).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي ص٢٦، وتفسير البغوي (١/ ٥٨).



❀ معانى المفردات:

* ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي﴾ أي: لا يتركه، ولا يمنعه الحياء.

* ﴿أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾: وضرب المثل: اعتماده، وصنعه، و «ما» فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَّا بَعُوضَةً﴾ نكرة موصوفة، وهى فى موضع نصب على البدل من قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَثَلاً﴾، و ﴿بَعُوضَةً﴾ نعت لها لإبهامها.

* ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾، قال الكسائى على بن حمزة النحوى (ت ١٨٠هـ)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ): ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ والله أعلم: ما دونها، أى أنها فوقها فى الصغر كجناحها[١].

وقيل: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ أي: أكبر منها مثل: الذباب، والعنكبوت.

* ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي: ضرب المثل،

* ﴿الْحَقُّ﴾ أي: الصدق. * ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾.

* ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾ أي: بهذا المثل، و ﴿مَثَلاً﴾ منصوب على التمييز الذى وقع موقع الحال.

* ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً﴾ من الكفار، والمنافقين، وذلك أنهم يكذبون فيزدادون ضلالا.

* ﴿وَيَهْدِي بِهِ﴾ أي: بهذا المثل. * ﴿كَثِيراً﴾: من المؤمنين فيصدّقون به.

* ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: الكافرين، والإضلال: هو الصرف عن الحقّ إلى الباطل، وأصل الفسق: الخروج، يقال: فسقت الرطبة: إذا خرجت عن قشرتها، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠].

ثم وصف الله ـ تعالى ـ الفاسقين فقال:

* ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ﴾ أي: يخالفون ويتركون، و «النقض» ضدّ الإبرام، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ [النحل: ٩٢].

---

(١) انظر: تفسير الشوكانى (١/ ٩٠).

* ﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾ هو: ما عهد إليهم في القرآن فأقرّوا به ثم كفروا فنقضوه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وقيل: المراد: العهد الذي أخذه الله ـ تعالى ـ على النبيين، وسائر الأمم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ في قوله ـ تعالى ـ:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١]

* ﴿مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ أي: توكيده، والميثاق: العهد المؤكد.

* ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾: أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾، قال: الرحم، والقرابة(١).

* ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: بالمعاصي، وتعويق الناس عن الإيمان بنبينا محمد ﷺ، وبالقرآن.

* ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كل شيء نسبه الله إلى غير أهل الإسلام مثلُ: خاسر، ومسرف، وظالم، ومجرم، وفاسق، فإنما يعني به الكفر، وما نسب إلى أهل الإسلام فإنما يعني به الذم(٢).

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾: ﴿كَيْفَ﴾ مبنية على الفتح، في موضع نصب بـ ﴿تَكْفُرُونَ﴾ وهي للاستفهام الإنكاري، والتعجب من حالهم بعد نصب الدلائل، ووضوح البراهين، ثم ذكر الدلائل فقال ـ عزّ من قائل ـ:

(١، ٢) انظر: تفسير الشوكاني (١/ ٩٣).

* ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا ﴾ أى: نطفًا فى أصلاب آبائكم.

* ﴿ فَأَحْيَاكُمْ ﴾ أى: خلقكم. * ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ بعد انقضاء آجالكم.

* ﴿ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾: الحياة التى ليس بعدها موت، وذلك بالبعث.

* ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أى: تُرَدّون فى الآخرة، فيجزيكم بأعمالكم، فمن يعمل مثقال ذرّة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرّة شرًا يره.

القراءات وتوجيهها:

﴿ تُرْجَعُونَ ﴾ قرأ يعقوب بفتح التاء، وكسر الجيم، فى جميع القرآن، إذا كان من رجوع الآخرة، سواء كان غيبًا، أو خطابًا، وذلك على البناء للفاعل، وهو فعل مضارع من «رجع»، والواو فاعل.

ووافقه أبو عمرو فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٨١]

ووافقه حمزة، والكسائى، وخلف فى: ﴿ وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥]

ووافقه نافع، وحمزة، والكسائى، وخلف فى أول القصص وهو: ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٣٩].

وقرأ الباقون من القراء ﴿ تُرجَعون ﴾، ﴿ يُرجَعون ﴾ بضم حرف المضارعة، وفتح الجيم، على البناء للمفعول، والواو نائب فاعل[١].

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ أى: اخترع، وأوجد بعد العدم، وقال ابن كيسان محمد بن إبراهيم أبو الحسن (ت ٢٩٩هـ): ﴿ خَلَقَ لَكُم ﴾ أى: من أجلكم[٢].

(١) قال ابن الجزرى: وترجع الضم افتحا واكسر (ظـ)ـما إن كان للأخرى

وانظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر وتوجيهها للدكتور/ محمد سالم محيسن (١/ ١٣١).

(٢) انظر: تفسير الشوكانى (١/ ٩٥).

* ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾: ﴿ثُمَّ﴾ لترتيب الأخبار، لا لترتيب الأمر فى نفسه.

و «الاستواء» فى اللغة: الارتفاع، والعلوّ على الشىء، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

وقال: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف: ١٢ ـ ١٣].

وهذه الآية من المتشابه الذى لا يعلم معناه إلا الله ـ تعالى ـ، يدلّ على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

وهذه الآية وما شاكلها، ذهب الكثيرون من العلماء إلى القول: نحن نقرؤها، ونؤمن بها، ولا نفسّرها، ونردّ معناه إلى الله ـ تعالى ـ وأنا فى مقدمة من يؤمن بذلك، وأقول كما قال الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ ـ رحمه الله تعالى) وغيره من علماء المسلمين، فى معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ (٥)﴾ [طه: ٥].

قالوا: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

* ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾: خلقهن مستويات لا فطور فيهن ولا صدوع، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٦)﴾ [ق: ٦]

وهذه الآية وما على شاكلتها تفيد أن السموات سبع، وأمّا الأرض فلم يأت فى القرآن عدد صريح سوى قوله ـ تعالى ـ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢].

والقول الراجح فى ذلك: مثلهن فى العدد.

* ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أى: بما خلق، وهو خالق كل شىء، فوجب أن يكون عالمًا بكل شىء، وصدق الله إذ قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)﴾ [الملك: ١٤]، فهو وحده العالم، والعليم بجميع المخلوقات بعلم أزلىّ قديم.

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ ﴾: «إِذْ» ظرف لما مضى من الزمان، وهى متعلقة بفعل محذوف تقديره: واذكر يا محمد ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ ﴾ و «الملائكة»: جمع «مَلَك».

* ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ أى: خليفة الله فى أرضه، لإقامة أحكامه، وتنفيذ قضاياه، ولتجتمع به الكلمة.

* ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾.

❀ المعنى:

إن قيل: مما هو معلوم أن الملائكة لا تسبق الله بالقول، كما قال ـ تعالى ـ فى وصفهم: ﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧)﴾ [الأنبياء: ٢٧].

فكيف قالوا: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾... إلخ؟

قيل: إن الملائكة قد رأت، وعلمت ما كان من إفساد «الجنّ» وسفكهم الدماء، وذلك لأن الأرض كان فيها «الجنّ» قبل خلق آدم ـ عليه السلام ـ، فلما أفسدوا، وسفكوا الدماء، بعث الله ـ تعالى ـ إليهم إبليس فى جند من الملائكة فقتلهم، وألحقهم بالبحار، ورءوس الجبال، فجاء قول الملائكة: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا ﴾ ... إلخ، على جهة الاستفهام المحض: هل هذا الخليفة سيكون على طريقة من تقدم من الجنّ أولا؟[1]

* ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ أى: ننزهك عمّا لا يليق بصفاتك، والتسبيح فى كلامهم: التنزيه من كل سوء على وجه التعظيم لله ـ تعالى ـ ومعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿بحمدك﴾ أى: نخلط التسبيح بالحمد، ونصله به، و ﴿الحمد﴾: الثناء.

* ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ أى: نعظمك، ونمجّدك، ونطهّر ذكرك عمّا لا يليق بك مما نسبك إليه الملحدون.

(١) انظر: تفسير القرطبى (١/ ١٨٩).

* ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ أى: أعلم الذى لا تعلمونه، لأننى لا تخفى علىّ خافية فى الأرض ولا فى السماء، وصدق الله إذ قال: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧].

وقال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨ هـ): لما قالت الملائكة ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا ﴾... إلخ، وقد علم الله أن فيمن يستخلف فى الأرض أنبياء فضلاء، وأهل طاعة، قال لهم: ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾[١].

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾: ﴿ عَلَّمَ ﴾: عرّف، وتعليمه هنا: إلهامه علمه، ويحتمل أن يكون بواسطة جبريل - عليه السلام -، و ﴿ آدَمَ ﴾ - عليه السلام - يكنى أبا البشر، وسمّى آدم؛ لأنه خلق من أديم الأرض، فلما خلقه الله - تعالى - علّمه الأسماء كلها، والمراد: أسماء المسميّات، قال بذلك أكثر العلماء، ولم يخرج عن هذا شىء منها كائنًا ما كان.

* ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ ﴾: إنما قال - تعالى -: ﴿ عَرَضَهُمْ ﴾ ولم يقل: «عرضها» لأن المسميّات إذا جَمَعَتْ من يعقل، ومن لا يعقل، يكنّى عنها بلفظ من يعقل فى بعض الأحوال.

* ﴿ فَقَالَ أَنبِئُونِي ﴾: أخبرونى. * ﴿ بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾: هذا من الله - تعالى - لقصد إظهار عجزهم، مع علمه بأنهم سيعجزون عن ذلك، فقالت الملائكة إقرارًا بالعجز:

* ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ ﴾ أى: تنزيهًا لك، و «سبحانَ» منصوب على الظرفية.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١/ ١٩٢).

* ﴿ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ أى: إنك أجلّ من أن نحيط بشيء من علمك إلا ما علمتنا، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧].

* ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ ﴾: الذى قد كمل فى علمه، فلا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.

* ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ الذى قد كمل فى حكمه، وقيل: المحكم للأمر الذى لا يتطرق إليه أىّ فساد. وأصل الحكمة فى اللغة: المنع، فهى تمنع صاحبها من الباطل.

فلما ظهر عجز الملائكة، قال الله ـ تعالى ـ:

* ﴿ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ﴾: أمَرَه الله ـ تعالى ـ أن يخبرهم بأسمائهم، ليعلموا أن «آدم» أعلم بما سألهم الله عنه، تنبيهًا على فضله، وعلوّ شأنه، فسمَّى كل شىء، وذكر الحكمة التى لأجلها خُلق.

* ﴿ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ ﴾ الله ـ تعالى ـ: * ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ ﴾ يا ملائكتى:

* ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾: أى ما كان منها، وما يكون.

* ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ﴾ أى: تظهرون وهو قولهم: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾... إلخ.

* ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ أى: تُسِرُّون، وهو قولهم: لن يخلق الله خلقًا أكرم عليه منّا.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ ﴾: «إذْ» ظرف لما مضى من الزمان، وهو متعلق بفعل محذوف، والتقدير: واذكر إذ قلنا... إلخ.

* ﴿ اسْجُدُوا لآدَمَ ﴾: «السجود»: معناه فى لغة العرب: التذلّل، والخضوع.

واختلف العلماء فى كيفية سجود الملائكة لآدم ـ عليه السلام ـ بعد اتفاقهم على أنه لم يكن سجود عبادة، فقال جمهور العلماء: كان هذا أمرًا للملائكة بوضع

الجباه على الأرض كالسجود المعتاد فى الصلاة، وكان آدم ـ عليه السلام ـ كالقِبْلَة، أى: الكعبة، بالنسبة لنا نحن المسلمين، وكان ذلك السجود تكريمًا لآدم ـ عليه السلام ـ، وإظهاراً لفضله، وطاعة لأمر الله ـ تعالى ـ.

ومعنى ﴿ لآدَمَ ﴾ أى: إلى جهة آدم، كما يقال: صلَّى للقِبْلَة، أى: إلى جهة القِبْلة.

أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ اسْجُدُوا لآدَمَ ﴾ قال: كانت السجدة لآدم والطاعة لله. اهـ[١].

وفى رواية أخرى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: أمرهم أن يسجدوا فسجدوا له كرامة من الله أكرم بها آدم[٢].

* ﴿ فَسَجَدُوا ﴾ أى: الملائكة امتثالا لأمر الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ ﴾: نصب على الاستثناء المتصل؛ لأنه كان من الملائكة على قول ابن عباس، وابن مسعود ـ رضى الله عنهما ـ، وابن المسيّب، وقتادة وغيرهم[٣].

وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ ـ رحمه الله تعالى): كان إبليس من الجنّ، ولم يكن من الملائكة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ [الكهف: ٥٠]، فهو أصل الجنّ، كما أن آدم ـ عليه السلام ـ أصل الإنس[٤].

* ﴿ أَبَى ﴾ أى: امتنع فلم يسجد. * ﴿ وَاسْتَكْبَرَ ﴾ أى: تكبّر عن السجود لآدم ـ عليه السلام ـ، وقال: أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين، وصدق الله إذْ قال: ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢) ﴾

[الأعراف: ١١ ـ ١٢]

* ﴿ وَاسْتَكْبَرَ ﴾ أى: تكبّر عن السجود لآدم ـ عليه السلام ـ، والاستكبار: الاستعظام، فكأنه استعظم السجود لآدم ـ عليه السلام ـ تكبّراً.

(١ ، ٢) انظر: الدرّ المنثور للسيوطى (١/ ١٠٢).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١/ ٢٠٢).

(٤) انظر: تفسير البغوى (١/ ٦٣).

* ﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾: «كان» هنا بمعنى «صار» ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [هود: ٤٣].

وقيل: كان فى سابق علم الله ـ تعالى ـ من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة.

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾: لا خلاف فى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أخرج إبليس عند كفره من الجنة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الحجر: ٣٤]، وبعد إخراجه قال الله ـ تعالى ـ لآدم ـ عليه السلام ـ: ﴿ اسْكُنْ ... ﴾ إلخ. أى: لازم الإقامة فى الجنة، واتخذها مسكنًا.

والسّكن: كل ما يُسكن إليه.

* ﴿ أَنتَ وَزَوْجُكَ ﴾: «أنت» تأكيد للضمير الذى فى الفعل: «اسكن»، ومثله قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المائدة: ٢٤].

ولا يجوز فى اللغة الفصحى «اسكن وزوجك» لأنه لا يجوز العطف على الضمير المرفوع المتصل إلا بعد التأكيد بضمير منفصل.

* ﴿ وَزَوْجُكَ ﴾ لغة القرآن: «زوج» بغير هاء.

وقد جاء فى حديث الهادى البشير ﷺ «زوجة»: فعن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه): أن النبى ﷺ كان مع إحدى نسائه فمرّ به رجل فدعاه فجاء فقال: «يا فلان هذه زوجتى فلانة» [رواه مسلم].

روى أن آدم ـ عليه السلام ـ لم يكن فى الجنة من يجانسه فنام نومة فخلق الله ـ تعالى ـ «زوجه حوّاء» من «قصيراء شقّه الأيسر»، خلقها الله ـ تعالى ـ من غير أن يجد آدم لذلك ألمًا، وسميت «حوّاء» لأنها خُلقت من حىٍّ وهو آدم ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ الْجَنَّةَ ﴾ هى: البستان ذو الشجر السّاتر بأشجاره الأرض.

* ﴿ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾: «رغدًا» منصوب على الصفة لمصدر محذوف، والتقدير: وكلا منها أكلا رغدًا، أى: واسعًا كثيرًا.

* ﴿ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ أى: كيف شئتما، وأين شئتما.

* ﴿ وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ أى: لا تقرباها بالأكل منهـا، و «هذه»: اسم مبهم ينعت بما فيه الألف واللام لا غير، كقولك: مررت بهذا الرجل، وبهذه المرأة. والشجرة: ما كان على ساق من نبات الأرض.

واختلف العلماء فى «الشجرة» التى صدر الأمر الإلهى بالنهى عن الأكل منها:

فقال ابن عباس، ومحمد بن كعب، ومقاتل: هى السنبلة.

وقال ابن مسعود: هى شجرة العنب.

وقال ابن جريج: هى شجرة التين، والله أعلم بالحقيقة.

* ﴿ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ أى: فتصيرا من الظالمين، الضارّين بأنفسكما بالمعصية، وأصل الظلم: وضع الشىء فى غير موضعه.

﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾: الزلّة: الخطيئة. أى: استزلهما الشيطان بأن أوقعهما فى الزلّة وهى الخطيئة، والمراد بها: الأكل من الشجرة التى نهاهما الله ـ تعالى ـ عن الأكل منها. والضمير فى «فأزلهما» عائد على آدم وحوّاء ـ عليهما السلام ـ.

* ﴿ الشَّيْطَانُ ﴾ المراد به: إبليس، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف: ١٩ ـ ٢٢].

* ﴿ عَنْهَا ﴾ أي: عن الجنّة. * ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ أي: من النعيم.

قيل: إن إبليس أراد أن يدخل الجنة بعد أن طرده الله منها ليوسوس إلى آدم وحوّاء فمنعته الخَزَنَة، فأتى الحيّة فسألها إبليس أن تدخله في جوفها، فأدخلته، ومرت به على الخَزَنَة وهم لا يعلمون، فأدخلته الجنة، فقال لآدم وحوّاء: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا مَلَكَين أو تكونا من الخالدين، وحلف لهما بالله إنه لمن الصادقين، فلما أكلا من الشجرة، ناداهما ربهما ألم أنهكما عن هذه الشجرة، وأقل لكما إن الشيطان لكما عدوّ مبين؟.

* ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا ﴾ أي: انزلوا إلى الأرض، والمراد: آدم، وحواء، وإبليس، والحيّة.

فأُهْبِط «آدم» بـ «سرنديب» من أرض الهند، على جبل يقال له: بوذ.

و «حوّاء» بـ «جدّة»، و «إبليس» بـ «الأُبُلّة»، و «الحيّة» بـ «بيسان»، وقيل: بـ «سجستان»، وقيل: بـ «أصفهان».

* ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ لعلّ المراد: التي بين ذرّية «آدم والحيّة» وبين المؤمنين من ذرّية «آدم» و «إبليس».

وصدق الله إذ قال: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥ ﴾ [يوسف: ٥]، وقال: ﴿ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝١٦٨ ﴾ [البقرة: ١٦٨].

* ﴿ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ أي: موضع قرار.

* ﴿ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ أي: إلى انقضاء آجالكم.

والمتاع: ما يستمتع به من أكل ولبس، وجميع ما أحلّ الله، وصدق الله إذ قال: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣٢ ﴾ [الأعراف: ٣٢]

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾: قرأ حمزة: ﴿فأزالهما﴾ بألف بعد الزاي، ولام مخففة، أي: نحّاهما وأبعدهما عن نعيم الجنة الذي كانا فيه، مثل قول القائل: «أزال فلان فلانًا عن موضعه» إذا نحّاه عنه.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿فأزلّهما﴾ بحذف الألف، ولام مشدّدة، من «الزلل» أي: أوقعهما في «الزلّة» بفتح الزاي، والمراد بها المعصية، وهي الأكل من الشجرة، ونسب الفعل إلى الشيطان؛ لأنهما زلا بإغوائه فصار كأنه أزلهما.

ويحتمل أن يكون من «زلّ» عن المكان إذا تنحّى عنه، فتتحد هذه القراءة مع قراءة حمزة في المعنى(١).

﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) ﴾

أخرج الحاكم وصحّحه، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ ...﴾ إلخ.

قال: أي ربّ ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى، قال: أي ربّ ألم تنفخ فيّ من روحك؟ قال: بلى، قال: أي ربّ ألم تسبق إليّ رحمتك قبل غضبك؟ قال: بلى، قال: أي ربّ أرأيتَ إن تبتُ وأصلحتُ أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: نعم(٢).

وصدق الله إذ قال: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢) ﴾ [طه: ٨٢]

❀ معاني المفردات:

* ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ أي: قبل، وأخذ، وكان نبينا محمد ﷺ يتلقى الوحي، أي: يأخذه، ويستقبله، ويتلقّفه.

والتلقي: هو قبول عن فطنة، وفهم.

واختلف العلماء في الكلمات التي تلقاها «آدم» ـ عليه السلام ـ: فقال ابن عباس، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، والضحّاك بن مزاحم: هي قوله ـ تعالى ـ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)﴾ [الأعراف: ٢٣].

---

(١) قال ابن الجزري: وأزال في أزل (فـ)ـوز

وانظر: النشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٢/ ٣٩٨)، وحجة القراءات لابن زنجلة ص٩٤، والمغني في توجيه القراءات للدكتور/ محمد سالم محيسن (١/ ١٣٤)، والمهذب في القراءات العشر للدكتور/ محمد سالم محيسن (١/ ٥٣).

(٢) انظر: الدرّ المنثور (١/ ١١٦).

وقال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) هى: سبحانك اللهم لا إله إلا أنت ربّى ظلمت نفسى فاغفر لى إنك أنت الغفور الرحيم[١].

وأرى أن القول الأول هو الراجح؛ لأنه له دليل من القرآن.

* ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ أى: قبل توبته، وتجاوز عنه، فإن قيل: ما الحكمة فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ ولم يقل: «فتاب عليهما»؟ لأن «حوّاء» مشاركة لآدم فى الأكل من الشجرة.

قيل: إن آدم ـ عليه السلام ـ لما خوطب فى أوّل القصة بقوله ـ تعالى ـ: ﴿اسْكُنْ﴾ خصّه الله بالذكر فى التلقى.

يضاف إلى ذلك أن المرأة فى غالب الأمر تكون تابعة للرجل، لذلك لم تذكر معه[٢].

* ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ أى: يقبل توبة التائبين، ورحيم بعباده، وصدق الله إذ قال: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٠٤)﴾ [التوبة: ١٠٤].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾: قرأ ابن كثير بنصب ميم «آدمَ» ورفع تاء «كلماتٌ» على إسناد الفعل إلى «كلمات»، وإيقاعه على «آدم» فكأنه قال: «فجاءت آدمَ كلماتٌ» ولم يؤنث الفعل لكون الفاعل مؤنثًا غير حقيقى.

وقرأ الباقون من القراء العشرة برفع ميم «آدم» ونصب تاء «الكلمات» بالكسرة، وذلك على إسناد الفعل إلى آدم وإيقاعه على «كلمات» أى: أخذ آدم كلمات من ربه بالقبول ودعا بها[٣].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١/ ٢٢١). (٢) المرجع المتقدم (١/ ٢٢٢).

(٣) قال ابن الجزرى: وآدم انتصاب الرفع (د)ل وكلمات رفع كسر درهم

وانظر: النشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٢/ ٣٩٨)، والمغنى فى توجيه القراءات للدكتور/ محمد سالم محيسن (١/ ١٣٥)، وإتحاف فضلاء البشر للدمياطى ص١٣٤.

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾: كرّر الله ـ تعالى ـ الأمر بالهبوط للدلالة على التأكيد، وإشارة إلى أن الهبوط الأوّل كان من الجنّة إلى السماء، والثاني من السماء إلى الأرض. وفي ذلك دلالة على أن الجنة في السماء السابعة.

* ﴿ جَمِيعًا ﴾ أي: هؤلاء الأربعة: آدم، وحوّاء، وإبليس، والحيّة.

* ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى ﴾: أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن أبي العالية الرياحي (ت ٩٠هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى ﴾ قال: الهدى: الأنبياء، والرسل، والبيان. اهـ(١).

* ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾: الخوف: هو الذعر، ولا يكون إلا في المستقبل. و «الحزن»: ضدّ السرور، ولا يكون إلا على ماضي.

وقيل: ﴿ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾: في الدنيا، ﴿ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾: في الدار الآخرة.

وصدق الله إذ قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) ﴾ [فصلت: ٣٠].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾: قرأ يعقوب بفتح الفاء، وحذف التنوين، على أن «لا» نافية للجنس تعمل عمل إنّ تنصب الاسم وترفع الخبر، و «خوفَ» اسمها، و«عليهم» متعلق بمحذوف خبرها.

وقرأ الباقون من القراء العشرة برفع الفاء وتنوينها، على أنّ «لا» نافية للوحدة لا عمل لها، و «خوف» مبتدأ، و «عليهم» متعلق بمحذوف خبر(٢).

(١) انظر: الدرّ المنثور (١/ ١٢٣).

(٢) قال ابن الجزري: لا خوف نوّن رافعا لا الحضرمي

وانظر: المهذب في القراءات العشر للدكتور/ محمد سالم محيسن (١/ ٥٣).

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ أى: يا أولاد يعقوب؛ لأن إسرائيل هو يعقوب بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ.

و ﴿ إِسْرَائِيلَ ﴾: اسم أعجمىّ ممنوع من الصرف للعلميّة والعجمة، ومعنى: ﴿ إِسْرَائِيلَ ﴾: عبد الله.

* ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾: الذّكر يكون بالقلب، ويكون باللسان، قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ ـ رحمه الله تعالى): ذكر النعمة: شكرها[1].

وصدق الله إذْ قال: ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ: ١٣]

* ﴿ نِعْمَتِيَ ﴾ أى: نعمى، والنعمة اسم جنس يصدق على القليل والكثير، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، أى: نعمه.

* ﴿ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ أى: على آبائكم، وأجدادكم، وأسلافكم، قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) المراد: النعم التى أنعم الله بها على بنى إسرائيل مثل: فلق البحر، وإنجائهم من آل فرعون وإغراقه، وتظليل الغمام عليهم فى التّيه، وإنزال المنّ والسلوى، وهى نعم كثيرة لا تحصى. انتهى بتصرف[2].

وصدق الله إذْ قال: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

* ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي ﴾ وذلك بامتثال أمرى.

(١ ، ٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٦٦).

قال قتادة، ومجاهد بن جبر: أراد بالعهد ما ذكر في سورة المائدة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[المائدة: ١٢][١].

وقال الكلبي محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ): عهد الله إلى بني إسرائيل على لسان موسى ـ عليه السلام ـ: إني باعث من بني إسماعيل نبيًّا أميًّا، فمن اتّبعه وصدّق بالنور الذي يأتي به غفرت له ذنبه، وأدخلته الجنة، وجعلت له أجرين اثنين، وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧][٢].

وقال جمهور العلماء: هو عام في جميع أوامره، ونواهيه، ووصاياه.

* ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾: وعهد الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو أن يدخلهم الجنة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [المائدة: ١٢].

* ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ أي: خافوني إذا نقضتم العهد، وصدق الله إذ قال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠)﴾ [الحجر: ٤٩ ـ ٥٠]

* ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ أي: صدّقوا بالقرآن، فهو موافق لما معكم من التوراة في التوحيد، والنبوّة، ونعت النبي محمد ﷺ، واليوم الآخر، والبعث والجزاء، والجنة والنار.

* ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ الضمير في «به» عائد على القرآن إذ تضمنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾.

❋ **المعنى**: لا تكونوا أوّل من كفر بالقرآن، فتتابعكم اليهود على ذلك فتبوؤوا بآثامكم وآثامهم.

وصدق نبينا «محمد» ﷺ إذ قال: «من سنّ في الإسلام سُنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن يَنقُص من أوزارهم شيء»[٣].

(١ ، ٢) انظر: تفسير البغوي (١/ ٦٦).

(٣) رواه مسلم، وانظر: رياض الصالحين للنوّوي ص٩٩.

* ﴿ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾: ﴿ وَلا تَشْتَرُوا ﴾ أي: ولا تستبدلوا، ﴿ بِآيَاتِي ﴾ أي: ببيان صفة النبيّ «محمد» ﷺ، ﴿ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ أي: عوضًا يسيراً من الدنيا، وذلك أن رؤساء اليهود، وعلماءهم كانت لهم «مأكلة» يصيبونها من سفلتهم، وجهّالهم يأخذون منهم كل عام شيئًا من زروعهم، ونقودهم، فخافوا إن هم بيّنوا صفة نبيّنا «محمد» ﷺ أن تفوتهم تلك «المأكلة» فغيروا نعته الموجود فى التوراة وكتموا اسمه ﷺ فاختاروا الدنيا على الآخرة.

وقيل: المعنى: ولا تشتروا بأوامرى، ونواهيَ، وآياتى ثمنًا قليلا وهو ما تأخذونه مقابل كفركم وكتمانكم آيات الله ـ تعالى ـ وعدم إيمانكم بـ «محمد» ﷺ.

وسمّى ما اعتاضوه عن ذلك ثمنًا، لأنهم جعلوه عوضًا، فأطلق عليه اسم الثمن وإن لم يكن ثمنًا.

* ﴿ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ أي: خافون، واخشوا عذابى فإن بطشى شديد.

وصدق الله إذْ قال: ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥٢) ﴾ [الأنفال: ٥٢].

* ﴿ وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾، ﴿ وَلا تَلْبِسُوا ﴾ أي: لا تخلطوا، يقال: لَبَس عليه الأمر يلبس لبْسا، أي: خلط. و «الباطل»: خلاف الحق.

❋ **المعنى**: روى عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): لا تخلطوا ما عندكم من الحقّ فى الكتاب بالباطل، وهو التغيير والتبديل[1].

* ﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي: لا يكن منكم خلط الحق بالباطل، وكتمانه، والحال أنكم تعلمون أن «محمدًا» ﷺ نبيّ ورسول.

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾ أي: صلوا الصلوات التى فرضها الله عليكم بشروطها، وفى مواقيتها.

(١) انظر: تفسير القرطبى (١/ ٢٣٣).

* ﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ أى: أدّوا زكاة أموالكم التى فرضها الله عليكم.

والزكاة مأخوذة من زكا الزرع: إذا نما وكثر.

وقيل: من تزكى أى تطهر، وكلا المعنيين موجود فى الزكاة؛ لأن فيها تطهيراً، وتنمية للمال، يدلّ على ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣]

* ﴿ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ أى: صلّوا مع المصلين، والركوع فى اللغة: الانحناء.

وذكرت الصلاة بلفظ الركوع؛ لأن الركوع ركن من أركان الصلاة، فهذا مجاز مرسل من إطلاق الجزء وإرادة الكل.

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٤٤) ﴾

۞ سبب نزول هذه الآية:

قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): نزلت هذه الآية فى يهود أهل المدينة: كان الرجل منهم يقول لصهره، ولذوى قرابته، ولمن بينهم وبينه رضاع من المسلمين: اثبت على الدّين الذى أنت عليه، وما يأمرك به هذا الرجل ـ يعنون «محمدًا» ﷺ ـ فإن أمره حق، فكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه. اهـ[1].

۞ معانى المفردات:

* ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾: هذا استفهام توبيخى، والمراد: علماء يهود المدينة، الذين نزلت فيهم هذه الآية.

* ﴿ بِالْبِرِّ ﴾: المراد به هنا طاعة الله ـ تعالى ـ وجميع الأعمال الصالحة، يوضح ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

---

(١) انظر: أسباب نزول القرآن للواحدى ص٢٧، وأسباب النزول للشيخ عبد الفتاح القاضى ص١٣، وتفسير القرطبى (١/ ٢٤٨)، وتفسير البغوى (١/ ٦٧).

* ﴿ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ أى: تتركون أنفسكم، فلا تعملون بالبرّ الذى تأمرون الناس به.

* ﴿ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ أى: تقرءون التوراة.

* ﴿ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ أى: أفلا تمنعكم عقولكم من الوقوع فى هذا الخطأ الكبير.

والعقل مأخوذ من عقال الدّابة، وهو ما يشدّ به على ركبة البعير فيمنعه من الهروب، فكذلك العقل يمنع صاحبه من الوقوع فى الكفر، والجحود بآيات الله ـ تعالى ـ.

﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَاسْتَعِينُوا ﴾ أى: اطلبوا العون من الله ـ تعالى ـ على ما يستقبلكم من أنواع البلاء فى الدنيا، وقيل: على طلب الآخرة.

* ﴿ بِالصَّبْرِ ﴾ وهو: حبس النفس عن المعاصى، وعلى أداء الفرائض.

* ﴿ وَالصَّلاةِ ﴾ أى: بأدائها تامّة فى أوقاتها، وبشروطها، وأركانها.

وخصّ الصلاة بالذكر من بين سائر العبادات تنويهًا بعظم شأنها، ولأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، يدلّ على ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾ أى: الصلاة لثقيلة.

* ﴿ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ أى: المؤمنين الخاضعين لله ـ تعالى ـ.

والخشوع: هيئة فى النفس يظهر بسببها فى الجوارح سكون وتواضع.

﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٤٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ ﴾: ﴿ الَّذِينَ ﴾ فى موضع جرّ على النعت للخاشعين، والظنّ هنا فى قول جمهور العلماء بمعنى اليقين، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) ﴾ [الحاقة: ١٩، ٢٠]

* ﴿أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ﴾ أي: في الآخرة. * ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ أي: بعد البعث فيجازيهم بأعمالهم، فمن يعمل مثقال ذرّة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرًا يره، وصدق الله إذ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠)﴾ [النساء: ٤٠].

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (٤٧) وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٨)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾: تقدم تفسير ذلك فى الآية رقم ٤٠.

* ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي: فضلت آباءكم وأجدادكم، والتفضيل وإن كان فى حقّ الآباء إلا أنه يحصل به الشرف للأبناء.

* ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي: عالمى زمانهم، وأهل كل زمان «عالَم» بفتح اللام.

* ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾:

* ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ أي: خافوا عقاب يوم وهو يوم القيامة.

* ﴿لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ أي: لا تدفع نفس عن نفس شيئًا؛ لأنّ يوم القيامة يفرّ فيه المرء من أخيه، وأمّه وأبيه، وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه.

* ﴿وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ أي: لا يقبل من أيّ نفس شفاعة إذا كانت كافرة، كما قال ـ تعالى ـ فى شأن المجرمين:

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨)﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٨]

* ﴿ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ أي: فداء، وصدق الله إذْ قال في شأن المنافقين والكافرين: ﴿ فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥) ﴾ [الحديد: ١٥].

* ﴿ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ أي: يمنعون من عذاب الله ـ تعالى ـ.

وصدق الله إذْ قال: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢) ﴾

[غافر: ٥١ ـ ٥٢]

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ الآية: ٤٨.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: «ولا تقبل» بتاء التأنيث وذلك لإسناده إلى «شفاعة» وهي مؤنثة لفظًا.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ وَلا يُقْبَلُ ﴾ بالياء على التذكير؛ لأن تأنيث «شفاعة» غير حقيقي، وكذا للفصل بين الفعل ونائب الفاعل بالجارّ والمجرور(١).

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩) ﴾

أخرج ابن جريرالطبري (ت ٣١٠هـ) عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) قال: قالت الكهنة لفرعون: إنه يولد في هذا العام مولود يذهب بملكك، فجعل فرعون على كل ألف امرأة مائة رجل، وعلى كل مائة عشرة، وعلى كل عشرة رجلا، فقال: انظروا كل امرأة حامل في المدينة، فإذا وضعت حملها ذكراً فاذبحوه، وإن كانت أنثى فخلّوا عنها، وذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ الآية(٢).

(١) قال ابن الجزرى: يقبل أنث (حقّ)

وانظر: النشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٢/ ٤٠٠)، والكشف عن وجوه القراءات لمكى بن أبي طالب (١/ ٢٣٨)، والمغنى في توجيه القراءات للدكتور/ محمد سالم محيسن (١/ ١٣٦).

(٢) انظر: الدرّ المنثور للسيوطى (١/ ١٣٣).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ : ﴿ إِذْ ﴾ ظرف لما مضى من الزمان وهو متعلق بفعل محذوف تقديره: «واذكر إذ نجيناكم»... إلخ وهذا وما بعده تذكير للحاضرين ببعض النعم التى أنعم الله ـ تعالى بها ـ على آبائهم وأجدادهم، ليتعظوا ويشكروا نعَم الله التى لا حصر لها.

* ﴿ نَجَّيْنَاكُم ﴾ أى: نجينا أجدادكم، وأسلافكم، وأسند الفعل للحاضرين فى عهد النبى ﷺ؛ لأنهم نجوا بنجاتهم.

* ﴿من آل فرعون﴾ أى: أتباعه، وأهل دينه.

* ﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾ أى: يذيقونكم.

* ﴿ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ أى: أشدّ العذاب، وأسوأه:

﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾: هذا على سبيل التفصيل بعد الإجمال الذى تقدم فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾.

* ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ التشديد فى ﴿ يُذَبِّحُونَ ﴾ للدلالة على التكثير.

* ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ أى: يتركونهنّ أحياء.

* ﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ أى: فى هذا الصنيع الذى صنعه فرعون اختبار عظيم من ربّ العالمين لبنى إسرائيل.

وصدق الله إذ قال: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٥]

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ ﴾: «إذْ» ظرف لما مضى من الزمان وهو متعلق بفعل محذوف تقديره: «واذكر إذ فرقنا بكم البحر»... إلخ، و «إذْ» فى موضع نصب بالفعل المحذوف.

* ﴿ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ ﴾: أصل الفرق: الفصل، أى: فصلنا وفلقنا.

* ﴿ بِكُمُ الْبَحْرَ ﴾: الباء في ﴿ بِكُمُ ﴾ بمعنى اللام، أي: لكم، وقيل: الباء للسببيّة، أي: فصلنا وفلقنا البحر بسبب إرادة دخولكم فيه، فكان كل فرق كالطود العظيم، وسمّى البحر بحرًا لاتساعه.

* ﴿ فَأَنجَيْنَاكُمْ ﴾ أي: من فرعون وقومه، ومن الغرق.

* ﴿ وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ﴾: يقال: غرق في الماء فهو غَرِق وغارِ.

قيل: لما خرج نبيّ الله «موسى» ـ عليه السلام ـ وأتباعه هربًا من بطش فرعون وجنوده، وامتثالا لأمر الله ـ تعالى ـ، خرج فرعون وجنوده في طلب «موسى» وأتباعه، ولما وصل نبيّ الله «موسى» وأتباعه إلى البحر نظر أتباع «موسى»، فإذا هم بفرعون وجنوده، فبقوا متحيرين، وقالوا: يا موسى كيف نصنع؟ هذا فرعون خلفنا إن أدركنا قتلنا، والبحر أمامنا إن دخلناه غرقنا، فقال لهم «موسى» ـ عليه السلام ـ: لا تخافوا، ولا تحزنوا، إن معى ربّى سيهدين، فأوحى الله ـ تعالى ـ إلى «موسى» أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق بأمر الله ـ تعالى ـ اثنا عشر طريقًا بعدد الأسباط لكل سبط طريق.

ولما وصل فرعون وجنوده إلى البحر ساروا في الطرق التي فلقها الله ـ تعالى ـ لبني إسرائيل.

ولما تمّ خروج بني إسرائيل من البحر أمر الله ـ تعالى ـ البحر فانطبق على فرعون وجنوده فغرقوا جميعًا، وبنو إسرائيل ينظرون إليهم وهم يغرقون.

يدل على هذه المعاني قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (٥٢) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) ﴾[الشعراء: ٥٢ ـ ٥٥]

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (٦٤) وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٦٦) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٦٧) ﴾ [الشعراء: ٦١ ـ ٦٧]

واقرأ معى أخى المسلم قول الله ـ تعالى ـ فى هذا المقام:

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) ﴾ [يونس: ٩٠ ـ ٩١]

﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ (٥١) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾: ﴿ وَاعَدْنَا ﴾ هذه صيغة مفاعلة، والأصل فيها أن تكون من جانبين، قال إبراهيم بن السرّى الزجّاج (ت ٣١١هـ): كان من الله الأمر، ومن «موسى» القبول، فلذلك ذكر بلفظ المواعدة. اهـ[١].

* ﴿ مُوسَىٰ ﴾: اسم عبرىّ، وقد عرّبته العرب.

* ﴿ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾: قال أبو العالية الرياحى (ت ١٩٠هـ): هى ذو القعدة وعشر من ذى الحجّة[٢].

يعطيه الله ـ تعالى ـ التوراة عند انقضاء هذه المدّة.

وفى سورة الأعراف قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

وذلك أن بنى إسرائيل لما نجاهم الله ـ تعالى ـ من فرعون وجنوده وخرجوا من البحر سألوا «موسى» أن يأتيهم بكتاب من عند الله، فوعد الله «موسى» أن ينزل عليهم التوراة، فقال «موسى» لقومه: إنى ذاهب لميقات ربى لآتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون، وما تذرون، واستخلف عليهم أخاه «هارون».

* ﴿ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴾:

لما أراد نبىّ الله «موسى» ـ عليه السلام ـ الذهاب إلى ميقات ربه، جاءه «جبريل» ـ عليه السلام ـ على فرس لا يصيب بحافره شيئًا إلا حيى بإذن الله ـ تعالى ـ، فلمّا رآه

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٧٢).

(٢) انظر: الدرّ المنثور للسيوطى (١/ ١٣٤).

موسى السامرىّ، وكان منافقًا أظهر الإسلام، علم أن لهذا شأنا، فأخذ قبضة من تربة حافر فرس «جبريل» ـ عليه السلام ـ وكان بنو إسرائيل قد استعاروا حليًا كثيرة من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر بحجة عُرْس لهم، وبقيت تلك الحلىّ فى أيدى بنى إسرائيل، فلمّا ذهب نبىّ الله «موسى» لميقات ربّه، أخذ موسى السامرىّ تلك الحلىّ وصاغها عِجْلا ثم ألقى القبضة التى أخذها من أثر فرس «جبريل» ـ عليه السلام ـ فى جوف ذلك العجل، فصار له خوار، فقال لهم السامرىّ: هذا إلهكم، فعبدوه من دون الله ـ تعالى ـ، وهم ظالمون فى ذلك.

يوضح هذه المعانى قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي (٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩) ﴾ [طه: ٨٥ ـ ٨٩].

القراءات وتوجيهها:

﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [البقرة: ٥١]

﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ﴾ [الأعراف: ١٤٢]

﴿ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ ﴾ [طه: ٨٠]

قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب: «وعدنا» بغير ألف بعد الواو، على أن الوعد من الله ـ تعالى ـ؛ لأن الفعل مضاف إليه وحده، وأيضًا فإنّ ظاهر اللفظ يفيد أن الوعد من الله لـ «موسى» ـ عليه السلام ـ، وليس فيه وعد من موسى فوجب حمله على الواحد لظاهر النصّ.

وقرأ الباقون من القراء العشرة «واعدنا» بألف بعد الواو، من المواعدة، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ وعد «موسى» الوحى على الطور، و«موسى» وعد الله المسير لما أمره به[١].

* ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾ أى: محونا ذنوبكم، وغفرناها لكم.

* ﴿مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أى: من بعد عبادتكم العجل.

* ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أى: لكى تشكروا الله ـ تعالى ـ على عفوه عنكم، وغفرانه لكم.

و «الشكر»: هو طاعة الله ـ تعالى ـ بجميع الجوارح فى السرّ والعلانية، مع الإخلاص.

وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): شكر النعمة ذكرها، ودليل ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٥٣)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾: ﴿إِذْ﴾ ظرف لما مضى من الزمان، وهو متعلق بفعل محذوف تقديره: «واذكر إذ آتينا موسى»... إلخ، و ﴿إِذْ﴾ فى محل نصب بالفعل المحذوف.

* ﴿آتَيْنَا﴾ أى: أعطينا. * ﴿مُوسَى﴾ هو نبىّ بنى إسرائيل.

* ﴿الْكِتَابَ﴾ أى: التوراة.

* ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): هو التوراة، ذكرها الله باسمين[٢].

---

(١) قال ابن الجزرى: واعدنا اقصرا مع طه الأعراف (حـ)ـلا (ظـ)ـلم (ثـ)ـرا
وانظر: النشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٢/ ٤٠٠)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٣٩)، وحجة القراءات لابن زنجلة ص٩٦، وإتحاف فضلاء البشر للدمياطى ص ١٣٥، والمغنى فى توجيه القراءات للدكتور/ محمد سالم محيسن (١/ ١٣٧)، والمهذب فى القراءات العشر للدكتور/ محمد سالم محيسن (١/ ٥٦)، والمستنير فى تخريج القراءات للدكتور/ محمد سالم محيسن (١/ ٢٠ ـ ٢١).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٧٣).

وأقول الدليل على قول مجاهد قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ﴾ [الأنبياء: ٤٨].

* ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ أي: لتهتدوا بالعمل بما جاء فيها.

قال تعالى: ﴿**وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً** (٢)﴾ [الإسراء: ٢].

* ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٥٤) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ﴾: ﴿إِذْ﴾ ظرف الماضي من الزمان وهو متعلق بفعل محذوف، والتقدير: «واذكر إذْ قال موسى لقومه» إلخ.

* «القوم»: الجماعة من الرجال دون النساء، والدليل على ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾ [الحجرات: ١١].

والمراد: قوم موسى الذين عبدوا العجل.

* ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ ﴾: إلهًا فقالوا: فأيّ شيء نصنع؟ فقال: * ﴿ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾ أي: خالقكم. و «الباريء»: المنشئ للأعيان من العدم إلى الوجود. و «الخالق»: المقدر والمقلّب للشيء بالتدبير إلى غيره، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ﴾ [الزمر: ٦]

قالوا: كيف نتوب؟ قال: ﴿ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ أي: ليقتل البريء منكم المجرم.

* ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ أي: القتل. * ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ ﴾ أي: خالقكم.

فلما أمرهم نبيّ الله «موسى» بالقتل قالوا: يا «موسى» كيف نفعل؟ فأرسل الله ـ تعالى ـ عليهم سحابة سوداء، فصاروا لا يبصر بعضهم بعضًا، ثم أخذ يقتل البريء منهم المجرم.

فلمّا كثر القتل دعا «موسى وهارون» ـ عليهما السلام ـ ربهما وبكيا وتضرعا إلى الله وقالا: يا ربّ هلكت بنو إسرائيل البقيّة البقيّة، فكشف الله السحابة وأمرهم أن يكفوا عن القتل.

أخرج ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما ـ) قال: أمر «موسى» قومه عن أمر ربّه أن يقتلوا أنفسهم، واحتبى الذين عكفوا على العجل فجلسوا، وقام الذين لم يعكفوا على العجل، فأخذوا الخناجر بأيديهم، وأصابتهم ظلمة شديدة فجعل يقتل بعضهم بعضًا، فانجلت الظلمة عنهم وقد أجلوا عن سبعين ألف قتيل. اهـ[1].

* ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: قبل الله توبتكم، وتجاوز عنكم.

* ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ أي: القابل لتوبة التائبين.

* ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم، وصدق الله إذ قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورى: ٢٥].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿بَارِئِكُمْ﴾: معًا، قرأ الدوري عن أبي عمرو بثلاثة أوجه:

الأول: إسكان الهمزة، والثاني: اختلاس حركة الهمزة، والثالث: الحركة الخالصة.

وقرأ السوسي عن أبي عمرو بوجهين: بالإسكان، وبالاختلاس.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بالحركة الخالصة.

وجه من قرأ بالإسكان التخفيف، وهو لهجة بني أسد، وتميم، وبعض نجد.

ووجه الاختلاس: التخفيف، وهو لهجة لبعض قبائل العرب.

ووجه من قرأ بالحركة الخالصة: أنه أتى بالكلمة على أصلها[2].

---

(١) انظر: الدرّ المنثور للسيوطي (١/ ١٣٥).

(٢) قال ابن الجزري: بادئكم إلى قوله: سكن واختلس (حـ)ـلا والخلف (طـ)ـب

انظر: المهذب في القراءات العشر للدكتور/ محمد سالم محيسن (١/ ٥٦ ـ ٥٧)، والمغني في توجيه القراءات للدكتور/ محمد سالم محيسن (١/ ١٣٩ ـ ١٤٠)، والإرشادات الجليّة في القراءات السبع للدكتور/ محمد سالم محيسن ص٣٦.

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ ﴾: ﴿ إِذْ ﴾ ظرف لما مضى من الزمان، وهو متعلق بفعل محذوف، والتقدير: واذكروا إذ قلتم يا «موسى»... إلخ.

* ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ أي: لن نصدقك حتى نرى الله جهرة، أي: عيانًا.

وذلك أن الله ـ تعالى ـ أمر نبيّه «موسى» ـ عليه السلام ـ أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختار «موسى» سبعين رجلا من خيار قومه وقال لهم: صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم، ففعلوا، يدلّ على ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

فخرج بهم نبيّ الله «موسى» ـ عليه السلام ـ إلى طور سيناء لميقات ربّه، فضرب دونهم الحجاب، وسمعوا نبيّ الله «موسى» وهو يكلم الله فلما فرغ «موسى» من كلام ربّه، أقبل عليهم فقالوا له: ﴿ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾.

* ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾ أي: الموت، وقيل: نار نزلت من السماء فأحرقتهم.

* ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ أي: ينظر بعضكم إلى بعض حين أخذتكم الصاعقة.

* ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم ﴾ أي: أحييناكم. * ﴿ مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾: قال قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨هـ): أحياهم الله ـ تعالى ـ ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم[1].

* ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي: لتشكروا الله ـ تعالى ـ الذي أحياكم بعد الموت.

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٥٧) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ﴾ أي: في التيه، ليقيهم حرّ الشمس، ومدّة التيه كانت أربعين سنة.

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ٧٥).

يدلّ على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦)﴾ [المائدة: ٢٦].

و ﴿الْغَمَامَ﴾: جمع غمامة، مثل: سحابة تجمع على سحاب.

و ﴿الْغَمَامَ﴾: من الغمّ، وأصله: التغطية والستر، وسمّى السحاب غمامًا؛ لأنه يغطى وجه الشمس. وذلك أنه لم يكن لهم فى التّيه شيء يستترون به، فشكوا إلى موسى حرّ الشمس فأرسل الله ـ سبحانه وتعالى ـ غمامًا أبيض رقيقًا أطيب من غمام المطر.

* ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ﴾ أى: فى التّيه. * ﴿الْمَنَّ﴾ وهو الترنجبين ـ بتشديد التاء، وتسكين النون.

* ﴿وَالسَّلْوَىٰ﴾ أى: الطير السمانى.

قاله الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ)[١].

* ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أى: وقلنا لهم كلوا من حلالات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ولا تدّخروا لغد، فخالفوا أمر الله وادّخروا فقطع الله ذلك عنهم، وفسد ما ادّخروه.

* ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أى: فعصوا وخالفوا أمر الله ـ تعالى ـ، ولم يقابلوا نعمه بالشكر، فترتب على ذلك أن منع الله عليهم النعم التى كان ينزلها عليهم فى التيه، إذًا فهم حينئذ الظالمون لأنفسهم. وصدق الله إذ قال: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧)﴾ [إبراهيم: ٧].

* ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): هى بيت المقدس[٢].

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٧٥).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٧٦).

وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): هى أريحاء[١].

وسميّت القرية قرية لأنها تجمع أهلها فيقرون فيها.

* ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ أى: أكلا واسعًا كثيرًا.

* ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾: الباب يجمع على أبواب. أى: بابًا من أبواب هذه القرية.

* ﴿سُجَّدًا﴾ قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: أى منحنين ركوعا[٢].

* ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): أى: حطّ عنا خطايانا[٣].

و ﴿حِطَّةٌ﴾ أجمع القراء على قراءتها بالرفع، وهى حينئذ خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: مسألتنا حطة.

* ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾: ﴿نَّغْفِرْ﴾ فعل مضارع مشتق من «الغَفْر» وهو الستر، فالمغفرة: تستر الذنوب.

* ﴿خَطَايَاكُمْ﴾: جمع خطيئة أى: ذنوبكم.

* ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾: ثوابًا تفضلا وكرمًا، وصدق الله إذْ قال: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]

* ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾: أى: غير الذين ظلموا أنفسهم وقالوا قولا غير الذى قيل لهم.

عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «قيل لبنى إسرائيل ادخلوا الباب سجّدا وقولوا حطّة يغفر لكم خطاياكم فبدّلوا فدخلوا الباب يزحفون على أستاههم وقالوا حبّة فى شعرة» اهـ[٤].

* ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ قيل: أرسل الله عليهم طاعونًا فهلك منهم سبعون ألفًا.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٧٦).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١/ ٢٧٩).

(٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٧٦).

(٤) رواه مسلم، انظر: تفسير القرطبى (١/ ٢٧٩).

* ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ أي: بسبب فسقهم وخروجهم على أوامر الله ـ تعالى ـ.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ﴾ [رقم: ٥٨]

قرأ نافع، وأبو جعفر: ﴿يُغفَر﴾ بياء التذكير المضمومة، وفتح الفاء، على البناء للمجهول، و ﴿خطاياكم﴾ نائب فاعل.

وقرأ ابن عامر ﴿تُغفَر﴾ بتاءالتأنيث المضمومة، فتح الفاء على البناء للمجهول أيضًا، و ﴿خطاياكم﴾ نائب فاعل.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿نَغفِر﴾ بالنون المفتوحة، وكسر الفاء، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا تقديره «نحن» و ﴿خَطاياكم﴾ مفعول به(١).

﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٦٠) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ﴾: السين والتاء للطلب أي: طلب وسأل الله ـ تعالى ـ السَّقْيَ لقومه وهم فى التّيه، فأوحى الله إليه بقوله:

* ﴿ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: كان حجرًا خفيفًا مربّعًا على قدر رأس الرجل، كان يضعه فى مخلاته فإذا احتاجوا إلى الماء وضعه وضربه بعصاه(٢).

وقال عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ): كان للحجر أربعة وجوه لكل وجه ثلاثة أعين، لكل سبط عين(٣).

(١) قال ابن الجزرى: يغفر مَدًّا أنث هنا (كـ)ـم

انظر: النشر لابن الجزرى بتحقيقنا (٢/ ٤٠٤)، وحجة القراءات لابن زنجلة ص٩٧، والمغنى فى توجيه القراءات للدكتور/ محمد سالم محيسن (١/ ١٤١)، والمهذب فى القراءات العشر للدكتور/ محمد سالم محيسن (١/ ٥٧)، والمستنير فى تخريج القراءات للكتور/ محمد سالم محيسن (١/ ٢١)، والإرشادات الجليّة للدكتور/ محمد سالم محيسن ص٣٧.

(٢ ، ٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٧٧).

* ﴿ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ أي: فضرب الحجر ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ أي: سالت منه. * ﴿اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ «اثنتا» فاعل مرفوع بالألف نيابة عن الضمة لأنها مثنى و «عشرة»: عوض عن النون فى «اثنان» و «عينا» تمييز.

أخرج ابن جرير الطبرى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - فى قوله - تعالى -: ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ﴾ الآية. قال: ذلك فى التّيه ضرب لهم موسى الحجر فصار فيه اثنتا عشرة عينا من ماء، لكل سبط منهم عين يشرب منها[١].

* ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ أي: علم كل سبط منهم موضع شربه بحيث لا يدخل سبط على غيره.

والأسباط فى بنى إسرائيل كالقبائل فى العرب، وهم ذرّية الاثنى عشر أولاد «يعقوب» - عليه السلام -.

* ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ ﴾ أي: قال الله لهم على لسان نبىّ الله «موسى» - عليه السلام -: كلوا من المنّ والسلوى واشربوا من هذا الماء العذب السلسبيل، فهذا كله من رزق الله يأتيكم به بلا مشقة، ولا معاناة.

* ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾: العثوّ: أشدّ الفساد و «مفسدين» حال، ولعلّ الحكمة من التكرير: التأكيد.

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ ﴾: كان هذا القول فى التّيه حين ملّوا وسئموا من أكل المنّ والسلوى، وتذكروا عيشهم الأوّل بمصر.

(١) انظر: الدرّ المنثور للسيوطى (١/ ١٤٠).

* ﴿ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ أي: سل لأجلنا ربك.

* ﴿ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾: البقل: هو كل نبات ليس له ساق. والقثاء: معروفة.

* ﴿ وَفُومِهَا ﴾: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: الفوم: الثوم، وقال الحسن البصرى: الفوم: الحنطة[1].

* ﴿ وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾ معروفان.

قال لهم نبى الله «موسى» ـ عليه السلام ـ:

* ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾: الاستبدال: وضع الشيء موضع الآخر.

* ﴿ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ ﴾ أي: أخسّ وأردأ.

* ﴿ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾ أي: أفضل وأشرف.

* ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا ﴾ المعنى: إن أبيتم إلا ما طلبتم فانزلوا مصرًا من الأمصار.

* ﴿ فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ أي: ما طلبتم.

* ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾ أي: ألزموهما، وقضى عليهم بهما، و ﴿الذِّلَّةُ﴾: الذلّ والهوان، وقيل: ضَرْبُ الجزية عليهم، و «المسكنة»: أثر الفقر، فأنت ترى اليهود وإن كانوا أغنياء إلا أنهم كأنهم فقراء.

* ﴿ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ أي: رجعوا بسخط الله ـ تعالى ـ، ولا يقال: باء إلا بالشرّ.

* ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: غضب الله ـ تعالى ـ عليهم.

* ﴿ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ أي: بسبب كفرهم بآيات الله ـ تعالى ـ مثل: الكفر بنبوّة نبينا «محمد» ﷺ، والقرآن الكريم، وكفرهم بنبوّة «عيسى، ويحيى، وزكريا» ـ عليهم السلام ـ.

* ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ أي: وبسبب قتلهم أنبياء الله ـ تعالى ـ ظلمًا وعدوانًا.

---

(١) انظر: الدرّ المنثور للسيوطى (١/ ١٤١).

فإن قيل: ما الحكمة في التعبير بقوله ـ تعالى ـ: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ وقتل النبيين لا يكون إلا بغير الحق؟ أقول: حكاية لما صدر منهم.

* ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ هذا تأكيد لما قبله، أي: غضب الله عليهم بسبب عصيانهم أوامر الله ـ تعالى ـ وبسبب اعتدائهم على حدود الله وقتلهم الأنبياء بغير حقّ، والعصيان: خلاف الطاعة، والاعتداء: تجاوز الحدّ.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ [رقم: ٦١]

قرأ أبو عمرو بكسر الهاء والميم وصلا.

وقرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف البزّار: بضم الهاء والميم وصلا.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بكسر الهاء وضم الميم وصلا.

وكل القراء يقفون بكسر الهاء، وإسكان الميم، سوى حمزة ويعقوب، فإنهما يقفان بضم الهاء، وإسكان الميم(١).

* ﴿النَّبِيِّينَ﴾: قرأ نافع بالهمز على الأصل؛ لأنه من النبأ وهو الخبر.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بياء مشدّدة، على الإبدال والإدغام(٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)﴾

سبب نزول هذه الآية:

أخرج ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) قال: سأل سلمان الفارسيّ ـ رضي الله عنه ـ النبيّ ﷺ عن أولئك النصارى، وما روى من أعمالهم، قال: لم يموتوا على الإسلام، قال سلمان: فأظلمت عليّ الأرض، وذكرت اجتهادهم، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الآية.

(١ ، ٢) انظر: المهذب في القراءات العشر للدكتور/ محمد سالم محيسن (١/ ٥٩).

فدعـا سلمـان فقـال: نزلت هذه الآية فى أصحـابك، ثم قال: من مـات على دين «عيسى» قبل أن يسمع بى فهو على خير، ومن سمع بى ولم يؤمن فقد هلك. اهـ[١].

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى: صدّقوا بالنبى «محمد» ﷺ.

* ﴿ وَالَّذِينَ هَادُوا ﴾ أى: اليهـود، سُمّوا بذلـك لقولهـم: ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ أى: تبنا إليك، قـال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

* ﴿ وَالنَّصَارَى ﴾: جمع واحده نصرانىّ.

قـيل: سمّوا بذلك لـقـول الحواريين نحن أنصار الله. والدليل على ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) ﴾ [آل عمران: ٥٢].

* ﴿ وَالصَّابِئِينَ ﴾: جمع صابئ، وأصله الخروج، يقـال: صبأ فلان أى خرج من دين إلى دين آخر، فهؤلاء سمّوا بذلك لخروجهم من دين إلى دين.

قال ابن عبّاس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما): لا تحلّ ذبائحهم، ولا مناكحتهم[٢].

* ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ أى: صدّق بوحـدانية الله وصدّق بمـا فى اليوم الآخر من حساب، وجزاء، وعقاب، وجنة، ونار... إلخ.

* ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ أى: لـهـم ثـواب أعـمالـهـم عنـد الله ـ تـعالى ـ ولا يظلم ربك أحداً، وصـدق الله إذ قال: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧) ﴾ [الأنبياء: ٤٧]

فإن قيل: لم جُمِع الضمير فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ مفرد وليس بجمع؟.

(١) انظر: الدرّ المنثور للسيوطى (١/ ١٤٥)، وأسباب النزول للواحدى ص٢٨.

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٧٩).

أقول: إنّ ﴿مَنْ﴾ تصلح للواحد، والاثنين، والجمع، والمذكر، والمؤنث، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٢]، عاد الضمير جمعًا على معنى ﴿مَنْ﴾.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [محمد: ١٦]، عاد الضمير مفرداً على اللفظ.

* ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: في الدنيا. * ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: في الآخرة، لما يجدونه من الفضل العظيم، والثواب الجزيل، والنعيم الدائم الذي لا ينقطع أبداً.

وصدق الله إذْ قال: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠)﴾ [غافر: ٤٠].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾: قرأ نافع، وأبو جعفر ﴿والصابين﴾ بحذف الهمزة للتخفيف.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بالهمزة على الأصل. وهما لهجتان فصيحتان[١].

ويوقف عليها لحمزة بالتسهيل بين بيْن، وبحذف الهمزة على الرسم العثماني.

* ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ قرأ يعقوب بفتح الفاء وحذف التنوين على أن «لا» نافية للجنس تعمل عمل إنّ تنصب الاسم، وترفع الخبر.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بالرفع والتنوين، على أنّ «لا» ملغاة لا عمل لها[٢].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٦٤)﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ أي: عهدكم يا معشر اليهود.

---

(١) قال ابن الجزري: صابون صابين (مدًا)

انظر: المهذب في القراءات العشر للدكتور/ محمد محيسن (١/ ٥٩)، والإرشادات الجلية في القراءات السبع للدكتور/ محمد محيسن ص٣٨.

(٢) قال ابن الجزري: لا خوف نوّن رافعا لا الحضرمي

* ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ أي: الجبل.

قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): الطور اسم للجبل الذى كلّم الله عليه نبيه موسى ـ عليه السلام ـ وأنزل عليه فيه التوراة[١].

وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): الطور اسم لكل جبل[٢].

فإن قيل: ما سبب رفع الطور على بنى إسرائيل؟

أقول: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: سبب ذلك أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنزل التوراة على «موسى» ـ عليه السلام ـ، فأمر «موسى» قومه أن يقبلوها ويعملوا بأحكامها، فأبوا أن يقبلوها..... فأمر الله ـ تعالى ـ «جبريل» ـ عليه السلام ـ فقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان فرسخًا فى فرسخ فرفعه فوق رءوسهم مثل قامة الرجل كالظلة، وقال لهم: إن لم تقبلوا التوراة أرسلت هذا الجبل عليكم. اهـ[٣].

* ﴿ خُذُوا ﴾ أي: قال الله ـ تعالى ـ لهم: خذوا.

* ﴿ مَا آتَيْنَاكُم ﴾ أي: أعطيناكم. * ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ أي: بجدّ واجتهاد.

* ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ أي: تدبّروه، واحفظوا أوامره، ووعيده، ولا تنسوه، ولا تضيعوه.

* ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أي: لكى تنجوا من الهلاك فى الدنيا، والعذاب الأليم فى الآخرة.

ويؤيد هذه الآية فى المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧١) ﴾

[الأعراف: ١٧١]

* ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم ﴾: أعرضتم. * ﴿ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾: أي: من بعد أخذ الميثاق عليكم، ورفع الجبل فوقكم.

* ﴿ فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ أي: بالإمهال، وتأخير العذاب عنكم.

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١/ ٢٩٦).

(٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٨٠).

* ﴿لَكُنتُم﴾ أي: لصرتم. * ﴿مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أي: من المعذبين في الحال، إلا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ رحمكم بالإمهال، وصدق الله إذ قال: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢ ـ ٤٣].

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾: أي: عرفتم الذين جاوزوا الحدّ منكم في يوم السبت: وذلك أن اليهود كانوا بأرض يقال لها: «أَيْلة» بأرض فلسطين، وقد حرّم الله ـ تعالى ـ عليهم صيد السمك يوم السبت، فكان إذا دخل السبت تأتيهم الحيتان شرّعا ظاهرة فوق الماء، فإذا مضى السبت تفرقت الحيتان ولزمت قعر البحر فلا يُرى شيء منها، فعمد بعضهم فحفروا الحياض حول البحر، وشرعوا منه إليها الأنهار، فإذا كانت عشيّة «الجمعة» فتحوا تلك الأنهار فيقبل الموج بالحيتان إلى الحياض، فإذا كان يوم الأحد أخذوا تلك الحيتان.

يؤيد هذا المعنى قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعراف: ١٦٣].

* ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً﴾ هذا أمر تحويل، أي: صيروا قردة فصاروا؛ لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ إذا أراد شيئًا قال له: «كُن» فإنه يكون، وما ذلك عليه بعزيز.

* ﴿خَاسِئِينَ﴾ أي: مبعدين، ومطرودين من رحمة الله ـ تعالى ـ.

وصدق الله إذ قال: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

* ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً﴾ أي: جعلنا عقوبة مسخ اليهود عبرة، وعظة، والنكال: الزجر والعقوبة.

وصدق الله إذْ قال: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨) ﴾ [المائدة: ٣٨].

* ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾: قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ):

* أراد الله ـ تعالى ـ بما بين يديها يعنى: ما سبق من الذنوب، أى: جعل تلك العقوبة جزاء لما تقدّم من ذنوبهم قبل نهيهم عن صيد السمك يوم السبت[١].

* ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾: قال أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ): جعلت المسخة نكالا لما مضى من الذنوب، ولما يُعْمَل بعدها ليخافوا المسخ بذنوبهم، قال ابن عطيّة عبد الحق بن غالب بن عبد الرءوف (ت ٥٤٦هـ): وهذا قول جيّد[٢].

* ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾: الذين يخافون الله ـ تعالى ـ فلا يفعلون مثل فعلهم.

والوعظ: التخويف، وقال الخليل بن أحمد الفراهيدى (ت ١٧٠هـ): الوعظ: التذكير بالخير فيما يرقّ له القلب. اهـ[٣].

وخصّ الله ـ تعالى ـ المتقين بالذكر؛ لأنهم هم المنتفعون بالموعظة دون غيرهم، وصدق الله إذْ قال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧)﴾ [ق: ٣٧].

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾، البقرة: هى الأنثى من البقر، والقصة كما يلى:

أخرج ابن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ) عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كان فى بنى إسرائيل رجل غنىّ وله ابن عمّ فقير لا وارث له سواه، فلما طال عليه موته قتله ليرثه، وحمله إلى قرية أخرى وألقاه بفنائهم، ثم أصبح يطلب

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٨١).
(٢ ، ٣) انظر: تفسير القرطبى (١/ ٣٠١).

ثأره، وجاء بناس إلى نبيّ الله «موسى» يدّعي عليهم القتل، فسألهم نبيّ الله «موسى» فجحدوا وأنكروا القتل، وفاشتبه أمر القتيل على نبيّ الله «موسى»، فسألوا نبيّ الله «موسى» أن يدعو الله ليبين لهم حقيقة الأمر، فدعا نبيّ الله «موسى» ربّه، فأمرهم الله ـ تعالى ـ بذبح بقرة، فقال لهم «موسى»: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾[1].

* ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ أي: أتستهزئ بنا، نحن نسألك عن أمر القتيل، وأنت تأمرنا بذبح بقرة.

* ﴿قَالَ﴾ أي: «موسى». * ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ﴾ أي: أمتنع وأعتصم بالله ـ تعالى ـ.

* ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: المستهزئين؛ لأن الاستهزاء لا يجوز بأيّ حال من الأحوال، وبخاصّة للأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

وصدق الله ـ تعالى ـ إذْ حرّم الاستهزاء والسخرية فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الحجرات: ١١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ قرأ أبو عمرو البصري بإسكان الراء، وباختلاس ضمتها للتخفيف.

وللدوري عن أبي عمرو وجه ثالث وهو الضمة الكاملة كباقي القراء العشرة، على الأصل[2].

* ﴿هُزُوًا﴾ حيثما وقع: قرأ حفص: ﴿هزوًا﴾ بإبدال الهمزة واوًا للتخفيف، مع ضم الزاي وصلا ووقفًا.

وقرأ حمزة ﴿هزْؤا﴾ بالهمزة على الأصل، مع إسكان الزاي وصلا فقط، ويقف عليها بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وبإبدال الهمزة واوًا على الرسم.

وقرأ خلف البزّار: ﴿هزْؤا﴾ بالهمزة مع إسكان الزاي وصلا ووقفًا.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿هزُؤا﴾ بالهمزة مع ضمّ الزاي وصلا ووقفًا[3].

---

(١) انظر: القصة بتمامها في الدرّ المنثور (١/ ١٤٨ ـ ١٤٩).

(٢) انظر: المهذب في القراءات العشر (١/ ٥٩). (٣) انظر: المغني في توجيه القراءات (١/ ١٤٢).

﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ﴾ أى: ما سنّها، إذْ ماهيّة الشيء: حقيقته، وذاته التى هو عليها.

* ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾، أى: لا كبيرة، ولا صغيرة.

إذ «الفارض»: المسنّة التى لا تلد لكبرها.

و «البكر»: الصغيرة التى لم تلد قط لصغرها.

و «العوان»: الوسط بين المسنّة، والصغيرة.

* ﴿ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾: من ذبح البقرة التى أمركم الله ـ تعالى ـ بذبحها.

والأمر هذا تأكيد للأمر السابق، وفى ذلك إشارة إلى طلب الطاعة، والامتثال، وعدم المخالفة.

﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ﴾: اللون واحد الألوان، وهو هيئة كالبياض، والسواد، والحمرة، والصفرة.

* ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: شديدة الصفرة[1].

* ﴿ تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ أى: من ينظر إليها يعجبه حسنها وصفاء لونها.

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٨٣).

﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ﴾: أسائمة، أو عاملة.

* ﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾ أي: جنس البقر التبس، واشتبه أمره علينا فلا نهتدي إليه.

* ﴿ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ أي: إلى وصفها.

قال رسول الله ﷺ: «لولا أن بني إسرائيل قالوا: ﴿ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ ما أعطوا أبدًا، ولو أنهم اعترضوا بقرة من البقر فذبحوها لأجزأت عنهم، ولكنهم شدّدوا فشدّد الله عليهم» اهـ[١].

﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ ﴾ أي: لم يذلّلها العمل.

* ﴿ تُثِيرُ الْأَرْضَ ﴾: أي: هي بقرة لم يذلّلها العمل بحرث الأرض، وحينئذ يكون الوقف على قوله ـ تعالى ـ: ﴿ تُثِيرُ الْأَرْضَ ﴾ حسن.

* ﴿ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ ﴾ أي: من أوصاف هذه البقرة أنها لم تسق الزرع.

من هذا يتبيّن أنّ الله وصف هذه البقرة بوصفين:

الأول: أنها غير مذلّلة بحرث الأرض.

والثاني: عدم سقيها للزّرع.

ويؤيد هذا المعنى قول الحسن البصري (ت ١١٠هـ): كانت هذه البقرة وحشية، ولهذا وصفها الله ـ تعالى ـ بأنها لا تثير الأرض، ولا تسقي الحرث. اهـ[٢].

* ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ أي: أنها بقرة سليمة من العرج، وسائر العيوب، أي: سليمة القوائم لا أثر فيها بسبب العمل.

(١) رواه أبو هريرة، انظر: الدرّ المنثور (١/ ١٥٠).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١/ ٣٠٧).

ولا يصحّ أن يقال: سليمة من العمل، لأن الله نفى العمل عنها.

* ﴿ لاَّ شِيَةَ فِيهَا ﴾ أي: ليس فيها لون يخالف لونها، بل هي صفراء كلها لا بياض فيها، ولا حمرة، ولا سواد.

* ﴿ قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾ أي: بينت الحق.

فأخذوا يبحثون عنها حتى وجدوها بأوصافها التي بينها الله ـ تعالى عند الفتى البارّ بأمّه، فاشتروها بملء جلدها ذهبًا.

* ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ أي: من غلاء ثمنها، ومن شدّة اضطرابهم واختلافهم فيها.

القراءات وتوجيهها:

* «ولا بكر، تثير» قرأ الأزرق عن ورش بترقيق الراء بخلف عنه، والباقون من القراء العشرة بتفخيمها[١].

* ﴿ لاَّ شِيَةَ ﴾ قرأ حمزة بخلف عنه بمدّ «لا» أربع حركات للمبالغة فى النفى[٢].

* ﴿الآنَ﴾ قرأ ورش، وابن وردان عن أبي جعفر بخُلْف عنه بالنقل.

وقرأ الأزرق عن ورش بتثليث مدّ البدل[٣].

* ﴿ جِئْتَ ﴾ قرأ أبو جعفر، وأبو عمرو بخُلْف عنه بإبدال الهمزة وصلا ووقفًا، وكذا حمزة عند الوقف[٤].

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾ هذا أوّل القصّة، وإن كان مؤخّرًا فى التلاوة، والتقدير: وإذ قتلتم نفسًا فادّارءتم فيها، فسأل «موسى» ربّه فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ الآيات.

(١: ٤) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٦٠).

والتأخير في التلاوة جاء في القرآن الكريم في غير موضع، من ذلك قوله ـ تعالى ـ في أول سورة الكهف: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا ﴾ [رقم ١ ـ ٢].

إذ المعنى: الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا لأن «قيّما» حال من «الكتاب»، أى: أنزل على عبده «محمد» ﷺ القرآن حالة كونه قيّما.

* ﴿ فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ أى: اختلفتم، وتنازعتم، وتدافعتم، أى: يحيل بعضكم على بعض، ويتهمه بالقتل.

وأصل «ادّارءتم»: «تدارأتم» فأدغمت التاء فى الدال لوجود التجانس بينهما لأنهما يخرجان من مخرج واحد وهو طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، ثم جيء بهمزة الوصل ليتوصّل بها إلى النطق بالساكن.

مثال ذلك كلمة ﴿ اثَّاقَلْتُمْ ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ ﴾ [التوبة: ٣٨].

* ﴿ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ أى: مظهر ما كنتم تكتمونه إذ القاتل كان يكتم القتل، ولا يقرّ به.

معانى المفردات:

* ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ أى: اضربوا القتيل ببعض البقرة.

واختلف المفسرون فى هذا البعض:

فقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: ضربوه بالعظم الذى يلى الغضروف لأنه المقتل[1].

وقال مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير: ضربوه بعَجْب الذنب لأنه آخر ما يبلى، وأوّل ما يخلق عند البعث ويركّبُ عليه الإنسان[2].

وقال الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥): ضربوه بلسانها[3].

(١: ٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٨٤).

ففعلوا ذلك فقام القتيل حيًا بإذن الله ـ تعالى ـ، وعروق العنق تشخب دمًا، قال قتلني فلان لابن عمّه ثم سقط ميتًا.

* ﴿ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ ﴾: كما أحيا هذا القتيل.

وصدق الله إذ قال: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [يس: ٧٨ ـ ٧٩].

* ﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي: يريكم دلائل قدرته لتصدقوا بما أنزله فتؤمنوا.

وصدق الله إذ قال: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣].

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ أي: يبست، وغلظت، وذلك إشارة إلى خلوّها من الإنابة، والإذعان لآيات الله ـ تعالى ـ.

والقسوة في الأصل: الصلابة، والشدّة، واليبس.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: المراد قلوب أهل القتيل لأنهم حين حيي وأخبر عن قاتله، وعاد إلى موته، أنكروا قتله، وقالوا كذب، بعدما رأوا هذه الآية العظمى فلم يكونوا قط أعمى قلوبًا، ولا أشدّ تكذيبًا لنبيهم منهم عند ذلك(1).

* ﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ أي: قلوبكم في الغلظة والشدّة كالحجارة بل أشد قسوة، و ﴿ أَوْ ﴾ هنا بمعنى الواو، مثال ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [الصافات: ١٤٧].

✻ المعنى: أرسلناه إلى مائة ألف بل يزيدون.

(١) انظر: تفسير القرطبي (١/ ٣١٤).

* و ﴿قَسْوَةً﴾ منصوبة على التمييز.

* ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ﴾: من ذلك «الحجر» الذى ضربه نبىّ الله «موسى» فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا.

* ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ أى: عيونًا دون الأنهار، و ﴿يَشَّقَّقُ﴾ أصلها يتشقق فأدغمت التاء فى الشين، لتقاربهما فى المخرج.

* ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): ما تردّى حجر من رأس جبل، ولا تفجّر نهر من حجر، ولا خرج منه ماء إلا من خشية الله ـ تعالى ـ[١].

وقلوبكم يا معشر اليهود لا تلين، ولا تخشع فويل لكم، وصدق الله إذ قال فى شأن اليهود: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

* ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لأنه لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء، وسيعاتبكم على كفركم وعنادكم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿فَهِيَ﴾: قرأ قالون، وأبو عمرو، والكسائى، وأبو جعفر: بإسكان الهاء للتخفيف، والباقون بكسرها على الأصل. ويوقف عليها ليعقوب بهاء السكت قولا واحدًا، للمحافظة على فتحة البناء[٢].

* ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: قرأ ابن كثير ﴿يعملون﴾ بياء الغيبة، على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، أى: وما الله بغافل عما يعمل هؤلاء الذين قصصنا عليكم قصصهم أيها المسلمون.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بتاء الخطاب، لموافقة نسق ما قبله من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾[٣].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١/ ٣١٥).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٦٠).

(٣) انظر: النشر لابن الجزرى بتحقيقنا (٢/ ٤٠٨)، وحجة القراءات لابن زنجلة ص١٠١، والتيسير لأبى عمرو الدانى ص٧٤، والكشف عن وجوه القراءات لمكى بن أبى طالب (١/ ٤٤٨)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٦٠)، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ١٤٣)، والمستنير فى تخريج القراءات (١/ ٢٢).

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾: هذا استفهام إنكارى، أى: لا تطمعوا أيها المؤمنون فى إيمان هذه الفرقة من اليهود، والخطاب للنبىّ ﷺ وأصحابه، وذلك أنهم كانوا حريصين على إسلام اليهود، للحلف، والجوار الذى كان بينهم.

* ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ﴾: الفريق: اسم جمع لا واحد له من لفظه، ﴿ يَسْمَعُونَ ﴾ فى محلّ نصب خبر ﴿ كَانَ ﴾، ﴿ كَلامَ اللَّهِ ﴾ المراد: التوراة.

* ﴿ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ ﴾: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، والسّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ): هم علماء اليهود الذين يحرّفون التوراة فيجعلون الحرام حلالا، والحلال حرامًا اتباعًا لأهوائهم(١).

* ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ أى: عرفوه، وعلموه، وفهموه.

وهذا توبيخ لهم، أى: إن هؤلاء اليهود قد سلفت لآبائهم، وأجدادهم، أفاعيل سوء، وهؤلاء على شاكلتهم فلا تطمعوا فى إيمانهم.

* ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾: أنهم كاذبون فى هذا التحريف.

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٧٦) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): أن اليهود كانوا يصانعون المؤمنين ليرضوهم، وإذا خلا بعضهم إلى بعض نهى بعضهم بعضًا أن يحدّثوا المؤمنين بما فتح الله عليهم وبيّن لهم فى كتابه من نعت النبىّ «محمد» ﷺ ونبوّته، وقالوا: إنكم إذا فعلتم ذلك احتجوا بذلك عليكم عند ربكم، فنزلت هذه الآية(٢).

(١) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ٤).
(٢) انظر: أسباب النزول للشيخ عبد الفتاح القاضى ص١٤.

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ﴾: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ والحسن البصرىّ، وقتادة بن دعامة السدوسى ـ رحمهما الله تعالى ـ: المراد: منافقو اليهود الذين آمنوا بألسنتهم، ولم تؤمن قلوبهم، إذا لقوا المؤمنين المخلصين، قالوا آمنا كإيمانكم(١).

* ﴿ وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ أى: إذا رجع بعض اليهود أمثال: كعب بن الأشرف وغيره من رؤساء اليهود.

* ﴿ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾: قال الكسائى على بن حمزة النحوى (ت ١٨٠هـ): بما بينه لكم من العلم بصفة النبى «محمد» ﷺ ونعته(٢).

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنّى (ت ٢١٠هـ): بما منّ الله عليكم وأعطاكم(٣).

* ﴿ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ أى: ليخاصموكم به عند ربكم، فى الدار الآخرة، ويقيموا عليكم الحجة، فيعاقبكم الله ـ تعالى ـ لعدم إيمانكم بما أنزله عليكم.

* ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ هذا استفهام إنكارى، أى: لا يصح أن تحدّثوا المؤمنين بما فتح الله عليكم.

﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾: هذا استفهام معناه: التوبيخ والتقريع؛ لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يعلم خائنة الأعين، وما تخفى الصدور، ولا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.

* ﴿ مَا يُسِرُّونَ ﴾ أى: يخفون.

* ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ أى: يظهرون.

(١ : ٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٨٧).

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ (٧٨) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ﴾ أي: من اليهود أميّون لا يقرأون ولا يكتبون.

* و ﴿ أُمِّيُّونَ ﴾ جمع «أميّ» منسوب إلى «الأمّ» كأنه باق على الكيفية التي ولد عليها، ولم يتعلّم قراءة ولا كتابة.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ﴾ [الجمعة: ٢]

وقال ـ تعالى ـ في وصف نبينا «محمد» ﷺ بأنه «أميّ» لا يقرأ ولا يكتب: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨) ﴾ [العنكبوت: ٤٨]

* ﴿ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ ﴾:

* ﴿ لا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: لا يعرفون. * ﴿ الْكِتَابَ ﴾ المراد به التوراة.

* ﴿ إِلاَّ ﴾ بمعنى «لكن» كقوله ـ تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) ﴾ [النساء: ١٥٧].

أي: وإن الذين اختلفوا فيه ما لهم به من علم، لكن اتباع الظن.

* ﴿ أَمَانِيَّ ﴾: جمع أمنية، وهي التلاوة، من ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ [الحج: ٥٢].

ومعنى «أمنيته» أي قراءته، ولذا قال ـ تعالى ـ بعد ذلك ﴿ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) ﴾ [الحج: ٥٢].

وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) وقتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨هـ): معنى ﴿ إِلاَّ أَمَانِيَّ ﴾: إلا كذبًا، وباطلا[1].

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ٨٨).

وأقول: وحينئذ يكون المراد بالأماني: الأشياء التي كتبها أحبار اليهود من عند أنفسهم، ثم نسبوها إلى الله ـ تعالى ـ كذبًا وزورًا.

* ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾: «إنْ» هنا بمعنى «ما» النافية، مثال ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ (٢٠) ﴾ [الملك: ٢٠].

أي: ما الكافرون إلا في غرور.

* ﴿ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾ أي: ما يظنون إلا ظنًّا، وتوهمًا لا يقينًا؛ لأنهم لا علم لهم بحقيقة ما يتلون، وإنما هم مقلدون لأحبارهم فيما يقرءونه.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ إِلاَّ أَمَانِيَّ ﴾: قرأ أبو جعفر «أماني» وبابه مثل: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ [النساء: ١٢٣] بتخفيف الياء المفتوحة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بتشديد الياء.

ووجه قراءة الجمهور: أن ﴿ أَمَانِيَّ ﴾ جمع «أمنية» وأصلها «أمنوية» على وزن «أفعولة» اجتمعت الواو، والياء، وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء، للتماثل.

ووجه قراءة أبي جعفر أن «أفعولة» جمعت على «أفاعل» مع عدم الاعتداد بالواو التي كانت في المفرد كما جمع «مفتاح» على «مفاتح»[1].

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

أولا: عن ابن عباس (ت ٦٨هـ رضي الله عنهما) قال: نزلت هذه الآية في أحبار اليهود وجدوا نعت النبي ﷺ في التوراة أنه أكحل، أعين، ربعة، جعد الشعر، حسن الوجه، فمحوه بأيديهم حسدًا وبغيًا، ووضعوا مكانه: إنه طويل، أزرق، سبط الشعر. اهـ[2].

---

(١) انظر: النشر لابن الجزري بتحقيقنا (٢/ ٤٠٩)، وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي ص١٣٩، والمهذب في القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٦١)، والمغني في توجيه القراءات (١/ ١٤٤).

(٢) انظر: أسباب النزول للشيخ عبد الفتاح القاضي ص١٤.

ثانيًا: قال الكلبي محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ): نزلت هذه الآية في الذين غيروا صفة النبي ﷺ في كتبهم وجعلوه: آدم، سبطًا، طويلا، وكان ربعة أسمر ﷺ، وقالوا لأصحابهم، وأتباعهم: انظروا إلى صفة النبي الذي يُبعث في آخر الزمان، ليس يشبه نعت هذا، وكانت للأحبار والعلماء مأكلة من سائر اليهود، فخافوا أن تذهب مأكلتهم إن بيّنوا الصفة، فمن ثَمَّ غيروا. اهـ[١].

❀ معاني المفردات:

* ﴿فَوَيْلٌ﴾ اختلف العلماء في «الويل» ما هو:

١ ـ فعن أبي سعيد الخدريّ ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «الويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره، والصعود جبل من نار يتصعّد فيه سبعين خريفًا ثم يهوى فهو كذلك» اهـ[٢].

٢ ـ وقال سعيد بن المسيّب (ت ٩٤هـ ـ رحمه الله تعالى): ويل واد في جهنم لو سيّرت فيه جبال الدنيا لانماعت، ولذابت من شدّة حرّه. اهـ[٣].

* ﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾: قوله ـ تعالى ـ: ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ تأكيد لما قبله؛ لأنه قد علم أن «الكتب» لا يكون إلا باليد، فهو مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

* ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾: وذلك أن أحبار اليهود خافوا ذهاب مأكلتهم، وزوال رياستهم حين قدم النبي ﷺ المدينة فاحتالوا في تعويق اليهود عن الإيمان به فعمدوا إلى صفته في التوراة فغيروها، فإذا سألهم عامة اليهود عن صفته قرأوا لهم ما كتبوه فيجدونه مخالفًا لصفته فيكذبونه.

* ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: مما كتبوه بأيديهم كذبًا وبهتانًا من تغيير صفة النبيّ «محمد» ﷺ.

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص٢٩، وانظر أيضًا: تفسير القرطبي (٢/ ٩).

(٢) انظر: تفسير البغوي (١/ ٨٩).

(٣) انظر: تفسير البغوي (١/ ٨٨ ـ ٨٩).

* ﴿ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾: من المآكل، وكرّر الله ـ تعالى ـ ذكر «الويل» فى هذه الآية ثلاث مرّات للتأكيد على أن عذاب الله واقع بهم لا محالة، وصدق الله إذْ قال: ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) ﴾ [الحج: ١٩ ـ ٢٢].

﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨٢) ﴾

سبب نزول الآية رقم ٨٠:

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: أن بعض اليهود كانوا يقولون: إنّ مدّة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نعذب بكل ألف سنة من أيام الدنيا يومًا واحدًا فى النار، فهى سبعة أيام معدودة ثم ينقطع العذاب.

وكان بعضهم يقول: لن تمسنا النار إلا أربعين يومًا وهى المدّة التى عبدنا فيها العجل فإذا انقضت انقطع عنّا العذاب، ثم يخلفنا فيها أناس، وأشاروا إلى النبىّ ﷺ وأصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «كذبتم، بل أنتم خالدون مخلّدون فيها، لا نخلفكم فيها إن شاء الله أبدًا»، وفى هؤلاء جميعًا نزلت الآية. أخرجه الطبرانى، وابن أبى حاتم[1].

معانى المفردات:

* ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾: القائلون، اليهود.

* ﴿ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ ﴾ أى: لن تصيبنا النار.

(١) انظر: أسباب النزول للشيخ القاضى ص١٤.

* ﴿ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ أى: قدرًا مقدّرًا ثم يزول العـذاب عنّا، واختلف العلماء فى هذه الأيام:

- فقال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ)، وعطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ): يعنون أربعين يومًا التى عبد فيها آباؤهم العجل[١].

- وقال الحسن البصـرى (ت ١١٠هـ)، وأبو العالية الريـاحى (ت ١٩٠هـ): قالت اليهـود: إن ربنا عتب علينا فى أمرنـا فأقسم الله ليعـذبنا أربعين يومًـا، فلن تمسنا النار إلا أربعـين يومًـا تحلة القسم، فقـال الله ـ عـزّ وجلّ ـ تكذيبًـا لهم: ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا ﴾... إلخ[٢].

* ﴿ قُلْ ﴾: يا «محـمد». * ﴿ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا ﴾: هذا استفـهام إنكارى، أى: ينكر الله ـ تعالى ـ على اليهود قولهم هذا؛ لأنهم كـاذبون فيما ادّعوه، وصدق الله إذ قال فى شأن من كـذب عليه: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ [الزمر: ٦٠].

* ﴿ عَهْدًا ﴾ أى: ميثاقًا بأنه لا يعذبكم إلا هذه المدّة.

* ﴿ فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ﴾ وصدق الله إذ قال: ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ١١١]
﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ﴾

* ﴿ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ أى: بل أنتم كاذبـون فى قولكم: ﴿ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾؛ لأنكم بنيتم هذا القول على غير علم، وبدون دليل.

ثم قال الله ـ تعالى ـ ردًا على ادّعائهم هذا:

* ﴿ بَلَىٰ ﴾: هو حـرف إضراب إبطالى يفـيد نفـى الخبـر السابق وإثبـات الخبـر المستقبل، أى: ستمسكم الـنار وستخلدون فيها، وصدق الله إذ قال: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٦) ﴾ [الأعراف: ٣٦].

* ﴿ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ المراد هنا: الكفر، أو الشرك، ـ والعياذ بالله تعالى ـ.

---

(١) انظر: تفسير البغوى ص٨٩.

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٨٩).

* ﴿ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾: الإحاطة: الإحداق بالشيء من جميع نواحيه.

قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، وعطاء بن أبي رباح (ت ١١٥هـ)، والضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ)، وأبو العالية الرياحي (ت ١٩٠هـ)، والربيع بن خيثم الكوفي (ت قبل ٩٠هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ قالوا: خطيئته: الشرك يموت عليه الإنسان(١).

* ﴿ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ لا يخرجون منها، وصدق الله إذْ قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) ﴾ [البيّنة: ٦].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ رقم: ٨٠.

قرأ نافع، وأبو جعفر بالجمع، وتوجيه ذلك: لما كانت الذنوب كثيرة جاء اللفظ مطابقًا للمعنى.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ خَطِيئَتُهُ ﴾ بالإفراد، والمراد: اسم الجنس، وهو يشمل القليل والكثير(٢).

* ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ أي: لا يخرجون منها أبد الآبدين.

وصدق الله إذْ قال: ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) ﴾ [التغابن: ٩]

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ٨٩).

(٢) انظر: النشر لابن الجزري بتحقيقنا (٢/ ٤٠٩)، والكشف عن وجوه القراءات لمكي (١/ ٢٤٩)، وحجة القراءات لابن زنجلة ص١٠٢، والمغني في توجيه القراءات (١/ ١٤٥)، والمستنير في تخريج القراءات (١/ ٢٣).

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ (٨٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ أي: فى التوراة، والميثاق: العهد المؤكّد، والميثاق الذى أخذه الله عليهم فصّله بقوله: ﴿ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ ﴾ الآية، أي: لا تشركوا معه غيره فى العبادة؛ لأن الشرك ظلم عظيم.

وصدق الله إذْ قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨) ﴾ [النساء: ٤٨].

* ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ أي: وصيناهم بالإحسان إلى الوالدين والإحسان إليهما يتضمن أمورًا كثيرة منها: معاشرتهما بالمعروف، والتواضع لهما، وامتثال أمرهما، والدعاء بالمغفرة لهما بعد موتهما، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما... إلخ.

وصدق الله إذْ قال فى الإحسان إلى الوالدين: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) ﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤].

* ﴿ وَذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ أي: وأمرناهم بالإحسان إلى القرابات. والقربى مصدر مثل: العقبى، والحسنى.

* ﴿ وَالْيَتَامَىٰ ﴾: جمع «يتيم» وهو من مات والده وهو دون البلوغ، والمعنى: وأمرناهم بالإحسان إلى كل يتيم.

* ﴿ وَالْمَسَاكِينِ ﴾: جمع مسكين، والمراد بهم: الفقراء، والعلّة فى تسميتهم مساكين؛ لأن الحاجة أسكنتهم وأذلّتهم، وقد مدح الله ـ تعالى ـ الذين يحسنون إلى المساكين، فقال فى وصفهم: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) ﴾ [الإنسان: ٨].

كما أن عدم الإحسان إلى المساكين من أسباب دخول النار، والدليل على ذلك قول الله ـ تعالى ـ في شأن أهل النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤)﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٤].

* ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ والتقدير: وقولوا للناس قولا ذا حسن.

قال سفيان بن مسروق الثوري (ت ١٦١هـ): مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر[١].

وصدق الله إذْ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)﴾ [النحل: ٩٠].

* ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ أي: أدّوها تامّة بشروطها، وأركانها، وحافظوا عليها فلا تضيعوها.

* ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي: أدّوا زكاة أموالكم كما فرضها الله عليكم.

* ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: أعرضتم عن قبول العهد والميثاق، والخطاب لليهود المعاصرين لنبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ﴾: ﴿قَلِيلاً﴾ منصوب على الاستثناء، وذلك أن القليل من اليهود قبلوا العهد والميثاق، وآمنوا بنبينا «محمد» ﷺ أمثال: عبد الله بن سلام، وأصحابه.

* ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾: الواو للحال، والتولي، والإعراض معناهما واحد.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٨٣].

قرأ ابن كثير وحمزة، والكسائي: ﴿لا يعبدون﴾ بياء الغيبة، لموافقة السياق الذى قبله فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ﴾.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿لا تعبدون﴾ بتاء الخطاب مناسبة للخطاب الذى بعده فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾[٢].

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٩٠).

(٢) انظر: النشر لابن الجزرى بتحقيقنا (٢/ ٤٠٩)، والتيسير لأبى عمرو الدانى ص٧٤، والكشف لمكى بن أبى طالب (١/ ٤٤٩)، وحجة القراءات لابن زنجلة ص١٠٢، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ١٤٨).

* ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣]

قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿حَسَنًا﴾ بفتح الحاء والسين، على أنه صفة لمصدر محذوف تقديره: وقولوا للناس قولا حسنا.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿حُسْنًا﴾ بضم الحاء، وإسكان السين، وهى لغة فى «الحُسْن» مثل: «الرُّشْد والرَّشَد» والتقدير: وقولوا للناس قولا حُسْنا، مثل توجيه قراءة حمزة ومن معه[٢].

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ﴾ المراد بالميثاق العهد الذى أخذ على آبائهم، وأجدادهم، وهم تبع لهم فى ذلك فكأنه أخذ على اليهود الحاضرين فى عهد نبينا «محمد» ﷺ، وقد فصّل الله ـ تعالى ـ مضمون هذا الميثاق فى بقيّة هذه الآية فقال:

* ﴿ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ﴾ أى: لا يسفك بعضكم دم بعض، وقيل: لا تسفكوا دماء غيركم من غير اليهود فيسفكوا دماءكم، وحينئذ تكونون كأنكم سفكتم دماء أنفسكم.

وقد حرّم الله ـ تعالى ـ القتل على بنى إسرائيل فقال:

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢].

* ﴿ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ﴾ أى: لا يخرج بعضكم بعضًا من داره ظلمًا وعدوانًا.

* ﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ ﴾ أى: اعترفتم بهذا الميثاق، وقلتم إنه حق، وقبلتموه.

* ﴿ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ الواو للحال، أى: والحال أنكم أيها اليهود تعترفون اليوم بذلك.

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٦٢ ـ ٦٣)، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ١٥٠).

ومـع ذلك فقد نقـضتم الميثـاق ولم تعملـوا بمـا فيـه، والدليل علـى ذلك قول الله ـ تعالى ـ فى الآية التالية:

﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاءِ ﴾: هذه الآية خطاب لـليهـود المـوجـودين زمن النبىّ ﷺ: وكانت قريظة حلفاء الأوس، والنضير حلفاء الخزرج.

وكانوا يقتتلون منذ سنين: فيقاتل بنو قريظة مع حلفائهم، وبنو النضير مع حلفائهم.

ومن يغلب منهـم يخرّب ديار الآخـرين، ويخـرجـهم منهـا، وإذا أُسِـر رجل من الفريقين جمعوا له الأموال ليفدوه حتى وإن كان الأسير من عدوّهم.

وكـان العـرب يعـيرونهـم بذلك ويقـولون لهـم: كـيف تقـاتلونهم، وتفـدونهم؟ فيـقولون: إنّا أمرنا بالفـداء، فيقـولون: فلِمَ تقاتلونهم؟ فـيقولون: إنّا نسـتحى أن تذلّ وتُهْزَم خلفاؤنا.

فعيّرهم الله ـ تعالى ـ ووبّخهم فقال: ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾ الآية.

* ﴿ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾ أى: يقتل بعضكم بعـضًا، ومن قتل غيره فـقد تسبب فى قتل نفسه.

* ﴿ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ ﴾: ظلمًا وعدوانًا.

* ﴿ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾:

﴿ تَظَاهَرُونَ ﴾ أصلها تتظاهرون فحذفت إحدى التاءين تخفيفًا.

ومعنى ﴿ تَظَاهَرُونَ ﴾: تتعاونون، والفـعل مشتق من «الظهر» لأن بعـضهم يقوّى بعضًا فيكون له كالظهر.

* «والإثم»: الفعل القبيح، وهو من المحرمات، والدليل على ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٣)﴾ [الأعراف: ٣٣]

كما أن الله ـ تعالى ـ نهى عن التعاون على الإثم فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

* ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: الإفراط فى الظلم، وتجاوز الحدّ فيه.

* ﴿تُفَادُوهُمْ﴾ أى: تقدمون الفداء بالمال وتنقذونهم.

* ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ الواو للحال، أى: والحال أن الله ـ تعالى ـ حرّم عليكم إخراجهم من بيوتهم ظلمًا وعدوانًا.

* ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾: هذا استفهام إنكارى، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ أنكر على هؤلاء اليهود صنيعهم، فهم يفتدون الأسرى امتثالا لتعاليم دينهم.

وفى الوقت نفسه يسفك بعضهم دم بعض، ويخرج القوىّ الضعيف من داره بغير حقّ، ويتعاون بعضهم مع بعض على الإثم والعدوان، وكل هذه الأشياء حرّمها الله عليهم.

ولذلك توعّدهم الله ـ تعالى ـ بالخزى فى الدنيا، وبالعذاب الأليم يوم القيامة، فقال ـ عزّ من قائل ـ:

* ﴿فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

فكان خزى بنى قريظة: القتل والسبى.

وخزى بنى النضير: الجلاء، والنفى من منازلهم إلى الشام، وصدق الله إذْ قال:

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا

وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤)﴾

[الحشر: ٢ ـ ٤]

* ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾: وهو عذاب جهنم وبئس المصير.

وصدق الله إذ قال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ (٥٦)﴾ [آل عمران: ٥٦].

* ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أى: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ليس بغافل عن أعمالكم أيها اليهود؛ لأنه لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء، وهو عليم بذات الصدور.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم﴾ [البقرة: ٨٥]

* ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ [التحريم: ٤]

قرأ عاصم، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار بتخفيف الظاء فيهما، على أن الأصل تتظاهرون، تتظاهرا فحذفت إحدى التاءين تخفيفًا.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بتشديد الظاء فيهما، وذلك على إدغام التاء فى الظاء[1].

* ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ﴾ [البقرة: ٨٥]

قرأ حمزة: ﴿أَسْرَى﴾ بفتح الهمزة، وإسكان السين، وحذف الألف، على وزن «فعْلى» جمع «أسير» بمعنى مأسور.

---

(١) انظر: النشر لابن الجزرى بتحقيقنا (٢/ ٤١٠)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٢٥٠)، والمستنير فى تخريج القراءات (١/ ٢٦)، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ١٥٢)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٦٣)، والتيسير فى القراءات السبع ص٧٤، وتقريب النشر ص٩٢.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿أَسَارى﴾ بضم الهمزة وفتح السين، وإثبات ألف بعدها جمع «أسير» أيضًا، مثل: «كسالى» جمع «كسيل»[١].

* ﴿ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ ﴾ [البقرة: ٨٥]

قرأ نافع، وعاصم، والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿تفادوهم﴾ بضم التاء، وفتح الفاء، وألف بعدهما، من «فادى» وهذه القراءة تحتمل أحد معنيين:

الأول: أن تكون المفاعلة على بابها، إذ الأصل فيها أن تكون بين فريقين يدفع كل فريق من عنده من الأسرى للفريق الآخر، سواء كان العدد مماثلا، أو غير مماثل حسب الاتفاق الذى يتم بين الفريقين.

والثانى: أن تكون المفاعلة ليست على بابها مثل قول ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: فاديت نفسى.

وحينئذ تتحد هذه القراءة فى المعنى مع القراءة التالية.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿تفدوهم﴾ بفتح التاء، وإسكان الفاء، وحذف الألف بعدها، من «فدى» فالفعل من جانب واحد، إذ لا يكون أحد الفريقين غالبًا، وحينئذ فأحد الفريقين يفدى أصحابه من الفريق الآخر بمال أو غيره[٢].

* ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥]

قرأ نافع، وابن كثير، وشعبة، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿يعملون﴾ بياء الغيبة، لمناسبة قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ﴾.

---

(١) انظر: النشر لابن الجزرى بتحقيقنا (٢/ ٤١٠)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٢٥١)، والمستنير فى تخريج القراءات (١/ ٢٧)، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ١٥٤)، والإرشادات الجليّة فى القراءات السبع ص٤١، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٦٠)، وتقريب النشر ص٩٢، وإتحاف فضلاء البشر ص١٤١، والتيسير فى القراءات السبع ص٧٠، وحجة القراءات ص١٠٤.

(٢) انظر: النشر بتحقيقنا (٢/ ٤١١)، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ١٥٦)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٦٣)، والمستنير فى تخريج القراءات (١/ ٢٧)، والإرشادات الجليّة ص٤١، وإتحاف فضلاء البشر ص١٤١، والتيسير ص٧٤.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿تعملون﴾ بتاء الخطاب، لمناسبة قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾[1].

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ (٨٦)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: اليهود الموصوفون بما ذكر في الآية السابقة رقم ٨٥.

* ﴿الَّذِينَ اشْتَرَوُا﴾ أي: استبدلوا.

* ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾: هؤلاء ويل لهم من عذاب الله يوم القيامة، وهؤلاء خسروا في تجارتهم، ولن يضروا الله شيئًا، كما قال ـ تعالى ـ في آية أخرى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧)﴾ [آل عمران: ١٧٧]

* ﴿فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ أي: لا يهوّن الله عنهم العذاب يوم القيامة طرفة عين، كما قال ـ تعالى ـ في آية أخرى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦)﴾ [النساء: ٥٦]

* ﴿وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: لا يمنعون من عذاب الله ـ عزّ وجلّ ـ وصدق الله إذ قال: ﴿أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ (٤٥) وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ (٤٦)﴾ [الشورى: ٤٥ ـ ٤٦].

---

(١) انظر: النشر لابن الجزرى بتحقيقنا (٢/ ٤١١)، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ١٥٩)، والمستنير فى تخريج القراءات (١/ ٢٩)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٦٤)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٢٥٢)، والإرشادات الجليّة ص٤٢، وتقريب النشر ص٩٣، وحجة القراءات ص١٠٥، وإتحاف فضلاء البشر ص١٤١.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾: ﴿ آتَيْنَا ﴾ أى: أعطينا.

* ﴿ مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ أى: التوراة جملة واحدة.

* ﴿ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ﴾ أى: أتبعنا وأرسلنا من بعد «موسى» رسولا بعد رسول، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ [المؤمنون: ٤٤].

والتقفية معناها: الإتباع والإرداف، مأخوذة من إتباع القفا وهو مؤخر العنق، تقول: استقفيته إذا جئت من خلفه.

* ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ أى: الحجج والدلالات الواضحات على صدق نبوّته.

قال ابن أبى حاتم: هى الآيات التى وضعت على يده من إحياء الموتى بإذن الله ـ تعالى ـ وخلقه من الطين كهيئة الطير، وإبراء الأسقام، والإخبار ببعض الغيوب، وما ردّ عليهم من التوراة مع الإنجيل[1].

يدلّ على ذلك ويوضحه قوله ـ تعالى ـ فى سورة آل عمران ﴿ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) ﴾

[آل عمران ٤٩ ـ ٥٠]

(١) انظر: الدرّ المنثور مع بعض التصرف (١/ ١٦٧).



وقوله ـ تعالى ـ في سورة المائدة:

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١١٠)﴾ [المائدة: ١١٠]

* ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ أي: قوّيناه بروح القدس وهو «جبريل» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ﴾ أي: يا معشر اليهود.

* ﴿رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ﴾ أي: لا تحب أنفسكم، وبما لا يوافقها ولا يلائمها.

* ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أي: تكبرتم، وامتنعتم عن التصديق به، احتقاراً للرسل، ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

وأصل «الهوى»: الميل إلى الشيء، ويجمع على أهواء.

وصدق الله إذ قال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)﴾ [القصص: ٥٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١]

* ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: «فريقًا» الأول منصوب بـ «كذبتم» و «فريقًا» الثاني منصوب بـ «تقتلون».

فكان ممن كذبوه من الأنبياء «عيسى، ومحمد» ـ عليهما الصلاة والسلام ـ.

وممن قتلوه: «زكريا ويحيى» ـ عليهما الصلاة والسلام ـ.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿الْقُدُسِ﴾: قرأ ابن كثير بإسكان الدال للتخفيف، وهو لهجة تميم.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بضمها، وهو لهجة أهل الحجاز.

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ (٨٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقَالُوا ﴾ أى: اليهود. * ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾: بسكون اللام جمع «أغلف» أى: عليها أغطية، فلا تفقه ولا تعى ما تقول يا «محمد»، فردّ الله ـ تعالى ـ عليهم بقوله:

* ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾: أى: السبب فى عدم إيمان اليهود، وعدم سماعهم لما جاء به القرآن الكريم أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ طردهم، وأبعدهم من رحمته، وهدايته، ولذلك لا يؤمن منهم إلا من شاء الله لهم الهداية وهم قليلون أمثال: عبد الله بن سلام.

وصدق الله إذْ قال: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (١٢٥)﴾ [الأنعام: ١٢٥]

وأصل اللعن فى كلام العرب: الطرد والإبعاد، يقال للرجل الطريد: لعين، و «قليلا» منصوب على الحال.



ومثل هذه الآية فى المعنى قوله ـ تعالى ـ فى سورة فصّلت: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ [فصّلت: ٥]

إذْ معنى ﴿ فِي أَكِنَّةٍ ﴾: فى أغطية فلا تعى ما تقول يا «محمد».

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩) ﴾

۞ سبب نزول هذه الآية:

عن ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما): أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلمّا بعثه الله ـ تعالى ـ من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل، وبشر بن البراء، وداود بن سلمة: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بـ «محمد» ونحن أهل شرك، وتخبروننا أنه مبعوث، وتصفونه بصفته.

فقال أحد بنى النضير: ما جاءنا بشىء نعرفه، وما هو بالذى كنا نذكره لكم، فأنزل الله الآية[(١)].

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ أى: اليهود. * ﴿ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ هو القرآن الكريم.

* ﴿ مُصَدِّقٌ ﴾: نعت لـ ﴿ كِتَابٌ ﴾. * ﴿ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ المراد: التوراة، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ أنزل القرآن على نبينا «محمد» ﷺ مصدقًا لجميع الكتب السماوية التى أنزلها الله ـ تعالى ـ على الأنبياء السابقين، والدليل على ذلك قول الله ـ تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [آل عمران: ٣].

* ﴿ وَكَانُوا مِن قَبْلُ ﴾ أى: قبل مبعث نبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ أى: يستنصرون، وأصل الاستفتاح: الاستنصار، أى: طلب النصر.

* ﴿ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أى: كان اليهود قبل مبعث نبينا «محمد» ﷺ يطلبون من الله تعالى ـ أن ينصرهم على مشركى العرب، فكانوا يقولون: اللهم انصرنا عليهم بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد صفته فى التوراة فكانوا ينصرون.

* ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ أى: لما بعث نبينا «محمد» ﷺ كفروا به بغيًا وحسدًا، علمًا بأنهم يعرفون نعته وصفته فى التوراة.

* ﴿ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ أصل اللعن: الطرد، وقد طردهم الله ـ تعالى ـ وأبعدهم من رحمته جزاء كفرهم.

وصدق الله إذْ قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٤ ـ ٦٥].

وإذْ قال: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ [المائدة: ١٣]

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم، وانظر: أسباب النزول للشيخ القاضى ص١٤ ـ ١٥، وانظر أيضًا: أسباب النزول للواحدى ص٣١، وانظر أيضًا: تفسير القرطبى (٢/ ٢٠).

﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٩٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ بِئْسَمَا ﴾: فعل جامد لا يتصرّف، ومعناه: الذمّ.

* ﴿ اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ﴾: الاشتراء هنا بمعنى البيع، وحينئذ يكون المعنى: بئس ما باعوا به حظّ أنفسهم، وذلك لأنهم اختاروا الكفر على الإيمان، فاستوجبوا غضب الله ـ تعالى ـ، والخزى في الدنيا، والعذاب المهين فى الدار الآخرة.

* ﴿ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ أى: أنهم يكفرون بالقرآن الذى أنزله الله ـ تعالى ـ على نبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿ بَغْيًا ﴾ مفعول لأجله، ومعناه: حسداً، وهو مصدر مأخوذ من قولهم: قد بغى الجرح: إذا فسد، والحسد محرّم شرعاً، ولذا شرع الله التعوذ من الحاسد، فقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥) ﴾ [الفلق: ٥].

* ﴿ أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ أى: النبوة، والكتاب.

* ﴿ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾: المراد هنا نبينا «محمد» ﷺ، حسده اليهود على النبوّة فكفروا به.

إذ اليهود دأبهم حسد الأنبياء على ما آتاهم الله من فضله، والدليل على ذلك قول الله ـ تعالى ـ فى سورة النساء:

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا (٥٤) ﴾ [النساء: ٥٤].

* ﴿ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾، أى: رجعوا بغضب مع غضب.

قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): الغضب الأول: تبديلهم التوراة. والثانى: كفرهم بنبينا «محمد» ﷺ والقرآن[1].

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٩٤).

وقال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): الأول: كفرهم بـ «عيسى» ـ عليه السلام ـ، والإنجيل. والثانى: كفرهم بنبينا «محمد» ﷺ والقرآن[١].

وقال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسر (ت ١٢٧هـ): الأول بعبادتهم العجل، والثانى: بالكفر بنبينا «محمد» ﷺ[٢].

* ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ ﴾ أى: الجاحدين بنبوة سيدنا «محمد» ﷺ.

* ﴿ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ أى: مُخْزٍ يُهانون به، وهو الخلود فى النار.

وصدق الله إذ قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١٦) ﴾ [آل عمران: ١١٦].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ بِئْسَمَا ﴾: قرأ ورش، وأبو جعفر، وأبو عمرو بخُلْف عنه بإبدال الهمزة وصلا ووقفًا، وكذا حمزة عند الوقف[٣].

* ﴿ أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ ﴾: قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، بسكون النون، وتخفيف الزاى، على أنه مضارع «أنزل» المعدّى بالهمزة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بفتح النون، وتشديد الزاى المكسورة، مضارع «نزّل» المعدّى بالتضعيف[٤].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٩١) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ أى: لليهود الموجودين زمن نبينا «محمد» ﷺ.

(١ ، ٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٩٤).

(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٦٤).

(٤) انظر: النشر لابن الجزرى بتحقيقنا (٢/ ٤١١)، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ١٦١ ـ ١٦٢)، والمستنير فى تخريج القراءات (١/ ٣٠)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٤٣.

* و ﴿آمِنُوا﴾ أي: صدّقوا. * ﴿بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ المراد: القرآن، ويلزم من الإيمان بالقرآن الإيمان بالنبيّ الذى نزّل الله عليه القرآن.

* ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ أي: يكفينا الإيمان بالكتاب المنزّل على نبينا «موسى» وهو التوراة.

* ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ أي: بما سوى التوراة من سائر الكتب المنزلة على الأنبياء.

وقال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ): ﴿بِمَا وَرَاءَهُ﴾ أي: بما بعده من الكتب السماوية[١]. والمعنى واحد.

* ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ مبتدأ وخبر، والمراد: القرآن الكريم.

* ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال من الضمير ﴿هُوَ﴾ وهى حال مؤكدة.

* ﴿لِّمَا مَعَهُمْ﴾ أي: التوراة، و «ما» اسم موصول بمعنى الذى، و ﴿مَعَهُمْ﴾ صلة الموصول.

* ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ﴾ أي: قل لهم يا «محمد» هذا، أى: لم قتلتم أنبياء الله من قبل مثل: «زكريا ويحيى» ـ عليهما السلام ـ.

وهذا ردّ من الله ـ تعالى ـ عليهم فى قولهم إنهم آمنوا بالكتاب المنزّل عليهم، وتكذيب منه لهم.

وأصل «لم» «لما» حذفت الألف فرقًا بين الاستفهام والخبر، و «لم» هنا للاستفهام الإنكارى.

* ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: إن كنتم مصدّقين بالتوراة فلِمَ قتلتم أنبياء الله، وقد نهيتم عن قتلهم.

أي: أنتم كاذبون فى ادّعائكم الإيمان بالتوراة.

والخطاب موجه لليهود الموجودين زمن نبينا «محمد» ﷺ، والمراد أسلافهم، وإنما توجّه الخطاب إليهم؛ لأنهم راضون بفعل أسلافهم فنسب ذلك إليهم.

(١) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ٢١ ـ ٢٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿قِيلَ﴾ قرأ هشام، والكسائى، ورويس: بالإشمام، والباقون من القراء العشرة بالكسرة الخالصة، وهما لهجتان فصيحتان(١).

* ﴿فَلِمَ﴾: وقف عليها البزّى، ويعقوب بهاء السكت بخُلْف عنهما، وذلك عوضًا عن الألف المحذوفة من أجل دخول حرف الجرّ على «ما» الاستفهامية(٢).

* ﴿أَنْبِيَاءَ﴾ قرأ نافع بالهمز قبل الألف، والباقون بالياء(٣).

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ (٩٢)﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أى: بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة، على صدق نبوّته، وهى: العصا، والسنون، واليد، والدّم، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، وفلق البحر.

والدليل على هذه الآيات قول الله ـ تعالى ـ فى سورة الإسراء: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١].

* ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أى: عبدتم العجل من دون الله من بعد ذهاب موسى لميقات ربه.

وهذا توبيخ لهم على هذا الفعل القبيح المخالف لتعاليم جميع الشرائع السماوية؛ لأنها كلها جاءت بتوحيد الألوهيّة، والربوبيّة، ومن الأدلّة على ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)﴾ [الأنبياء: ٢٥]

* ﴿وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ الواو للحال، أى: والحال أنكم ظالمون ومخالفون لتعاليم التوراة بعبادتكم العجل من دون الله.

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٦٤).

(٢، ٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٦٥).

وصدق الله إذ قال في حق الكافرين الظالمين:

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۝١٦٨ إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝١٦٩ ﴾ [النساء: ١٦٨ ـ ١٦٩]

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ جَاءَكُم ﴾ بالإمالة، لحمزة، وخلف البزّار، وابن عامر بخُلْف عن هشام[١].

* ﴿ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ ﴾ قرأ ابن كثير، وحفص، ورويس بخُلْف عنه بإظهار الذال، والباقون بإدغامها[٢].

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٩٣ ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ﴾: المراد بالميثاق العهد.

* ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ أي: اقتلعناه من أصله وجعلناه فوقكم كالظلة حينما امتنعتم عن قبول التوراة وقلنا لكم:

* ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ ﴾ أي: خذوا التوراة بجدّ واجتهاد، واعملوا بما فيها.

* ﴿ وَاسْمَعُوا ﴾ أي: استجيبوا، وأطيعوا لما يأمركم به نبيكم «موسى» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ أي: سمعنا قولك، وعصينا أمرك. وهذا أسلوب المعاندين الكافرين، فلا فائدة فيه.

أمّا المؤمنون فإنهم يقولون: سمعنا وأطعنا، وأولئك هم المفلحون، الفائزون بالجنة الناجون من النار.

* ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ أي: حبّ العجل.

(١) انظر: المهذب في القراءات العشر (١/ ٦٨).

(٢) انظر: المهذب في القراءات العشر (١/ ٦٦).

✻ **والمعنى :** دخل فى قلوبهم حبّ العجل وخالطها بسبب كفرهم، مثل إشراب لون بلون. يقال: وَجْه فلان مشرب بحمرة، إذا اختلط بياضه بالحمرة.

* ﴿ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ ﴾ أى: قل لهم يا محمد هذا.

✻ **والمعنى :** بئس إيمانكم الذى زعمتم فى قولكم أنكم تؤمنون بما أنزل عليكم فى التوراة.

* ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أى: أنتم كاذبون فى هذه الدعوى؛ لأنكم لو كنتم مؤمنين لامتثلتم وعملتم بتعاليم التوراة، وصدق الله إذ قال: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: ٤٤]

القراءات وتوجيهها :

* ﴿ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾: قرأ أبو عمرو، ويعقوب بكسر الهاء والميم وصلا، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار بضمهما وصلا، والباقون بكسر الهاء، وضم الميم وصلا. أمّا عند الوقف فكل القراء يكسرون الهاء، ويسكنون الميم[١].

﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) ﴾

سبب نزول هذه الآية :

عن أبى العالية الرياحىّ (ت ١٩٠هـ) قال: قالت اليهود: لن يدخل الجنّة إلا من كان هودًا أو نصارى فأنزل الله هذه الآية، أخرجه ابن جرير[٢].

معانى المفردات :

* ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ ﴾: وذلك أن اليهود ادّعوا دعاوى باطلة حكاها الله ـ عزّ وجلّ ـ عنهم فى القرآن مثل قولهم: ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ [البقرة: ٨٠].

وقولهم: ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ [البقرة: ١١١].

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٦٦).

(٢) انظر: أسباب النزول للشيخ القاضى ص١٥، وانظر أيضًا: الدرّ المنثور للسيوطى (١/ ١٧٢).

وقولهم: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [المائدة: ١٨].

فكذّبهم الله ـ تعالى ـ فى هـذه الدعـاوى الباطلة، وألزمهم الحجة فقال: قل لهم يا «محمد»: ﴿ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ ﴾ الآية.

* ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾: فى أقوالكم؛ لأن من اعـتقد أنه من أهل الجنة كان الموت أحبّ إليه من الحياة فى الدنيا، لما يصير إليه من نعيم الجنة، ويزول عنه من نَصَب الدنيا، فأحجموا عن تمنى ذلك خـوفًا من الله ـ تعالى ـ، لقبح أعمالهم، ومعرفتهم بكذبهم فى أقوالهم، ولهذا قال الله ـ تعالى ـ مخبرًا عنهم بقوله:

﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾: أى: لن يتمنى اليهـود الموت لعلمهم أنهم كاذبون فيـما ادّعوه، وبسبب ما قـدّمته أيديهم من الأعمال التى تخـالف التعاليم التى أنزلها الله ـ تعالى ـ فى التوراة.

* ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾: لأنه لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.

وسيعاقبهم الله يوم القيامة على ظلمهم، وافترائهم الكذب على الله ـ تعالى ـ.

وصدق الله إذ قال: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣) ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وإذ قال: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) ﴾ [الكهف: ٢٩].

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ ﴾: اللام لام القسم، والنون تأكيد للقـسم، والتقدير: والله لتجدن اليهود يا «محمد».

* ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أي: وأحرص من الذين أشركوا، وأراد بالمشركين: المجوس، وقيل: هو أعمّ من ذلك فيشمل كل مَنْ عبد مع الله غيره، سواء كان إنسًا أو جنًا، أو ملكًا، أو حجرًا، أو شمسًا، أو قمرًا، أو غير ذلك مهما كان.

* ﴿يَوَدُّ﴾ أي: يتمنى. * ﴿أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ أي: يتمنى كل واحد منهم أن يعمّر فى الدنيا ألف سنة.

* ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ﴾ أي: بمبعده.

* ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ أي: من عذاب الله يوم القيامة.

* ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ أي: تعميره، وطول عمره فى الدنيا لن يبعده من العذاب، إذ الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور، وستجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء.

* ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: مطلع على ما يعمله هؤلاء اليهود وغيرهم، لأنه يعلم السرّ وأخفى. وسيجازيهم على أعمالهم والله شديد العذاب.

وصدق الله إذ قال: ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد: ٣٢]

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ﴾: قرأ الدورى عن أبى عمر بخُلْف عنه بإمالة كلمة ﴿الناس﴾ إذا كانت مجرورة[(١)].

* ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [رقم ٩٦]

قرأ يعقوب ﴿تعملون﴾ بتاء الخطاب، وذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، والالتفات من ضروب البلاغة.

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٦٨).

وقرأ الباقون ﴿يعملون﴾ بياء الغيبة، لموافقة السياق الذى قبلُ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾(١).

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: أقبلت اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: حدّثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهنّ إلا نبىّ، فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبىّ واتبعناك، فقال لهم رسول الله ﷺ: «سلوا عمّا شئتم، ولكن اجعلوا لى ذمّة، وما أخذ «يعقوب» على بنيه، لئن حدّثتكم عن شىء فعرفتموه لتتابعنّى على الإسلام؟»

فقالوا: ذلك لك، فقال رسول الله ﷺ: « سلوا عمّا شئتم». فقالوا: أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهنّ:

أخبرنا: أىّ الطعام حرم إسرائيلُ على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟

وأخبرنا: كيف يكون ماء المرأة، وماء الرجل، وكيف يكون الذكر منه والأنثى؟

وأخبرنا: عن هذا النبىّ الأمىّ فى التوراة، ومن وليّه من الملائكة؟

فقال النبى ﷺ: «عليكم عهد الله لئن أنا أخبرتكم لتتبعننى؟»، فأعطوه ما شاء الله من عهد وميثاق.

فقال: «نشدتكم بالذى أنزل التوراة على «موسى» هل تعلمون أن إسرائيل «يعقوب»، مرض مرضًا شديدًا فطال سقمه منه فنذر لله نذرًا لئن عافاه الله منه ليحرّمنّ أحبّ الطعام، والشراب إليه على نفسه، وكان أحبّ الطعام إليه لحوم الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها»، فقالوا: اللهمّ نعم.

---

(١) انظر: النشر لابن الجزرى بتحقيقنا (٢/ ٤١٢)، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ١٦٤)، والمستنير فى تخريج القراءات (١/ ٣١)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٦٦)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٤٤، وتفسير البحر المحيط (١/ ٣١٦)، وتفسير الألوسى (١/ ٣٣١)، وتفسير البغوى (١/ ٩٦).

فقال رسول الله ﷺ: «اللهمّ اشهد عليهم»، ثم قال: «وأنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو الذى أنزل التوراة على «موسى» هل تعلمون أن ماء الرجل غليظ أبيض وأن ماء المرأة رقيق أصفر، فأيهما علا كان الولد له والشّبه بإذن الله ـ عزّ وجلّ ـ، وإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكراً بإذن الله، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن الله»، قالوا: اللهمّ نعم.

فقال النبى ﷺ: «اللهمّ اشهد، وأنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على «موسى» أن هذا النبىّ الأمىّ تنام عيناه، ولا ينام قلبه؟». قالوا: اللهمّ نعم، فقال: «اللهمّ اشهد».

فقالوا: أنت الآن ـ يعنون صدقت حتى الآن وتستحق أن تتبّع ـ ثم قالوا: فحدّثنا من وليّك من الملائكة؟ فعندها نصحبك ولا نفارقك.

قال: «فإنّ وليىّ «جبريل» ولم يبعث الله نبيّا قط إلا وهو وليّه».

فقالوا: الآن نفارقك، ولو كان وليك سواه من الملائكة لاتبعناك، وصدقناك.

قال: «فما يمنعكم أن تصدقوا؟»، قالوا: إنه عدونا لأنه لا يأتى إلا بالحرب، والقتال، والعذاب، وسفك الدماء، ولو قلت إن وليّك «ميكائيل» الذى يأتى بالرحمة، والقطر، والنبات، لاتبعناك، فأنزل الله الآية. اهـ. [أخرجه الإمام أحمد، والترمذى، والنسائى][(١)].

❀ معانى المفردات:

* ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ﴾ أى: «جبريل» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿نَزَّلَهُ﴾ المراد القران الكريم. * ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ أى: يا «محمد».

* ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أى: بأمر الله ـ تعالى ـ، وصدق الله إذ قال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١].

وإذ قال: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ۝١٩٦﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٦]

---

(١) انظر: أسباب النزول للشيخ القاضى ص١٥ ـ ١٦، وأسباب النزول للواحدى ص٣٢، وأسباب النزول لأبى عبد الرحمن الوادعى ص٢١ ـ ٢٢.

* ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال من الضمير في ﴿نَزَّلَهُ﴾.

* ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: لما قبله من سائر الكتب السماوية.

وصدق الله إذ قال: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [يونس: ٣٧].

* ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أنزل الله القرآن على نبينا «محمد» ﷺ حالة كونه هاديًا إلى الصراط المستقيم، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض.

وحالة كونه مبشرًا المؤمنين بالثواب الجزيل، والنعيم الدائم المقيم.

وصدق الله إذ قال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢)﴾ [النحل: ١٠٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿جِبْرِيلَ﴾ حيثما وقع في القرآن الكريم:

قرأ ابن كثير ﴿جَبْرِيل﴾ بفتح الجيم، وكسر الراء، وحذف الهمزة، وإثبات الياء.

وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف البزّار، وشعبة بخُلْف عنه ﴿جبرئيل﴾ بفتح الجيم، والراء، وهمزة مكسورة، وياء ساكنة مدّية.

والوجه الثاني لشعبة مثل وجهه هذا إلا أنه يحذف الياء.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿جبريل﴾ بكسر الجيم والراء، وحذف الهمزة وإثبات الياء، وكلها لهجات[1].

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ (٩٨)﴾

معاني المفردات:

* ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ﴾: ﴿مَن﴾ اسم شرط جازم يجزم فعلين: الأول فعل الشرط، والثاني جوابه وجزاؤه، وفعل الشرط في الآية الكريمة: كان واسمها وخبرها.

---

(١) انظر: النشر لابن الجزري بتحقيقنا (٢/ ٤١٢)، والمغني في توجيه القراءات (١/ ١٦٥)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ٦٧)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٤٤، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٢٥٤).

وجواب الشرط: قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾، وعداوة العبد لله هي: معصيته، واجتناب طاعته، ومعاداة ملائكته، وأنبيائه ورُسُله.

ومعاداة الله للعبد هي: تعذيبه، والغضب عليه في الدنيا والآخرة، والويل ثم الويل لمن غضب الله عليه.

وصدق الله إذ قال في شأن بني إسرائيل في سورة طه:

﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ [طه: ٨١]

فإن قيل: ما الحكمة في أن الله خصّ «جبريل، وميكائيل» بالذّكر مع دخولهما في جملة الملائكة؟

أقول: خصّهما الله بالذكر تشريفًا، وتكريمًا لهما.

وهذا من عطف الخاصّ على العام، وهو من الأساليب البلاغيّة، مثال ذلك قوله ـ تعالى ـ في سورة الرحمن: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرحمن: ٦٨].

خصّ النّخل، والرمّان بالذّكر مع دخولهما في ذكر الفاكهة للتفضيل.

والواو في الآية الكريمة بمعنى «أوْ» أي: من كان عدوًا لأحَد ممّن ذكر في الآية فإنه عدوّ لله ـ تعالى ـ؛ لأن الكافر بالواحد كافر بالكلّ والعياذ بالله ـ تعالى ـ.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَجِبْرِيلَ﴾ تقدمت القراءات وتوجيهها في الآية رقم ٩٧.
* ﴿وَمِيكَالَ﴾ رقم ٩٨.

قرأ أبو عمرو، وحفص، ويعقوب: ﴿وميكال﴾ على وزن «مثقال» بحذف الهمزة من غير ياء بعدها، وهي لهجة الحجازيين.

وقرأ نافع، وأبو جعفر، وقنبل بخُلْف عنه: ﴿وميكائل﴾ بحذف الألف من غير ياء، وهي لهجة بعض العرب.

وقرأ الباقون: ﴿وميكائيل﴾ بالهمزة، وإثبات ياء بعدها، وهو الوجه الثاني لقنبل، وهي لهجة عربية أيضًا[1].

---

(١) انظر: النشر لابن الجزري بتحقيقنا (٢/ ٤١٣)، والمغني في توجيه القراءات (١/ ١٦٦)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ٦٧)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٤٤، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٢٥٥).

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ (٩٩) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضي الله عنهما) قال: قال ابن صوريا اليهودي للنبي ﷺ: يا «محمد» ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليكم من آية بيّنة فنتّبعك بها، فأنزل الله الآية. أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم[١].

معاني المفردات:

* ﴿ وَلَقَدْ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾ أي: يا «محمد» ﷺ.

* ﴿ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ أي: واضحات الدلالات، مفصلات بالحلال والحرام، والحدود والأحكام.

وصدق الله إذْ قال: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وإذْ قال: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩) ﴾ [الإسراء: ٩].

* ﴿ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ ﴾ أي: الخارجون عن أمر الله - عزّ وجلّ -.

وصدق الله إذْ قال: ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٣٣) ﴾ [يونس: ٣٣].

﴿ أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (١٠٠) ﴾

سبب نزول الآيتين:

قال مالك بن الصيف اليهودي حين بعث رسول الله ﷺ وذكّرهم ما أُخذَ عليهم من الميثاق، وما عُهد إليهم من الإيمان بالنبيّ «محمد» ﷺ، وما عاهدوا الله عليه من قولهم: لئن خرج «محمد» ﷺ لنؤمننّ به ولنكوننّ معه على مشركي العرب.

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص٣٤، وأسباب النزول للشيخ القاضي ص١٦، وتفسير القرطبي (٢/ ٢٨)، والدرّ المنثور (١/ ١٨١).

قـال مالك بـن الصيف: والله مـا أُخذَ علـينـا عـهـد فـى كتـابنا ولا ميـثاق أن نؤمن بـ «محمد»، فنقضوا العهد والميثاق، وكفروا بـ «محمد» ﷺ، فأنزل الله الآية(١).

وصـدق الله إذْ قال تكذيبًا لمالك بن الصيف اليهـودى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) ﴾ [آل عمران: ٨١].

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أَوَكُلَّمَا ﴾: «الواو» واو العطف، دخلت عليهـا همزة الاستفـهام الإنكارى، كما دخلت على الفاء كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

وعلى «ثُمّ» كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ ﴾ [يونس: ٥١].

* ﴿ عَاهَدُوا عَهْدًا ﴾ المراد: اليـهود، قـال عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ) هى العهود التى كانت بين رسول الله ﷺ وبين اليهود: أن لا يعاونوا المشركين على قتاله، فنقضوها كـفعل بنى قريظة والنضيـر، دليله قوله ـ تعالى ـ: ﴿ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦) ﴾ [الأنفال: ٥٦](٢).

* ﴿ نَّبَذَهُ ﴾ أى: طرحه، ونقضه، إذ «النَّبْذ» معناه: الطرح والإلقاء.

* ﴿ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾ أى: جماعة من اليهود.

* ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أى: كافرون، أمّـا المؤمنون من اليهـود فهم قليلون أمثال عبد الله بن سلام.

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾: المراد به نبينا «محمد» ﷺ.

---

(١) انظر: أسباب النزول للشيخ القاضى ص١٦ ـ ١٧، وتفسير القرطبى (٢/ ٢٨)، وتفسير البغوى (١/ ٩٧ ـ ٩٨).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ٢٩)، وتفسير البغوى (١/ ٩٨).

* ﴿ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾: صفة للنبيّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وهو مصدّق لكل ما جاء في التوراة.

* ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾، جملة ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ ﴾ إلخ في محلّ جزم جواب ﴿ لَمَّا ﴾.

* ﴿ كِتَابَ اللَّهِ ﴾: المراد به التوراة، وهو مفعول لـ ﴿ نَبَذَ ﴾.

قال السّدّي إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ): لما جاءهم النبيّ «محمد» ﷺ عارضوه بالتوراة فاتفقت التوراة والقرآن، فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت، كأنهم لا يعلمون ما في التوراة من الأمر باتّباع نبيّنا «محمد» ﷺ وتصديقه[1].

* ﴿ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾: قال الشعبي عامر بن شراحيل (ت ١٠٥هـ): كانوا يقرأون التوراة ولا يعملون بها[2].

﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) ﴾

سبب نزول هذه الآيـة:

قال السّدّي إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ):

كانت الشياطين في عهد سليمان ـ عليه السلام ـ تصعد إلى السماء، فيستمعون كلام الملائكة فيما يكون في الأرض من موت وغيره، فيأتون الكهنة ويخلطون بما سمعوا في كل كلمة سبعين كذبة ويخبرونهم بها، فاكتتب الناس ذلك وفشا في بني إسرائيل أن الجنّ تعلم الغيب، فبعث سليمان ـ عليه السلام ـ في الناس، وجمع تلك

(١) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ٢٩)، والدرّ المنثور (١/ ١٨١).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ٢٩)، وتفسير البغوي (١/ ٩٨).

الكتب وجعلها فى صندوق ودفنه تحت كرسيّه وقال: لا أسمع أحداً يقول إن الشيطان يعلم الغيب إلا ضربت عنقه، فلما مات سليمان وذهب الذين كانوا يعرفون دفنه الكتب، تمثل شيطان فى صورة إنسان فأتى نفراً من بنى إسرائيل فقال: هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبداً؟

قالوا: نعم، قال: فاحفروا تحت الكرسىّ، فحفروا فوجدوا تلك الكتب، فلما أخرجوها قال الشيطان: إن سليمان كان يضبط الجنّ، والإنس، والشياطين، والطير، بهذا، فاتخذ بنو إسرائيل تلك الكتب، فلذلك أكثر ما يوجد السحر فى اليهود، فبرّأ الله ـ عزّ وجلّ ـ سليمان ـ عليه السلام ـ من ذلك، وأنزل هذه الآية[١].

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ أى: اليهود. * ﴿مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ﴾ أى: ما تلت، وقيل: ما كانت تتلو الشياطين أى: تقرأ.

* ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾: قال الفرّاء يحيى بن زياد أبو زكريا (ت ٢٠٧هـ): على عهد ملك سليمان[٢].

* ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ أى: بالعمل بالسحر، لأن العمل به كفر. فهذا تبرئة من الله ـ تعالى ـ لسليمان ـ عليه السلام ـ.

* ﴿وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾:

معنى ﴿لَٰكِنَّ﴾ نفى الخبر السابق، وإثبات اللاحق أى: ما بعدها، وحينئذ يكون المعنى: الشياطين كفروا لأنهم يعلمون الناس السحر.

* ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ أى: ويعلمون الذى أنزل على الملكين وهما: هاروت وماروت، فهاروت وماروت بدل من «الملكين».

واختلف العلماء فى «بابل»:

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٣٦، وانظر أيضاً: تفسير البغوى (١/ ٩٨ ـ ٩٩).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ٣٠).

فقال عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) لأهل الكوفة: أنتم بين الحيرة، وبابل[١].

وقال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): هى من نصيبين إلى رأس العين[٢].

وقيل: هى العراق وما والاه[٣].

* ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾:

❋ **المعنى**: إن الملكين: هاروت وماروت، لا يعلّمان أحدًا من الناس حتى ينصحاه ويقولا له إنما نحن فتنة أى: ابتلاء، واختبار من الله ـ تعالى ـ، فلا تتعلم السحر، لأنك إن تعلمته وعملتَ به كفرت، فإن أبَى إلا التعليم علّماه.

* ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾:

❋ **المعنى**: إن السحرة لا يضرون بسحرهم أحدًا إلا بقضاء الله ـ تعالى ـ وقدره، ومشيئته.

* ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ﴾:

❋ **المعنى**: إن الذين يتعلمون السحر هم فى الواقع يتعلمون ما يضرهم فى الآخرة، ولا ينفعهم؛ لأن العمل بالسحر كفر والعياذ بالله.

وصدق الله إذْ قال فى شأن الكافرين:

﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦)﴾ [البقرة: ١٢٦]

* ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾:

❋ **المعنى**: أى علم اليهود أن من اختار السحر، وتعلمه وعمل به، ما له فى الدار الآخرة من نصيب، لأنه سيكون مصيره إلى جهنم وبئس المصير.

(١: ٣) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ٣٧).

* ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ﴾: بئس: فعل ذمّ، وحينئذ يكون المعنى: بئس هذا الذى باع اليهود به أنفسهم، لأنهم اختاروا السحر والكفر على الإيمان، وتنفيذ تعاليم الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾:

❋ **المعنى:** أن اليهود لم يعملوا بما علموا فكأنهم جهّال لا يعلمون شيئًا. ومن لم يعمل بما يعلم فعقوبته شديدة، وعذابه أليم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ [رقم: ١٠٢]

قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ ولكن ﴾ بتخفيف النون وإسكانها، ثم كسرها تخلصًا من التقاء الساكنين، ورفع الاسم الذى بعدها وهو ﴿ الشياطين ﴾ وذلك على أن ﴿ لكنْ ﴾ مخففة لا عمل لها، والشياطين مبتدأ وجملة ﴿ كفروا ﴾ خبر المبتدأ.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ ولكنّ ﴾ بتشديد النون وفتحها، و﴿ الشياطين ﴾ بالنصب، وذلك على إعمال «لكن» عمل «إنّ» فتنصب الاسم وترفع الخبر، و﴿ الشياطين ﴾ اسمها، وجملة ﴿ كفروا ﴾ خبرها[1].

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا ﴾:

❋ **المعنى:** لو أن اليهود آمنوا بالله ـ تعالى ـ وبما أنزله على نبيّه موسى ـ عليه السلام ـ، وبنبينا «محمد» ﷺ.

---

(١) انظر: النشر لابن الجزرى بتحقيقنا (٢/ ٤١٣)، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ١٦٧)، والمستنير فى تخريج القراءات (١/ ٣٢)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٦٧)، والكشف عن وجوه القراءات ص٢٥٦، وتفسير البحر المحيط (١/ ٣٢٧).

* ﴿ وَاتَّقَوْا ﴾ أى: اتقوا السحر فلم يتعلموه ولم يعملوا به.

* ﴿ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ ﴾، «المثوبة»: الثواب، وهذه الجملة جواب «لو» وحينئذ يكون المعنى: ولو أن اليهود آمنوا واتقوا لكان ثواب الله إياهم خيراً لهم.

* ﴿ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾، ﴿ لَّوْ ﴾ حرف امتناع لامتناع، أى امتنع فوز اليهود بثواب الله المترتب على إيمانهم بالله، وعلى عدم عملهم بالسحر، لامتناع علمهم بذلك، لأنهم لو كانوا يعلمون لآمنوا بالله وبما أنزله على أنبيائه ورسله، ولتركوا العمل بالسحر.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كان العرب يتكلمون بهذه الكلمة: «راعنا» فلما سمعتهم اليهود يقولونها لرسول الله ﷺ أعجبهم ذلك، وكانت الكلمة فى لغة اليهود السّبّ القبيح، فقالوا: إنا كنا نسبّ «محمداً» سراً فالآن أعلنوا له السبّ؛ لأنه من كلام أصحابه، فكانوا يأتون الرسول ﷺ فيقولون: يا محمد راعنا ويضحكون، ففطن لها رجل من الأنصار وهو سعد بن معاذ وكان عارفًا بلغة اليهود فقال لهم: يا أعداء الله عليكم لعنة الله، والذى نفس «محمد» بيده لئن سمعتها من رجل منكم لأضربن عنقه، فقالوا: ألستم تقولونها؟

فأنزل الله الآية. [أخرجه أبو نعيم، وابن المنذر][١].

معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾: وذلك أن المسلمين كانوا يقولون: راعنا يا رسول الله، من «المراعاة» أى: أرعنا سمعك بمعنى: فرّغ سمعك لكل واحد منّا، وكانت هذه الكلمة سبّا قبيحًا بلغة اليهود، قيل: هى من الرعونة، فكانوا إذا أرادوا أن يحمّقوا إنسانًا قالوا: «راعنا» أى: يا أحمق، فلما سمع اليهود هذه الكلمة من المسلمين قالوا فيما بينهم: كنا نسب «محمدًا» سرّا فأعلنوا به الآن، فكانوا يأتونه

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٣٦ ـ ٣٧، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص١٧ ـ ١٨، وانظر أيضًا: تفسير البغوى (١/ ١٠٢).

ويقولون: راعنا يا «محمد»، ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود: لئن سمعتها من أحد منكم يقولها للرسول ﷺ لأضربن عنقه، فقالوا: أولستم تقولونها؟ فأنزل الله هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ لكيلا يجد اليهود بذلك سبيلا إلى شتم رسول الله ﷺ.

* ﴿وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ أي: بدل تلك الكلمة قولوا: انظر إلينا.

* ﴿وَاسْمَعُوا﴾: ما تؤمرون به سماع قبول وطاعة.

* ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أعدّ لليهود يوم القيامة عذابًا مؤلمًا بسبب كفرهم.

وصدق الله إذْ قال: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩)﴾ [التوبة: ٤٩].

﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١٠٥)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿مَا يَوَدُّ﴾ أي: ما يتمنى ولا يحب. * ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ المراد: اليهود. * ﴿وَلا الْمُشْرِكِينَ﴾ معطوف على ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ﴾.

* ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: خير ونبوّة، و﴿مِنْ﴾ زائدة للصلة و﴿خَيْرٌ﴾ نائب فاعل، و﴿من ربكم﴾ فى موضع الصفة، أى كون الخير المنزل عليكم من ربكم.

* ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾: قال على بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه): ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ أى: بنبوته خصّ بها نبيّنا «محمدًا» ﷺ[١].

وقيل: الرحمة فى هذه الآية عامة بجميع أنواعها التى منحها الله عباده قديمًا وحديثًا.

* ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: ﴿ذُو﴾ بمعنى صاحب. و﴿الْفَضْلِ﴾: ابتداء الإحسان من الله ـ تعالى ـ لعباده.

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٦٨)، والإرشادات الجليّة فى القراءات السبع ص٤٥.

وصـــدق الله إذ قـــال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَـضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْـثَـرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أَن يُنَزِّلَ﴾: قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب بإسكان النون، وتخفيف الزاى، مضارع «أنزل».

وقرأ الباقون بفتح النون، وتشديد الزاى، مضارع «نزل» مضعف العين[١].

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾: ﴿مَا﴾ حرف شرط جازم يجزم فعلين الأول فعل الشرط، والثانى جوابه وجزاؤه. وفعل الشرط هنا هو: ﴿نَنسَخْ﴾. وجواب الشرط قوله ـ تعالى ـ: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾.

والكلام على النسخ من البحوث التى اهتمت بها مصنفات علوم القرآن[٢].

وحسبى أن ألقى الضوء هنا على بعض الأمور المتعلقة بالنسخ مثل:

* أولا: تعريف النسخ:

يطلق النسخ فى اللغة على عدّة معان منها:

١ ـ النقل، يقال: نسختُ كتابى من كتاب فلان: إذا نقلتُه منه.

٢ ـ والإزالة، يقال نسخت الشمسُ الظلَّ بمعنى أزالته.

والنسخ فى اصطلاح علماء الأصول هو: انتهاء العمل بحكم شرعى بدليل شرعىّ متراخ عنه.

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٦٨)، والإرشادات الجليّة فى القراءات السبع ص٤٥.

(٢) انظر فى ذلك: مبحث النسخ فى القرآن الكريم فى كتابى «فتح الملك المنّان فى علوم القرآن» (١/ ١٤٩ : ١٩٥).

* ثانيًا: الدليل على وقوع النسخ:

لقد ثبت وقوع النسخ بالكتاب، والسنّة والإجماع. وسأكتفى هنا بذكر دليلين من القرآن الكريم:

الأول: قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٠١)﴾ [النحل: ١٠١]، وهى سورة مكيّة.

والثاني: قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦)﴾ [البقرة: ١٠٦]، وهى سورة مدنيّة.

* ثالثًا: المصادر التى يُعتمد عليها لمعرفة النسخ:

قرر جمهور العلماء أن النسخ لا بدّ من الاعتماد فيه على النقل الصحيح عن النبىّ ﷺ، أو عن الصحابى بحيث يقرر أن آية كذا نُسِخَت بكذا.

* رابعًا: شروط المنسوخ:

يجب فى المنسوخ أن يكون حكمًا شرعيًا عمليًا، ثابتًا بالنصّ، غير مؤقت، مقدمًا فى النزول عن الناسخ.

* خامسًا: ما لا يقع فيه النسخ:

اعلم أن الإجماع، والقياس، لا يقع فيهما النسخ، كما أنهما لا ينسخان غيرهما.

* سادسًا: الأشياء التى لا يجوز نسخها أهمها ما يلى:

١ ـ لا يجوز نسخ الأخبار المحضة، لأن نسخها يعتبر تكذيبًا للمخبر، والله ـ سبحانه وتعالى ـ منزّه عن الكذب.

٢ ـ لا يجوز نسخ آيات الوعد والوعيد، لأنها أخبار، وبذلك تكون ملحقة بالنوع الأول: الأخبار المحضة.

٣ ـ لا يجوز نسخ الأحكام الشرعية الاعتقادية، لأن أحكام العقيدة لا يتصوّر فيها توارد الأمر والنهى على المسألة الواحدة.

٤ ـ لا يجوز نسخ الحكم المؤقت، لأنه ينتهى بانتهاء وقته دون الحاجة إلى النسخ.

٥ ـ لا يجوز نسخ الحكم المؤبّد بالنصّ، إذ لا يؤبّد الشارع حكمًا ثم ينسخه بعد مدّة مهما طالت أو قصرت.

تنبيه: اعلم أن رفع البراءة الأصليّة لا يعتبر نسخًا لأنه ليس فيه رفع لحكم شرعي.

* سابعًا: أهمّ أنواع النسخ فى القرآن هو: نسخ الحكم وبقاء التلاوة، وهذا النوع هو الذى أُلِّفت فيه الكتب، ولا خلاف فيه بين العلماء، مثال ذلك:

قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ [البقرة: ٢٤٠]، فهذه الآية تفيد أن عدّة المتوفّى عنها زوجها (حوْل كامل) هذا إن كانت غير حامل، فإن كانت حاملا فعدّتها بوضع الحمل.

ثم نسخ ذلك الحكم وبقيت التلاوة بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

* ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا ﴾ أى: بما هو أنفع لكم، وأسهل عليكم، وأكثر لأجركم، لا أنّ آية خير من آية، لأن كلام الله كله خير.

* ﴿ أَوْ مِثْلِهَا ﴾ أى: فى المنفعة والثواب، فكل ما نسخ إلى الأيسر فهو أسهل فى العمل. وكل ما نسخ إلى الأشقّ فهو فى الثواب أكثر.

* ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أى: قادر على كل شيء، ومنه النسخ والتبديل.

وهذا الاستفهام معناه التقرير، أى: أنت يا «محمد» تعلم ذلك علم اليقين، ولا تنكره، لأنك صفوة أنبيائى ورسلى، وخيرتى من خلقى.

وصدق الله إذْ قال مادحًا له ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (٤٦) ﴾ [الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦]

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ مَا نَنسَخْ ﴾: قرأ ابن عامر بخُلف عن هشام، بضم النون الأولى، وكسر الثانية، مضارع «أنسخ» رباعيًا، من «أنسخت الكتاب» على معنى: وجدته منسوخًا، مثل: أحمدت الرجل، وجدته محمودًا.

وقرأ الباقون من القراء العشرة، بفتح النون، والسين، على أنه مضارع «نسخ» الثلاثى، على معنى: ما نرفع من حكم آية ونبقى تلاوتها نأت بخير منها لكم أو بمثلها[1].

* ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾: قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ﴿ننسأها﴾ بفتح النون الأولى، والسين، وهمزة ساكنة بين السين والهمزة من «النسأ» وهو التأخير، على معنى: نؤخر نسخها إلى وقت معلوم، من قولهم: نسأتُ هذا الأمر: إذا أخرّته.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ننسها﴾ بضم النون، وكسر السين من غير همزة، من النسيان الذى بمعنى الترك أى نتركها فلا نبدّلها، ولا ننسخها، قال ذلك:

١ - ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما).

٢ - والسّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ)[2].

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ (١٠٧)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: الخطاب هنا للنبىّ ﷺ، والمراد أمته لقوله - تعالى -: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾، حينئذ يكون المعنى: قل لهم يا «محمد» هذا.

* ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أى: مما سوى الله - تعالى -.

* ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ المراد بالولىّ هنا: من يتولى شئون الإنسان، من قولهم: وَلَيْتُ أمر فلان، أى: قمت به، ومنه ولىّ العهد، أى: القيّم بما عُهِدَ إليه من أمر المسلمين.

* ﴿وَلا نَصِيرٍ﴾ أى: ناصر من «النصرة» وهى الإعانة والمنعة.

فالله - سبحانه وتعالى - هو نعم الولىّ ونعم النصير.

---

(١) انظر: النشر بتحقيقنا (٢/ ٤١٤)، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ١٧٠)، والمستنير فى تخريج القراءات (١/ ٣٣)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٦٩).

(٢) انظر: النشر (٢/ ٤١٤)، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ١٧٣)، والمستنير فى تخريج القراءات (١/ ٣٣)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٦٩).

وصدق الله إذْ قال: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧]

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٠٨) ﴾

سبب نزول هذه الآيـــة:

قال ابن عباس (ت٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما): نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبى أميّة، ورهط من قريش قالوا: يا «محـمد» اجعل لنا الصّفا ذهبًا، ووسع لنا أرض مكّة، وفجّر الأنهار خلالها تفجيرا، نؤمن بك، فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية. اهـ[1].

معانى المفردات:

* ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ ﴾، هذه ﴿ أَمْ ﴾ المنقطعة التى بمعنى «بَلْ» أى: بلْ أتريدون.

* ﴿ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ ﴾: «محمدًا» ﷺ. * ﴿ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ أى: سألــه قومـه فـقالـوا كـمـا ذكر الله ـ تعـالى ـ ذلك فى القرآن فـقال ـ عزّ مَـنْ قائل ـ: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [البقرة: ٥٥].

* ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ ﴾ أى: مـن يستبـدل الكفـر بالإيمـان فـهـو كما قال ـ تعالى ـ: * ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ أى: أخطأ وسط الطريق.

والمـقصـود من الآية الكريمـة هو ذمّ من سأل الـرسول ﷺ عن شىء على وجـه التعنت، كما سألت بنو إسرائيل نبىّ الله موسى ـ عليه السلام ـ تعنّتًا، وعنادًا.

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

قـال ابن عبـاس (ت٦٨ هـ ـ رضى الله عنهمـا): نزلت الآية فى نفـر من اليهود، قالوا لحـذيفة بن اليمـان (ت ٣٦هـ)، وعمّار بن ياسر ـ رضـى الله عنهما ـ بعد وقـعة

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٣٧.

«أُحُد»: لو كنتم على الحقّ ما هزمتم، فارجعا إلى ديننا فنحن أهدى سبيلا منكم، فقال لهم عمّار: كيف نقض العـهد فيكم؟ قالوا: شديد، قال: فإنى قـد عاهدت أن لا أكفر «بمحمد» ﷺ ما عشتُ، فقالت اليهود: أمّا هذا فقد صبأ.

وقال حذيفة: أمّا أنا فقد رضيت بالله ـ تعالى ربّا، و«بمحمد» نبيّا، وبالإسلام دينًا، وبالقرآن إمامًا، وبالكعبة قبلةً، وبالمؤمنين إخوانًا.

ثم أتيا رسـول الله ﷺ فأخبـراه بذلك، فقال رسـول الله ﷺ: «قد أصبـتما الخـير، وأفلحتما» فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ . . . ﴾ الآية[1].

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ أى: تمنّى وأحبّ ﴿ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ من اليهود. * ﴿ لَوْ يَرُدُّونَكُم ﴾: يا معشر المؤمنين. * ﴿ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا ﴾ مفعول ثان بـ ﴿ يَرُدُّونَكُم ﴾. * ﴿ حَسَدًا ﴾ مفعول لأجله، أى: ودّوا ذلك من أجل الحسد.

وهذا هو الحسد المذمـوم، وهو تمنّى زوال نعمـة الله عن الغيـر، وهذا النوع هو الذى ذمّه الله ـ تعالى ـ فى كـتابه بقـوله: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا (٥٤) فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (٥٥) ﴾ [النساء: ٥٤ ـ ٥٥].

وإنما كان مذمومًا لأن فيه تسفيه الله ـ سبحانه وتعالى ـ، لأنه أنعم على من لا يستحق.

* ﴿ مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ أى: أن هذا الحـسد من تلقـاء أنفـسهم إذ النفس أمّـارة بالسوء، ولم يأمرهم الله به، لأن الله لا يأمر بالفحشاء، ولا بالمنكر، والبغى.

وصدق الله إذ قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) ﴾ [النحل: ٩٠].

* ﴿ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ أى: من بعد ما ظهر لهم الحقّ فى التوراة من أن «محمدًا» ﷺ رسول من عند الله، وأن القرآن الذى أنزل عليه هو تنزيل العزيز الرحيم،

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٣٨، وتفسير البغوى (١ / ١٠٥).

وصدق الله إذ قال: ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) ﴾ [يونس: ٣٧].

* ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا ﴾: «العفو»: ترك المؤاخذة بالذنب، و«الصفح»: إزالة أثر الذنب من النفس، يقال: صفحت عن فلان: إذا أعرضت عن ذنبه.

وصدق الله إذ قال فى الحثّ على العفو والصفح: ﴿ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) ﴾ [التغابن: ١٤].

* ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ وقد تحقق هذا، وذلك بالقتل، والسّبى لبنى قريظة والجلاء لبنى النضير.

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أى: لا يُعْجزه شىء.

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ هذا الأمر موجه لجميع المسلمين من أمّة نبينا «محمد» ﷺ والمراد بالصلاة: الصلاة المفروضة، والمراد بإقامتها: أداؤها تامّة فى أوقاتها، وبشروطها، وأركانها، وسُنَنها، وآدابها، وكل ذلك موضح ومبين فى كتب الفقه والحمد لله رب العالمين.

والمراد بالزكاة: الزكاة المفروضة، سواء كانت فى الأموال أو عروض التجارة، أو الحبوب، أو الإبل، أو البقر، أو الغنم، وكل ذلك موضحٌ ومبين فى كُتُب الفقه، ولله الحمد والشكر.

والمراد بإيتائها: إعطاؤها للأصناف الثمانية المذكورين فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦٠].

* ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ﴾:

✻ **المعنى:** يخبر الله ـ تعالى ـ بأنّ من عمل أىّ عمل صالح سواء كان صغيراً أو كبيراً، سيجد ثوابه يوم القيامة، الحسنة بعشر أمثالها، بل يضاعفها الله ـ تعالى ـ إلى سبعمائة ضعف، يدلّ على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)﴾ [البقرة: ٢٦١].

* ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أى: مطلع على جميع أعمالكم.

ولعل الحكمة من ختم الآية بهذه العبارة: الإشارة إلى أن الله ـ تعالى ـ طيب لا يقبل إلا طيبًا، وأنه لا يقبل أىّ عمل إلا إذا كان خالصًا لوجهه الكريم، بعيداً عن الرياء، والمنّ، والأذى، لأن ذلك محبط للأعمال، وصدق الله إذ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤)﴾ [البقرة: ٢٦٤].

﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١١١) بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾:

✻ **المعنى:** وقالت اليهود لن يدخل الجنّة إلا من كان يهوديًا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيًا.

* ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾:

✻ **المعنى:** قال الله ـ تعالى ـ ردًا على اليهود، والنصارى، وتكذيبًا لهم فى دعواهم الباطلة: هذه أمانيهم الباطلة التى تمنوها بغير حقّ، ولا دليل.

* ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾:

✻ **المعنى:** قل لهم يا «محمد» أحضروا حجتكم على ما زعمتم إن كنتم صادقين في دعواكم الباطلة.

وأصل ﴿هَاتُوا﴾ «هاتيوا» حذفت ضمة الياء لثقلها، ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين.

* ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ هذا ردّ من الله ـ تعالى ـ عليهم.

✻ **والمعنى:** بلى ستمسكم النار، بَلْ ستخلدون فيها، وليس الأمر كما زعمتم، إنما سيدخل الجنة ويخلّد فيها من أخلص دينه، وعبادته لله وحده، وخضع له بجميع جوارحه.

وخصّ الله «الوجه» بالذكر لكونه أشرف ما يرى من الإنسان.

وهذا عند علماء البلاغة مجاز مرسل، من إطلاق الجزء، وإرادة الكل.

* ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ الواو للحال، أي: والحال أنه محسن، أي: مخلص لله ـ تعالى ـ في جميع أعماله.

* ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: يوضح ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠)﴾ [النحل: ٣٠].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾ قرأ أبو جعفر بياء ساكنة مخففة وكسر الهاء.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بضمّ الياء مشدّدة وضم الهاء.

* ﴿وَهُوَ﴾ قرأ قالون، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو جعفر بإسكان الهاء، للتخفيف.

وقرأ الباقون بضمها على الأصل.

ويوقف عليها ليعقوب بهاء السكت قولا واحداً[١].

* ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: قرأ يعقوب بفتح الفاء، وحذف التنوين، على أن «لا» نافية للجنس تعمل عمل «إنّ» و «خوف» اسمها، «عليهم» متعلق بمحذوف خبرها.

(١) انظر: المهذب في القراءات العشر (١/ ٦٩ ـ ٧٠).

وقرأ الباقون برفع الفاء مع التنوين. على أنّ «لا» لا عمل لها، و«خوف» مبتدأ، «عليهم» خبر(١).

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) قال: لما قدم وفد نصارى نجران على رسول الله ﷺ أتتهم أحبار اليهود فتناظروا وتنازعوا حتّى ارتفعت أصوات الفريقين، فقالت اليهود للنصارى: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بعيسى والإنجيل.

وقالت النصارى لليهود: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بموسى والتوراة، فأنزل الله الآية. [أخرجه ابن أبي إسحاق](٢).

معاني المفردات:

* ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾:

المعنى: ادّعى كل فريق منهم أن الفريق الآخر ليس على شيء، وأنه أحقّ برحمة الله منه.

* ﴿ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾: الواو للحال، أي: وكل واحد من الفريقين يقرأ الكتاب المُنزّل على نبيّه. فاليهود يقرأون التوراة، والنصارى يقرأون الإنجيل.

* ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾:

قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): المراد بالذين لا يعلمون: عوامّ النصارى(٣).

---

(١) انظر: المهذب في القراءات العشر (١/ ٧٠).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي ص٣٨ ـ ٣٩، وأسباب النزول للشيخ القاضي ص١٩، والدرّ المنثور (١/ ٢٠٣)، وتفسير البغوي (١/ ١٠٦).

(٣) انظر: تفسير البغوي (١/ ١٠٦).

وقال مقاتل بن حيّان البلخي (ت ١١٠هـ)، والسّدي إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ): هم مشركو العرب، كذلك قالوا في نبيّهم «محمد» ﷺ وأصحابه: إنهم ليسوا على شيء من الدين[١].

* ﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾: وسيعاقبهم على كذبهم، وافترائهم، وصدق الله إذ قال: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ [الزمر: ٦٠].

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُوْلَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤) ﴾

❁ سبب نزول هذه الآية:

أخرج ابن إسحاق، وابن أبي حاتم عن ابن عباس (ت ٦٨هـ): أن قريشًا منعوا النبيّ ﷺ الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام فأنزل الله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ... ﴾ الآية[٢].

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾: ﴿مَنْ﴾ في محلّ رفع مبتدأ، و﴿أَظْلَمُ﴾ خبر، وحينئذ يكون المعنى: لا أحد أظلم... إلخ. و ﴿مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ مفعول به لـ ﴿مَّنَعَ﴾، و﴿أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ في محل نصب على البدل من ﴿مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾.

* ﴿ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ﴾: قال عطاء بن أبي رباح (ت ١١٥هـ): أراد الله بالمساجد المسجد الحرام منعوا رسول الله ﷺ وأصحابه من حجّه، والصلاة فيه عام الحديبية، وإذا منعوا رسول الله ﷺ من أن يعمره بذكر الله فقد سعوا في خرابه[٣].

وقيل: الصحيح أن الآية عامة في تحذير كل من منع من ذكر الله في المساجد وسعى في خرابها، لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع، فتخصيصها ببعض المساجد ضعيف[٤].

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١/١٠٦ ـ ١٠٧)، والدرّ المنثور (١/٢٠٣).

(٢) انظر: الدرّ المنثور (١/٢٠٤). (٣) انظر: تفسير البغوي (١/١٠٧).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٢/٥٣)، وأسباب النزول للشيخ القاضي ص١٩.

وتخريب المساجد قد يكون حقيقيًا كتخريب «بختنصّر» بيت المقدس، ويكون مجازيًا كمنع المشركين المسلمين حين صدوا رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام، وتعطيل المساجد عن الصلاة، وإظهار شعائر الإسلام فيها تخريب لها.

* ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ﴾: وذلك أن النبيّ ﷺ بعد فتح مكة أمر مناديًا ينادي: «ألاَ لاَ يحجنّ بعد هذا العام مشرك». فهذا النداء خوّف المشركين، وأصبح لا يُمكّن مشرك من دخول المسجد الحرام.

* ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

✻ **المعنى:** لكل من تنطبق عليه هذه الآية الكريمة الخزى فى الدنيا، والعذاب الشديد يوم القيامة.

وصدق الله إذْ قال فى عقوبة الظلمة: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣)﴾ [الأنعام: ٩٣].

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥)﴾

۞ سبب نزول هذه الآية:

اختلف العلماء فى سبب نزول هذه الآية[1]، طلبًا للاختصار سأكتفى بذكر ما يلى:

عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ)، عن ابن عمر (ت٧٣ هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كان رسول الله ﷺ يصلّي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه، وفيه نزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[2].

وقال ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ: أنزلت ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ أن تصلّي حيثما توجهت بك راحلتك فى التطوع. [أخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم][3].

---

(١) انظر فى ذلك: أسباب النزول للواحدى من ص٣٩ : ٤٢، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٢٠، وأسباب النزول لأبى عبد الرحمن مقبل ص٢٥، وتفسير البغوى (١/ ١٠٧ ـ ١٠٨)، وتفسير القرطبى (٢/ ٥٥ ـ ٥٦).

(٢) انظر: أسباب النزول لأبى عبد الرحمن مقبل ص٢٥، والحديث فى صحيح مسلم (٥/ ٢٠٩)، وأخرجه الترمذى فى التفسير (٤/ ٦٨)، وقال: حسن صحيح.

(٣) انظر: أسباب النزول للشيخ القاضى ص٢٠.

•• الناسـخ والمنسـوخ:

كما اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية، اختلفوا أيضًا هل هي منسوخة أو لا.

ومن الأدلّة على أنها منسوخة ما يلي:

قال الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ ـ رحمه الله تعالى): حدّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال: حدّثنا همّام قال: حدثنا قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ قال: وكانوا يصلّون نحو بيت المقدس ثم وجهه الله نحو الكعبة، وقال ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٥٠] فنسخت هذه الآية ما كان قبلها من قِبْلة[١].

❀ معاني المفردات:

* ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾: ﴿الْمَشْرِقُ﴾: جهة شروق الشمس، و﴿الْمَغْرِبُ﴾: جهة غروبها، أي: هما ملك لله، وما بينهما من الجهات، والمخلوقات، بالإيجاد، والخَلْق، لا على مثال سبق. وخصّهما بالذكر تشريفًا لهما.

* ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾: عن عبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضي الله عنهما)، والنّخعيّ إبراهيم بن يزيد بن قيس الكوفي (ت ٩٥هـ): أينما تولّوا في أسفاركم، ومتصرفاتكم فثمّ وجه الله[٢].

وقال الحسن البصري (ت ١١٠هـ)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨هـ)، ومقاتل بن حيّان البلخيّ (ت ١١٠هـ): ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ أي: قِبلة الله، إذ الوجه، والوجهة، والجهة: القِبْلَة[٣].

وحينئذ يكون المعنى: حيثما توجهتَ في صلاتك النافلة على الراحلة في السفر: شرقًا، أو غربًا، فثمّ قِبْلَة الله.

---

(١) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد الهروي ص١٨، الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس ص١٦ ـ ١٧، وناسخ القرآن ومنسوخه لابن الجوزي ص١٧٠.

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ٥٧).

(٣) انظر: تفسير البغوي (١/ ١٠٨).

و ﴿ ثَمَّ ﴾ بفتح الثاء، وتشديد الميم: اسم يشار به إلى المكان البعيد نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٤]. وهو ظرف لا يتصرّف مبنى على الفتح فى موضع نصب على الظرفية[١].

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ أى: غنىّ يعطى من سعة، إذْ الواسع: الجواد الذى يسع عطاؤه كل شىء.

وقيل: يوسّع على عباده، ولا يكلفهم ما ليس فى وسعهم، يؤيد هذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿ عَلِيمٌ ﴾: صيغة مبالغة من العلم، أى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء، ويعلم السرّ وأخفى، وعليم بذات الصدور.

القراءات وتوجيهها:

﴿ فَثَمَّ ﴾ وقف عليها رويس عن يعقوب بهاء السكت بخُلف عنه، لبيان حركة الميم. ووقف باقى القراء العشرة على ميم ساكنة مشدّدة تغنّ بمقدار حركتين، وذلك على الأصل[٢].

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾

سبب نزول هذه الآية:

قال العلماء: نزلت هذه الآية فى يهود المدينة، إذْ قالوا: عزير ابن الله، وفى نصارى نجران إذْ قالوا: المسيح ابن الله، وفى مشركى العرب إذْ قالوا: الملائكة بنات الله[٣].

معانى المفردات:

* ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً ﴾: هذا إخبار من الله ـ تعالى ـ عن اليهود، ونصارى نجران، ومشركى العرب، فى أقوالهم الكاذبة، كما ورد فى سبب نزول الآية.

* ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾: «سبحان» منصوب على المصدر، ومعناه: التبرئة، والتنزيه، والمحاشاة لله ـ تعالى ـ عما قاله هؤلاء الكذّابون.

---

(١) انظر: معجم النحو باب الثاء ص١٢٤.

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٧٠).

(٣) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٤٢، وتفسير البغوى (١/ ١٠٨).

* ﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: ﴿بَل﴾ هنا معناها الإضراب الإبطالي، أي: إبطال ما قبلها، وإثبات ما بعدها، ومثل هذه الآية قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦)﴾ [الأنبياء: ٢٦].

✳ **المعنى:** كل ما فى السموات والأرض ملْك لله ـ تعالى ـ وحده لا يشاركه فيه أحد.

وصدق الله إذْ قال: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥)﴾ [مريم: ٩٣: ٩٥].

* ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾: التنوين فى ﴿كُلٌّ﴾ عوض عن المضاف إليه، أي: كل من فى السموات والأرض، لله ـ تعالى ـ قانتون، أي: مطيعون.

وقال عكرمة البربريّ مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ)، ومقاتل بن حيّان البلخيّ (ت ١١٠هـ): معنى ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ أي: مقرون له بالعبوديّة.

يستفاد من هذه الآية: أن حكمها عامّ فى جميع الخلق، لأن لفظ ﴿كُلٌّ﴾ يفيد العموم، ولا يشذ عن ذلك شيء.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَقَالُوا﴾ [رقم: ١١٦]

قال ابن عامر الشاميّ ﴿قَالُوا﴾ بدون واو، على الاستئناف، وهى مرسومة فى مصحف أهل الشام ﴿قَالُوا﴾ بدون واو، ليتفق رسم المصحف مع القراءة[١].

وقرأ الباقون من القرّاء العشرة ﴿وَقَالُوا﴾ بالواو، على أنها لعطف جملة على مثلها، وهى مرسومة ﴿وَقَالُوا﴾ بالواو فى بقية المصاحف[٢].

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (١١٧)﴾

معانى المفردات:

* ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: ﴿بَدِيعُ﴾ على وزن «فعيل» صيغة مبالغة، وهى خبر والمبتدأ محذوف، والتقدير: «هو بديع».

---

(١) قال ابن عاشر: وقالوا اتخذ بحذف شام.

(٢) انظر: النشر لابن الجزرى بتحقيقنا (٢/ ٤١٤)، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ١٧٥)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٧٠).

وصيغة «فعيل» تأتى لعدّة معان، وهى فى الآية الكريمة بمعنى «اسم الفاعل مبدع» مثل: «بصير بمعنى مبصر».

وإبداع الشيء: إيجاده لا عن مثال سبق، فالله ـ عزّ وجلّ ـ مبدع السموات والأرض، أي: منشؤها، وموجدها، ومخترعها، لا عن مثال سبق.

* ﴿ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾:

* ﴿ أَمْرًا ﴾: واحد الأمور، وليس بمصدر «أمر يأمر» وحينئذ يكون المعنى: إذا أراد الله قضاء أمر، أي: إيجاده، وإمضاءه قال له: ﴿ كُن ﴾ فهو يكون، أي: يوجد على الفور من غير تراخ ولا مهلة مهما قصرت.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَيَكُونُ ﴾: قرأ ابن عامر بنصب النون على تقدير إضمار «أنْ» بعد الفاء.

وقرأ الباقون بالرفع على الاستئناف، والتقدير: فهو يكون[١].

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (١١٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ﴾: اختلف المفسرون فى قائل هذا القول:

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): هم اليهود.

٢ ـ وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): هم النصارى.

٣ ـ وقال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ)، والسّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ): هم مشركو العرب[٢].

* ﴿ لَوْلَا ﴾: حرف تحضيض بمعنى «هلاّ» وعلامتها أنها لا يليها إلا الفعل. بخلاف «لولا» التى هى حرف امتناع لوجود، فإنها يليها المبتدأ، نحو: «لولا رحمة الله لهلك الناس».

---

(١) انظر: النشر بتحقيقنا (٢/ ٤١٥)، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ١٧٨ ـ ١٧٩).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ٦٣)، وتفسير البغوى (١/ ١٠٩).

وحينئـذ يكون المعنى: هلاّ يكلمنا الله بنبـوة «محمـد» ﷺ فنعلم أنه نبيّ، أو تأتينا آية تكون علامة على صدق نبوّته.

* ﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾: اختلـف العلمـاء فـى المـراد بـ ﴿ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم ﴾، وهذا الخلاف مفرّع على الخلاف فى قائل قـوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ . . . ﴾ إلخ:

١ ـ فمن قال: هم اليهود، أو النصارى. يكون المراد بالذين من قبلهم: كفار الأمم السابقة.

٢ ـ ومن قال: هم مشركو العرب، يكون المراد: اليهود والنصارى.

* ﴿ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أى: أشبه بعضهم بعضًا فى الكفر، والعناد، وطلب المحال.

* ﴿ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾:

✳ **المعنى:** وضحنا العلامات الدالات على صدق وحدانيتنا، وقدرتنا، وعلى صدق نبوّة «محمد» ﷺ، ولكن لا ينتفع بذلك إلا الموقنون.

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (١١٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ ﴾ أى: يا «محمد» ﷺ. * ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ أى: بالصدق.

* ﴿ بَشِيرًا ﴾ أى: مبشرًا لأوليائى، وأهل طاعتى بالثواب الجزيل يوم القيامة.

* ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ أى: منذرًا، ومخوّفًا لأعدائى، وأهل معصيتى بالعذاب الأليم يوم القيامة.

* ﴿ وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ أى: لست مسئولا عن كـفر، وعصيان أصحاب الجحيم، وصدق الله إذْ قال: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ ﴾ [الشورى: ٤٨].

وإذْ قال: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ (٢٢) ﴾ [الغاشية: ٢١ ـ ٢٢]

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلا تُسْأَلُ ﴾ [رقم: ١١٩].

قرأ نافع، ويعقوب بفتح التاء، وجزم اللام، وذلك على النهي، وحينئذ يكون المعنى: نهى الله ـ سبحانه وتعالى ـ نبينا «محمداً» ﷺ أن يسأل عن أحوال الكفار، وأصحاب الجحيم.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بضم التاء، ورفع اللام، على الاستئناف، وحينئذ يكون المعنى: إنك يا «محمد» لا تُسأل عن أصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا، لأن ذلك ليس لك، إن عليك إلا البلاغ، وإنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء[1].

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠) ﴾

❁ سبب نزول هذه الآية:

قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما): هذا في القِبْلَة، وذلك أنّ يهود المدينة، ونصارى نجران، كانوا يرجون النبيّ ﷺ حين كان يصلّي إلى قبلتهم، فلمّا صرف الله القِبْلة إلى الكعبة أيسوا منه أن يوافقهم على دينهم، فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ . . . ﴾ الآية[2].

❁ معاني المفردات:

* ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾: هذا الخطاب موجّه إلى النبيّ ﷺ، وأمّته تبع له، والمعنى: لن ترضى عنك اليهود إلا باليهوديّة، ولا النصارى إلا بالنصرانية. و«الملّة»: الطريقة.

* ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ﴾:

❁ **المعنى:** ما أنت عليه يا «محمد» هو الحق، الذي يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده، وصدق الله إذ قال: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

---

(١) انظر: النشر بتحقيقنا (٢/ ٤١٦)، والمغني في توجيه القراءات (١/ ١٨٣ ـ ١٨٤)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ٧١)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٢٦٢).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي ص٤٣، وأسباب النزول للشيخ القاضي ص٢١، وتفسير البغوي (١/ ١١٠).

* ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾: «الأهواء» جمع «هوى» ولما كانت الأهواء مختلفة جمعت.

* ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ وهو البيان الواضح بأن الدين عند الله الإسلام، وبأن القِبْلَة هى الكعبة لأنها قِبْلَة نبى الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ.

* ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾: ومن لم ينصره الله فلا ناصر له، وصدق الله إذ قال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠]، وإذ قال على لسان نبيّه صالح ـ عليه السلام ـ: ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ [هود: ٦٣].

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾، قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): نزلت فى أهل السفينة قدموا مع جعفر بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ، وكانوا أربعين رجلا، اثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية من رهبان الشام، منهم بحيرا الراهب(١).

وقال عكرمة البربرى مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): هم أصحاب نبينا «محمد» ﷺ(٢).

* ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ﴾: المراد به القرآن الكريم.

قال عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه): يقرأونه كما أُنزل، ولا يحرِّفُونه، ويُحلّون حلاله، ويُحرّمون حرامه(٣).

* ﴿أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أى: يصدّقون بأنه منزّل من عند الله ـ تعالى ـ على نبيه «محمد» ﷺ.

* ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، أى: فى الدنيا والآخرة، وصدق الله إذ قال: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر: ١٥].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ١١٠).

(٣) المرجع المتقدم (١/ ١١١).

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٢٢) وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ (١٢٣)[1] وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾: «إذْ» ظرف لما مضى من الزمان متعلق بفعل محذوف، والتقدير: «واذكر إذ ابتلى» إلى آخر الآية.

و«الابتلاء»: الاختبار، والامتحان. وابتلاء الله عباده ليس ليعلم أحوالهم بالابتلاء، لأنه عالم بهم، لأنه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء. ولكن يبتليهم ليعلم العبادُ أحوالَهم، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فليتب إلى الله.

وصدق الله إذ قال: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢) ﴾ [طه: ٨٢]

* ﴿ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ ﴾: ﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾ مفعول به لأنه هو المبتلَى، و﴿ رَبُّهُ ﴾ فاعل الابتلاء.

* ﴿ بِكَلِمَاتٍ ﴾: اختلف المفسرون في هذه الكلمات[2]، من ذلك ما قاله ابن عباس (ت٦٨ هـ ـ رضي الله عنهما) قال: ابتلاه الله ـ تعالى ـ بعشرة أشياء، وهي: الفطرة، خمس في الرأس: قصّ الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الرأس. وخمس في البدن: تقليم الأظفار، ونتف الإبط، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء بالماء[3].

---

(١) تقدّم تفسير الآيتين رقم ١٢٢، ١٢٣ أثناء تفسير الآيتين رقم ٤٧، ٤٨.

(٢، ٣) من أراد معرفة الأقوال في ذلك فليرجع إلى: تفسير القرطبي (٢/ ٦٧)، وتفسير البغوي (١/ ١١١).

وذكر المفسرون: أن نبيّ الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ هو أوّل من قصّ الشارب، وأوّل من اختتن، وأوّل من قلّم الأظفار، وأوّل من رأى الشيب، فلمّا رآه قال: يا ربّ ما هذا؟ قال: الوقار، قال: يا ربّ زدني وقاراً(١).

* ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ أي: أدّاهن تامّات.

* ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ أي: قال الله ـ تعالى ـ لنبيه إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ أي: قدوة يقتدي بك في الخير.

* ﴿ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾:

❋ **المعنى:** سأل نبي الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ ربَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن يجعل من أولاده وذريته أئمة يقتدى بهم، فأجابه اللهُ بقوله:

* ﴿ قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾:

❋ **المعنى:** قال الله ـ تعالى ـ: لا يصيب عهدي أي نبوّتي، وإمامتي، الظالمين، أي: لا ينال ما عهدتُ إليك من النبوّة، والإمامة من كان ظالمًا من ولدك، بل سينال ذلك المخلصين المطيعين الذين سأصطفيهم، وأختارهم.

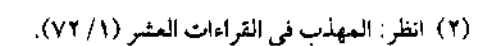
وصدق الله إذ قال: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥) ﴾ [الحج: ٧٥].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾: قرأ ابن عامر بخُلف عن ابن ذكوان جميع لفظ ﴿ إبراهيم ﴾ في سورة البقرة ﴿ إبراهام ﴾ بفتح الهاء، وألف بعدها.

وقرأ الباقون ﴿ إبراهيم ﴾ بكسر الهاء، وياء بعدها، وهو الوجه الثاني لابن ذكوان، وهما لهجتان فصيحتان.

* ﴿ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾: قرأ حفص، وحمزة بإسكان الياء وحذفها للساكنين، والباقون بفتحها وإثباتها، والإسكان، والفتح لهجتان فصيحتان(٢).



(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ١١١).

(٢) انظر: المهذب في القراءات العشر (١/ ٧٢).

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾: ﴿ إِذْ ﴾ ظرف لما مضى من الزمان، وهو متعلق بفعل محذوف، والتقدير: «واذكر إذ جعلنا...» إلخ. و«جعل» هنا بمعنى «صيّر» لأنها نصبت مفعولين وهما «البيت، مثابة».

* ﴿ الْبَيْتَ ﴾، أي: الكعبة. * ﴿ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ أي: مرجعًا لهم.

قال سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): أي: يثوبون إليه من كل جانب ويحجون[١].

يقال: «ثاب يثوب مثابة» فالمثابة مصدر، وصف به البيت الحرام، لأنه الموضع الذى يثاب إليه.

* ﴿ وَأَمْنًا ﴾: هو مصدر «أمِنَ يأمن أمنًا» وهو وصف أيضًا لبيت الله الحرام، وذلك لأن كل من دخله يكون آمنًا على نفسه من كل مكروه، وبخاصة: من أذى الكفار، والمشركين، وصدق الله إذ قال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

* ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾:

﴿ اتَّخِذُوا ﴾ فعل أمر، وهو أمر من الله ـ تعالى ـ. * ﴿ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾: ومقام إبراهيم ـ عليه السلام ـ: هو الحجر الذى فى المسجد الحرام، وهو الذى قام عليه نبىّ الله إبراهيم عند بناء البيت. و«المقام» فى اللغة: موضع القدمين، من «قام يقوم».

فى صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ): أن النبى ﷺ لما رأى البيت استلم الركن فرمل ثلاثًا ومشى أربعًا، ثم تقدّم إلى مقام إبراهيم فقرأ ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ فصلّى ركعتين، قرأ فيهما بـ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص]، و﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾[٢].

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ١١٢).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ٧٧).

وعن عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: وافقت ربّي في ثلاث: قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلّى فنزلت: ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾. وقلت: يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهنّ البرّ والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغيرة فقلت لهنّ: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن، فنزلت كذلك الآية: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ... ﴾ الآية [التحريم: ٥]، أخرجه البخاري(١).

* ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ﴾ أي: أوحينا إليهما، وأمرناهما.

* ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ ﴾ المراد: بيت الله الحرام: الكعبة المشرفة، وإضافة البيت إليه إضافة تشريف وتكريم.

قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ)، وعطاء بن أبي رباح (ت ١١٥هـ): أي: طهراه من الأوثان، والريب، وقول الزور(٢).

* ﴿ لِلطَّائِفِينَ ﴾: قال عطاء بن أبي رباح: الذين يطوفون به(٣).

* ﴿ وَالْعَاكِفِينَ ﴾: المقيمين المجاورين.

* ﴿ وَالرُّكَّعِ ﴾ جمع راكع. * ﴿ السُّجُودِ ﴾: جمع ساجد وهم المصلون.

القراءات وتوجيهها:

﴿ وَاتَّخِذُوا ﴾ [رقم: ١٢٥].

قرأ نافع، وابن عامر بفتح الخاء، على أنه فعل ماض أريد به الإخبار، وهو معطوف على قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بكسر الخاء، على أنه فعل أمر(٤).

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ٧٧)، تفسير البغوي (١/ ١١٣)، وأسباب النزول للشيخ القاضي ص٢١.

(٢) انظر: تفسير البغوي (١/ ١١٤).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ٧٨).

(٤) انظر: المغني في توجيه القراءات (١/ ١٩٣).

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا ﴾ أي: مكة. * ﴿ بَلَدًا آمِنًا ﴾ أي: ذا أمن يأمن فيه أهله. * ﴿ وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾: إنما دعا إبراهيم ـ عليه السلام ـ بذلك، لأنه كان بواد غير ذي زرع، وخصّ المؤمنين بالدعاء، فأجابه الله بقوله:

* ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ أي: أرزق من آمن ومن كفر، لأنه ـ تعالى ـ قال: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦].

* ﴿ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾: أي: سأرزق الكافر وأمتّعه قليلا إلى منتهى أجله، ثم ألجئه في الآخرة إلى عذاب النار وبئس المرجع الذي سيصير إليه.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَأُمَتِّعُهُ ﴾ [رقم: ١٢٦]

قرأ ابن عامر بإسكان الميم، وتخفيف التاء، على أنه مضارع «أمتع» المعدّى بالهمزة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: بفتح الميم، وتشديد التاء، على أنه مضارع «متّع» المعدّى بالتضعيف(١).

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾: قيل: أول من بنى البيت آدم ـ عليه السلام ـ ثم اندرس زمن الطوفان، ثم أرسل الله ـ تعالى ـ جبريل ـ عليه

(١) النشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٢/ ٤١٨)، والمغني في توجيه القراءات (١/ ١٩٣)، والمستنير في تخريج القراءات (١/ ٣٨)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٢٦٥)، والحجة في القراءات السبع ص٨٧، وإتحاف فضلاء البشر ص ١٤٨.

السلام ـ ليدلّ نبيّ الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ على موضع البيت فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ [الحج: ٢٦]. فبنى نبيّ الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ البيت. وكان إبراهيم يبني، وابنه إسماعيل ـ عليه السلام ـ يناوله الحجارة، فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾، والمراد بالقواعد: أسسه، واحدتها: قاعدة.

* ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾ أي: يقولان: ربنا تقبل منّا بناءنا.

* ﴿ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ ﴾ لدعائنا. * ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بنياتنا.

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾: جعل هنا بمعنى «صيّر» تنصب مفعولين: الأول «نا»، والثاني «مسلمين».

✳ **المعنى:** صيرنا يا ربنا موحِّدَين، مطيعَين، مخلصَين، خاضعَين لك.

* ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ أي: واجعل يا ربنا من أولادنا جماعة مسلمة، وخاضعة، ومنقادة لك.

* ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ أي: علمنا، وعرّفنا شرائع ديننا، ومواضع حجنا. فاستجاب الله دعاءهما، فأرسل إليهما جبريل ـ عليه السلام ـ فأراهما مناسك الحج، ومعالمه.

وقيل: بعث الله جبريل فحجّ بهما، وأراهما جميع مناسك الحج، ومعالمه.

* ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾:

✳ **المعنى:** أنهما طلبا من الله ـ تعالى ـ التثبيت على ما هما عليه من الهداية والتوفيق. مثال ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ١]، أي: دم على ما أنت عليه.

* ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ ﴾ أي: في الأمة المسلمة التي هي من ذريّة إبراهيم، وإسماعيل. * ﴿ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾ فاستجاب الله دعاء نبيّه إبراهيم ـ عليه السلام ـ وأرسل نبيّه وحبيبه «محمداً» ﷺ، فهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ دعوة نبيّ الله إبراهيم، والدليل على ذلك الحديث الذي رواه العرباض بن سارية عن النبي ﷺ وقال: «إني عند الله مكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لمجندل في طينه، وسأخبركم بأوّل أمري: أنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أميّ رأت حين وضعتني وقد خرج منها نور أضاءت له منها قصور الشام». [أخرجه الإمام أحمد، وابن جرير، وابن أبي حاتم](١).

وأخرج الإمام أحمد، وابن سعد، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي عن أبي أمامة قال: قلت: يا رسول الله ما كان بدء أمرك؟ قال: «دعوة إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمّي أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام»(٢).

• فائدة جليلة:

قال ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضي الله عنهما): كل الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة: نوح، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ومحمد ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ(٣).

* ﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ﴾ أي: يقرأ عليهم كتابك وهو القرآن.

* ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ ﴾ أي: القرآن.

* ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾، قال قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨هـ): الحكمة: السُّنّة وبيان الشرائع(٤).

وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): الحكمة: مواعظ القرآن، وما فيه من أحكام(٥).

* ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ أي: يطهرهم من الشرك، والذنوب.

* ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ أي: الغالب، القويّ، الذي يضع الأمور كلها بحكمة.

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ١١٦)، والدر المنثور (١/ ٢٥٥).

(٢) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٢٥٥).

(٣) انظر: تفسير البغوي (١/ ١١٦).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ٨٩).

(٥) انظر: تفسير البغوي (١/ ١١٦).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أَرِنَا﴾ حيثما وقعت نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: ١٢٨].

* ﴿أرنى﴾، حيثما وقعت نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، قرأ ابن كثير، ويعقوب، وأبو عمرو بخُلْف عنه بإسكان الراء فيهما حيثما وقعا للتخفيف.

والوجه الثانى لأبى عمرو: اختلاس كسرة الراء، والاختلاس للتخفيف أيضًا.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بكسر الراء فيهما، على الأصل، والإسكان، والكسر، والاختلاس كل ذلك لهجات(١).

* ﴿فِيهِمْ، عَلَيْهِمْ، وَيُزَكِّيهِمْ﴾ قرأ يعقوب بضم الهاء فى الكلمات الثلاث، وذلك على الأصل فى هاء الضمير، وقرأ حمزة بضم الهاء فى كلمة ﴿عليهم﴾ فقط. وقرأ الباقون بكسر الهاء فى الجميع لمناسبة الياء(٢).

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١)﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾: «مَنْ» اسم استفهام مبتدأ، وهو للتوبيخ، والتقريع.

* ﴿يَرْغَبُ﴾: خبر «مَنْ». * ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾: خبر المبتدأ. وهذا الاستفهام بمعنى النفى، أى: ما يترك دين نبىّ الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ ويترك شريعته التى جاء بها إلا من خسر نفسه وأهلكها. يقال: رغب فى الشىء: إذا أراده. ورغب عنه: إذا تركه.

* ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾: الضمير يعود على نبىّ الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ.

---

(١) انظر: النشر لابن الجزرى بتحقيقنا (٢/ ٤١٨)، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ١٩٥)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٧٣ ـ ١٠٢)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٤٨.

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٧٣).

❋ **المعنى:** يخبر الله ـ تعالى ـ وخبره متمحض للصدق دائمًا أنه اصطفى أي: اختار إبراهيم ـ عليه السلام ـ للنبوّة، والرسالة، وصدق الله إذْ قال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ** (٣٣) ﴾ [آل عمران: ٣٣].

* ﴿ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾: الضمير يعود أيضًا على نبيّ الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ.

❋ **المعنى:** يخبر الله ـ تعالى ـ بأن نبيّه إبراهيم سيكون يوم القيامة مع الأنبياء المقربين في جنات النعيم لأنه من عباده الصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

* ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ﴾ أي: استقم على الإسلام الذى أنت عليه، واثبت عليه، لأنه ـ عليه السلام ـ كان مسلمًا.

وقال عطاء بن أبي رباح (ت ١١٥هـ): معنى ذلك: أسلم نفسك إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ وفوّض أمورك إليه[١].

والإسلام في لغة العرب معناه: الخضوع، والانقياد. وكل من آمن بالله ـ تعالى ـ فقد استسلم وانقاد له، وصدق الله إذْ قال: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾ [آل عمران: ١٩]

* ﴿ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾: فاعل «قال» نبي الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ، وحينئذ يكون المعنى: فوضت أموري كلها لله ـ تعالى ـ، وانقدت له ـ عزّ وجلّ ـ، وتمسكت بالملّة الحنيفية، يوضح ذلك قوله ـ تعالى ـ حكاية عما قاله ـ عليه السلام ـ: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩) ﴾ [الأنعام: ٧٨ ـ ٧٩].

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾:

الضمير في ﴿ بِهَا ﴾ عائد على ملة إبراهيم» في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [البقرة: ١٣٠].

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ١١٨).

و﴿ إِبْرَاهِيمُ ﴾ فاعل ﴿ وَصَّى ﴾ أي: وصّى إبراهيم بنيه، بالتمسك بالملّة الحنيفية.

و﴿ يَعْقُوبُ ﴾ معطوف على ﴿ إِبْرَاهِيمُ ﴾ وحينئذ يكون المعنى: كما وصّى إبراهيم بنيه، وصّى أيضًا ﴿ يَعْقُوبُ ﴾ بنيه، و ﴿ يَعْقُوبُ ﴾ هو ابن «إسحاق بن إبراهيم» ـ عليهم جميعًا السلام ـ.

* ﴿ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾:

✵ **المعنى:** تضمنت وصية كل من «إبراهيم ويعقوب» لبنيهما ثلاثة أمور:

الأول : طلب التمسك بالملّة الحنيفيّة.

والثاني: قول كل منهما لبنيه: إن الله اختار لكم الإسلام دينًا.

لأن «أل» فى «الدين» للعهد الذهنى وهو الإسلام. وهم جميعًا كانوا يعرفونه.

والدليل على ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** (٦٧) ﴾ [آل عمران: ٦٧].

والثالث: قول كل منهما لبنيه: الزموا الإسلام، ودوموا عليه ولا تفارقوه لحظة من اللحظات حتى تموتوا وأنتم مسلمون.

وصدق الله إذ قال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** (١٠٢) ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَوَصَّى ﴾ [رقم: ١٣٢]

قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر: ﴿ وأوصى ﴾ بهمزة مفتوحة بين الواوين مع تخفيف الصاد، معدّى بالهمزة.

وهذه القراءة موافقة لرسم المصحف المدنى، والشّامى.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ ووصى ﴾ بحذف الهمزة مع تشديد الصاد معدّى بالتضعيف. وهذه القراءة موافقة لرسم بقيّة المصاحف[1].

(١) قال ابن عاشر: أوصى خذا للمدنيين وشام بالألف

انظر: النشر لابن الجزرى بتحقيقنا (٢/ ٤٢٠)، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ١٩٦)، والمستنير فى تخريج القراءات (١/ ٣٩)، والكشف عن وجوه القراءات ص٢٦٥، وإتحاف فضلاء البشر ص١٤٨، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٧٣).

﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحدًا ونحن له مسلمون (١٣٣) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي ﴾:

﴿ أَمْ ﴾ هذه منقطعة وهي تفيد الاستفهام الإنكاري.

و﴿ شُهَدَاءَ ﴾ معناها: حضور، جمع «شاهد» أي: حاضر.

والخطاب في ﴿ كُنتُمْ ﴾ لليهود، وذلك أنهم قالوا للنبيّ ﷺ: ألست تعلم أن «يعقوب» يوم أن حضره الموت أوصى بنيه باليهوديّة؟ فردّ الله كذبهم بقوله: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ... ﴾ الآية.

✳ **المعنى:** إنكم أيها اليهود كذابون في قولكم هذا وإنكم ما كنتم شهودًا وقت حضور «يعقوب» الموت.

ومعنى: ﴿ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ﴾ أي: مقدماته، وأسبابه، وإلا فلو حضر الموت لما أمكن أن يقول شيئًا.

* ﴿ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي ﴾ أي: من بعد موتي، فأجابوه بقولهم: ﴿ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ... ﴾ الآية. وكان إسماعيل ـ عليه السلام ـ عمّا لهم، إلا أن العرب تسمّي العمّ أبا.

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٤) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ ﴾: مبتدأ وخبر. * ﴿ قَدْ خَلَتْ ﴾ أي: مضت، وتقدمت، وسلفت، والجملة صفة إلى ﴿ أُمَّةٌ ﴾.

فإن قيل: من المراد بالأمة الماضية؟

أقول: يجوز أن تكون أمة يعقوب وبنيه. ويجوز أن تكون أمة اليهود، والنصارى. ويجوز أن يكون المراد كل أمة من الأمم المتقدمة.

* ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ أي: جزاء ما عملت إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

وصدق الله إذ قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠) ﴾ [النساء: ٤٠].

وإذْ قال: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧) ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

* ﴿ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: لا يحاسبكم الله عن أعمال غيركم، كما أنهم لا يحاسبون عن أعمالكم. وصدق الله إذ قال: ﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤) ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥) ﴾

۞ سبب نزول هذه الآية:

قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما): نزلت في رءوس يهود المدينة كعب بن الأشرف، ومالك بن الصيف، ووهب بن يهوذا، وأبي ياسر بن أخطب.

وفي نصارى أهل نجران: السيّد، والعاقب وأصحابهما، وذلك أنهم خاصموا المسلمين في الدين، كل فرقة تزعم أنها أحقّ بدين الله ـ تعالى ـ من غيرها:

فقالت اليهود: نبينا «موسى» أفضل الأنبياء، وكتابنا التوراة أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وكفرت بعيسى، والإنجيل، و«محمد»، والقرآن.

وقالت النصارى: نبينا «عيسى» أفضل الأنبياء، وكتابنا الإنجيل أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وكفرت «بمحمد»، والقرآن

وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين:

كونوا على ديننا فلا دين إلا ذلك، ودعوهم إلى دينهم[١].

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص٤٤، وتفسير البغوي (١/ ١١٩).

وفي رواية عن ابن عباس أيضاً قال: قال عبد الله بن صوريا الأعور للنبي ﷺ: ما الهدى إلا ما نحن عليه فاتبعنا يا «محمد» تهتد، وقالت النصارى مثل ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا . . . ﴾ الآية[١].

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ﴾:

✳ **المعنى:** دعت كل فرقة من اليهود، والنصارى إلى ما هي عليه، فردّ الله ـ تعالى ـ ذلك عليهم بقوله:

* ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾، أي: قل لهم يا «محمد»: بل نتّبع ﴿ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الآية.

ومعنى ﴿ حَنِيفًا ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الحنيف: المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام[٢].

و«الحنيف» أصله من «الحنف» وهو ميل وعوج يكون في القدم، تميل كل واحدة منهما إلى أختها بأصابعها[٣].

وصدق الله إذ قال: ﴿ **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** (٦٧) ﴾ [آل عمران: ٦٧]، وإذ قال: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النساء: ١٢٥].

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ ﴾ أي: «القرآن الكريم».
* ﴿ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾: وهي عشر صحف.

---

(١) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٢٥٧)، وأسباب النزول للشيخ القاضي ص٢١.

(٢) انظر: تفسير البغوي (١/ ١١٩). (٣) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ٩٥).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعلى: ١٨ ـ ١٩]

* ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ ﴾:

﴿ الأَسْبَاطِ ﴾: هم أولاد يعقوب ـ عليه السلام ـ، وكانوا اثنى عشر سبطًا، سموا بذلك لأنه ولد لكل منهم جماعة، والأسباط فى بنى إسرائيل كالقبائل من العرب من بنى إسماعيل ـ عليه السلام ـ.

والسبط ولد الولد سواء كان الولد ذكرًا أو أنثى، ومنه قيل للحسن والحسين ـ رضى الله عنهما ـ: سبطا رسول الله ﷺ.

* ﴿ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ﴾ المراد: التوراة. * ﴿ وَعِيسَىٰ ﴾ أى: الإنجيل.

* ﴿ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ الآية:

✻ المعنى: نحن المسلمون ولله الحمد نؤمن بجميع الأنبياء والرسل، وبجميع الكتب المنزلة عليهم، ولسنا كاليهود، والنصارى نؤمن ببعضهم، ونكفر بالبعض الآخر.

يدلّ على ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

أخرج البخارى عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ:

«لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، و﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ ﴾ الآية»(١).

﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ﴾: الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ وأمته.

✻ والمعنى: إن آمن اليهود، والنصارى بما آمنتم به فقد اهتدوا إلى الحق وإلى الصواب.

(١) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ٩٥)، وتفسير البغوى (١/ ١٢٠).

* ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾ أي: في خلاف ومنازعة. وأصل الشقاق من «الشِّق» وهو الجانب، فكأن كل واحد من الفريقين في شقٍّ يرى شقَّ الآخر.

* ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾ الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ، فكان هذا وعداً من الله ـ تعالى ـ لنبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأنه سيكفيه شرّ اليهود، والنصارى، وقد أنجز الله وعده، وكان ذلك بقتل بني قينقاع، وبني قريظة، وإجلاء بني النضير وضرب الجزية على من بقي من اليهود، والنصارى، وصدق الله إذ قال: ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) ﴾ [الحشر: ٢ ـ ٤].

* ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ ﴾: لأقوالهم. * ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بأحوالهم.

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾:

قال الحسن البصري (ت ١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨هـ): معنى صبغة الله: دين الله[(١)].

وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): فطرة الله[(٢)].

وإنما سمّاه الله «صبغة» لأنه يظهر أثر الدين على المتديّن، كما يظهر أثر الصبغ على الثوب.

* ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾: لا أحد.

* ﴿ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ أي: مطيعون.

(١) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ٩٧)، وتفسير البغوي (١/ ١٢١).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ٩٨)، وتفسير البغوي (١/ ١٢١).

﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (١٣٩) ﴾

معانى المفردات:

* قل يا «محمد» لليهود، والنصارى، وفاعل ﴿ قُلْ ﴾ الله ـ تعالى ـ أي: قل لهم يا «محمد» ما يأتي:

* ﴿ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ ﴾ أي: في دين الله، والقرب منه.

محاجة: المجادلة لإظهار الحجّة، وذلك أنهم زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وادّعوا أنهم أولى بالله من المسلمين، لتقدم آبائهم وأنبيائهم، وكتبهم.

* ﴿ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾ الواو للحال، أي: والحال نحن وأنتم سواء في العبودية لله ـ تعالى ـ لأنه ربنا وربكم.

* ﴿ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾ أي: لكل واحد منا جزاء عمله، فمن يعمل مثقال ذرّة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرّة شرًا يره.

* ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾ الواو للحال أيضًا، أي: نحن نمتاز عنكم أيها اليهود والنصارى بالإخلاص لله ـ تعالى ـ فلا نشرك به أحدًا مهما كان.

أما أنتم فقد أشركتم وقالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله.

إذًا فنحن أولى بالقرب من الله منكم، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وصدق الله إذ قال: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) ﴾ [فصلت: ٣٣].

وإذ قال: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة: ٥].

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٠) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾: ﴿ أَمْ ﴾ هذه منقطعة، وهي تفيد الاستفهام الإنكاري.

والخطاب فى ﴿ تَقُولُونَ ﴾ لليهود، والنصارى الموجودين زمن نبينا محمد ﷺ.

أى: أتقولون أيها اليهود، والنصارى: إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى؟

* ﴿ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ أى: قل لهم يا محمد:

* ﴿ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ ﴾ بدينهم. * ﴿ أَمِ اللَّهُ ﴾: ﴿ أَمِ ﴾ هذه متصلة بمعنى «بل» أى: بل الله أعلم بهم منكم، وقد أخبر ـ عزّ وجلّ ـ بأن إبراهيم ـ عليه السلام ما كان يهوديّاً ولا نصرانيّا، ولكنه كان حنيفًا مسلمًا، وما كان من المشركين.

والدليل على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** (٦٧) ﴾ [آل عمران: ٦٧].

* ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ ﴾:

﴿ مَنْ ﴾ استفهام إنكارى بمعنى النفى، أى: لا أحد أظلم ممن كتم شهادة.. إلخ، و﴿ كَتَمَ ﴾ بمعنى: أخفى. واليهود، والنصارى يعلمون أن إبراهيم وبنيه كانوا مسلمين، وأن «محمداً» ﷺ نبيّ ورسول، وقد أشهدهم على ذلك فى كتبهم، يدلّ عليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ** (٨١) ﴾ [آل عمران: ٨١].

ومع ذلك فقد كتم اليهود، والنصارى كل ذلك، فاستحقوا غضبَ الله عليهم، وطردَهم من رحمته، ووصفَهم بالفسوق، يدلّ على ذلك قوله ـ تعالى ـ عقب آية أخذ الميثاق: ﴿ **فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** (٨٢) ﴾ [آل عمران: ٨٢].

* ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾: الغافل: هو الذى لا يفطن للأمور إهمالا منه، مأخوذ من قولهم: «رجل غُفْل»، أى: لم يجرب الأمور، والخطاب فى ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾ لليهود والنصارى.

✱ **المعنى:** هذا وعيد وإعلام من الله ـ تعالى ـ بأنه لم يترك أمرهم سدًى، بل سيجازيهم ويعاقبهم على أقوالهم وأعمالهم، وصدق الله إذ قال: ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (٣٧) ﴾ [النساء: ٣٧].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ [رقم: ١٤٠].

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وشعبة، وروح: ﴿يقولون﴾ بياء الغيبة، على أنه إخبار عن اليهود، والنصارى، وهم غيب فجرى الكلام على لفظ الغيبة. أو على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

* **المعنى:** يستنكر الله ـ تعالى ـ على اليهود، والنصارى ادعاءهم أن سيدنا إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط كانوا هودًا أو نصارى، فردّ الله عليهم هذا الزعم بقوله: ﴿**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** (٦٧)﴾ [آل عمران: ٦٧].

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ بتاء الخطاب، لمناسبة قوله ـ تعالى ـ قبله: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ...﴾ الآية. وبعده قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾، فجرى الأسلوب على نسق واحد وهو الخطاب[1].

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤١)﴾[2]

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٤٢)﴾

سبب نزول هذه الآية:

قال أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ): نزلت في تحويل القبلة، ثم قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن جعفر بسنده إلى البراء بن عازب (ت ٦٢هـ) قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة فصلّى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا ـ وكان رسول الله ﷺ يحبّ أن يوجّه نحو الكعبة ـ فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [رقم: ١٤٤].

---

(١) انظر: النشر لابن الجزري بتحقيقنا (٢/ ٤٢٠)، والمغني في توجيه القراءات (١/ ١٩٨)، والمستنير في تخريج القراءات (١/ ٣٩)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٤٨، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٢٦٦).

(٢) تقدم تفسير هذه الآية أثناء تفسير الآية رقم: ١٣٤.

وقال السفهـاء من الناس وهم اليهود ﴿مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ الآية[١].

❀ معانى المفردات:

* ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾: هذا إخبار من الله ـ تعالى ـ لنبـيه «محمد» ﷺ وللمؤمنين بأن السفهـاء من اليهود والمنافقين سيقـولون هذا القول عند تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعـبة. والسفهاء: جـمع «سفيه» وهو خفيف العقل، والمراد بهم اليهود الذين بالمدينة، والمنافقون.

* ﴿مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ أى: سيقـولـون: أىّ شىء صرف النبىّ ﷺ والمؤمنين، عـن قـبلتهـم التى كانـوا يصلّـون إليهـا وهــى بيـت المقدس؟ فقال الله ـ تعالى ـ: قل لهم يا «محمد»:

* ﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أى: له ملك المشارق، والمغارب، وما بينهما، فله أن يأمر بالتوجه إلى أىّ جهة شاء فهو فعّال لما يريد، ولا يُسْأل عمّا يفعل.

* ﴿يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾:

الـصراط: الطريق، و«المستقيم»: الذى لا اعوجاج فيه.

أخـرج البخـارى مـحـمد بن إسـماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ) عن البـراء بن عازب بن الحارث (ت ٦٢هـ): أن النبىّ ﷺ صلّى إلى بيت المقدس ستّة عشر شهراً، أو سبـعة عشر شـهراً، وكان يعـجبه أن تكون قـبلته قِبَل البـيت، وأنه صلّى أوّل صلاة صلاها العصـر وصلّى معه قوم، فـخرج رجل ممن كان صلّى مع النبى ﷺ فمرّ على أهل المسجـد وهم راكعون[٢]، فقـال: أشهد بالله لقد صلّيـت مع النبى ﷺ قِبَل مكة، فداروا كما هم قِبَل البيت.. اهـ[٣].

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿قِبْلَتِهِمُ الَّتِي﴾ [رقم: ١٤٢]

---

(١) رواه البخارى، انظر: أسباب النزول للواحدى ص٤٥.

(٢) المراد بالمسجد: مسجد القبلتين.

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ١٠٠ ـ ١٠١).

قرأ أبو عمرو، ويعقوب بكسر الهاء والميم وصلا، فكسر الهاء لمناسبة الكسرة التي قبلها، وكسر الميم للمناسبة أيضًا.

وقرأ حمزة والكسائي، وخلف البزّار بضم الهاء، والميم وصلا، فضم الهاء على الأصل، لأن هاء الضمير الأصل فيها البناء على الضم، وضم الميم تبعًا لضم الهاء.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بكسر الهاء، وضم الميم وصلا. فكسر الهاء لمناسبة الكسرة التي قبلها، وضم الميم تخلصًا من الساكنين، وكان ضمًا ليتفق مع ميم الجمع.

أمّا حالة الوقف فكل القراء يكسرون الهاء، ويسكنون الميم[1].

* ﴿ يَشَاءُ إِلَىٰ ﴾ [رقم: ١٤٢]

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس بتسهيل الهمزة الثانية بيْن بيْن، وبإبدالها واوًا خالصة.

وقرأ الباقون بتحقيقها، والكل لهجات[2].

* ﴿ صِرَاطٍ ﴾ [رقم: ١٤٢]

قرأ رويس، وقنبل بخُلْف عنه بالسين.

وخلف عن حمزة بالصاد المشمّة صوت الزاي.

وقرأ الباقون بالصاد الخالصة، وهو الوجه الثاني لقنبل والكل لهجات[3].

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٤٣) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

قال أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ): نزلت في رؤساء اليهود، قالوا لمعاذ بن جبل: ما ترك «محمد» قبلتنا إلا حسدًا وإن قبلتنا قبلة الأنبياء،

(١ ـ ٣) انظر: المهذب في القراءات العشر (١/ ٧٥).

ولقد علم «محمد» أنّا عدل بين الناس، فقال معاذ: إنّا على حقّ وعدل، فأنزل الله: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ... ﴾ الآية(١).

* وأخرج الترمذى محمد بن عيسى السلمى (ت ٢٧٩هـ) عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: لما وُجِّه النبى ﷺ إلى الكعبة قالوا: يا رسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلّون إلى بيت المقدس؟(٢).

فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ... ﴾ الآية(٣).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾:

روى الترمذى محمد بن عيسى السلمى (ت ٢٧٩هـ) عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ، عن النبىّ ﷺ فى قوله ـ تعالى ـ:

* ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال: عدلا.

قال أبو سعيد: هذا حديث حسن صحيح(٤).

* ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾: أخرج البخارى عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يدعى نوح ـ عليه السلام ـ يوم القيامة فيقول: لبّيك وسعديك يا ربّ، فيقول: هل بلغت؟، فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟، فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟، فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلّغ، ويكون الرسول ﷺ عليكم شهيدًا، فذلك قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(٥).

* ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا ﴾ أى: تحويلها من بيت المقدس إلى الكعبة.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٢٢).

(٢) من المسلمين الذين ماتوا قبل أن تحول القبلة إلى الكعبة: أسعد بن زرارة من بنى النجار، والبراء بن معرور من بنى سلمة، ورجال آخرون، انظر: تفسير البغوى (١/ ١٢٣).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ١٠٦). (٤) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ١٠٤).

(٥) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ١٠٤)، وتفسير البغوى (١/ ١٢٣).

* ﴿ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾: قال علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه): معنى ﴿ لِنَعْلَمَ ﴾: لنرى، والعرب تضع العلم مكان الرؤية، والرؤية مكان العلم، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) ﴾ [الفيل: ١] بمعنى: ألم تعلم[1].

فإن قيل: ما معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِلاَّ لِنَعْلَمَ ﴾ وهو عالم بالأشياء كلها قبل كونها؟

قيل: أراد به العلم الذى يتعلق به الثواب أو العقاب، وحينئذ يكون المعنى: إلا لنعلم العلم الذى يستحق العامل عليه الثواب أو العقاب، وصدق الله إذ قال: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨]

* ﴿ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ ﴾ أى: فيما أمر به من استقبال الكعبة.

﴿ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ أى: يردّ عن دين الإسلام؛ لأن القبلة لما حوّلت من بيت المقدس إلى الكعبة ارتدّ من المسلمين جماعة، ونافق قوم، ولهذا قال ـ تعالى ـ:

* ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً ﴾ أى: تحويل القبلة كان أمرًا ثقيلا، وشديداً على ضعاف الإيمان.

* ﴿ إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ أى: هداهم الله، وهنيئًا لمن هداه الله، وصدق الله إذ قال: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

* ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ أى: ثواب أعمالكم.

وصدق الله إذ قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠) ﴾ [النساء: ٤٠].

وإذ قال: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧) ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾:

قال أبو عمرو بن العلاء البصرى (ت ١٥٤هـ): الرأفة أكثر من الرحمة[2].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ١٠٥ ـ ١٠٦).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ١٠٧).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لَرَءُوفٌ ﴾ [رقم: ١٤٣]، وحيثما وقعت فى القرآن.

* و﴿ رَءُوفٌ ﴾ حيثما وقعت نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧) ﴾ [البقرة: ٢٠٧]

قرأ أبو عمرو، وشعبة، وحمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار هذين اللفظين حيثما وقعا فى القرآن بحذف الواو التى بعد الهمزة فيصير اللفظ على وزن «عَضُد».

وقرأ الباقون من القراء العشرة بإثبات الواو التى بعد الهمزة، فيصير اللفظ على وزن «فعول» وهما لهجتان[١].

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

قال البراء بن عازب بن الحارث (ت ٦٢هـ): كان رسول الله ﷺ صلّى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا، وقد كان رسول الله ﷺ يحبّ أن يُوَجَّه نحو الكعبة، فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ الآية[٢].

قال السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ): كان النبىّ ﷺ إذا صلّى نحو بيت المقدس رفع رأسه إلى السماء ينظر ما يُؤمر به، وكان يُحبّ أن يُصلّى إلى قِبَل الكعبة فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ الآية[٣].

معانى المفردات:

* ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾:

قال أبو جعفر الطبرى (ت ٣١٠هـ): معنى ﴿ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾: تحوّل وجهك إلى السماء[٤].

---

(١) انظر: النشر لابن الجزرى بتحقيقنا (٢/ ٤٢٠)، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ٢٠٠)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٧٥).

(٢ : ٤) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ١٠٧).

* ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ أي: فلنحولّنك إلى قبلة تحبها وتهواها.

* ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾: هذا أمر من الله ـ تعالى ـ لنبيه محمد ﷺ، وأمته تبع له في ذلك: أي: حوّل وجهك في الصلاة جهة الكعبة.

عن عطاء بن أبي رباح (ت ١١٥هـ)، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما): أن رسول الله ﷺ قال: «البيت قبلة لأهل المسجد، والمسجد قبلة لأهل الحرم، والحرم قبلة لأهل الأرض في مشارقها ومغاربها من أمّتي» اهـ[1].

* ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ أي: حيثما وجدتم في الشرق، أو الغرب، أو الشمال، أو الجنوب، فولوا وجوهكم في الصلاة جهة المسجد الحرام.

* ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ المراد بالذين أوتوا الكتاب: اليهود، والنصارى، ليعلمون أن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة أنه الحقّ الذي لا ريب فيه، من ربهم، لأنه ثابت في التوراة، والإنجيل أن النبيّ المبعوث آخر الزمان وهو نبينا «محمد» ﷺ من صفاته أنه يُصلّي للقبلتين: بيت المقدس، والكعبة.

* ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ عالم ومطلع على ما يعمله اليهود، والنصارى، وسيجازيهم على كل ذلك يوم القيامة، يوم يقال لكل إنسان: ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) ﴾ [الإسراء: ١٤].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [رقم: ١٤٤]

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، ورويس، وخلف البزّار: ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ بياء الغيبة، وهو عائد على أهل الكتاب: اليهود، والنصارى، في قوله ـ تعالى ـ قبلُ في نفس الآية: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٢/١٠٧).

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ تعملون ﴾ بتاء الخطاب، والمخاطب المؤمنون، وهو مناسب لقوله ـ تعالى ـ قبلُ في نفس الآية ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾[(١)].

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ﴾:

هذا إخبار من الله ـ تعالى ـ وخبر الله صدق محض دائمًا.

✳ **المعنى:** يخبر الله ـ تعالى ـ نبيه ﷺ بأنه لو أتى اليهود، والنصارى بكل آية من الآيات الدالّة على صدق نبوته ما آمنوا به، وما صدّقوه، وترتب على ذلك عدم التوجه في صلاتهم إلى الكعبة، لأنهم كفار معاندون.

* ﴿ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾: الخطاب للنبي ﷺ وأمته تبع له.

✳ **المعنى:** يقول الله ـ تعالى ـ لنبيه ﷺ: إنك لن تتبع قبلة اليهود، ولا النصارى، لأنك لا تتبع إلا أوامر الله ـ تعالى ـ والله أمرك وأمتك بالتوجه إلى الكعبة.

* ﴿ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾:

أي: أن اليهود لن تتبع قبلة النصارى، والنصارى لن تتبع قبلة اليهود، لأن كلاًّ منهما يطعن في الآخر، يدل على ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾
[البقرة: ١١٣]

(١) انظر: النشر لابن الجزري بتحقيقنا (٢/ ٤٢٠)، والمغني في توجيه القراءات (١/ ٢٠١)، والمستنير في تخريج القراءات (١/ ٩٤٣)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٥٠، وحجة القراءات لابن زنجلة ص١١٦.

* ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾:

الخطاب للنبيّ ﷺ، والمقصود أمته ممن يجوز أن يتبع هواه ويتبع قبلة اليهود، أو النصارى، فيصير بذلك من الظالمين لنفسه، لأنه عرضها لغضب الله، والعقاب الشديد، وقد قال ـ تعالى ـ: ﴿ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ [التوبة: ٣٦].

وقلت: الخطاب محمول على إرادة أمته لأنه ﷺ عصمه الله من الوقوع في أيّ خطأ.

فإن قيل: ما الحكمة في توجيه الخطاب للنبي ﷺ؟

أقول: تعظيمًا للأمر، ولأنه هو المنزّل عليه القرآن.

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾:

﴿ الَّذِينَ ﴾ مبتدأ، والخبر جملة ﴿ يَعْرِفُونَهُ ﴾، والمراد بالكتاب: التوراة، والإنجيل.

والضمير في ﴿ يَعْرِفُونَهُ ﴾ المراد به نبينا «محمد» ﷺ.

روى أن عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضي الله عنه) قال لعبد الله بن سَلاَم ـ رضي الله عنه ـ: أتعرف «محمداً» ﷺ كما تعرف ابنك؟ قال: نعم وأكثر، بعث الله أمينه في سمائه إلى أمينه في أرضه بنعته فعرفته، وابني لا أدري ما كان من أمّه، بل معرفتي «بمحمد» أشدّ من معرفتي بابني، فقال عمر: وفقك الله يا ابن سَلاَم فقد صدقت[1].

* ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾:

الضمير في ﴿ مِّنْهُمْ ﴾ عائد على قوله ـ تعالى ـ: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ وهم اليهود، والنصارى.

* ﴿ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ ﴾: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨هـ): أي: «محمداً» ﷺ[2].

(١) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ١١٠)، وتفسير البغوي (١/ ١٢٦).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ١١٠).

* ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾: الواو للحال، أي: والحال أنهم يعلمون أنّ «محمداً» ﷺ نبيّ ورسول، لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنزل صفته فى كتبهم، ونبيّ الله عيسى ـ عليه السلام ـ بشّر به، يدلّ على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف: ٦].

﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١٤٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾: مبتدأ وخبر، أي: استقبال الكعبة هو الحق، لأن الآمر بذلك هو ربّ العالمين، لا ما أخبرك به اليهود عن قبلتهم. والمخاطب نبينا «محمد» ﷺ وأمته تبع له فى ذلك.

* ﴿ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ أي: الشاكين. والخطاب للنبيّ ﷺ والمراد أمته[(١)].

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ ﴾: الوجهة: اسم للمتوجّه إليه، والوجهة والجهة بمعنى واحد، والمراد القبلة، أي: لكل أهل ملّة قبلة.

* ﴿ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ أي: مستقبلها، ومقبل عليها.

وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): هو موليها وجهه[(٢)].

* ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ أي: بادروا إلى ما أمركم الله ـ عزّ وجلّ ـ من استقبال الكعبة فى الصلاة.

وإن كان يتضمن الحثّ على المبادرة إلى جميع الطاعات، إلا أن المراد ما ذكر من استقبال الكعبة لسياق الآية.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ١١٠).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٢٦).

* ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾:

❋ **المعنى:** أينما تكونوا أنتم أيها المسلمون، وأهل الكتاب، وغيركم.

* ﴿ يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾: يوم القيامة لأنه لا يعجزه شيء، فيجازيكم بأعمالكم، فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره.

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾: هذا وصف لله ـ سبحانه وتعالى ـ بالقدرة على كل شيء.

وقد جاء ذلك في مواضع كثيرة ومتعدّدة في القرآن الكريم منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٨٩) ﴾ [آل عمران: ١٨٩].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ [رقم: ١٤٨]

قرأ ابن عامر: ﴿ مولاها ﴾ بفتح اللام المشددة، وألف بعدها، اسم مفعول.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ مولِّيها ﴾ بكسر اللام وياء ساكنة بعدها، اسم فاعل[1].

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾:

هذا هو الأمر الثاني بالتوجه في الصلاة إلى المسجد الحرام، وهو تأكيد للأمر الأول في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [رقم: ١٤٤].

* ﴿ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾:

* ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ أي: التوجه إلى المسجد الحرام للحق من ربك.

(١) انظر: النشر لابن الجزري بتحقيقنا (٢/ ٤٢١)، والمغني في توجيه القراءات (١/ ٢٠٣).

* ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾: بل هو عالم ومطلع على أعمالكم وسيجازى كل واحد بعمله، وصدق الله إذ قال: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧) ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾ [رقم: ١٤٩]

قرأ أبو عمرو: ﴿ يعملون ﴾ بياء الغيبة إخباراً عن اليهود الذين يخالفون النبى ﷺ فى القبلة، وهم غيّب، والتقدير: ولّ يا «محمد» وجهك نحو المسجد الحرام فى الصلاة، وما الله بغافل عما يعمل من يخالفك من اليهود فى القبلة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ تعملون ﴾ بتاء الخطاب، وهو موافق لنسق ما قبله من الخطاب للنبى ﷺ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [رقم: ١٤٤].

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾: هذا هو الأمر الثالث بالتوجه فى الصلاة إلى المسجد الحرام.

فإن قيل: نريد بيان حكمة هذا التكرار.

أقول: التكرار لزيادة التأكيد لهذا الأمر الهام. وقد كان الأمر الأول إجابة لرغبته ﷺ، يدل على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ [الآية: ١٤٤].

وكان الأمر الثانى لبيان أن التوجه إلى المسجد الحرام هو الحقّ لأنه بأمر الله ـ تعالى ـ، يدل على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾.

وكان الأمر الثالث لقطع حجة اليهود، يدل على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾.

* ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾:

✽ **المعنى:** حيثما كنتم أيها المسلمون في أي مكان من الأرض فولوا وجوهكم في الصلاة جهة المسجد الحرام.

* ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾:

قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): المراد بالذين ظلموا: مشركو العرب[١].

✽ **المعنى:** لا حجة لأحد عليكم إلا مشركو العرب فإنهم سيحاجونكم، ويجادلونكم بالباطل والظلم.

* ﴿ فَلا تَخْشَوْهُمْ ﴾ أي: لا تخشوا هؤلاء المشركين في تظاهرهم عليكم بالمجادلة، فإني وليكم وسأنصركم عليهم بالحجة والبرهان.

* ﴿ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ﴾ أي: فيما شرعت لكم من استقبال الكعبة.

وقال عليّ بن أبي طالب (ت ٤٠هـ ـ رضي الله عنه): تمام النعمة الموت على الإسلام[٢].

وقال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): لا تتم نعمة المسلم حتى يدخل الجنة[٣].

* ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ أي: لكي تهتدوا من الضلالة.

* فائدة مهمة: «لعلّ، وعسى» من الله ـ تعالى ـ واجب.

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ ﴾ الآية:

الكاف للتشبيه، والمشبه به المعاني التي تستفاد من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ﴾.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ١١٤).

(٢، ٣) انظر: تفسير البغوي (١/ ١٢٨).

وحينئذ يكون المعنى: أتممتُ نعمتى عليكم بالهداية إلى القبلة مثل ما أنعمتُ به عليكم من بعثة الرسول «محمد» ﷺ يتلو عليكم آيات مبينات، ويطهركم من الرذائل والذنوب، ويخرجكم من الكفر والشرك إلى الإيمان والتوحيد، ويعلمكم القرآن، والسنّة المطهرة، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمونه قبل الإسلام من الأحكام، وشرائع الإسلام.

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ (١٥٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) معنى ذلك: اذكرونى بطاعتى أذكركم بمعونتى[١].

وقال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) معنى ذلك: اذكرونى بطاعتى أذكركم بمغفرتى[٢].

وأصل الذكّر: التنبه بالقلب للمذكور والتيقظ له. وسمّى الذكر باللسان ذكرًا لأنه دلالة على الذكر القلبى، غير أنه لما كثر إطلاق الذكر على القول باللسان صار هو السابق إلى الفهم[٣].

ونظرًا لأهميّة ذكر الله ـ تعالى ـ لأنه من الأدلّة الواضحة على وحدانية الله ـ تعالى ـ، وعلى أنه المتفرّد بجميع الصفات الحميدة، فقد جاء الأمر به، والحث عليه فى كل من الكتاب والسنة:

١ ـ فمن الكتاب قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء: ١٠٣].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٤٢) ﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢].

٢ ـ ومن السُنّة المطهرة الحديث التالى:

فعن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله: أنا عند ظنّ عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم، وإن تقرب إلىّ شبرًا تقربت منه ذراعًا، وإن

(١ ـ ٢) انظر: تفسير البغوى (١/١٢٨).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٢/١١٦).

تقرب إليّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» [رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه][(١)].

* ﴿ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ ﴾:

الشكر: معرفة الإحسان والتحدّث به. وشكر العبد لله ـ تعالى ـ: نطق باللسان، وإقرار بالقلب بإنعام الربّ مع الطاعات[(٢)].

فمن أطاع الله فقد شكره، ومن عصاه فقد كفر.

قال أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ): يقال: شكرتك وشكرت لك، ونصحتك ونصحت لك[(٣)].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [رقم: ١٥٢]

قرأ ابن كثير بفتح ياء الإضافة وصلا. والباقون بإسكانها، وهما لهجتان.

* ﴿ وَاشْكُرُوا لِي ﴾ [رقم: ١٥٢]

أجمع القراء العشرة على تسكين ياء الإضافة وصلا ووقفًا، لأن القراءة سنة متبعة ومبنية على التلقي والتوقيف[(٤)].

* ﴿ وَلا تَكْفُرُونِ ﴾ [رقم: ١٥٢]

قرأ يعقوب بإثبات الياء وصلا ووقفًا. والباقون بحذفها في الحالين، وهما لهجتان[(٥)].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ ﴾ الآية:

---

(١) انظر: الترغيب والترهيب (١/ ٦٥٥)، كتاب الذكر والدعاء الحديث رقم ١.

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ١١٦).

(٤) انظر: المهذب في القراءات العشر (١/ ٧٦).

(٥) انظر: المهذب في القراءات العشر (١/ ٧٧).

* **المعنى:** هذا أمر من الله ـ تعالى ـ لعباده المؤمنين، ليستعينوا في جميع شئون حياتهم بالصبر، والصلاة: لأن العبد إمّا أن يكون في نعمة فيشكر الله عليها، وحينئذ يثيبه الله ـ تعالى ـ ويزيده من نعمه، يدلّ على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧].

وإمّا أن يكون في نقمة فيصبر عليها، وأولئك هم المفلحون. يوضح ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾

[البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧]

والصبر صبران: صبر على ترك المحارم والمآثم. وصبر على فعل الطاعات والقربات.

وهناك صبر ثالث وهو: ما يكون على المصائب والنوائب. وهنيئًا لمن رزقه الله الصبر فإنه سيفوز بالأجر العظيم والثواب الجزيل، يدلّ على ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) ﴾ [الزمر: ١٠].

وعن أبي سعيد الخدريّ، وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ عن النبيّ ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا همّ، ولا حزن، ولا أذى، ولا غمّ، حتى الشوكة يُشاكها إلا كفّر الله بها من خطاياه» اهـ [متفق عليه][١].

﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ (١٥٤) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

قال أبو محمد الحسين بن مسعود البغويّ (ت ٥١٦هـ) وغيره من العلماء:

نزلت في قتلى بدر من المسلمين، وكانوا أربعة عشر رجلا: ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، كان الناس يقولون لمن يقتل في سبيل الله: مات فلان، وذهب عنه نعيم الدنيا، ولذاتها، فأنزل الله الآية[٢].

(١) انظر: رياض الصالحين ص٤٠ باب الصبر، الحديث رقم ٣٧.
(٢) انظر: تفسير البغوي (١/ ١٢٩)، وأسباب النزول للواحدي ص ٤٧ ـ ٤٨، وأسباب النزول للشيخ القاضي ص٢٣.

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ﴾ الآية:

❋ **المعنى:** يخبر الله ـ تعالى ـ أن الشهداء فى برزخهم أحياء يرزقون، كما جاء فى صحيح مسلم:

«إن أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى قناديل معلقة تحت العرش، فاطّلع عليهم ربك اطّلاعة فقال: ماذا تبغون؟ فقالوا يا ربنا وأىّ شىء نبغى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك؟ ثم عاد عليهم بمثل هذا، فلمّا رأوا أنهم لا يُتركون من أن يَسْألوا، قالوا: نريد أن تردّنا إلى الدار الدنيا فنقاتل فى سبيلك حتّى نقتل فيك مرّة أخرى، ـ لما يرون من ثواب الشهادة ـ فيقول الربّ جلّ جلاله: إنى كتبت أنهم إليها لا يرجعون» اهـ[1].

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم ﴾ أى: ولنختبرنكم يا أمّة «محمد» ﷺ والابتلاء من الله ـ تعالى ـ لإظهار المطيع الذى يصبر من العاصى الذى يجزع، وحينئذ يكون المعنى: لنمتحنكم لنعلم الصابرين، والجازعين علم معاينة حتى يُعطَى كلّ منكم جزاء عمله، وصدق الله إذ قال: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١) ﴾

[محمد: ٣١]

* ﴿ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): المراد: خوف العدو[2].

* ﴿ وَالْجُوعِ ﴾: المراد: المجاعة بالجدب والقحط.

---

(١) انظر: مختصر تفسير ابن كثير لمحمد نسيب الرفاعى (١/ ١٢٤).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٣٠).

* ﴿ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ ﴾ أي: بالخسران والهلاك.

* ﴿ وَالأَنفُسِ ﴾: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: بالقتل، والموت فى الجهاد[1].

وقيل: بالمرض، والشيب. * ﴿ وَالثَّمَرَاتِ ﴾: المراد: الجوائح فى الثمار، وقلّة النبات.

* ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾: على البلايا والرزايا، بالثواب الجزيل على صبرهم، ثم وصف الله الصابرين فقال:

* ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾: المصيبة: كل ما يؤذى المؤمن ويصيبه، والمصيبة واحدة المصائب.

* ﴿ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ ﴾ أى: عبيداً وملكاً، فله أن يتصرف فينا كيف يشاء، لأنه فعّال لما يريد، ولا يُسأل عما يفعل.

* ﴿ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ أى: فى الآخرة.

قالت أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ اللهم أجرنى فى مصيبتى وأخلف لى خيراً منها إلا آجره الله فى مصيبته وأخلف له خيراً منها» قالت: فلما توفى أبو سلمة قلت كما أمرنى رسول الله ﷺ.. اهـ. [رواه مسلم فى صحيحه][2].

* ﴿ أُوْلَئِكَ ﴾ أى: الموصوفون بما ذكر:

* ﴿ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾: هذه نعم من الله ـ عزّ وجلّ ـ على الصابرين من عباده المؤمنين المسترجعين، وصلاة الله على عبده: عفوه، ورحمته، وغفرانه.

قال الزجّاج إبراهيم بن السّرى (ت ٣١١): الصلاة من الله ـ عزّ وجلّ ـ: الغفران والثناء الحسن[3].

* ﴿ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾: إلى الحقّ والصواب، وإلى الاسترجاع، بل إلى كل ما شرعه الله ـ تعالى ـ.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ١١٧).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٣٠).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ١١٩).

وهنيئًا لمن رزقه الله الهداية، فإنه سيفوز بالأجر العظيم، والثواب الجزيل، وصدق الله إذ قال: ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الكهف: ١٧].

وإذ قال: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٨]

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾

۞ سبب نزول هذه الآية:

عن عروة بن الزبير ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال لأم المؤمنين «عائشة» ـ رضى الله عنها ـ: أرأيت قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ الآية، فما أرى على أحد جناح ألا يطوّف بهما، فقالت «عائشة»: بئسما قلت يا ابن أختى، إنها لو كانت على ما أولتها عليه كانت: فلا جناح عليه ألا يطوّف بهما، ولكنها إنما أنزلت فى الأنصار قبل أن يسلموا، كانوا يهلّون لمناة الطاغية التى كانوا يعبدونها، وكان من أهلّ لها يتحرّج أن يطوّف بالصفا والمروة فى الجاهليّة، فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله: إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة فى الجاهلية، فأنزل الله الآية. قالت «عائشة» ـ رضى الله عنها ـ ثم قد سنّ رسول الله ﷺ الطواف بهما، فليس لأحد أن يدع الطواف بينهما..اهـ. [أخرجه الشيخان][1].

۞ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾:

﴿ الصَّفَا ﴾ جمع «صفاة» وهى الصخرة الصلبة الملساء. ﴿ وَالْمَرْوَةَ ﴾: الحجر الرخو، وجمعها «مَرْوات» وجمع التكسير «مَرْو» مثل: «تمرة وتمرات وتمْر».

والمقصود بهما الجبلان المعروفان بمكة فى طرفى «المسعى» و«أل» فيهما للعهد الذهنى، أى: المعروفان فى العقل.

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٤٨، وأسباب النزول للقاضى ص٢٣، وتفسير القرطبى (٢/ ١٢٠)، وتفسير البغوى (١/ ١٣٢).

وشعائر الله: أعلام دينه، ومواضع عبادته، وهى جمع «شعيرة» والشعائر: المتعبدات التى جعلها الله أعلامًا للناس، مثل: الطواف بالبيت، والسعى بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفات، وسائر مناسك الحج.

* ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾ : الحجّ لغة: القصد، والعمرة: الزيارة، علمًا بأن فى كل من الحج والعمرة المشروعين: قصدًا، وزيارة.

* ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ أى: لا إثم عليه، وأصله من «الجنوح» وهو: «الميل».

* ﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ أى: يدور بهما، وأصله «يتطوّف» فأدغمت التاء فى الطاء، لأنهما متجانسان، أى: يخرجان من مخرج واحد، وإن اختلفا فى الصفات.

واختلف العلماء فى وجوب السعى بين الصفا والمروة: فقال الإمام محمد بن إدريس الشافعى (ت ٢٠٤هـ)، والإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ): هو ركن من أركان الحجّ، أو العمرة.

وهذا هو المشهور من مذهب الإمام مالك (ت ١٧٩هـ).

وقال الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت (ت ١٥٠هـ) وأصحابه: السعى بين الصفا والمروة ليس بواجب. وهو قول عن الإمام مالك(١).

ومن الأدلّة على وجوب السعى الحديثان التاليان:

١ ـ فعن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قدم النبى ﷺ فطاف بالبيت سبعًا، وصلّى خلف المقام ركعتين، وطاف بين الصفا والمروة سبعًا، وقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة..اهـ. [رواه الخمسة إلا أبا داود](٢).

٢ ـ وعن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قدم النبى ﷺ مكّة فطاف بالبيت سبعًا، وقال: «﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾» فصلّى خلف المقام ثم أتى الحجر فاستلمه، ثم قال: «نبدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا»..اهـ. [رواه النسائى، والترمذى وصححه](٣).

(١) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ١٢٣). (٢) انظر: العبادات للدكتور/ محمد سالم محيسن (٢/ ١٩١).

(٣) انظر: العبادات للدكتور/ محمد سالم محيسن (٢/ ١٩٢).

* ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾:

أى: مُجَازٍ لعبده على عمله الصالح، وطاعته لله ـ تعالى.

والشكر من الله ـ تعالى ـ: أى: يعطى لعباده أكثر مما يستحقون. وصدق الله إذ قال: ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وإذ قال: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً ﴾ [البقرة: ٢٤٥]

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً ﴾ [رقم: ١٥٨]
* ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ﴾ [رقم: ١٨٤]

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزار: ﴿ يطوع ﴾ فى الموضعين بالياء التحتية، وتشديد الطاء، وجزم العين، وهو فعل مضارع مجزوم بمن الشرطية، وأصله «يتطوع» فأدغمت التاء فى الطاء، لأنهما يخرجان من مخرج واحد وهو طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا.

وقرأ الباقون من القراء العشرة غير يعقوب: ﴿ تطوع ﴾ فى الموضعين بالتاء الفوقية، وتخفيف الطاء، وفتح العين وهو فعل ماض فى محل جزم بـ «من» على أنها شرطية، أو صلة لـ «من» على أنها اسم موصول.

وقرأ يعقوب الموضع الأول مثل حمزة ومن معه. والموضع الثانى مثل قراءة الباقين[1].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: نزلت هذه الآية فى رؤساء اليهود وعلمائهم، كانوا يحصلون من سفلتهم على الهدايا والفضل، وكانوا يرجون أن يكون

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٢٠٥).



النبيّ المبعوث منهم، فلما بعث الله نبيّه «محمداً» ﷺ من غيرهم خافوا ذهاب مكانتهم، وزوال رياستهم فعمدوا إلى صفة رسول الله ﷺ فغيروها، ثم أخرجوها إليهم وقالوا: هذا نعت النبيّ الذى يخرج آخر الزمان لا يشبه نعت هذا النبى. فأنزل الله الآية[١].

❀ معانى المفردات:

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾: إذا كانت «أل» فى ﴿الْكِتَابِ﴾ للعهد الذهنى، يكون المراد به: القرآن الكريم.

وإذا كان ﴿الْكِتَابِ﴾: اسم جنس، فإنه يشمل جميع الكتب المنزلة من الله ـ تعالى ـ على أنبيائه ورسله.

* ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾: اسم الإشارة عائد على الذين يكتمون ما فى الكتب التى أنزلها الله.

وأصل اللعن فى اللغة: الإبعاد، والطرد، والمراد به هنا: الطرد، والإبعاد من رحمة الله ـ تعالى ـ، والويل ثم الويل لمن طرده الله من رحمته.

* ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ أى: يقولون: اللهم العنهم.

واختلف العلماء فى هؤلاء اللاعنين:

١ـ فقال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ)، والربيع بن خثيم أبو زيد الكوفى (ت قبل ٩٠هـ): المراد بـ «اللاعنين»: الملائكة، والمؤمنون[٢].

٢ ـ وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): جميع عباد الله[٣].

٣ـ وقال عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ): الجن والإنس[٤].

وفى الصحيح عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: لولا آية فى كتاب الله ما حدّثت أحداً شيئًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ الآية[٥].

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٥٠، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٢٤، وتفسير البغوى (١/ ١٣٤).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ١٢٥). (٣ ـ ٤) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٣٤).

(٥) انظر: مختصر تفسير ابن كثير لمحمد نسيب الرفاعى (١/ ١٢٧).

وعن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سئل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار» اهـ. [رواه أبو داود، والترمذى وحسّنه، وابن ماجه والبيهقى][١].

﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠) ﴾

❀ **معانى المفردات:**

* ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾:

✵ **المعنى:** هذا استثناء من عموم المعنى الذى دلّت عليه الآية السابقة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا ﴾ الآية، أى: إلا الذين تابوا من الكفر وأسلموا، وأصلحوا أعمالهم، وبينوا للناس ما كانوا يكتمونه، فأولئك أتجاوز عنهم، وأقبل توبتهم، وأغفر لهم.

يدلّ على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢) ﴾ [طه: ٨٢].

* ﴿ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾: التوّاب: صيغة مبالغة، أى: هو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، الرحيم بهم بل هو أرحم الراحمين، وصدق الله إذ قال: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) ﴾ [الزمر: ٥٣].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ (١٦٢) ﴾

❀ **معانى المفردات:**

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ الآية: الواو فى ﴿ وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ للحال.

✵ **المعنى:** يخبر الله ـ تعالى ـ بأن من كفر واستمرّ على كفره إلى مماته، فأولئك يلعنهم الله، أى: يطردهم من رحمته، وتلعنهم الملائكة والناسُ أجمعون، أى: الكل يدعو الله ـ تعالى ـ ويقول: اللهم العنهم، أى: اطردهم من رحمتك.

(١) انظر: الترغيب والترهيب، باب الترهيب من كتم العلم، الحديث رقم ١ (١/ ١٣٧).

* ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ أي: في اللعنة، وقيل: في النار المترتبة على طرد الله - تعالى - لهم من رحمته.

* ﴿ لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ ﴾ ولا طرفة عين، وصدق الله إذ قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ [النساء: ٥٦].

وإذْ قال: ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) ﴾ [الحج: ١٩ - ٢٢].

* ﴿ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ أي: لا يمهلون، ولا يؤجلون.

وقال أبو العالية الرياحي (ت ١٩٠هـ): لا ينظرون فيعتذرون، كقوله - تعالى -: ﴿ وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) ﴾ [المرسلات: ٣٦][١].

﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضي الله عنهما): قالت كفّار قريش: يا محمد انسب لنا ربك، فأنزل الله - تعالى - سورة الإخلاص، وهذه الآية[٢].

معاني المفردات:

* ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾: لما حذّر الله - تعالى - من كتمان الحقّ بيّن أوّل ما يجب إظهاره، ولا يجوز كتمانه: توحيد الألوهية، والربوبية.

المعنى: يخبر الله - تعالى - وخبره متمحّض للصدق عن تفرده بالألوهيّة، لا شريك له، بل هو الله الذى لا إله إلا هو - سبحانه وتعالى - عمّا يشركون.

وصدق الله إذْ قال: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣) ﴾ [الأنبياء: ٢٢ - ٢٣].

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٣٤).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ١٢٨)، انظر: تفسير البغوى (١/ ١٣٤).

* ﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾: ﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾: نفى وإثبات، الأول كفر، والثانى إيمان، ومعنى ذلك: لا معبود بحق فى الوجود إلا الله الموصوف بقوله: الرحمن الرحيم.

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤) ﴾

۞ سبب نزول هذه الآية:

عن عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ) قال: أُنزل بالمدينة على رسول الله ﷺ: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [رقم: ١٦٣]، فقالت كفّار قريش بمكة: كيف يسع الناس إله واحد؟ فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ حتى بلغ: ﴿ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1].

۞ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾: تضمنت هذه الآية ذكر بعض الأدلّة على تفرده ـ سبحانه وتعالى ـ بالألوهية، وأنه هو المستحق للعبادة وحده. ومعنى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ أى: السموات فى ارتفاعها، ولطافتها، واتساعها، وكواكبها السيّارة، والثوابت، ودوران أفلاكها... إلخ.

وهذه الأرض فى كثافتها، وانخفاضها، وجبالها، وبحارها، وقفارها، ووهادها، وعمرانها، وما فيها من المنافع.

* ﴿ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾: هذا يجىء ثم يذهب، والآخر يعقبه ولا يتأخر عنه لحظة كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠) ﴾

[يس: ٣٧ ـ ٤٠]

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٥١، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٢٥.

وتارة يطول الليل ويقصر النهار، وتارة يأخذ هذا من هذا ثم يتعاوضان كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ ﴾ [الحديد: ٦].

* ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾:

المراد: تسخيره ـ عزّ وجلّ ـ البحر يحمل السفن من جانب إلى جانب لمعايش الناس، والانتفاع بما عند هذا الإقليم وهكذا ونقل هذا إلى هؤلاء، وما عند أولئك إلى هؤلاء.

* ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: يوضح ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ۝ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ ۝ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾ [يس: ٣٣ ـ ٣٦].

* ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾: وهي مختلفة في كل شيء، وهو يعلم ذلك كله لا يخفى عليه شيء من ذلك، ويرزق جميع هذه المخلوقات.

يدلّ على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾ [هود: ٦].

* ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾: تصريفها: إرسالها عقيمًا ومُلقحة، وحارة وباردة، ولينة وعاصفة، وإرسالها جنوبًا وشمالا، ودبورًا وصبا، وتارة تكون مبشرة بالغيث على اختلاف جهات مصدره.

* ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ أي: سخره الله ليسير بين السماء والأرض إلى من يشاء الله.

* ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي: هذه الأشياء التي تقدم ذكرها لآيات لقوم يعقلون، لأنها تدلّ على وحدانية الله ـ تعالى ـ، وأنه ليس كمثله شيء، وأنه على كل شيء قدير، يؤيد ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ

وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ الرِّيَاحِ ﴾ [رقم: ١٦٤].

اختلف القراء فى كلمة ﴿ الرياح ﴾ من حيث الإفراد والجمع: فقرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزار: ﴿ الريح ﴾ بإسكان الياء، وحذف الألف التى بعدها على الإفراد. لأن «الريح» اسم جنس يصدق على القليل والكثير.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ الرِّيَاحِ ﴾ بالجمع. وذلك نظرًا لاختلاف أنواع الرياح فى هبوبها: جنوبًا، وشمالا، وصبا، ودبورا. وفى أوصافها: حارة، وباردة[(١)].

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَمِنَ النَّاسِ ﴾: المراد بهم المشركون.

* ﴿ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا ﴾: ﴿ أَندَادًا ﴾ جمع «ندّ» أى: أصنامًا يعبدونها من دون الله ـ عزّ وجلّ ـ، وهو الله الذى لا ندّ له، ولا شريك له.

وفى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: قلت: يا رسول الله أىّ الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله ندّا وهو خلقك»[(٢)].

* ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ أى: المشركون يحبون آلهتهم مثل حبّ المؤمنين لله ـ تعالى ـ.

---

(١) انظر: النشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٢/ ٤٢٢)، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ٢٠٧ ـ ٢٠٩)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٢٧٠)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٧٨)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٥١.

(٢) انظر: مختصر تفسير ابن كثير (١/ ١٣٠).

وقال الزجّاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ): يحبّون الأصنام كما يحبّون الله لأنهم أشركوها مع الله، فسوّوا بين الله وبين أوثانهم فى المحبة(١).

وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، والسّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ): المراد بالأنداد: الرؤساء المتّبعون يطيعونهم فى معاصى الله(٢).

* ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾: وذلك لأنهم أثبت وأدوم على حبّ الله من المشركين، لأن المؤمنين لا يشركون مع الله غيره.

أمّا المشركون فإنهم إذا اتخذوا صنمًا إلهًا ثم رأوا صنمًا أحسن منه طرحوا الأول واختاروا الثانى وهكذا.

قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): إن الكافر يعرض عن معبوده فى وقت البلاء ويُقْبل على الله ـ تعالى ـ، كما أخبر الله ـ عزّ وجلّ ـ عنهم بقوله: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، والمؤمن لا يعرض عن الله فى السرّاء والضرّاء والشدّة والرخاء(٣).

* ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾:

* **المعنى:** لو عاين الظالمون العذاب الذى أعده الله للظالمين، والمشركين، والكافرين، والمنافقين لعلموا علم اليقين حينئذ أن القوّة لله جميعًا، وأن جميع الأشياء تحت قهره وسلطانه.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يَرَى ﴾ [رقم: ١٦٥].

قرأ نافع، وابن عامر، ويعقوب، وابن وردان بخُلْف عنه ﴿ ترى ﴾ بتاء الخطاب، والمخاطب النبىّ ﷺ وكل من يصلح لخطاب الله ـ تعالى ـ و﴿ الذين ﴾ مفعول به.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٣٦).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ١٣٧).

(٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٣٦).

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ يرى ﴾ بياء الغيبة، و﴿ الذين ﴾ فاعل، وهو الوجه الثاني لابن وردان[١].

❋ **المعنى:** ولو يرى الذين يتخذون شركاء مع الله ـ تعالى ـ العذابَ الذي أعدّه الله لهم في الدار الآخرة لأيقنوا أن القوّة لله وحده، وأنه شديد العذاب وأن الأنداد والشركاء لا حول لهم ولا قوّة، ولم يغنوا عنهم من عذاب الله شيئًا.

❋ ﴿ إِذْ يَرَوْنَ ﴾ [رقم: ١٦٥].

قرأ ابن عامر: ﴿ يُرون ﴾ بضم الياء على البناء للمفعول وواو الجماعة نائب فاعل.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ يَرَون ﴾ بفتح الياء، على البناء للفاعل، وواو الجماعة فاعل[٢].

❋ ﴿ أَنَّ الْقُوَّةَ ﴾، ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ ﴾ [رقم: ١٦٥]

قرأ أبو جعفر، ويعقوب: ﴿ إنّ القوة، وإنّ الله ﴾ بكسر الهمزة فيهما، على تقدير أنّ «إنّ» وما بعدها جواب «لو» أي: لقلت: إنّ القوّةَ لله جميعًا... إلخ، على قراءة الخطاب في «ولو ترى».

أو لقالوا: إن القوّة لله جميعًا... إلخ، على قراءة الغيب في «ولو يرى».

وقرأ الباقون من القراء العشرة بفتح الهمزة فيهما، وتقدير الجواب: لعلمت أن القوّة لله جميعًا... إلخ، على قراءة الخطاب.

أو لعلموا أن القوّة لله جميعًا... إلخ، على قراءة الغيب[٣].

---

(١) انظر: النشر لابن الجزري بتحقيقنا (٢/ ٤٢٣)، والمغني في توجيه القراءات (١/ ٢١٠)، والمستنير في تخريج القراءات (١/ ٤٥).

(٢) انظر: النشر لابن الجزري بتحقيقنا (٢/ ٤٢٣)، والمغني في توجيه القراءات (١/ ٢١٢)، والمستنير في تخريج القراءات (١/ ٤٦).

(٣) انظر: النشر لابن الجزري بتحقيقنا (٢/ ٤٢٣)، والمغني في توجيه القراءات (١/ ٢١٣)، والمستنير في تخريج القراءات (١/ ٤٦).

﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ (١٦٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾:

قال عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): هذا فى يوم القيامة حين يجمع الله الرؤساء والأتباع فيتبرأ بعضهم من بعض[1].

* ﴿ وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴾: أى: عندما يعاين التابعون، والمتبوعون العذاب الأليم الذى أعده الله لهم يتبرأ بعضهم من بعض، وتتقطع عنهم الصلات التى كانت بينهم فى الدنيا من القرابات والصداقات، وأسباب الخلاص من النار، وصدق الله إذ قال:

* ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) ﴾ [عبس: ٣٣ - ٣٧].

وأصل السبب الحبْلُ يشدّ بالشىء فيجذبه، ثم جعل كل ما جرّ شيئًا سببا.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾ أى: لو أن لنا رجعة إلى الدنيا، إذ «الكرّة»: الرجعة والعودة إلى حال قد كانت.

* ﴿ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ﴾: جملة ﴿ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ ﴾ جواب ﴿ لَوْ ﴾ أى: قال الأتباع: لو رددنا إلى الدنيا حتى نعمل صالحًا، ونتبرأ من المتبوعين كما تبرّءوا منا فى هذا اليوم العصيب، والتبرؤ: الانفصال.

* ﴿ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ أى: كما أراهم الله العذاب كذلك يريهم أعمالهم.

وقد اختلف المفسرون فى هذه الأعمال:

(١) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ١٣٨).

فقال الربيع بن خثيم الكوفى (ت قبل ٩٠هـ): المراد: الأعمال الفاسدة التى ارتكبوها فوجبت لهم بها النار..اهـ[١].

وقال عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه)، والسّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ): المراد: الأعمال الصالحة التى تركوها ففاتتهم الجنّة[٢].

و «رأى» يجوز أن تكون من رؤية البصر، وحينئذ تكون متعدية إلى مفعولين:

الأول: الهاء فى ﴿يُرِيهِمُ﴾. والثانى: ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾، و﴿حَسَرَاتٍ﴾ حال.

* ﴿حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ أى: ندامات عليهم، و﴿حَسَرَاتٍ﴾ جمع «حسرة» أى: عندما يشاهدون ما ارتكبوا من السيئات يتحسّرون لِمَ عملوا ذلك، ولكن هيهات فهم يتحسرون ويندمون حيث لا ينفعهم شىء من ذلك.

* ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾: هذا من الأدلة على خلود الكفار فى النار وأنهم لا يخرجون منها أبداً.

ومن هذه الأدلّة أيضًا قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ⑩﴾ [التغابن: ١٠].

ومنها قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ⑥﴾ [البينة: ٦].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ﴾ [رقم: ١٦٧].

قرأ أبو عمرو بكسر الهاء والميم وصلا.

وقرأ حمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزار بضم الهاء والميم وصلا.

وقرأ الباقون بكسر الهاء وضم الميم وصلا أيضًا[٣].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ١٣٩).

(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٧٩).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا ﴾:

الحلال: ما أحلّه الشرع، وسمّى الحلال حلالا: لانحلال حكم الحظر عنه.

* ﴿طَيِّبًا﴾ قال الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ ـ رحمه الله): الطيب هنا: الحلال، فهو تأكيد، لاختلاف اللفظ(١).

وقال الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ ـ رحمه الله): الطيِّب: المستلذ، فهو تنويع، ولذلك يُمنع أكل الحيوان القذر(٢).

* ﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: ﴿خُطُوَاتِ﴾ جمع «خُطْوة» أى: طرقه، وآثاره، وتزيينه.

* ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ أى: بَيِّن العداوة. وصدق الله إذ قال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦)﴾ [فاطر: ٦].

عن ابن عباس (ت٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما) قال: تليت هذه الآية عند النبى ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا﴾ فقام سعد بن أبى وقاص فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة، فقال: «يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذى نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يُتقبل منه أربعين يومًا، وأيّما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به» اهـ(٣).

▦ القراءات وتوجيهها:

* ﴿خُطُوَاتِ﴾ [رقم: ١٦٨]، وحيثما وقعت فى القرآن:

قرأ نافع، وأبو عمرو، وشعبة، وحمزة، وخلف البزّار، والبزّى بخُلْف عنه، بإسكان الطاء فى ﴿خطوات﴾.

(١ ـ ٢) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ١٤٠).

(٣) انظر: مختصر تفسير ابن كثير (١/ ١٣١).

وقرأ الباقون من القراء العشرة بضم الطاء، وهو الوجه الثاني للبزّي.

والضمّ والإسكان لهجتان، والضمّ لهجة أهل الحجاز وهو الأصل، والإسكان للتخفيف[١].

﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ ﴾: فاعل ﴿ يَأْمُرُكُم ﴾ ضمير يعود على الشيطان.

وحينئذ يكون المعنى: نهى الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن اتباع خطوات الشيطان، لأنه عدوّ للمؤمنين، ولأنه يأمرهم بالسوء والفحشاء، وأن يقولوا على الله ما لا يعلمون.

والمراد بالسوء: الإثم، وهو مصدر «ساء يسوء سوءا» وسمّى السوء سوءاً، لأنه يسوء صاحبه بسوء عاقبته.

والمراد بالفحشاء: المعاصي، وكل ما قبح من القول والفعل. فكل ما نهى عنه الشرع فهو من الفحشاء. والفحشاء، مصدر كالسرّاء، والضرّاء.

* ﴿ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾: مثل تحريم الحرث والأنعام، وكل ما لم يرد به الشرع.

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يَأْمُرُكُم ﴾: قرأ أبو عمرو بإسكان الراء، وباختلاس ضمتها، وللدوري عن أبي عمرو وجه ثالث وهو: ضم الراء ضمة خالصة كباقي القراء وكلها لهجات[٢].

(١) انظر: النشر بتحقيقنا (٢/ ٤٠٦)، والمغني في توجيه القراءات (١/ ٢١٩)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ٧٩)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤).

(٢) انظر: المهذب في القراءات العشر (١/ ٧٩).

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ (١٧٠) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

عن ابن عباس (ت٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما) قال: دعا رسول الله ﷺ اليهود إلى الإسلام، ورغّبهم فيه، وحذّرهم عذاب الله ونقمته، فقال له رافع بن خارجة، ومالك ابن عوف: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، فهم كانوا أعلم، وخيراً منا، فأنزل الله الآية. [أخرجه ابن جرير، وابن إسحاق][(١)].

معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾: الضمير فى ﴿ لَهُمُ ﴾ يجوز أن يكون المراد به اليهود، كما قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى سبب نزول الآية.

ويجوز أن يكون المراد به مشركى العرب، وكفار قريش، وحينئذ يكون عائداً على قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا ﴾ الآية. [رقم: ١٦٥]، والأمر باتباع ما أنزل الله يشمل القول والعمل معًا.

* ﴿ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾:

المعنى: كان الجواب من هؤلاء اليهود، والكفار، والمشركين على أمر الله لهم باتباع ما أنزله على نبينا «محمد» ﷺ: ﴿ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ ومعنى ﴿ أَلْفَيْنَا ﴾: وجدنا، والمراد بما وجدوا عليه آباءهم: عبادة الأصنام، وفعل الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

يوضح ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٢٨) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾ [الأعراف: ٢٨ ـ ٢٩].

* ﴿ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ ﴾: هذا ردّ من الله ـ سبحانه وتعالى ـ على قولهم: ﴿بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ﴾، والهمزة فى ﴿أَوَلَوْ ﴾ استفهام إنكارى وهو توبيخ لهم على قولهم هذا.

(١) انظر: أسباب النزول للشيخ القاضى ص٢٥، وتفسير القرطبى (٢/ ١٤١)، وتفسير البغوى (١/ ١٣٨).

وحينئذ يكون المعنى: أيتبعون آباءهم وإن كانوا جهالا لا يعقلون شيئًا، ولا يهتدون إلى ما فيه الخير وسعادتهم فى الدنيا والآخرة؟

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قِيلَ ﴾ [رقم: ١٧٠]

قرأ هشام، والكسائى، ورويس بالإشمام، وهو لهجة قيس، وعقيل.

وقرأ الباقون بالكسرة الخالصة، وهو لهجة عامّة العرب[١].

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ (١٧١) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾: النّعْق، والنعيق: صوت الراعى بالغنم، وحينئذ يكون المعنى: مثل واعظ الكفار، ودعائهم إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ كمثل الراعى الذى ينعق بالغنم وهى لا تسمع، فكما أن البهائم تسمع صوت الراعى ولا تفهم، ولا تعقل ما يقال لها، فكذلك الكافر لا ينتفع بوعظ من يدعوه إلى الخير والرشاد والإسلام، والإيمان بنبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ أى: هم الكفار صمّ عن سماع الحق فلا يعملون به، وتقول العرب لمن يسمع ولا يعمل: كأنه أصمّ.

والكفار أيضًا ﴿ بُكْمٌ ﴾ عن قول كلمة الحق فلا يقولونها. وهم أيضًا ﴿ عُمْيٌ ﴾ عن الهدى فلا يبصرونه.

إذًا فهم لا يعقلون، لأنهم بعدم إيمانهم واتباعهم ما جاء به نبينا «محمد» ﷺ كمن لا عقل له.

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٤٨).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ الآية:

هذا أمر من الله ـ تعالى ـ لعباده المؤمنين بالأكل من طيبات ما رزقهم، ويشكرونه على ذلك الرزق.

والمراد بالطيبات: الحلالات التى أباحها الله ـ تعالى ـ. وهذا الأمر من الله ـ تعالى ـ للحلّ والإباحة. وخصّ الله المؤمنين بالذكر تفضيلا وتكريمًا لهم.

واعلم أخى المسلم أن الأكل من الحلال سبب فى رضا الله ـ عزّ وجلّ ـ وسبب أيضًا فى تقبل الدعاء. كما أن الأكل من الحرام سبب فى غضب الله ـ تعالى ـ، وسبب أيضًا فى عدم قبول الدعاء.

يدلّ على ذلك الحديث التالى:

فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدّ يديه إلى السماء يا ربِّ يا ربِّ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام فأنّى يستجاب لذلك؟» [رواه مسلم والترمذى][1].

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٧٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ﴾: ﴿ إِنَّمَا ﴾ كلمة موضوعة للحصر، تتضمن النفى والإثبات، فتثبت ما تناوله الخطاب، وتنفى ما عداه. وقد حصرت هاهنا المحرمات من المطعومات.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ١٤٥)، تفسير البغوى (١/ ١٤٠).

وهذه الآية مدنية، وأكّد حكمها الآية التى نزلت بعرفة فى حجّة الوداع وهى قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤٥)﴾ [الأنعام: ١٤٥].

* ﴿الْمَيْتَةَ﴾: هى كل ما لم تُدرك ذكاته مما يذبح فيذكى ذكاة شرعيّة، والذى نصب ﴿الْمَيْتَةَ﴾ الفعلُ ﴿حَرَّمَ﴾.

* ﴿وَالدَّمَ﴾ معطوف على ﴿الْمَيْتَةَ﴾ أى: مما حرمه الله عليكم ﴿الدَّمَ﴾ والمراد به «الدم المسفوح» يدلّ عليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥]، وهذا من باب حمل المطلق على المقيّد.

واستثنى الشارع من ﴿الْمَيْتَةَ﴾: السمك والجراد.

ومن ﴿الدَّمَ﴾: الكبد والطحال، فأحلّها.

يدلّ على ذلك الحديث التالى: فعن عبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «أحلّت لنا ميتتان، ودمان: الميتتان: الحوت، والجراد، والدمان: أحسبه قال: «الكبد، والطحال» اهـ [أخرجه الدارقطنى][1].

* ﴿وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ﴾: المراد به: جميع أجزائه، وجاء التعبير باللحم لأنه معظمه.

واعلم أخى المسلم أن الشارع حرّم جميع أجزاء الخنزير فيعم اللحم، والشحم، والغضاريف، وغير ذلك، سواء ذكّى أو لم يذكّ.

* ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ المراد: ما ذبح للأصنام والطواغيت، وقال الربيع بن أنس وغيره: المراد: ما ذكر عليه اسم غير الله[2].

* ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾:

(١) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ١٤٦)، تفسير البغوى (١/ ١٤٠).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ١٤٦).

* **المعنى:** من ألجأته الضرورة فأكل من المحرمات التى سبق بيانها بقدر الضرورة، أي: ما يسدّ جوعته، حالة كونه غير باغ فى أكله فوق حاجته، ولا معتد بأن لا يجد عن هذه المحرمات مندوحة ويأكلها.

* ﴿فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ أي: لا عقوبة عليه فى أكلها.

وهذا من رحمة الله بعباده، لأنه يريد بهم اليسر، ولا يريد بهم العسر، وهو بهم رءوف رحيم.

فائدة لغوية:

إذا رأيت «غير» لا يصلح فى موضعها «إلا» فهى حال. وإذا صلح موضعها «إلا» فهى أداة استثناء.

* ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لمن أكل فى حال الاضطرار، لأنه هو الذى رخّص فى ذلك.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿الْمَيْتَةَ﴾ [رقم: ١٧٣].

قرأ أبو جعفر بتشديد الياء، والباقون بتخفيفها. وهما لهجتان[1].

* ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ [رقم: ١٧٣].

قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحمزة، ويعقوب بكسر النون وضم الطاء، فالكسر للتخلّص من التقاء الساكنين.

وقرأ أبو جعفر بضم النون، وكسر الطاء، لأن أصله «اضطرر» بكسر الراء، ولما أدغم الراءين نقلت حركة الراء الأولى إلى الطاء.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بضم النون والطاء، فالضمّ فى النون تبعًا لضم ثالث الفعل وهو الطاء[2].

---

(١) انظر: النشر (٢/ ٤٢٤)، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ٢٢١)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٨٠).

(٢) انظر: النشر (٢/ ٤٢٥)، والمغنى فى توجيه القراءات(١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٨٠).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ ﴾:

✳ **المعنى:** المقصود علماء اليهود الذين كتموا صفة نبينا «محمد» ﷺ التى فى التوراة، وذلك لئلا تذهب رياستهم، وما يأخذونه من سفلتهم من الهدايا وغيرها من حطام الدنيا.

* ﴿ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾: الضمير فى ﴿ به ﴾ يعود على المكتوم، أى: يشترون بما يكتمونه عوضًا يسيرًا من حطام الدنيا، والمراد: المآكل التى يصيبونها من سفلتهم.

* ﴿ أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ ﴾:

أى: ما يؤدى إلى النار، والمراد به الرشوة، والمال الحرام. ولما كان أكل ذلك يفضى بهم إلى النار فكأنهم أكلوا النار. ومثل ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠) ﴾ [النساء: ١٠].

* ﴿ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أى: لا يكلمهم بالرحمة، أو بما يسرهم، بل يكلمهم بالتنكيل، والتوبيخ.

* ﴿ وَلا يُزَكِّيهِمْ ﴾ أى: لا يطهرهم من دنس الذنوب.

* ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أى: مؤلم.

فى صحيح مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، ومَلِكٌ كذّاب، وعائل مستكبر» اهـ[١].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٢/١٥٨).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿لا يُزَكِّيهِمْ﴾ [رقم: ١٧٤].

قرأ يعقوب بضم الهاء، على الأصل، إذ الأصل فى هاء الضمير البناء على الضم.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بكسر الهاء، لمناسبة الياء(١).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (١٧٥)﴾

معانى المفردات:

* ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾: ﴿أُولَئِكَ﴾ أى: الموصوفون بما ذكر قبلُ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [الآية: ١٧٤]، واسم الإشارة ﴿أُولَئِكَ﴾ مبتدأ، والخبر ﴿الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾(٢).

قال ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه): معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾: أخذوا الضلالة وتركوا الهدى(٣).

* ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾: «ما» استفهام وهو للتعجب.

قال عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ)، والسّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ): ما الذى صبّرهم على النار؟ أىْ: أىّ شىء صبّرهم على النار حتى تركوا الحقّ، واتبعوا الباطل؟(٤).

وقال الحسن البصرىّ (ت ١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): والله ما لهم عليها من صبر، ولكن ما أجرأهم على العمل الذى يقرّبهم إلى النار(٥).

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٨٠).

(٢) تقدم تفسير ذلك فى الآية رقم ١٦.

(٣) انظر: تفسير الشوكانى (١/ ٧٣)، والدرّ المنثور (١/ ٧٠).

(٤) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٤١).

(٥) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٤٢).

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (١٧٦) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾: ﴿ ذَلِكَ ﴾ اسم إشارة مبتدأ، والخبر ﴿ أَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾.

والمشار إليه: الحكم بالنار المتقدم فى الآية رقم ١٧٥.

* ﴿ الْكِتَابَ ﴾ المراد به: القرآن الكريم. * ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ أى: بالصدق.

* ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ ﴾: فآمنوا ببعضه، وكفروا بالبعض الآخر.

* ﴿ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ أى: فى ضلال بعيد.

وصدق الله إذ قال: ﴿ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت: ٥٢]: أىْ لا أحد أضلّ منه.

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ ﴾ الآية. قال: ذكر لنا أن رجلا سأل النبى ﷺ عن «البرّ» فأنزل الله هذه الآية، فدعا الرجل فتلاها عليه، وقد كان الرجل قبل الفرائض إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ثم مات على ذلك يرجى له فى خير، فأنزل الله ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾[1].

---

(١) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣١٠)، وأسباب النزول للواحدى ص٥٢، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٢٦، وتفسير القرطبى (٢/ ١٥٩ ـ ١٦٠).

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن أبي العالية الرياحيّ (ت ١٩٠هـ) قال: كانت اليهود تصلّي قبَل المغرب، والنصارى قبَل المشرق فنزلت ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ الآية[١].

❁ معاني المفردات:

* ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾:

﴿لَيْسَ﴾ فعل ماض يرفع الاسم، وينصب الخبر. ﴿الْبِرَّ﴾ خبر ﴿لَيْسَ﴾ مقدّم، و ﴿أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ إلخ في محل رفع اسم ﴿لَيْسَ﴾ مؤخر، والتقدير: ليس تولية وجوهكم قبل المشرق والمغرب البرَّ.

و ﴿الْبِرَّ﴾: كل عمل خير يفضي بصاحبه إلى الجنّة.

﴿قِبَلَ﴾ أي: جهة، ﴿الْمَشْرِقِ﴾ أي: شروق الشمس، ﴿وَالْمَغْرِبِ﴾ أي: غروب الشمس.

* ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾:

﴿لَكِنَّ﴾ تنصب الاسم، وترفع الخبر و﴿الْبِرَّ﴾ اسمها، وجملة ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ وما عُطف عليه في محلّ رفع خبرها.

❋ **المعنى:** ليس البر تولية وجوهكم قبل المشرق والمغرب، إنما البر هو الإيمان بالله، وباليوم الآخر وما فيه من حساب وعقاب، وجنة ونار، والإيمان بجميع الملائكة وبجميع الكتب المنزلة من عند الله ـ تعالى ـ، وبجميع النبيين.

يؤيد ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)﴾ [البقرة: ٢٨٥].

* ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ أي: مع حبّه للمال فذلك من أفضل الصدقات، يدلّ على ذلك الحديث التالي:

---

(١) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣١١).

فعن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله أىّ الصدقة أعظم أجرًا؟ قال: «أن تصدّق وأنت صحيح شحيح[١]، تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان» اهـ[٢].

* ﴿ ذَوِي الْقُرْبَىٰ ﴾:

أخرج ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ذَوِي الْقُرْبَىٰ ﴾ يعنى: قرابته[٣].

عن سليمان بن عامر، أن النبىّ ﷺ قال: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذى الرحم ثنتان: صدقة، وصلة رحم» اهـ[٤].

* ﴿ وَالْيَتَامَىٰ ﴾: اليتيم: من مات والده وهو دون البلوغ.

* ﴿ وَالْمَسَاكِينَ ﴾: جمع مسكين.

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «ليس المسكين بهذا الطوّاف الذى يطوف على الناس فتردّه اللقمة، واللقمتان، والتمرة، والتمرتان» قالوا: فما المسكين يا رسول الله؟ قال: «الذى لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن له فيتصدّق عليه، ولا يسأل الناس شيئًا» اهـ [أخرجه الشيخان][٥].

* ﴿ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): هو المسافر المنقطع عن أهله يمرّ عليك..اهـ. [أخرجه ابن جرير][٦].

* ﴿ وَالسَّائِلِينَ ﴾ أى: الطالبين، جمع سائل.

---

(١) معنى شحيح: أى حريص على المال.

(٢) رواه الشيخان، انظر: التاج الجامع لأصول الحديث (٢/ ٣٩).

(٣) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣١٣).

(٤) رواه النسائى، والترمذى، انظر: الترغيب (٢/ ٤٤)، وانظر أيضًا الفضائل للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن ص١٩٩.

(٥) انظر: تفسير الفتح القدير للشوكانى (٢/ ٥٤٢).

(٦) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣١٣)، وتفسير البغوى (١/ ١٤٣).

أخرج ابن جرير عن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالسَّائِلِينَ ﴾ قال: السائل الذى يسألك(١).

* ﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾: أخرج ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) فى ﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ قال: يعنى فكاك الرقاب(٢).

أخرج الترمذى، وابن ماجه، والدارقطنى، وابن مردويه عن فاطمة بنت قيس ـ رضى الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «فى المال حقّ سوى الزكاة ثم قرأ ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ ﴾» الآية(٣).

* ﴿ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ﴾:

عن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَقَامَ الصَّلاةَ ﴾: يعنى أتم الصلاة المكتوبة، ﴿ وَآتَى الزَّكَاةَ ﴾: يعنى الزكاة المفروضة(٤).

* ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾:

قال سعيد بن جبير بن هشام: يعنى فيما بينهم وبين الناس(٥).

وعن أبى العالية الرياحىّ (ت ١٩٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾ قال: فمن أعطى عهد الله ثم نقضه فالله ينتقم منه، ومن أعطى ذمّة النبى ﷺ ثم غدر بها فالنبىّ ﷺ خصمه يوم القيامة(٦).

وصدق الله إذ قال فى عقوبة الذين ينقضون عهد الله: ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥) ﴾ [الرعد: ٢٥].

وكما لعن الله الذين ينقضون عهده، وتوعّدهم بالعاقبة السيئة. أثنى على الموفين بعهده، وبشرهم بالثواب الجزيل، وبالعاقبة المحمودة فقال ـ عزّ من قائل ـ:

﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) ﴾ [الرعد: ٢٠]، إلى قوله: ﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) ﴾ [الرعد: ٢٢].

---

(١) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣١٣).
(٢) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣١٠).
(٣) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣١٤)، والفضائل ص٢٠١.
(٤) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣١٤).
(٥ ـ ٦) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣١٥).

* ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾:

قال الخليل بن أحمد الفراهيدى (ت ١٧٠هـ): ﴿ وَالصَّابِرِينَ ﴾ نصب على المدح، والعرب تنصب الكلام على المدح كأنهم يريدون إفراد الممدوح، فلا يتبعونه أوّل الكلام وينصبونه[١].

عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ - رضى الله عنه) قال: ﴿ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾: السقم، ﴿ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾: حين القتال. [أخرجه الحاكم وصححه][٢].

وممّا يدلّ على أن المراد بالبأس «القتال» الحديث التالى:

فعن علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ - رضى الله عنه) قال: كنا إذا احمرّ البأس ولقى القومُ القومَ اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدوّ منه[٣].

والمراد: إذا اشتدّ القتال.

* ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ أى: الذين فعلوا ما ذكره الله فى هذه الآية هم الذين صدقوا فى إيمانهم.

* ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾: كان الحسن البصرى (ت ١١٠هـ - رحمه الله تعالى) يقول: كلام الإيمان حقيقته العمل، فإن لم يكن مع القول عمل فلا شيء[٤].

وعن أنس بن مالك الأنصارى (ت ٩٣هـ - رضى الله عنه) عن رسول الله ﷺ قال: «من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، فارقها والله عنه راض» [رواه ابن ماجه، والحاكم، وقال صحيح على شرط الشيخين][٥].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ ﴾ [رقم ١٧٧]

قرأ حفص، وحمزة: ﴿ البرَّ ﴾ بنصب الراء، على أنه خبر ﴿ ليس ﴾ مقدّم، و﴿ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ ﴾ إلخ، فى تأويل مصدر اسم ﴿ ليس ﴾ مؤخر، والتقدير: ليس توليةُ وجوهكم قبلَ المشرق والمغرب البرَّ.

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٤٤).
(٢) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣١٥).
(٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٤٤).
(٤) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣١٥).
(٥) انظر: الترغيب (١/ ٣٣) باب الترغيب فى الإخلاص، الحديث رقم ٢.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ البرُّ ﴾ بالرفع، على أنه اسم ﴿ ليس ﴾ جاء على الأصل، و﴿ أن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ ﴾ إلخ، خبر ﴿ ليس ﴾.

والتقدير: ليس البرُّ تولية وجوهكم قبل المشرق والمغرب[١].

* ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ ﴾ [رقم: ١٧٧]

* ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ﴾ [رقم: ١٨٩].

قرأ نافع، وابن عامر: ﴿ ولكن البر ﴾ في الموضعين بتخفيف النون، وإسكانها وكسرها تخلصًا من التقاء الساكنين، ورفع الراء من ﴿ البرّ ﴾ وذلك على أنّ ﴿ ولكن ﴾ مخففة لا عمل لها.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ ولكنَّ ﴾ بتشديد النون، وفتحها، ونصب الراء من ﴿ البرّ ﴾ وذلك على إعمال ﴿ لكنّ ﴾ عمل «إنّ» فتنصب الاسم وترفع الخبر[٢].

* ﴿ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ [رقم: ١٧٧]

قرأ نافع بالهمز، والباقون بياء مشدّدة وهما لهجتان[٣].

* ﴿ الْبَأْسَاءِ ﴾، ﴿ الْبَأْسِ ﴾ [رقم: ١٧٧].

قرأ أبو جعفر، وأبو عمرو بخُلْف عنه بإبدال الهمزة في الحالين، وكذا حمزة حالة الوقف[٤].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

عن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ): أنّ حيّين من العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الإسلام بقليل فكان بينهم قتلى وجراحات حتى قتلوا العبيد والنساء، ولم يأخذ

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات (١/ ٢٢٨)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ٨٥).

(٢) انظر: النشر لابن الجزري بتحقيقنا (٢/ ٤١٣)، والمغني في توجيه القراءات (١/ ٢٣١)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ٨٢)، والمستنير في تخريج القراءات (١/ ٤١)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٤٤.

(٣ـ٤) انظر: المهذب (١/ ٨٢).

بعضهم من بعض حتى جاء الإسلام، وكـان لأحد الحيين طول على الآخر فى الكثرة والشرف وكانوا ينكحـون نساءهم بغير مهـور، وجعلوا جراحاتهم ضِعْفى جراحات أولئك فرفـعوا أمـرهم إلى النبى ﷺ، فأنزل الله ـ تعـالى ـ هذه الآية، وأمر بالمـساواة، فرضوا وأسلموا[١].

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ﴾ أى: فرض عليكم القصاص فى القتلى، والقصاص: المساواة والمماثلة فى الجراحات والديات، وأصله من قصّ الأثر: إذا اتّبعه، فالمفعول به يتبع ما فعل به فيفعل مثله.

* ﴿ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ ﴾:

قال الإمام أبو مـحمد البغـوى الشافعى (ت ٥١٦هـ): وجملة الحكـم فيه أنه إذا تكافـأ الدمـان من الأحـرار المـسلمـين، أو العـبيـد من المـسلمـين، أو الأحـرار من المعاهدين أو العـبيد منهم، قتل من كل صنف منهم: الذكـر إذا قُتل بالذكر وبالأنثى، وتقتل الأنثى إذا قُتلت بالأنثى وبالذكر، ولا يقتل مؤمن بكافر، ولاَ حرّ بعبد، ولا والد بولد، ولا مسلم بذِمّىّ، ويُقتَلُ الذمّىّ بالمسلم، والعبد بالحرّ، والولد بالوالد، هذا قول أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم..اهـ[٢].

* ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾ أى: ترك له دمه، ورضى منه بالدّية، وهذا قول أكثر المفسرين إذ قالوا: العفو أن يقبل الديّة فى قتل العمد.

وهذا هو المرويّ عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما[٣].

* ﴿ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ أى: على طالب الديّة أن يتبع فى ذلك الـمعروف، أى المتعارف بين الناس فى مثل هذه الأمور، ولا يطالب بأكثر من حقّه.

* ﴿ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ أى: على المطلوب منه أداء الدّية بالإحسان من غير مماطلة.

قال الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى (ت ٥١٦هـ):

---

(١) انظر: أسباب النزول للشيخ القاضى ص٢٦، والدرّ المنثور (١/ ٣١٦)، وتفسير البغوى (١/ ١٤٤).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٤٥). (٣) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣١٦).

مذهب أكثر العلماء من الصحابة، والتابعين: أنّ وليّ الدم إذا عفا عن القصاص على الدية فله أخذ الدّية، وإن لم يرض به القاتل.

وقال قوم: لا دية له إلا برضى القاتل، وهو قول الحسن، والنّخعيّ، وأصحاب الرأى..اهـ[١].

* ﴿ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ أى: ذلك الذى ذكرتُ من العفو عن القصاص وأخذ الدّية تخفيف من ربكم ورحمة:

وذلك أن القصاص فى النفس والجراح كان حتمًا فى التوراة على اليهود، يدلّ على ذلك قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ [المائدة: ٤٥].

فخفّف الله عن أمة نبينا محمد ﷺ فجعل عليهم الدية فى النفس وفى الجراح.

وهذا مرويّ عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما[٢].

وكان فى شرع النصارى: الدّية، ولم يكن لهم القصاص[٣].

فخيّر الله هذه الأمّة بين القصاص، وبيْن الدّية تخفيفًا منه ورحمة.

* ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾:

قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) معنى ذلك: أن من قتل بعد أخذه الدية فعليه القتل ولا تقبل منه الديّة..اهـ[٤].

والدليل على قول قتادة هذا ما روى عن سمرة بن جندب الخزاعى (ت ٦٠هـ) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أعافى رجلا قتل بعد أخذ الدية»اهـ[٥].

عن ابن شريح الخزاعى أن النبى ﷺ قال: «من أصيب بقتل، أو جرح، فإنه يختار إحدى ثلاث: إمّا أن يَقتصّ، وإمّا أن يعفو، وإمّا أن يأخذ الدّية، فإن أراد رابعة فخذوا على يديه، ومن اعتدى بعد ذلك فله نار جهنم خالدًا فيها أبدًا» اهـ.

[أخرجه ابن أبى شيبة، وأحمد، وابن أبى حاتم، والبيهقى][٦].

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٤٦).

(٢) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣١٧).

(٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٤٦).

(٤ : ٦) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣١٧).

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾: معنى ﴿ حَيَاةٌ ﴾ أى: بقاء، وذلك أن من يريد أن يَقْتل أحدًا إذا علم أنه إذا قَتَله سيُقْتل قصاصًا، امتنع عن القتل، فيكون فى امتناعه عن القتل حياته، وحياة من كان يريد قتله.

والأسلوب القرآنى من البليغ الفصيح الوجيز، وهو أبلغ من المثل العربى القائل: «القتل أنفى للقتل».

* ﴿ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾ أى: يا أصحاب الأقوال السليمة.

عن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾: يعنى من كان له لبّ أو عقل يذكر القصاص فيحجزه خوف القصاص عن القتل[1].

* ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾: معنى ذلك: لكى تتقوا القتل فتسلمون من القصاص، ثم يكون ذلك داعية لجميع أنواع التقوى فى غير ذلك.

قال الإمام القرطبى (ت ٦٧١هـ ـ رحمه الله تعالى): اتفق أئمة الفتوى على أنه لا يجوز لأحد أن يقتص من أحد حقّه، إنما ذلك للسلطان، أو من نصّبه السلطان لذلك، ولهذا جعل الله السلطان ليقبض أيدى الناس بعضهم عن بعض[2].

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠) ﴾

•• الناسخ والمنسوخ:

اختلف العلماء فى هذه الآية رقم ١٨٠: هل هى منسوخة أو لا؟

فمن قال: إنها منسوخة فهذه بعض أدلّتهم:

١ ـ عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) أنه سئل عن هذه الآية: ﴿ الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ ﴾ قال: نسختها آية المواريث.. اهـ.

[أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، والبيهقى][3].

(١) انظر: الدرّ المنثور (٣١٨١). (٢) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ١٧٢). (٣) انظر: الدرّ المنثور (٢/ ٣٢٠).

٢ ـ وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى الآية قال: نُسِخ من يرث، ولم يُنسخ الأقربون الذين لا يرثون.. اهـ. [أخرجه ابن جرير][(١)].

٣ ـ وعن عمرو بن خارجة ـ رضى الله عنه ـ قال: كنت آخذ بزمام ناقة النبى ﷺ ـ فى حجة الوداع ـ فقال: «إن الله قد أعطى كل ذى حقّ حقّه، فلا وصيّة لوارث» اهـ[(٢)].

٤ ـ وأخرج عبد بن حميد عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «لا وصيّة لوارث إلا أن تجيزها الورثة» اهـ[(٣)].

❀ معانى المفردات:

* ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾:

* ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ ﴾ أى: فرض عليكم.

* ﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ أى: جاءت أسباب الموت، ومقدماته مثل: الأمراض، والعلل.

* ﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): الخير المال[(٤)].

ونظيره فى المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ ﴾ [العاديات: ٨]

ومثله قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ ﴾ [ص: ٣٢].

* ﴿ الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾:

أى: له أن يوصى بالمعروف، ولا يزيد على الثلث، ولا يوصى للغنىّ ويدع الفقير، ومن الأدلّة على أن الوصية لا تزيد على الثلث الحديث التالى:

فعن سعيد بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال: جاءنى النبى ﷺ يعودنى فقلت: يا رسول الله أوصى بمالى كله، قال: «لا» قلت: فالشطر، قال: «لا» قلت: فالثلث، قال: «الثلث والثلث كثير، إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكفّفون الناس بأيديهم» اهـ[(٥)].

(١) انظر: الدرّ المنثور (٢/ ٣٢٠).
(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٤٧).
(٣) انظر: الدرّ المنثور (٢/ ٣٢٠).
(٤) انظر: الدرّ المنثور (٢/ ٣١٨).
(٥) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٤٧).

وقد اختلف العلماء في مقدار المال الذي تجوز الوصية فيه: فقال علي بن أبي طالب، وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: في سبعمائة دينار: إنه قليل(١).

وعن ابن أبي مُلَيْكَةَ: أن رجلا قال «لعائشة أم المؤمنين» (ت ٥٨هـ ـ رضي الله عنها): إني أريد أن أوصي، قالت: كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف، قالت: كم عيالك؟ قال: أربعة، قالت: إنما قال الله: ﴿إن تَرَكَ خَيْرًا﴾ وإن هذا شيء يسير فاتركه لعيالك..اهـ(٢).

* ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾: ﴿حَقًّا﴾ منصوبة على المصدر، وقيل: على المفعول به لفعل محذوف، أي: جعل الله الوصية حقًا ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ أي: المؤمنين الذين يتقون غضب الله ـ تعالى ـ وعذابه بالإيمان، والأعمال الصالحة التي تقربهم من الله ـ تعالى.

وصدق الله إذ قال: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ [آل عمران: ٥٧]

﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١) فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨٢)﴾

معاني المفردات:

* ﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾:

قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): يقول الله ـ تعالى ـ: للأوصياء من بدّل وصيّة الميت من بعدما سمع من الميت فلم يمض وصيته إذا كان عدلا فإنما إثم ذلك على الذين يبدلونه، وبرئ منه الميت(٣).

فإن قيل: لم ذكّر الضمير في ﴿بَدَّلَهُ﴾ وما بعده مع كون الوصية مؤنثة؟

أقول: لما كانت الوصية بمعنى «الإيصاء» وهو مذكر عاد الضمير عليه مذكرًا، مثال ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. أي: وعظ.

(١) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ١٧٤).
(٢) انظر: تفسير البغوي (١/ ١٤٧).
(٣) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٢٠).

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لما أوصى به الموصى.

* ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بتبديل من يبدل الوصية. أو سميع لوضية الموصى، عليم بنيته.

* ﴿ فَمَنْ خَافَ ﴾ أى: علم، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، أى: علمتم.

* ﴿ من مُّوصٍ ﴾ المراد به الميت.

* ﴿ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا ﴾: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: الجنف: الخطأ، والإثم: العمد. [أخرجه ابن جرير، وابن أبى حاتم عن ابن عباس](١).

* ﴿ فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): معناه: أن الرجل إذا حضر مريضًا وهو يُوصى فرآه يميل: إمّا بتقصير، أو إسراف، أو وضع الوصيّة فى غير موضعها، فلا حرج على من حضره أن يأمره بالعدل، وينهاه عن الجنف، فينظر للموصى له والورثة..اهـ(٢).

روى الدارقطنى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ قال: «الإضرار فى الوصية من الكبائر» اهـ(٣).

وروى أبو داود عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل أو المرأة ليعمل بطاعة الله ستّين سنة ثم يحضرهما الموت فيضارّان فى الوصية فتجب لهما النار»اهـ(٤).

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ عن «الموصى» إذا أثّرت فيه الموعظة، وأقلع عما أراد من الأذيّة فى وصيته.

وصدق الله إذ قال: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه: ٨٢]

---

(١) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٢١).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٤٨).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ١٨٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿مُوصٍ﴾ [رقم: ١٨٢]

قرأ شعبة، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف البزّار ﴿مُوَصٍّ﴾ بفتح الواو، وتشديد الصاد على أنه اسم فاعل من «وصّى» مضعف العين.

وقرأ الباقون من القراء العشرة «موص» بإسكان الواو، وتخفيف الصاد، على أنه اسم فاعل من «أوصى»(١).

* ﴿فَأَصْلَحَ﴾ [رقم: ١٨٢]

قرأ الأزرق عن ورش بتغليظ اللام. وقرأ الباقون بترقيقها(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)﴾

معاني المفردات:

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾:

معنى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾، أي: فرض الله عليكم الصيام، وهو: شهر رمضان كما سيأتي.

* ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾:

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يعني بذلك أهل الكتاب. [أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس](٣).

والصيام لغة: يطلق على الإمساك عن الشيء. قال الله ـ تعالى ـ:

﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦]، أي: صمتًا وإمساكًا عن الكلام، بدليل قوله ـ تعالى ـ بعد ذلك: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾.

---

(١) انظر: النشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٢/ ٤٢٦)، والمغني في توجيه القراءات (١/ ٢٣٢)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ٨٢)، والمستنير في تخريج القراءات (١/ ٤٨)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٢٨٢).

(٢) انظر: المهذب في القراءات العشر (١/ ٨٢).

(٣) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٢٢).

أمّا معناه شرعًا: فهو الإمساك عن الأكل والشرب، والجماع، وسائر المفطرات يومًا كاملا بنيّة الصيام من طلوع الفجر الصادق، إلى غروب الشمس، وفقًا لشروط معينة مبينة فى كتب الفقه الإسلامى[١].

وقد فرض الله ـ تعالى ـ صيام شهر رمضان فى شهر شعبان من السنة الثانية من الهجرة.

وقد ثبتت فرضيته بالكتاب، والسنة، والإجماع:

أمّا الكتاب:

فقوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٤].

وقوله: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وأمّا السنة:

فقد ورد فى ذلك الكثير من الأحاديث الصحيحة منها:

قال النبى ﷺ: «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحجّ، وصوم رمضان» اهـ[٢].

وأمّا الإجماع:

فقد اتفقت الأمّة على وجوب صيام شهر رمضان، وأنه أحد أركان الإسلام التى علمت من الدين بالضرورة، وأنّ منكره كافر مرتدّ عن الإسلام، والعياذ بالله ـ تعالى.

* ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أى: بالصوم، لأنه وصلة إلى التقوى، لما فيه من قهر النفس، وكسر الشهوات.

---

(١) انظر: العبادات فى ضوء الكتاب والسنة للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن (٢/ ١١٢ ـ ١١٨).

(٢) رواه البخارى، ومسلم، عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما، انظر: العبادات فى ضوء الكتاب والسنة (٢/ ١٠٥).

﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾: ﴿أَيَّامًا﴾ منصوب على التفسير لقوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ ثم فسّرت هذه الأيام، أو خُصِّصت بقوله ـ تعالى ـ بعدُ: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾.

وأخرج ابن أبى حاتم عن مقاتل فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ قال: يعنى أيام رمضان ثلاثين يومًا..اهـ[1].

* ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾: فأفطر.

* ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ أى: فعليه أن يقضى الأيام التى أفطرها فى مرضه، أو سفره: يومًا بيوم.

أمّا من كان مريضًا مرضًا لا يرجى برؤه بتقرير الأطباء المسلمين المختصين: فالشرع الحكيم أباح له الفطر فى رمضان ويطعم عن كل يوم مسكينًا «مدًّا» من غالب قوت بلده.

* ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾:

أخرج الدارقطنى، والبيهقى، وغيرهما عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ قال: ليست بمنسوخة، هو الشيخ الكبير الذى لا يطيق الصيام بفطر، ويتصدّق لكل يوم نصف صاع من برٍّ مدًّا لطعامه ومدًّا لإدامه[2].

* وأخرج ابن أبى شيبة عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: نزلت ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ فى الشيخ الكبير الذى لا يطيق الصوم، فرخّص له أن يطعم مكان كل يوم مسكينًا[3].

(١) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٢٣).

(٢ ـ ٣) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٢٦).

* وأخرج ابن جرير عن عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ قال: الشيخ الكبير الذي لا يستطيع الصوم يفطر، ويطعم مكان كل يوم مسكينًا(١).

* وأخرج ابن جرير عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ قال: من لم يطق الصوم إلا على جهد فله أن يفطر ويطعم كل يوم مسكينًا، والحامل، والمرضع، والشيخ الكبير، والذي سقمه دائم. اهـ(٢).

* ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾:

عن مجاهد بن جبر المكي المفسّر (ت ١٠٤هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ قال: أطعم المسكين صاعا. اهـ(٣).

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ قال: أطعم مسكينين(٤).

* ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

* أخرج ابن جرير عن ابن شهاب أبي بكر الزهري (ت ١٢٤هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ قال: الصيام خير لكم من الفدية(٥).

* وأخرج البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وغيرهم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» اهـ(٦).

(١ ـ ٢) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٢٦).
(٣ ـ ٤) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٢٧).
(٥ ـ ٦) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٢٨).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [رقم: ١٨٤]

قرأ نافع، وابن ذكوان، وأبو جعفر: ﴿فدية﴾ بحذف التنوين، و ﴿طعام﴾ بجرّ الميم على الإضافة، و ﴿مساكين﴾ بالجمع وفتح النون بلا تنوين، لأنه اسم لا ينصرف لصيغة الجموع.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿فدية﴾ بالتنوين مع الرفع، مبتدأ مؤخر، خبره متعلق الجار والمجرور قبله، و﴿طعام﴾ بالرفع، بدل من ﴿فدية﴾ و﴿مسكين﴾ بالتوحيد وكسر النون منوّنة.

وقرأ هشام ﴿فدية﴾ بالتنوين مع الرفع، و﴿طعام﴾ بالرفع بدل من ﴿فدية﴾ و﴿مساكين﴾ بالجمع وفتح النون بلا تنوين لأنه ممنوع من الصرف(١).

* ﴿خَيْرًا﴾، ﴿خَيْرٌ﴾ [رقم: ١٨٤]

قرأ الأزرق بترقيق الراء وتفخيمها فيهما. والباقون بتفخيمها، وهما لهجتان(٢).

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥)﴾

معاني المفردات:

* ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾:

﴿شَهْرُ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو شهر رمضان.

و ﴿رَمَضَانَ﴾ اسم للشهر، وهو مشتق من الرمضاء وهي الحجارة المحمّاة، لأنهم كانوا يصومونه في الحرّ الشديد، وكانت ترمض فيه الحجارة من الحرارة.

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات (١/ ٢٣٣)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ٨٢).

(٢) انظر: المهذب في القراءات العشر (١/ ٨٣).

عن أنس بن مالك الأنصارى (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما سمّى رمضان لأنّ رمضان يرمض الذنوب» اهـ[١].

* وعن البخارى، والنسائى، والبيهقى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنّة، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين» اهـ[٢].

وقد أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى السماء الدنيا، وكان ذلك فى ليلة القدر، الموصوفة بأنها ليلة مباركة، فى شهر رمضان.

ثم نزّله الله ـ تعالى ـ على نبينا محمد ﷺ بواسطة أمين الوحى جبريل ـ عليه السلام ـ مفرّقًا حسب الوقائع والأحداث خلال مدّة بعثته وهى ثلاث وعشرون سنة.

والدليل على ذلك الحديث التالى:

فعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) أنه سئل عن قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾، وقوله: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ① ﴾ [القدر: ١]، وقوله: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾ [الدخان: ٣].

وقد نزل فى سائر الشهور، وقال ـ عزّ وجلّ: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ ﴾ [الإسراء: ١٠٦].

فقال: أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ فى ليلة القدر من شهر رمضان إلى بيت العزّة من السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل ـ عليه السلام ـ على رسول الله ﷺ نجوما فى ثلاث وعشرين سنة، فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ⑦⑤ ﴾ [الواقعة: ٧٥] اهـ[٣].

* ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾: ﴿ هُدًى ﴾ حال من القرآن، أى: حالة كونه هاديًا للناس، فهم يهتدون به لما فيه من بيان الحلال والحرام، وجميع أنواع العبادات، والمعاملات، والأدلّة الواضحة على وحدانية الله ـ تعالى ـ وأنه ليس كمثله شىء.

---

(١) أخرجه ابن مردويه، والأصبهانى فى الترغيب عن أنس. انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٣٤).

(٢) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٣٤).

(٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٥١).

وصدق الله إذ قال في وصفه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (١٧٥) ﴾ [النساء: ١٧٤ ـ ١٧٥].

* ﴿ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾:

أخرج ابن جرير عن السدّي إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧ هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ قال: بينات من الحلال والحرام(١).

* ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾:

أخرج عبد بن حميد عن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) قال: إذا كان مقيمًا(٢).

أي: من كان مقيمًا في الحضر فأدركه شهر رمضان، فإنه يجب عليه الصّيام إلا إذا كان من أصحاب الأعذار الذين سيذكرهم الله ـ تعالى ـ بعدُ.

* ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾:

✻ **المعنى:** أباح الله ـ سبحانه ـ الفطر في شهر رمضان لذوي الأعذار، ومن الأعذار:

١ ـ المرض، الذي يُخاف معه من الصوم زيادة المرض أو عدم احتماله للصوم، فهذا له أن يفطر ثم يقضي يومًا بيوم، إلا إذا كان المرض لا يُرجَى برؤه فهذا أباح له الشرع الفطر، ويطعم عن كل يوم مسكينًا.

٢ ـ ومن الأعذار المبيحة للفطر، السفر المباح مسافة تقصر فيها الصلاة، والدليل على ذلك الحديث التالي:

فعن أبي سعيد الخدريّ ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا نغزو مع رسول الله ﷺ في رمضان فمنّا الصائم، ومنّا المفطر، فلا يجد الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم، ثم يرون أنّ من وجد ضعفًا فأفطر فإن ذلك حسن. اهـ(٣).

(١ ـ ٢) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٤٤).

(٣) رواه أحمد، ومسلم، انظر: العبادات (٢/ ١٣٣)، للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن، وفقه السنة (١/ ٤٤٢).

وعن حمزة الأسلمي ـ رضى الله عنه ـ قال: يا رسول الله أجد منّى قوّة على الصوم فى السفر، فهل علىّ جناح؟ فقال: «هى رخصة من الله ـ تعالى ـ فمن أخذ بها فحسن، ومن أحبّ أن يصوم فلا جناح عليه»اهـ(١).

فائدة جليلة:

اعلم أخى المسلم أن الصيام له شروط، ونظراً لأهمية ذلك فقد رأيت أن أفصّلها حسب المذاهب الأربعة:

أولا: قال الشافعية:

تنقسم شروط الصيام إلى قسمين:

١ـ شروط وجوب. ٢ ـ وشروط صحة.

فأمّا شروط الوجوب فأربعة:

أحدها: البلوغ، فلا يجب الصيام على الصبىّ.

ثانيها: الإسلام، فلا يجب على الكافر وجوب مطالبة، وإن كان يعاقب عليه فى الآخرة.

ثالثها: العقل، فلا يجب على المجنون، إلا إذا كان زوال عقله بتعدّيه، فإنه يلزمه قضاؤه بعد الإفاقة، ومثله السكران إن كان متعدّيا بسكره.

رابعها: الإطاقة حسّا، وشرعًا، فلا يجب على من لم يطقه لكبر، أو مرض لا يرجى برؤه لعجزه حسّا. ولا على نحو حائض، ونفساء، لعجزها شرعًا.

وأمّا شروط صحته فأربعة أيضًا وهى:

الأول : الإسلام حال الصيام، فلا يصح من كافر، ولا مرتدّ.

والثانى: التمييز، فلا يصحّ من غير مميز.

والثالث: خلو الصائم من الحيض، والنفاس، والولادة وقت الصوم، وإن لم تر الوالدة دمًا.

---

(١) رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، انظر: العبادات (٢/ ١٣٤)، وفقه السنة (١/ ٤٤٢).

والرابع: أن يكون الوقت قابلا للصوم، فلا يصحّ صوم يومى العيد ولا أيام التشريق الثلاثة، ويحرم صومها(١).

ثانيًا: وقال الأحناف:

شروط الصيام ثلاثة:

١ ـ شروط وجوب. ٢ ـ شروط وجوب الأداء. ٣ ـ شروط صحة الأداء.

فأمّا شروط الوجوب فثلاثة:

أحدها: الإسلام، فلا يجب على الكافر، لأنه غير مخاطب بفروع الشريعة.

ثانيها: العقل، فلا يجب على المجنون حال جنونه، ومثل المجنون المغمى عليه.

ثالثها: البلوغ، فلا يجب الصيام على صبيّ ولو مميّز.

وأمّا شروط وجوب الأداء فاثنان:

أحدهما: الصحة، فلا يجب الأداء على المريض، وإن كان مخاطبًا بالقضاء بعد شفائه من مرضه، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ثانيهما: النيّة: فلا يصحّ أداء الصوم إلا بالنية، ووقتها كل يوم بعد غروب الشمس إلى ما قبل نصف النهار ولا بدّ من النيّة لكل يوم من رمضان(٢).

ثالثًا: وقال المالكية:

للصوم شروط وجوب فقط، وشروط صحة فقط، وشروط وجوب وصحة معًا:

فأمّا شروط الوجوب فاثنان:

أحدهما: البلوغ، فلا يجب على من دون البلوغ.

ثانيهما: القدرة على الصوم، فلا يجب على العاجز عنه.

---

(١) انظر: العبادات للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن (٢/ ١١٢ ـ ١١٣).

(٢) انظر: العبادات للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن (٢/ ١١٣ ـ ١١٤)، وانظر أيضًا: الفقه على المذاهب الأربعة الهامش (١/ ٥٤٥).

وأمّا شروط صحته فثلاثة:

الأول : الإسلام، فلا يصح من كافر، وإن كان واجبًا عليه ويعاقب على تركه زيادة على عقاب الكفر.

والثاني: الزمان القابل للصوم، فلا يصح أن يصوم يومى العيد.

والثالث: النيّة، لأنه لا عمل بدون نيّة.

وأمّا شروط وجوبه، وصحته معًا، فثلاثة:

أحدها: العقل، فلا يجب على المجنون، والمغمى عليه، ولا يصحّ منهما.

والثاني: النقاء من دم الحيض، والنفاس، فلا يجب الصوم على حائض، ولا نفساء، ولا يصحّ منهما، ومتى طهرت إحداهما قبل الفجر ولو بلحظة وجب عليها تبييت النية.

والثالث: دخول شهر رمضان.

أمّا النيّة فهى شرط لصحة الصوم، فلا يصحّ صوم فرضًا كان أو نفلا بدون نيّة[1].

رابعًا: وقال الحنابلة:

شروط الصوم ثلاثة:

١ ـ شروط وجوب فقط.

٢ ـ وشروط صحة فقط.

٣ ـ وشروط وجوب وصحة معًا.

فأمّا شروط الوجوب فقط فثلاثة:

الأول : الإسلام، فلا يجب الصوم على كافر.

والثاني: البلوغ، فلا يجب على صبيّ.

والثالث: القدرة على الصوم، فلا يجب على العاجز عنه لكبر، أو مرض لا يرجى برؤه.

---

(١) انظر: العبادات للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن (٢/ ١١٥ ـ ١١٦)، وانظر: هامش الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ٥٤٦).

أمّا المريض الذى يرجى برؤه فيجب عليه الصيام إذا برئ، وقضاء ما فاته من رمضان.

وأمّا شروط الصحة فقط فثلاثة:

أولها: النية، ووقتها من غروب الشمس إلى طلوع الفجر إذا كان الصوم فرضًا.

ثانيها: انقطاع دم الحيض.

ثالثها: انقطاع دم النفاس.

فلا يصح صوم الحائض، والنفساء، وإن وجب عليهما القضاء.

وأمّا شروط الوجوب، والصحة معًا فثلاثة:

الأول : الإسلام، فلا يجب الصوم على كافر، ولا يصح منه.

والثانى: العقل، فلا يجب على مجنون، ولا يصحّ منه.

والثالث: التمييز، فلا يصحّ من غير مميز[1].

* ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ﴾ أى: بإباحة الفطر فى المرض والسفر، وفى غيرهما من الأعذار الشرعية المبيحة للفطر.

وصدق الله إذ قال: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا (٢٨) ﴾ [النساء: ٢٨]

وإذ قال: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

* ﴿ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ أى: ما فيه مشقتكم.

وصدق الله إذْ قال: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

* ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ ﴾ أى: عدّة أيام شهر رمضان.

---

(١) انظر: العبادات للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن (٢/ ١١٧ ـ ١١٨)، وانظر: هامش الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ٥٤٧).

وأخرج ابن جرير عن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ ﴾ قال: عدّة ما أفطر المريض، والمسافر. اهـ[1].

* وأخرج البخاري، ومسلم، والنسائي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبيّ ﷺ قال: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غمّ عليكم الشهر فأكملوا العدّة»، وفي لفظ: «فعدّوا ثلاثين» اهـ[2].

* ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ﴾ أي: ولتعظموا الله على ما أرشدكم إلى صوم شهر رمضان وعلى ما خصكم به دون سائر الأمم، وفيه الحث على التكبير آخر يوم من رمضان.

* وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن الزهري محمد بن مسلم بن عبد الله (ت ١٢٤هـ)، أن رسول الله ﷺ كان يخرج يوم الفطر فيكبّر حتى يأتي المصلّى، وحتى تقضى الصلاة، فإذا قضى الصلاة قطع التكبير. اهـ[3].

* ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾: الله ـ تعالى ـ على نعمه عليكم وهي لا حصر لها، وصدق الله إذ قال: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٧].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ الْيُسْرَ ﴾، ﴿ الْعُسْرَ ﴾ [رقم: ١٨٥]

قرأ أبو جعفر بضم السين فيهما، والباقون بإسكانها، وهما لهجتان[3].

* ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ ﴾ [رقم: ١٨٥]

قرأ شعبة، ويعقوب: ﴿ ولتكملوا ﴾ بفتح الكاف، وتشديد الميم، مضارع «كمّل» مضعف العين.

وقرأ الباقون بإسكان الكاف، وتخفيف الميم، مضارع «أكمل» المزيد بالهمزة.

---

(١) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٥١).

(٢) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٥٠ ـ ٣٥١).

(٣) انظر: المهذب في القراءات العشر (١/ ٨٣).

* ﴿ ولتكبروا الله ﴾ قرأ الأزرق عن ورش بترقيق الراء، والباقون بتفخيمها، وهما لهجتان[١].

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

أخرج سفيان بن عيينة فى تفسيره، وعبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد من طريق سفيان عن أبيّ بن كعب (ت ٣٠هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال المسلمون: يا رسول الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ الآية[٢].

وقال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): سأل بعض الصحابة النبيّ ﷺ فقالوا: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ الآية[٣].

معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾:

أخرج الترمذى، والحاكم عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء» اهـ[٤].

* وأخرج الترمذى، وابن أبى حاتم، والحاكم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاهٍ»[٥].

وأخرج ابن أبى شيبة، وأحمد، والبخارى فى الأدب المفرد، والحاكم عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال: «ما من مسلم يدعو الله بدعوة

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٨٤).
(٢) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٥٢).
(٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٥٥).
(٤ ـ ٥) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٥٤).

ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال:

إمّا أن يعجّل له دعوته، وإمّا أن يدّخرها له في الآخرة، وإمّا أن يصرف عنه من السوء مثلها» قالوا: إذًا نكثر، قال: «الله أكثر» اهـ[١].

* وأخرج الطبراني في الكبير عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله حيّ كريم يستحيي أن يرفع العبد يديه فيردّهما صفرًا لا خير فيهما، فإذا رفع أحدكم يديه فليقل: يا حيّ يا قيّوم لا إله إلا أنت يا أرحم الراحمين ثلاث مرات، ثم إذا ردّ يديه فليفرغ الخير على وجهه» اهـ[٢].

* وأخرج الطبراني في الدعاء عن الوليد بن عبد الله بن أبي مغيث قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا أحدكم فرفع يديه فإن الله جاعل في يديه بركة ورحمة، فلا يردّهما حتى يمسح بهما وجهه»[٣].

وأخرج الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ـ عزّ وجلّ ـ حيّ كريم يستحيي من عبده أن يرفع إليه يديه فيردّهما صفرًا ليس فيهما شيء»[٤].

* وأخرج عبد الرزّاق، والحاكم عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ربكم حيّ كريم يستحيي إذا رفع العبد يديه إليه أن يردّهما حتى يجعل فيهما خيرًا»[٥].

* ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾:

أخرج ابن جرير عن مجاهد بن جبر المكي المفسّر (ت ١٠٤هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾ قال: فليطيعوني[٦].

وأخرج ابن جرير عن عطاء الخراساني (ت ١٣٥هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾ قال: فليدعوني[٧].

---

(١) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٥٤).

(٢ ـ ٥) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٥٣).

(٦ ـ ٧) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٥٦).

* ﴿ وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ ﴾:

أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن الربيع بن خثيم أبي زيد الكوفي (ت قبل ٩٠هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ ﴾ قال: يهتدون[١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [رقم: ١٨٦]

قرأ ورش، وأبو عمرو، وأبو جعفر بإثبات الياء فيهما وصلا.

وقرأ يعقوب بإثبات الياء فيهما وصلا ووقفًا.

وقالون روى عنه وجهان:

الأول : إثبات الياء فيهما وصلا.

والثاني: حذفها فيهما في الحالين.

والوجهان صحيحان مقروء بهما.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بحذفها فيهما في الحالين[٢].

* ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾ [رقم: ١٨٦]

قرأ ورش بفتح ياء الإضافة وصلا، والباقون بإسكانها[٣].

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

روى البخاري، والنسائي، وأبو داود، وغيرهم عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال:

(١) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٥٦).
(٢ ـ ٣) انظر: المهذب في القراءات العشر (١/ ٨٤).

كان أصحاب النبى ﷺ إذا كان الرجل منهم صائمًا فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر، لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسى، وإنّ قيس بن صرْمَة الأنصارى كان يعمل فى نخيل له بالنهار صائمًا، فلما حضر الإفطار جاء امرأته فقال: هل عندك طعام؟ قالت: لا، ولكنى أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل فى أرضه فغلبته عيناه، وجاءت امرأته، فلما رأته نائمًا قالت: خيبة لك أنمت؟ فلمّا انتصف النهار غشى عليه، فذكر ذلك للنبى ﷺ فأنزل الله هذه الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ ففرح المسلمون بذلك[١].

* وروى محمد بن مسلم بن عبد الله الزهرى (ت ١٢٤هـ) عن القاسم بن محمد قال: إن بدء الصوم كان يصوم الرجل من عشاء إلى عشاء، فإذا نام لم يصل إلى أهله بعد ذلك، ولم يأكل ولم يشرب، حتى جاء عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - إلى امرأته فقالت: إنى قد نمت فوقع بها، وأمسى صرْمَة بن أنس صائمًا فنام قبل أن يفطر - وكانوا إذا ناموا لم يأكلوا ولم يشربوا - فأصبح صائمًا وكاد الصوم يقتلهم، فأنزل الله - عزّ وجلّ - الرخصة فقال: ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ الآية[٢].

* وعن سهل بن سعد بن مالك (ت ٩١هـ) قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾ ولم ينزل ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم فى رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود، فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رؤيتهما فأنزل الله - تعالى - بعد ذلك: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ فعلموا أنه إنما يعنى بذلك الليل والنهار. اهـ. [رواه البخارى عن ابن أبى مريم، ورواه مسلم عن محمد بن سهل عن ابن أبى مريم][٣].

❀ معانى المفردات:

* ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾: الرفث: كناية عن الجماع.

قال ابن عباس - رضى الله عنهما - (ت ٦٨هـ): إن الله حيىّ كريم يكنى، كلما ذكر فى القرآن: من المباشرة، والملامسة، والإفضاء، والدخول، والرفث، فإنما عنى به الجماع. اهـ[٤].

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٥٣، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٢٧.
(٢) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٥٤.
(٣) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٥٥.
(٤) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٥٦).

✱ **المعنى:** إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أباح للمسلمين أن يجامعوا زوجاتهم ليلة الصيام من بعد غروب الشمس إلى طلوع الفجر الصادق.

* ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾:

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هنّ سكن لكم وأنتم سكن لهن[١].

وصدق الله إذ قال: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٩]

وإذْ قال: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾ [الروم: ٢١].

* ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾:

قال السدّي إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ): تقعون عليهنّ خيانة[٢].

✱ **المعنى:** علم الله ـ تعالى ـ أنكم كنتم تخونون أنفسكم وتظلمونها بالمجامعة بعد العشاء، وكان ذلك قبل أن يُنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ ﴾.

* ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾ أي: تجاوز عنكم، وغفر ذنوبكم لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ من صفاته: أنه غفور رحيم.

وصدق الله إذْ قال: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) ﴾ [الحجر: ٤٩].

* ﴿ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: المباشرة: الجماع، ولكن الله كريم يستكني[٣].

✱ **المعنى:** أباح الله ـ سبحانه وتعالى ـ للصائم بعد أن يفطر أن يجامع زوجته من غروب الشمس إلى طلوع الفجر. وسمّيت المجامعة: مباشرة، لملاصقة بشرة كل واحد منهما صاحبه.

* ﴿ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾:

قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): ابتغوا الولد إن لم تكن هذه فهذه[٤].

(١ ـ ٣) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٥٩).

(٤) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٥٧).

* ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ ﴾:

عن عدىّ بن حاتم ـ رضى الله عنه ـ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ ﴾ عمدت إلى عقالين أحدهما أسود، والآخر أبيض، فجعلتهما تحت وسادتى فجعلت أنظر إليهما فلا يتبين لى الأبيض من الأسود فلما أصبحت عدوت على رسول الله ﷺ فأخبرته بالذى صنعتُ فقال: «إنّ وسادك إذًا لعريض، إنما ذاك بياض النهار من سواد الليل»[1].

* ﴿ مِنَ الْفَجْرِ ﴾: عن سهل بن سعد بن مالك (ت ٩١هـ) قال: أنزلت ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ ﴾ ولم ينزل قوله: ﴿ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم فى رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود، ولا يزال يأكل ويشرب حتى يتبيّن له رؤيتهما، فأنزل الله ـ تعالى ـ بعده: ﴿ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ فعلموا إنما يعنى بهما: الليل والنهار[2].

* ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾: فالصائم يحرم عليه الطعام والشراب بطلوع الفجر الصادق ويمتدّ إلى غروب الشمس، وإذا غربت حَلّ الفطر.

عن عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا، وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم»[3].

* وأخرج ابن أبى شيبة، والبخارى، ومسلم، والترمذىّ، والنسائىّ عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد أن يصوم فليتسحّر ولو بشىء» وأخرج: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾[4].

* ﴿ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾:

الاعتكاف فى الشرع: هو الإقامة فى المسجد بنيّة العبادة، وهو سنة، ولا يجوز فى غير المسجد.

---

(١) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٦١).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٥٨).

(٤) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٦١).

عن «عائشة أم المؤمنين» (ت ٥٨ هـ ـ رضي الله عنها): أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفّاه الله ـ تعالى[١].

* وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اعتكف أدنى إليّ رأسه فأرجلّه وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان[٢].

أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ ﴾ الآية، قال: هذا في الرجل يعتكف في المسجد في رمضان، أو في غير رمضان، فحرّم الله عليه أن ينكح النساء ليلا أو نهارًا حتى يقضي اعتكافه[٣].

* وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عن الضّحاك بن مزاحم قال: كانوا يجامعون وهم معتكفون حتى نزلت: ﴿ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾[٤].

• فائدة جليلة:

اعلم أخي المسلم أن الجماع محرّم شرعًا حال الاعتكاف، ويفسد به الاعتكاف عند أكثر أهل العلم، وهو أظهر قولي الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ[٥].

والسنة في المعتكف: أن لا يخرج من المسجد إلا لحاجة الإنسان، ولا يتبع جنازة، ولا يعود مريضًا[٦].

* ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا ﴾ أي: الأحكام التي ذكرها الله ـ تعالى ـ في الصيام، والاعتكاف حدودٌ، فلا تقربوها أي: فلا تفعلوا شيئًا منها.

أخرج ابن أبي حاتم عن الضّحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ قال: معصية الله، يعني المباشرة في الاعتكاف[٧].

* ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾:

لكي يتقوها فينجوا من عذاب الله ـ تعالى.

(١ ـ ٢) انظر: تفسير البغوي (١/ ١٥٩).

(٣ ـ ٤) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٦٣).

(٥) انظر: تفسير البغوي (١/ ١٥٩).

(٦) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٦٥).

(٧) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٦٦).

وصدق الله إذ قال: ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحديد: ١٧].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ هُنَّ ﴾، ﴿ لَّهُنَّ ﴾، ﴿ بَاشِرُوهُنَّ ﴾، ﴿ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ ﴾ [رقم: ١٨٧]

وقف يعقوب على الجميع بهاء السكت بالخلاف، وذلك لبيان حركة الحرف الموقوف عليه[١].

﴿ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾

سبب نزول هذه الآية:

قال مقاتل بن حيّان البلخيّ (ت ١١٠هـ): نزلت هذه الآية في امرئ القيس بن عابس الكندي، وفي عبدان بن أشوع الحضرمي، وذلك أنهما اختصما إلى النبي ﷺ في أرض، وكان امرؤ القيس المطلوب، وعبدان الطالب، فأنزل الله هذه الآية، فحكّم عبدان في أرضه ولم يخاصمه. اهـ[٢].

معاني المفردات:

* ﴿ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾:

الخطاب بهذه الآية يتضمّن جميع أمة نبينا محمد ﷺ.

والمعنى: لا يأكل بعضكم مال بعض بغير حقّ.

قال القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت ٦٧١هـ): يدخل في هذا: القمار، والخداع، والغصوب، وجحد الحقوق، وما لا تطيب به نفس مالكه، أو حرّمته الشريعة وإن طابت به نفس مالكه: كمهر البغيّ، وحلوان الكاهن، وأثمان الخمور، والخنازير، وغير ذلك[٣].

---

(١) انظر: المهذب في القراءات العشر (١/ ٨٤).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي ص٥٥، والدرّ المنثور (١/ ٣٦٧)، وأسباب النزول للشيخ القاضي ص٢٨، وتفسير القرطبي (٢/ ٢٢٥)، وتفسير البغوي (١/ ١٥٩).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ٢٢٥).

* وأخرج ابن المنذر عن قتادة بن دعامة السّدوسىّ (ت ١١٨هـ) فى الآية قال: لا تُدْلِ بمال أخيك إلى الحكام وأنت تعلم أنك ظالم، فإن قضاءه لا يُحِلّ لك شيئًا كان حرامًا عليك. اهـ(١).

* وأخرج مالك، والشافعىّ، وابن أبى شيبة، والبخارى، ومسلم، عن «أم سلمة» أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ: أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلىّ، ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضى له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشىء من حقّ أخيه فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار» اهـ(٢).

* وأخرج الإمام أحمد عن أبى حميد الساعدى: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحلّ لامرئ أن يأخذ مال أخيه بغير حقّه، وذلك لما حرم الله مال المسلم على المسلم» اهـ(٣).

* ﴿ بِالْبَاطِلِ ﴾: الباطل فى اللغة: الذاهب الزائل، يقال: بطل يبطل بطولا وبطلانا، وجمع الباطل: بواطل.

* ﴿ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ ﴾ أى: تلقوا أمور تلك الأموال بينكم وبين أربابها إلى الحكام.

وأصل الإدلاء: إرسال الدلو، وإلقاؤه فى البئر.

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): هذا فى الرجل يكون عليه مال، وليس عليه بيّنة فيجحد المال، ويخاصم فيه الحاكم وهو يعرف أن الحق عليه، وأنه آثم بمنعه..اهـ(٤).

* وقال مجاهد بن جبر المكّى المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى هذه الآية: لا تخاصم وأنت ظالم.. اهـ(٥).

* ﴿ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ ﴾: معطوف على ما قبله أى: ولا تدلوا بها إلى الحكام.

---

(١) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧).

(٢ ـ ٣) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٦٧).

(٤ ـ ٥) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٦٠).

كان شريح القاضى يقول: إنى لأقضى لك، وإنّى لأظنك ظالمًا، ولكن لا يسعنى إلا أن أقضى لك بما يحضرنى من البينة، وإنّ قضائى لا يحلّ لك حرامًا[١].

* ﴿ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ ﴾:

* ﴿ فَرِيقًا ﴾ أى: طائفة. * ﴿ بِالإِثْمِ ﴾ أى: بالظلم.

وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: باليمين الكاذبة يقتطع بها مال أخيه. اهـ[٢].

* ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾: الواو للحال، أى: والحال أنكم تعلمون أنكم ظالمون، ولا حقّ لكم فى هذا المال الذى تأخذونه.

وقد صدق الله إذْ قال فيما أعدّه للظالمين من العذاب الأليم: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ ﴾ [الكهف: ٢٩].

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

أخرج أبو نعيم، وابن عساكر: أنّ معاذ بن جبل، وثعلبة بن عتبة ـ وهما من الأنصار ـ قالا: يا رسول الله ما بال الهلال يبدو ويطلع دقيقًا مثل الخيط، ثم يزيد حتى يعظم ويستوى ويستدير، ثم لا يزال ينقص ويدقّ حتى يعود كما كان، لا يكون على حال واحدة؟ فنزلت الآية.

وأخرج البخارى عن البراء بن عازب (ت ٦٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: كانوا إذا أحرموا فى الجاهلية أتوا البيوت من ظهورها، ولم يدخلوها من أبوابها، فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾ الآية[٣].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٦٠).

(٣) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٥٦، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص ٢٨ ـ ٢٩، وتفسير القرطبى (٢/ ٢٢٧)، وتفسير البغوى (١/ ١٦٠)، والدرّ المنثور (١/ ٣٦٧).

❀ معانى المفردات:

* ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ﴾: ﴿الأَهِلَّةِ﴾: جمع «هلال»، مثل: رداء وأردية.

وجُمع الهلال وهو واحد فى الحقيقة من حيث كونه هلالا واحداً فى شهر، غير كونه هلالا فى شهر آخر.

وسمّى الهلال هلالا، لأن الناس يرفعون أصواتهم بالذكر عند رؤيته.

وهو مأخوذ من قولهم: استهلّ الصبىّ إذا صرخ حين يولد، ومن قولهم: أهلّ القوم بالحجّ إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية.

* أخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة (ت ١١٨ هـ) قال: سألوا النبى ﷺ: لم جعلت الأهلّة؟ فأنزل الله الآية، فجعلها لصوم المسلمين، ولإفطارهم، ولمناسكهم، وحجّهم، ولعدة نسائهم، ومحلّ دينهم فى أشياء، والله أعلم بما يصلح خلقه. اهـ[(١)].

وأقول: هذا معنى قوله ـ تعالى ـ:

* ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾: والمواقيت جمع ميقات.

وحينئذ يكون المعنى: قل لهم يا محمد فعل الله ذلك ليعلم الناس أوقات الحج والعمرة، والصوم، والإفطار، وآجال الديون إلى غير ذلك من مصالح العباد.

* فإن قيل: نريد بيان الحكمة فى إفراد الله ـ تعالى ـ الحج بالذكر؟

أقول: لأن الحج يحتاج الناس فيه إلى معرفة الوقت الذى شرع الله فيه الحج لقوله ـ تعالى ـ: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وأنه لا يجوز النسىء فيه عن وقته، بخلاف ما كان عليه أهل الجاهلية، فإنهم كانوا يبدّلون الشهور، فأبطل الله ذلك وحرّمه بقوله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [التوبة: ٣٧].

---

(١) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٦٧).

وأقول: نظير هذه الآية فى المعنى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥) ﴾ [يونس: ٥].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا (١٢) ﴾ [الإسراء: ١٢].

* ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾:

تقدّم سبب نزول ذلك، وهو كاف لإفادة المعنى.

* ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ﴾ أى: البرّ فى تقوى الله ـ تعالى ـ ويتحقق ذلك فى امتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

* ﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ أى: فى حال الإحرام وغيره.

* ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أى: تفوزون بالجنة، وتنجون من النار.

وصدق الله إذ قال فى وصف المفلحين:

﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) ﴾ [الأعراف: ٨]

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ ﴾ [رقم: ١٨٩]

أجمع القراء العشرة على رفع لفظ «البر» هنا، لأن القراءة سنة متبعة، ومبنية على التلقّى والتوفيق.

* ﴿ الْبُيُوتَ ﴾ [رقم: ١٨٩]

قرأ ورش، وأبو عمرو، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب بضم الباء، على الأصل فى الجمع على «فعول».

وقرأ الباقون بكسر الباء، للتخفيف ولمجانسة الياء.

* ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ﴾ [رقم: ١٨٩]

قرأ نافع، وابن عامر: ﴿ ولكنِ ﴾ بنون ساكنة مخففة تكسر وصلا على أصل التخلص من التقاء الساكنين، و﴿ البرُّ ﴾ بالرفع، على أنه مبتدأ ﴿ ولكنْ ﴾ لا عمل لها.

وقرأ الباقون ﴿ ولكنّ ﴾ بفتح النون مشدّدة، و﴿ البرَّ ﴾ بالنصب اسم ﴿ لكنّ ﴾ وجملة ﴿ من اتقى ﴾ خبرها[1].

فائدة جليلة:

أخرج الدارمي، والبزار، وابن المنذر، والطبراني عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) قال: ما رأيت قومًا كانوا خيراً من أصحاب نبينا محمد ﷺ ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قُبض، كلهن في القرآن، منهنّ: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ ﴾ [البقرة: ١٨٩] ما كان يسألون إلا عما كان ينفعهم..اهـ[2].

* وأقول: تتميمًا للفائدة سأذكر الثلاث عشر مسألة مرتبة حسب ترتيب القرآن وهي:

١ ـ ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ ﴾ [البقرة: ١٨٩]

٢ ـ ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم ﴾ [البقرة: ٢١٥]

٣ ـ ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢١٧]

٤ ـ ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾ [البقرة: ٢١٩]

٥ ـ ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ [البقرة: ٢١٩]

٦ ـ ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٢٠]

٧ ـ ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]

٨ ـ ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ﴾ [المائدة: ٤]

٩ ـ ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٧ ، النازعات: ٤٢]

١٠ ـ ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ ﴾ [الأنفال: ١]

---

(١) انظر في كل ذلك: المهذب في القراءات العشر (١/ ٨٥).

(٢) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٤٣٨).

١١ - ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ [الإسراء: ٨٥]

١٢ - ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ ﴾ [الكهف: ٨٣]

١٣ - ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ﴾ [طه: ١٠٥]

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

قال الربيع بن أنس وغيره: هذه الآية أوّل آية نزلت فى الأمر بقتال الكفار، وكان ذلك سنة سبع من الهجرة بعد صلح الحديبية بعام:

وذلك أن النبىّ ﷺ خرج مع أصحابه للعمرة وكانوا ألفًا وأربعمائة، فساروا حتى نزلوا الحديبية فصدّهم المشركون عن البيت الحرام، فنحر النبى ﷺ الهدى، ثم صالحه المشركون على أن يرجع إلى المدينة عامه هذا، ثم يأتى العام القابل على أن يخلّوا له مكة ثلاثة أيام فيطوف بالبيت ويفعل ما يشاء، فلما كان العام القابل تجهّز رسول الله ﷺ هو وأصحابه لعمرة القضاء، وخافوا ألاّ تفى قريش بما قالوا، وأن يصدّوهم عن البيت الحرام، ويقاتلوهم، وكره أصحاب رسول الله ﷺ قتالهم فى الشهر الحرام، وفى الحرم، فأنزل الله هذه الآية[(١)].

معانى المفردات:

* ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾:

عن أبى بكر الصديق (ت ١٣ هـ - رضى الله عنه): أنّ أول آية نزلت فى القتال قوله - تعالى -: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) ﴾ [الحج: ٣٩][(٢)].

وأقول: لما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة أمره الله - تعالى - وصحابته بقتال من قاتله من الكفار والمشركين بهذه الآية الكريمة، وكان ذلك سنة سبع من الهجرة بعد صلح الحديبية، وقد تقدم بيان ذلك فى سبب نزول هذه الآية.

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص ٥٧ - ٥٨، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٢٩ - ٣٠، وتفسير البغوى (١/ ١٦١)، وتفسير القرطبى (٢/ ٢٣١ - ٢٣٢).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ٢٣٢).

ويؤيد هذه الآية في المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (٣٦) ﴾ [التوبة: ٣٦].

* ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾: أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وان أبي حاتم عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ يقول أي الله ـ تعالى ـ: لا تقتلوا النساء، والصبيان، ولا الشيخ الكبير، ولا من ألقى السَّلَم وكفّ يده، فإن فعلتم فقد اعتديتم[1].

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ أي: يعاقبهم على اعتدائهم.

ويؤيد هذه الآية في المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ﴾ [المائدة: ٢].

﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾:

✱ **المعنى:** يقول الله ـ تعالى ـ للمؤمنين: اقتلوا الكفار والمشركين حيثما وجدتموهم وتمكنتم من قتلهم.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنّ نافع بن الأزرق سأله عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ قال: وجدتموهم[2].

* ﴿ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾:

الخطاب هنا للمهاجرين المسلمين، والضمير لكفار قريش، وذلك أنهم أخرجوا المسلمين من مكة كرهًا، فقال الله ـ تعالى ـ: أخرجوهم من ديارهم كما أخرجوكم من دياركم، وهذا هو العدل والقصاص.

(١ ـ ٢) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٧٠).

* ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾:

❋ **المعنى:** شركهم لله ـ عزّ وجلّ ـ أشدّ وأعظم عند الله ـ تعالى ـ من قتلكم إياهم فى الحرم، والشهر الحرام.

وأخرج ابن أبى حاتم عن أبى العالية الرياحى (ت ١٩٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ قال: الفتنة التى أنتم مقيمون عليها أكبر من القتل(١).

* ﴿ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ﴾:

قال أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبى (ت ٦٧١هـ): للعلماء فى هذه الآية قولان: أحدهما: أنها منسوخة. والثانى: أنها محكمة، وهو الصحيح من القولين، وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه(٢).

* وقال مجاهد بن جبر المكى المفسّر (ت ١٠٤هـ): الآية محكمة، ولا يجوز قتال أحد فى المسجد الحرام إلا بعد أن يُقاتِل ـ أى: يبدأ بالقتال(٣).

وبه قال طاوس بن كيسان أبو عبد الرحمن اليمنى (ت ١٠٦هـ)(٤).

وهو الذى يقتضيه نصّ الآية، والدليل على ذلك الحديث التالى:

ففى الصحيح عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحلّ القتالُ فيه لأحد قبلى، ولم يحلّ لى إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله ـ تعالى ـ إلى يوم القيامة» اهـ(٥).

* ﴿ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ﴾:

❋ **المعنى:** إن بدأوكم بالقتال فقاتلوهم. وصدق الله إذ قال: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٤].

* ﴿ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾:

(١) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٧٠).

(٢ ـ ٥) انظر: تفسير القرطبى (١/ ٢٣٤).

وصدق الله إذ قال: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، وإذ قال في عقوبة أعدائه يوم القيامة: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٢٨)﴾ [فصلت: ٢٨].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ﴾ [رقم: ١٩١]

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف البزّار: ﴿ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم﴾، ﴿فإن قتلوكم﴾ بفتح تاء الفعل الأول، وياء الثاني، وإسكان القاف فيهما، وضم التاء بعدها، وحذف الألف التي بعد القاف في الأفعال الثلاثة مع ضم تاء الفعل الأول وياء الثاني، وفتح القاف فيهما من القتال[1].

﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢)﴾

معاني المفردات:

* ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ أي: عن قتالكم، وآمنوا.

وقال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): فإن تابوا[2].

* ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: فإن الله يغفر لهم جميع ما تقدم منهم، ونظير ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وصدق الله إذ قال: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢)﴾ [طه: ٨٢]

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣)﴾

معاني المفردات:

* ﴿قَاتِلُوهُمْ﴾: هذا أمر من الله ـ تعالى ـ بقتال الكفار والمشركين.
* ﴿حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أي: شرك بالله ـ تعالى[3].

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات (١/ ٢٣٧). (٢) انظر: تفسير القرطبي (١/ ٢٣٤).
(٣) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٧١).

وحينئذ يكون المعنى: قاتلوا الكفار والمشركين حتى يدخلوا فى الإسلام وينطقوا بالشهادتين، ومتى نطق بالشهادتين حرم قتله، والدليل على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٩٤) ﴾ [النساء: ٩٤].

* ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ أى: تكون الطاعة والعبادة لله ـ تعالى ـ وحده فلا يُعْبَد شىء دونه، أو معه مهما كان.

وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ أى: يخلص التوحيد لله ـ تعالى ـ[1].

* قال النبى ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله».

وصدق الله إذ قال: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة: ٥]

* ﴿ فَإِنِ انتَهَوْا ﴾ أى: عن الكفر وأسلموا.

* ﴿ فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ أى: إن أسلموا فلا قتل، ولا أسر، إلا على الظالمين الذين تمسكوا بالشرك والكفر ـ والعياذ بالله تعالى ـ وسمّى الكافر ظالمًا لأنه يضع التوحيد، والعبادة فى غير موضعهما.

وسمّى ما يُصْنع بالمشركين والكافرين عدوانًا، من باب المشاكلة لأنه جزاء عدوان، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠].

﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤) ﴾

❁ سبب نزول هذه الآية:

عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: أقبل النبى ﷺ هو وأصحابه معتمرين فى ذى القعدة سنة ستّ من الهجرة، ومعهم الهدى، حتى إذا كانوا بالحديبية صدّهم المشركون، واصطلحوا مع النبى ﷺ على أن يعودوا إلى المدينة ثم يرجعوا

(١) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٧١).

من العام القابل، فلما كان العام القابل أقبل هو وأصحابه حتى دخلوا مكة معتمرين في ذى القعدة فأقاموا بها ثلاث ليال، وكان المشركون قد فخروا عليه حين ردّوه فأقصّه الله منهم ـ أى جعله يقتص منهم ـ فأدخله مكة فى ذلك الشهر الذى كانوا ردّوه فيه فأنزل الله الآية[1].

❀ معانى المفردات:

* ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ أى: شهر ذى القعدة الذى دخلتم فيه مكة، وقضتم فيه عمرتكم سنة سبع، بالشهر الحرام، يعنى: ذا القعدة الذى صددتم فيه عن البيت سنة ستّ.

* ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾: الحرمات جمع حرمة، مثل: حجرات جمع حجرة، وقد جمعها الله ـ تعالى ـ لأنه أراد حرمة الشهر الحرام، وحرمة البلد الحرام، وحرمة الإحرام.

والحرمة: ما منع الإنسانُ من انتهاكها.

والقصاص: أى المساواة، وهو أن يُفعل بالفاعل مثل ما فعل.

❋ **المعنى:** يقول الله ـ تعالى ـ: اقتصصت لكم منهم إذْ صدوكم سنة ستّ فقضيتم العمرة سنة سبع.

* ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾:

قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): فقاتلوهم فيه كما قاتلوكم[2].

أى: من قاتلكم فى الشهر الحرام، فقاتلوه فيه كما قاتلكم ولا تثريب عليكم فى ذلك.

* ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ وهنيئًا لمن كان الله معه فإنه سيشمله بعنايته ورعايته.

وصدق الله إذ قال: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٥٨، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٣٠، وتفسير القرطبى (٢/ ٢٣٦)، وتفسير البغوى (١/ ١٦٣)، والدرّ المنثور (١/ ٣٧٢).

(٢) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٧٣).

﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

أولا: عن أبي أيوب الأنصاري ـ رضى الله عنه ـ قال: نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما أعزّ الله دينه، وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سرّا دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعزّ الإسلام، وكثر ناصروه، فلو أقمنا فى أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله على نبيه ﷺ يردّ علينا ما قلنا: ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ الآية.

فكانت التهلكة الإقامة فى الأموال، وإصلاحها، وترك الغزو(١).

ثانيًا: عن الضحاك بن أبى جبيرة: أن الأنصار كانوا ينفقون فى سبيل الله ويتصدّقون، فأصابتهم سنة فساء ظنهم وأمسكوا عن ذلك فأنزل الله ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ الآية(٢).

معانى المفردات:

* ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾: المراد به الإنفاق فى الجهاد فى سبيل الله، ويجوز أن يكون المراد به الإنفاق فى كل خير فى سبيل الله، فيشمل الجهاد، وغيره.

* ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾:

أخرج ابن أبى حاتم عن حذيفة بن اليمان (ت ٣٦هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ قال: هو ترك النفقة فى سبيل الله مخافة العيلة(٣).

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): هو ترك النفقة فى سبيل الله، أنفق ولو «مشقصًا»(٤).

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٦٠، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٣٠، وتفسير القرطبى (٢/ ٢٤١)، وتفسير البغوى (١/ ١٦٤)، والدرّ المنثور (١/ ٣٧٥).

(٢) انظر: أسباب النزول للشيخ القاضى ص٣١، والدرّ المنثور (١/ ٣٧٤).

(٣ ـ ٤) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٧٤).

* ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾:

أخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) قال: أحسنوا الظن بالله ـ تعالى[١].

وقال القرطبي: في الإنفاق في الطاعة، أحسنوا الظن بالله في إخلافه عليكم[٢].

وصدق الله إذ قال: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) ﴾

[البقرة: ٢٦١]

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما)، وعلقمة بن قيس النخعي (ت ٦٢هـ ـ رضي الله عنه)، وإبراهيم النخعي (ت ٩٦هـ)، ومجاهد بن جبر المكي المفسّر (ت ١٠٤هـ): معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾: هو أن يتمهما بمناسكهما، وحدودهما، وسننهما. اهـ[٣].

• تعريف الحج:

الحج لغة القصد إلى معظّم، وشرعًا: أعمال مخصوصة تؤدى في زمان مخصوص، ومكان مخصوص، على وجه مخصوص[٤].

---

(١) انظر: الدرّ المنثور (١/ ١٧٥).

(٢) تفسير القرطبي (٢/ ٢٤٣).

(٣) انظر: تفسير البغوي (١/ ١٦٥).

(٤) انظر: الفقه على المذاهب الأربعة ١٠/ ٣٥١)، والعبادات للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن (٢/ ١٤٤).

• **حكم الحج:**

الحج فرض فى العمر مرة واحدة على كل مسلم ومسلمة وفقًا لشروط معينة سيأتى بيانها بإذن الله ـ تعالى. والدليل على ذلك الأحاديث الصحيحة منها الحديث التالى:

عن عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): أن الأقرع بن حابس قال: يا رسول الله الحجّ فى كل سنة، أو مرّة واحدة؟

قال: «بل مرّة واحدة، فمن زاد فهو تطوّع» اهـ[١].

• **دليل وجوب الحج:**

لقد ثبتت فرضية الحج بالكتاب، والسنة، والإجماع:

أمّا الكتاب: فقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وأمّا السنة فقول عبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجّ البيت، وصوم رمضان» اهـ[٢].

وأمّا الإجماع: فقد اتفقت الأمّة على فرضية الحج، ولم يشذ عن ذلك إلا كافر، لأنه أنكر أحد أركان الإسلام.

• **شروط وجوب الحج:**

يجب الحج بخمس شروط وهى: الإسلام ـ والعقل ـ والبلوغ ـ والحريّة ـ والاستطاعة. فمن لم تتحقق فيه هذه الشروط فلا يجب عليه الحج. وذلك أن الإسلام، والبلوغ، والعقل، شرط التكليف فى كل عبادة من العبادات.

أمّا الكافر فغير مخاطب بفروع الدين خطابًا يلزمه أداء، ولا يوجب قضاء.

---

(١) رواه أبو داود، والنسائى، والحاكم وصححه، انظر: المحلّى لابن حزم (٧/ ٣٧)، والعبادات للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن (٢/ ١٤٥).

(٢) متفق عليه، انظر: نيل الأوطار للشوكانى (١/ ٣٣٣)، والعبادات للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن (٢/ ١٤٦).

وفي الحديث الذي رواه عليّ بن أبي طالب (ت ٤٠ هـ - رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: «رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبيّ حتى يشبّ، وعن المعتوه حتّى يعقل» اهـ[١].

وأمّا العبد فلا يجب عليه، لأن الحج عبادة تطول مدّتها، وتشترط لها الاستطاعة: بالزاد والراحلة، وتضيع حقوق سيده المتعلقة به، فلم يجب عليه.

وغير المستطيع: لا يجب عليه، لأن الله - تعالى - خصّ المستطيع بالإيجاب عليه، وقد قال - تعالى - ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

- **متى يجب الحج؟**

الحج واجب على الفور عند الأئمة الثلاثة: مالك - وأبي حنيفة - وأحمد. فكل من توفّرت فيه شروط الحج ثم أخره عن أوّل عام استطاع فيه الحج يكون آثمًا بالتأخير.

وقال الإمام الشافعي: هو فرض على التراخي، فإن أخره عن أوّل عام قدر فيه إلى عام آخر فلا يكون عاصيًا بالتأخير بشرطين:

الأول: أن لا يخاف فواته إمّا لكبر سنه أو عجزه عن الوصول، وإمّا لضياع ماله.

والثاني: أن يعزم على الحج فيما بعدُ، فلو لم يعزم يكون آثمًا[٢].

- **أركان الحج أربعة وهي:**

* الأول: الإحرام من الميقات: واعلم أخي المسلم أن المواقيت نوعان: زمانية، ومكانية:

فالمواقيت الزمانية هي: شوال، وذو القعدة، والعشر الأوائل من ذي الحجة.

فعن عبد الله بن دينار عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: الحجّ أشهر معلومات: شوال، وذو القعدة، وعشر ذي الحجة[٣].

---

(١) رواه أبو داود، وابن ماجه، والترمذي، انظر: المغني لابن قدامة (٣/ ٢١٨)، والعبادات للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن (٢/ ١٤٦).

(٢) انظر: الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ٦٣١ - ٦٣٢)، والعبادات للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن (٢/ ١٤٨).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٢٥٨)، والعبادات للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن (٢/ ١٦٢).

والمواقيت المكانية: هى الأماكن التى يُحْرِم منها من يريد الحج، أو العمرة:

وقد أجمع أهل العلم على أربعة منها وهى:

١ ـ ذو الحليفة، وهو موضع بينه وبين مكة ٤٥٠ كم أربعمائة وخمسون كيلو متراً تقريبًا، ويقع فى شمال مكة وقرب المدينة المنورة.

٢ ـ قرن المنازل، وهو جبل يقع شرقى مكة يطل على عرفات، بينه وبين مكة ٩٤كم أربعة وتسعون كيلو متراً.

٣ ـ الجحفة، وهو موضع فى الشمال الغربى من مكة، بينه وبينها ١٨٧ مائة وسبعة وثمانون كيلو متراً.

٤ ـ يلملم، وهو جبل يقع جنوب مكة بينه وبينها ٥٤ أربعة وخمسون كيلو متراً.

فعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: وقّت رسول الله ﷺ لأهل المدينة «ذا الحليفة»، ولأهل الشام «الجحفة»، ولأهل نجد «قرن»، ولأهل اليمن «يلملم»، قال: فهنّ لهن، ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن كان يريد الحج أو العمرة، فمن كان دونهنّ فمهلّه من أهله، وكذلك أهل مكة يهلون منها.. اهـ[١].

٥ ـ فأمّا الميقات الخامس وهو «ذات عرق» فميقات أهل المشرق فى قول أكثر أهل العلم وهو موضع فى الشمال الشرقى لمكة بينه وبينها ٩٤ كم أربعة وتسعون كيلو متراً. وهو ميقات «أهل العراق»[٢].

* والثانى: أى الركن الثانى من أركان الحج:

الطواف بالبيت سبعة أشواط.

يبدأ الشوط من الحجر الأسود، وينتهى بالحجر الأسود. ويشترط فى صحة الطواف الطهارة الكاملة من الحدثين الأصغر، والأكبر مثل الصلاة سواء بسواء.

* والثالث: أى الركن الثالث من أركان الحج:

السعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط.

---

(١) انظر: المغنى لابن قدامة (٣/ ٣٥٧).

(٢) انظر: تفسير الطبرى (٣/ ٢٥٧).

يبدأ الشوط الأول من الصفا وينتهي بالمروة، ويبدأ الشوط الثاني من المروة، وينتهي بالصفا وهكذا.

ولا تشرط الطهارة في السعي، إلا أنها مستحبة.

* والرابع: أي الركن الرابع من أركان الحج: الوقوف بعرفة.

وقد أجمع العلماء على أن الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم، لقول النبي ﷺ: «الحجّ عرفة»[١].

ويرى جمهور العلماء أن وقت الوقوف بعرفة يبدأ من زوال اليوم التاسع إلى طلوع فجر يوم العاشر، وأنه يكفي الوقوف في أيّ جزء من هذا الوقت ليلا أو نهاراً، إلا أنه إن وقف بالنهار وجب عليه أن يمتدّ وقوفه إلى ما بعد الغروب، أمّا إذا وقف بالليل فلا يجب عليه شيء، ويتحقق الحضور بعرفات سواء كان نائمًا، أو يقظانًا، طاهرًا، أو غير طاهر.

• تعريف العمرة:

العمرة لغة: الزيارة، يقال: أعمره: إذا زاره. وشرعًا: زيارة بيت الله الحرام على وجه مخصوص، وكيفية مخصوصة، وبشروط مخصوصة.

• حكم العمرة:

اختلف الفقهاء في حكمها على قولين:

الأول: ذهب الشافعية، والحنابلة، إلى أن العمرة فرض عين في العمر مرة واحدة كالحجّ.

واستدلوا على فرضيتها بما يلي:

١ ـ قول الله ـ تعالى ـ ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٦].

٢ ـ عن «عائشة أم المؤمنين» (ت ٥٨هـ ـ رضي الله عنها) قالت: يا رسول الله هل على النساء من جهاد؟ قال: «نعم عليهنّ جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة»[٢].

(١) رواه أحمد، والترمذي، انظر: العبادات (٢/ ١٩٧).

(٢) رواه أحمد، وابن ماجه، ورواته ثقات. انظر: الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ٦٨٤).

٣ ـ عن أبي رزين العقلي، أنه أتى النبي ﷺ فقال: إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج، ولا العمرة، ولا الظعن، قال: «حجّ عن أبيك واعتمر»(١).

وفي رواية الترمذي: وما زاد على المرة الواحدة فهو تطوّع.. اهـ.

والثاني: ذهب المالكية، والحنفية، إلى أن العمرة سنة مؤكدة في العمر مرة لا فرض.

واستدلوا على ذلك بالكثير من الأدلة منها:

قول النبي ﷺ: «الحجّ مكتوب والعمرة تطوّع»(٢).

● شروط العمرة:

يشترط للعمرة ما يشترط للحج، وقد تقدمت مفصلة.

● ميقات العمرة:

للعمرة ميقاتان: زماني، ومكاني:

أما ميقاتها الزماني: فهو جميع أيام السنة وهذا رأى جمهور العلماء.

وأما ميقاتها المكاني: فهو كالحج سواء بسواء.

● أركان العمرة:

قال الشافعية: للعمرة خمسة أركان وهي:

الإحرام من الميقات، والطواف بالبيت سبعة أشواط، والسعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط، والحلق أو التقصير، والترتيب بين هذه الأركان.

وقال المالكية، والحنابلة: للعمرة ثلاثة أركان هي: الإحرام، والطواف، والسعي، أما الحلق أو التقصير فهو واجب.

---

(١) رواه الخمسة: البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

(٢) رواه ابن ماجه، انظر: الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ٦٨٤)، والعبادات للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن (٢/ ٢٣٠ ـ ٢٣٢).

* وقال الأحناف: للعمرة ركن واحد وهو معظم الطواف: أربعة أشواط. أما الإحرام فهو شرط، وأما كل من السعى، أو الحلق أو التقصير فهو واجب لا ركن[١].

فالركن إن تركه الحاج أو المعتمر لا يجبر بالدم، ويترتب على تركه فساد حجه، أو عمرته. والواجب يجبر بالدم، ولا يترتب على تركه فساد الحج أو العمرة.

● واجبات العمرة وسننها:

اعلم أنه يجب للعمرة ما يجب للحج، ويسن لها ما يسن له، وكذا يفسدها ما يفسده[٢].

* ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾:

الإحصار: هو المنع من الوجه الذى يقصده الإنسان بأى عذر كان، سواء كان المانع عدوًا، أو جور سلطان، أو مرضًا، أو أى شيء آخر.

وقد اختلف العلماء فى الإحصار المراد هنا فى الآية:

* فذهب أكثر العلماء: إلى أن الإحصار يكون من كل حابس يحبس الحاجّ أو المعتمر عن العمل الذى فرضه الله عليه فى إحرامه، ووصوله إلى بيت الله الحرام[٣].

وممن قال بهذا كل من:

١- مجاهد بن جبر المكى (ت ١٠٤هـ).

٢- قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ).

٣- عطاء بن يسار أبو محمد الهلالى المدنى (ت ١٠٢هـ).

٤- أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى الإمام (ت ١٠٥هـ).

٥- أحمد بن حنبل الإمام (ت ٢٤١هـ)[٤].

---

(١) الركن فى الحج أو العمرة هو لو سقط بطل الحجّ، أو العمرة. والواجب هو لو ترك وجب على تاركه دم، أو صوم عشرة أيام إن عجز عن الدم.

(٢) انظر: تفاصيل ذلك فى العبادات للدكتور/ محمد سالم محيسن (٢/ ١٦٧ - ١٩٤).

(٣) انظر: تفسير الطبرى (٢/ ٢١٢)، والعبادات للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن (٢/ ١٥٣).

(٤) انظر: العبادات للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن (٢/ ١٥٣).

واستدلوا على ذلك بعموم قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ ﴾.

* وقال آخرون: الإحصار لا يكون إلا بالعدو فقط وممن قال بهذا كل من:

١ ـ عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما).

٢ ـ الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ).

٣ ـ الإمام محمد بن إدريس الشافعى (ت ٢٠٤هـ).

واستدلوا على ذلك بأن الآية نزلت فى إحصار النبى ﷺ بالعدو عام الحديبية[١].

وأرى أن القول الأول هو الراجح، وهو الذى ينبغى الأخذ به لأن دين الله يسر كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

• ما يجب على المحصر:

يجب على المحصر أن يقدم هَدْيًا لله ـ تعالى ـ أدناه: «شاة»، وأوسطه «بقرة»، وأعلاه «بدنة»، كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾.

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: أن النبى ﷺ قد أُحْصِر، فحلق، وجامع نساءه، ونحر هديه، حتّى اعتمر عامًا قابلا[٢].

• موضع ذبح هدى الإحصار:

اختلف العلماء فى ذلك:

١ ـ ذهب الجمهور إلى أن المحصر يذبح هديه حيث يحل إحرامه.

٢ ـ وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: إن كان يستطيع أن يبعث به إلى الحرم وجب عليه ذلك، وإن كان لا يستطيع نحره فى مكان إحصاره.

٣ ـ وقال الأحناف: لا ينحره إلا فى الحرم لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ﴾ [الفتح: ٢٥][٣].

(١) انظر: العبادات للدكتور / محمد محمد سالم محيسن (٢/ ١٥٤).

(٢) رواه البخارى، انظر: العبادات (٢/ ١٥٤).

(٣) انظر: فقه السنة (١/ ٧٥٩).

* فإن قيل: هل على المحصر قضاء حجه؟

أقول: لا قضاء على المحصر إلا أن يكون عليه فرض الحج: فعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: من أحصر بحج أو عمرة ثم حبس عن البيت فعليه ذبح ما استيسر من الهدى شاة فما فوقها، يذبح عنه، فإن كان حجة الإسلام فعليه قضاؤها، وإن كان حجة بعد حجّ الفريضة فلا قضاء عليه(١).

* ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾:

أخرج أحمد، وعبد بن حميد، والبخارى، ومسلم، والترمذى، والبيهقى فى سننه عن كعب بن عُجْرة ـ رضى الله عنه ـ قال: كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية ونحن محرمون وقد حصرنا المشركون، وكانت لى وفرة فجعلت الهوام تساقط على وجهى، فمرّ بى النبى ﷺ فقال: «أيؤذيك هوامّ رأسك؟» قلت: نعم، فأمرنى أن أحلق، قال: ونزلت هذه الآية: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾.

قال رسول الله ﷺ: «صم ثلاثة أيام، أو تصدّق بفرق بين ستة، أو انسك مما تيسّر» اهـ(٢).

* ﴿ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾:

* أنواع الإحرام: للإحرام أنواع ثلاثة وهى: الإفراد ـ والتمتع ـ والقران.

وقد أجمع العلماء على جواز كل واحد من هذه الأنواع الثلاثة.

وهذا تفصيل الحديث عن هذه الأنواع الثلاثة:

● **الأول: الإفراد:**

وهو أن يحرم من يريد الحج من الميقات بالحج وحده، ويقول فى التلبية: لبيك اللهم بحج. ويظل على هذا حتى تنتهى أعمال الحج، ولا يلزمه هدى.

---

(١) انظر: فقه السنة (١/ ٧٥٩).

(٢) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٨٥).

• والثانى: التمتع:

وهـو أن يحـرم الإنسـان بالعـمـرة مـن الميـقات فى أشـهر الحج بحـيث يقول: لبيك عمرة، وبعـد أن يؤدى مناسك العمرة يحل إحرامه، ثم يتمـتع بفعل الأشياء التى كانت محرمة عليه أثناء الإحرام، إلى أن يجـىء يوم التروية فيحرم مرة أخرى بالحج، ويلزمه هدى.

• والثالث: القران:

وهو أن يحرم الإنسان من الميـقات بالحج والعمرة معًا ويقول عـند التلبية: لبيك اللهم بحج وعمـرة. و يحرم بالعمـرة فقط ثم يدخل عليهـا الحج قبل الطواف. وبناء عليه يجب أن يـظل على إحرامه حـتى ينتهى من أعمـال العمـرة والحج معًا، غـير أنه يلزمه هدى.

* وقد اختلف العلماء فى أى أنواع الإحرام أفضل:

١ ـ ذهبت الحنابلة إلى أن التمتع أفضل من الإفراد، والقران.

٢ ـ وذهبت الشافعية إلى أن الإفراد أفضل الأنواع، والتمتع أفضل من القران.

٣ ـ وقالت المالكية: الإفراد أفضل من التمتع والقران.

٤ ـ وقالت الحنفية: القران أفضل من التمتع والإفراد، والتمتع أفضل من الإفراد[١].

* واعلم أخى المسلم أن المتمتع عليه الفدية على الترتيب:

أولا: ما استيـسر من الهدى، وهى دم شاة يذبحها يوم النحـر. فلو ذبحها قبل يوم النحر بعدما أحرم بالحج يجوز عند بعض أهل العلم.

وذهب بعضهم إلى أنه لا يجوز قبل يوم النحر[٢].

ثانيًا: من لـم يجـد الهدى، أى لم يملك ثمنه فعليـه أن يصوم ثلاثة أيام فى الحج، والأفضـل أن يصوم يومًـا قبل يوم التـروية، ويوم التروية، ويوم عـرفة. ولو صـام هذه

---

(١) انظر: فقه السنة (١/ ٦٥٧)، العبادات (٢/ ١٨٢ ـ ١٨٣).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٧٠).

الأيام الثلاثة قبل ذلك بعدما أحرم بالحج جاز ذلك. ولا يجوز صوم يوم النحر، ولا أيام التشريق الثلاثة عند أكثر أهل العلم[1].

وعليه أيضًا أن يصوم سبعة أيام إذا رجع إلى أهله، فلو صام الأيام السبعة قبل الرجوع إلى أهله لا يجوز وهو قول أكثر أهل العلم لقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[2].

* ﴿ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾:

المعنى: أى هذا الحكم الذى تقدم على المتمتع لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام.

وقد اختلف العلماء فى حاضرى المسجد الحرام:

١ ـ فقال الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ): هم أهل مكة.

٢ ـ وقال الإمام محمد بن إدريس الشافعى (ت ٢٠٤هـ): كل من كان وطنه من مكة على أقل من مسافة القصر فهو من حاضرى المسجد الحرام.

٣ ـ وقال طاووس بن كيسان أبو عبد الرحمن اليمنى (ت ١٠٦هـ): هم أهل الحرم.

٤ ـ وقال الأحناف: هم أهل الميقات فما دونه[3].

• تنبيه مهم ومفيد:

اعلم أخى المسلم أن دم القران فى الحكم كدم التمتع.

* ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: فى أداء أوامر الله ـ تعالى ـ.

* ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: على من خالف أوامره، وفعل ما نهاه عنه.

وصدق الله إذ قال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩ ـ ٥٠].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٧٠).

(٣) المرجع المتقدم (١/ ١٧١).

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ (١٩٧) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾:

أخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الحج أشهر معلومات: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة» اهـ[(١)].

وأخرج الحاكم وصححه، والبيهقي في سننه من طرق عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: «الحج أشهر معلومات» قال: شوال، وذو القعدة، وعشر ليال من ذي الحجة[(٢)].

وأخرج البيهقي من طرق عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «الحج أشهر معلومات» قال: شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة، لا يفرض الحج إلا فيهن. اهـ[(٣)].

* ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ ﴾:

أخرج البيهقي عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ ﴾ قال: من أهلّ فيهن بالحج[(٤)].

* وأخرج ابن المنذر، والدارقطني، والبيهقي عن عبد الله بن الزبير (ت ٧٣هـ ـ رضي الله عنهما) قال: فَرْض الحج الإحرام[(٥)].

* ﴿ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾:

أخرج الطبراني عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ قال: «الرفث: الإعراب والتعريض للنساء بالجماع، والفسوق: المعاصي كلها، والجدال: جدال الرجل صاحبه» اهـ[(٦)].

(١ : ٣) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٩٣).
(٤ ـ ٥) المرجع المتقدم (١/ ٢٩٤).
(٦) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٩٥).

* وأخرج ابن مردويه، والأصبهانى فى الترغيب، عن أبى أمامة قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ ﴾ قال: «لا جماع». ﴿ وَلا فُسُوقَ ﴾: قال: «المعاصى والكذب» اهـ(١).

* ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾:

* أخرج البخارى، وأبو داود، والنسائى، والبيهقى فى سننه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن متوكلون، ثم يقدمون فيسألون الناس، فأنزل الله: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ اهـ(٢).

* وأخرج الطبرانى عن الزبير بن العوام ـ رضى الله عنه ـ قال: كان الناس يتوكل بعضهم على بعض فى الزاد، فأمرهم الله أن يتزودوا فقال: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ اهـ(٣).

* ﴿ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾ أى: يا أصحاب العقول السليمة. وإنما خص الله ـ تعالى ـ أولى الألباب بالخطاب دون غيرهم، وإن كان الأمر يعم الجميع، لأنهم هم الذين قامت عليهم حجة الله ـ تعالى ـ.

والألباب: جمع «لبّ» ولبّ كل شىء: خالصه، ولذا قيل للعقل: «لبّ».

وصدق الله إذ قال: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

وإذ قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لأُولِي الأَلْبَابِ (٢١) ﴾ [الزمر: ٢١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فِيهِنَّ ﴾ [رقم: ١٩٧]

قرأ يعقوب بضم الهاء فى الحالين أى وصلا ووقفًا، إذ الأصل فى هاء الضمير البناء على الضم.

---

(١) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٣٩٥).

(٢ ـ ٣) المرجع المتقدم (١/ ٣٩٨).

وقرأ الباقون من القـراء العشرة بكسر الهاء، لمناسبة الياء. ووقف علـيها يعقوب بهاء السكت بخلف عنه[١].

* ﴿ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ ﴾ [رقم: ١٩٧]

قرأ ابن كثير، وأبو عمـرو، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿فلا رفث ولا فسوق﴾ برفع الثاء، والقاف، مع التنوين، على أن «لا» نافية للوحدة، وهي ملغاة لا عمل لها.

وقرأ أبو جعفر وحده ﴿ ولا جدال ﴾ برفع اللام مع التنوين.

وقرأ البـاقون من القراء العـشرة بالفتح مع عدم التـنوين في الثلاثة، على أنّ «لا» نافية للجنس، وما بعدها اسمها، و﴿ في الحج ﴾ خبر «لا»[٢].

* ﴿ وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ [رقم: ١٩٧]

قرأ أبو عـمر، وأبو جعـفر بإثبات اليـاء وصلا. وقرأ يعـقوب بإثبات اليـاء وصلا ووقفًا. وقرأ الباقون من القراء العشرة بحذف الياء في الحالين[٣].

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج البـخاري، وابـن المنـذر، وابـن أبـي حـاتـم، والبيهـقي في سننه، عن ابن عبـاس ـ رضي الله عنهما ـ قـال: كانت عكاظ، ومـجنة، وذو المجاز، أسـواقًا في الجـاهلية فـتأثمـوا أن يتـجروا في المـوسم، فـسألوا رسـول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أي: في مواسم الحج[٤].

* وأخـــرج ابـن المنــذر، وابـن أبـي حـاتم، والحاكم وصححـه، والبـيهقي عن أبي أمامة التـيمي قال: قلت لابن عـمر ـ رضي الله عنهما ـ: إنّا ناس نكتـري فهل لنا من حجّ؟ قـال: أليس تطوفـون بالبـيت، وبين الصـفـا والمـروة، وتأتون المـعـروف، وترمـون الجـمار، وتحلقـون رءوسكم؟ قلت: بلى، فـقال ابن عـمر: جـاء رجل إلى

(١ ـ ٢) انظر: المهذب في القراءات العشر للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن (١/ ٨٦).
(٣) المرجع المتقدم (١/ ٨٦ ـ ٨٧). (٤) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٤٠٠).

النبى ﷺ فسأله عن الذى سألتنى عن، فلم يجبه حتى نزل جبريل ـ عليه السلام ـ بهذه الآية: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ فدعاه النبى ﷺ فقرأ عليه الآية وقال: «أنتم حجّاج» اهـ[1].

❀ معانى المفردات:

* ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾:

الـ ﴿ جُنَاحٌ ﴾: الإثم، وهو اسم ﴿ لَيْسَ ﴾ و﴿ أَن تَبْتَغُوا ﴾ فى موضع نصب خبر ﴿ لَيْسَ ﴾ أى: فى أن تبتغوا.

وأخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ يقول: لا حرج عليكم فى الشراء والبيع قبل الإحرام وبعده. اهـ[2].

وأخرج سفيان بن عيينة، وابن جرير عن مجاهد فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ قال: التجارة فى الدنيا، والأجر فى الآخرة[3].

* ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ ﴾:

أخرج ابن أبى حاتم عن عبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥هـ ـ رضى الله عنهما) قال: إنما سميت عرفات، لأنه قيل إلى نبىّ الله «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ حين أُرِى المناسك: عرفت. اهـ[4].

وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: إنما تسمى عرفات لأن جبريل ـ عليه السلام ـ كان يقول «لإبراهيم» ـ عليه السلام ـ: هذا موضع كذا، وهذا موضع كذا، فيقول: قد عرفت قد عرفت، فلذلك سميت عرفات. اهـ[5].

* وأخرج البيهقى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «من أفاض من عرفات قبل الصبح فقد تم حجه، ومن فاته فقد فاته الحج» اهـ[6].

(١ : ٥) المرجع المتقدم (١/ ٤٠١). (٦) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٤٠٢).

* وأخرج الأزرقى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: حدّ عرفة من الجبل المشرف على بطن «عرنة» إلى جبال «عرفة» إلى ملتقى وَصيق ووادى عرفة(١).

* وأخرج أبو داود، وابن ماجه عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «كل عرفة موقف، وكل منى منحر، وكل المزدلفة موقف، وكل فجاج مكة طريق ومنحر» اهـ(٢).

* ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ أى: اذكروه بالدعاء، والتلبية عند المشعر الحرام.

وقال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): ويسمى المشعر الحرام «جَمْعًا» لأنه يُجْمَعُ ثَمَّ المغربُ والعشاء. اهـ(٣).

* وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: المشعر الحرام مزدلفة كلها.. اهـ(٤).

* وأخرج مالك، وابن جرير عن عبد الله بن الزبير ـ رضى الله عنهما ـ قال: عرفة كلها موقف إلا بطن عرنة، والمزدلفة كلها موقف إلا بطن محسر.. اهـ(٥).

* وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ارفعوا عن بطن عرنة، وارفعوا عن بطن محسّر»(٦).

* ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ أى: اذكروه بالتوحيد والتعظيم كما وفقكم وهداكم لتعاليم دينه، ومناسك حجه.

* ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ﴾ الضمير فى قبله يصح أن يعود إلى «الهُدَى» أى من قبل هدايته لكم.

ويصح أن يعود على القرآن أى: من قبل أن ينزل الله ـ تعالى ـ القرآن على نبيكم «محمد» ﷺ.

ويصح أن يعود إلى رسول الله ﷺ، المفهوم من المقام، لأن الناس لم يهتدوا إلى الحقّ إلا بعد أن جاءهم النبى ﷺ.

(١ ـ ٢) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٤٠٢).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ٢٧٩).

(٤) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٤٠٢).

(٥ ـ ٦) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٤٠٤).

* ﴿لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ أى: الجاهلين، الذين لا يعرفون توحيد الله ـ تعالى ـ ولا يعرفون الخير من الشر، ولا الحلال من الحرام، ولا الحق من الباطل... إلخ.

وصدق الله إذ قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤)﴾ [النساء: ١٧٤].

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٩)﴾

۞ سبب نزول هذه الآية:

أخرج البخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، والبيهقى فى سننه عن «عائشة أم المؤمنين» ـ رضى الله عنها ـ قالت: كانت العرب تفيض من عرفات، وقريش ومَنْ دان بدينها تفيض مِنْ «جَمْع» من المشعر الحرام، فأنزل الله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾[١].

۞ معانى المفردات:

* ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾:

قال المفسرون: كانت قريش وحلفاؤها، ومن دان بدينها وهم الحُمُس يقفون بالمزدلفة ويقولون: نحن أهل الله وقطّان حرمه، فلا نخلف الحرم، ولا نخرج منه، ويتعظمون أن يقفوا مع سائر العرب بعرفات، وسائر الناس كانوا يقفون بعرفات، فإذا أفاض الناس من عرفات أفاض «الحُمُس» من المزدلفة، فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات ويفيضوا منها إلى «جَمْع» مع سائر الناس، وأخبرهم أنه سنة «إبراهيم وإسماعيل» ـ عليهما السلام ـ[٢].

* ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

هذا أمر من الله ـ سبحانه وتعالى ـ لعباده المسلمين أن يطلبوا منه أن يغفر لهم وقت إفاضتهم من عرفات، وبعد الإفاضة، فإنه ـ عزّ وجلّ ـ سيغفر لهم لأنه غفور رحيم.

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٦٥، والدرّ المنثور (١/ ٤٠٨).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٧٥).

* وقد أخرج الطبراني في الدعاء عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ عشية عرفة: «اللهم إنك ترى مكاني، وتسمع كلامي، وتعلم سرّي وعلانيتي، ولا يخفى عليك شيء من أمري، أنا البائس الفقير، المستغيث المستجير، الوَجِل المشفق، المقرّ المعترف بذنبه، أسألك مسألة المساكين، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف المضرور، من خضعت لك رقبته، وفاضت لك عيناه، ونحل لك جسده، ورغم أنفه، اللهم لا تجعلني بدعائك شقيًّا، وكن بي رءوفًا رحيمًا يا خير المسؤولين، ويا خير المعطين»[(١)].

* وأخرج الطبراني في الدعاء عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه كان يرفع صوته عشية عرفة يقول: «اللهم اهدنا بالهدى، وزينا بالتقى، واغفر لنا في الآخرة والأولى، ثم يخفض صوته بقوله: اللهم إني أسألك من فضلك رزقًا طيبًا مباركًا، اللهم إنك أمرت بالدعاء وقضيت على نفسك بالإجابة وإنك لا تخلف وعدك، ولا تنكث عهدك، اللهم ما أحببتَ من خير فحببه إلينا ويسّره لنا، وما كرهتَ من شرّ فكرهه إلينا وجنبناه، ولا تنزع منا الإسلام بعد إذْ أعطيتناه»[(٢)].

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ (٢٠٠) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

قال مجاهد بن جبر المكي المفسّر (ت ١٠٤هـ): كان أهل الجاهلية إذا اجتمعوا بالموسم ذكروا فعل آبائهم في الجاهلية، وأيامهم وأنسابهم فتفاخروا فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾[(٣)].

* وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف فيقولون: اللهم اجعله عام غيث، وعام خصب، وعام ولاد حسن، لا يذكرون من أمر الآخرة شيئًا، فأنزل الله فيهم: ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ ﴾[(٤)].

(١ ـ ٢) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٤١١).

(٣) انظر: أسباب النزول للواحدي ص٦٦. (٤) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٤١٧).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ ﴾:

قال مجاهد بن جبر وعطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ): أى: حجكم[١].

وقال مجاهد بن جبر فى رواية ثانية: المناسك: الذبائح، وهراقة الدماء[٢].

وقيل: هى شعائر الحج، لقول النبى ﷺ: «خذوا عنى مناسككم».

✻ **المعنى:** فإذا فعلتم منسكًا من مناسك الحج فاذكروا الله، وأثنوا عليه بآلائه ونعمه التى أنعم بها عليكم.

* ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾:

قال جمهور المفسرين: كانت عادة العرب إذا قضت حجها تقف عند الجمرة فتفاخر بالآباء، وتذكر أيام أسلافها من بسالة وكرم، وغير ذلك، حتى إن الواحد منهم ليقول: اللهم إنّ أبى كان عظيم القُبّة، كثير المال، فأعطنى مثل ما أعطيته، فلا يذكر غير أبيه، فنزلت الآية ليلزموا أنفسهم ذكر الله أكثر من التزامهم ذكر آباءهم أيام الجاهلية[٣].

* ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ ﴾: الخلاق: النصيب.

* قال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ): كانت العرب فى الجاهليّة تدعو فى مصالح الدنيا فقط، فكانوا يسألون الإبل، والغنم، والظفر بالعدوّ، ولا يطلبون الآخرة إذْ كانوا لا يعرفونها ولا يؤمنون بها، فنهوا عن ذلك الدعاء المخصوص بأمر الدنيا، وجاء النهى فى صيغة الخبر عنهم[٤].

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾:

(١) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٤١٦).
(٢ : ٤) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦).

﴿ وَمِنْهُم ﴾: أى من الناس وهم المسلمون يطلبون خيرى الدنيا والآخرة، واختلف العلماء فى تأويل الحسنتين على أقوال كثيرة منها:

١ ـ قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): حسنة الدنيا: العافية فى الصحة، وكفاف المال[١].

٢ ـ وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): حسنة الدنيا: العلم والعبادة، وفى الآخرة: الجنة[٢].

٣ ـ وقال القرطبى (ت ٦٧١هـ): الذى عليه أكثر أهل العلم أن المراد بالحسنتين: نعم الدنيا والآخرة، وهذا هو الصحيح فإن اللفظ يقتضى هذا كله، فإن ﴿ حسنة ﴾ نكرة فى سياق الدعاء، فهو محتمل لكل حسنة من الحسنات على البدل، وحسنة الآخرة: الجنة بإجماع. اهـ[٣].

* وقال القرطبى: هذه الآية من جوامع الدعاء التى عمّت الدنيا والآخرة[٤].

قيل لأنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) ادع الله لنا، فقال: اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، فقالوا: زدنا، قال: ما تريدون؟ قد سألتُ الدنيا والآخرة.. اهـ[٥].

* وفى الصحيحين عن أنس قال: كان أكثر دعوة يدعو بها النبى ﷺ يقول: «اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»[٦].

﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾:

اسم الإشارة يرجع إلى الفريق الثانى وهم المسلمون، وحينئذ يكون المعنى: أولئك لهم ثواب الحج وثواب الدعاء. وقيل: اسم الإشارة يرجع إلى الفريقين: فللمؤمن ثواب عمله ودعائه، وللكافر عقاب شركه وقصر نظره على الدنيا.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ٢٨٦).

(٢) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٤١٩). (٣ : ٦) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ٢٨٦).

وهو مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ [الأنعام: ١٣٢].

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣)﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ المراد: التكبير أدبار الصلاة، وعند رمى الجمرات، يكبر مع كل حصاة.

* ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾: الأيام المعدودات هنّ أيام التشريق الثلاثة، وهى أيام «منى» ورمى الجمار، وسميت معدودات لقلتهن.

والأيام المعلومات: عشر ذى الحجة آخرهنّ يوم النحر.

* أخرج الطبرانى عن عبد الله بن الزبير ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ قال: هنّ أيام التشريق يذكر الله فيهنّ بتسبيح، وتهليل، وتكبير، وتحميد[١].

* وأخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ قال: التكبير أيام التشريق يقول فى دبر كل صلاة: الله أكبر ـ الله أكبر ـ الله أكبر[٢].

* وأخرج ابن جرير عن «عائشة أم المؤمنين» ـ رضى الله عنها ـ قالت: نهى رسول الله ﷺ عن صوم أيام التشريق وقال: «هى أيام أكل وشرب وذكر الله» اهـ[٣].

* ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾:

أى: من نفر من الحجّاج فى اليوم الثانى من أيام التشريق فلا إثم عليه، أى: لا ذنب عليه بسبب تعجّله، وذلك أنه على الحاجّ أن يبيت بمنى الليلة الأولى والثانية من أيام التشريق، وعلى الحاج أن يرمى كل يوم بعد الزوال إحدى وعشرين حصاة، عند كل جمرة بسبع حصيات.

(١ ـ ٢) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٤٢٠).

(٣) انظر: الدرّ المنثور (٢/ ٤٢٢).

ثم يجوز لكل من يرمى اليوم الثانى من أيام التشريق أن ينفر ويترك البيتوتة بمنى الليلة الثالثة، بشرط أن ينفر من منى قبل غروب الشمس.

أمّا من لم ينفر من منى حتى تغرب الشمس، فعليه أن يبيت حتى يرمى اليوم الثالث بعد الزوال إحدى وعشرين حصاة، عند كل جمرة بسبع حصيات، ثم ينفر.

* ﴿ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ أى: لا إثم على من تأخر حتى ينفر اليوم الثالث، أى: لا إثم عليه بسبب التأخير.

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ قال: فى تعجيله. ﴿ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ أى: فى تأخيره[1].

* وأخرج عبد بن حميد، وابن أبى حاتم عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: من غابت له الشمس فى اليوم الذى قال الله فيه: ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ وهو بمنى، فلا ينفرن حتى يرمى الجمار من الغد[2].

* ﴿ لِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ أى: لمن اتقى أن يصيب شيئًا نهاه الله عنه.

قال ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ: إنما جعلت مغفرة الذنوب لمن اتقى الله ـ تعالى ـ فى حجه[3].

يوضح ذلك الحديث التالى: فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حجّ فلم يرفث، ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمّه» اهـ[4].

* ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾: أى: تجمعون فى الآخرة فيجازيكم بأعمالكم. وصدق الله إذ قال: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤) ﴾ [النساء: ١٢٤].

(١ ـ ٢) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٤٢٣). (٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٧٩).

(٤) رواه البخارى، ومسلم، والنسائى، وابن ماجه. انظر: الترغيب والترهيب (٢/ ١٦٣)، والعبادات للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن (٢/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧).

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

قال السّدّي إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) وغيره من المفسرين: نزلت في الأخنس بن شَريق واسمه أُبَيّ، والأخنس لَقَبٌ لُقِّبَ به، لأنه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من حلفائه من بني زهرة عن قتال رسول الله ﷺ وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر، وكان يأتي رسول الله ﷺ فيجالسه، ويظهر الإسلام، ويقول: إني لأحبك، ويحلف بالله على ذلك، وكان منافقًا، وكان رسول الله ﷺ يدني مجلسه، ثم هرب بعد ذلك فمرّ بزرع لقوم من المسلمين، وبحُمر، فأحرق الزرع، وعقر الحُمر[(١)].

قال المهدويّ: وفيه نزلت: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) ﴾ [ن: ١٠ ـ ١١][(٢)].

وقال ابن عطية: ما ثبت قط أن الأخنس أسلم[(٣)].

معاني المفردات:

* ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ أي: تستحسنه، ويعظم في قلبك.

فائدة: يقال في الاستحسان: أعجبني كذا. وفي الكراهيّة والإنكار: عجبت من كذا.

* ﴿ وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ﴾:

المراد: قول الأخنس المنافق: والله إني بك مؤمن ولك محبّ، وقد تقدم ذلك في سبب النزول.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ١٢)، وتفسير البغوي (١/ ١٧٩)، وأسباب النزول للواحدي ص٦٦، وأسباب النزول للقاضي ٣٣.

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ١٢).

* ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾:

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ قال: شديد الخصومة(١).

* وأخرج أحمد، والبخاري، وعبد بن حميد، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان، عن «عائشة أم المؤمنين» ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ قال: «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» اهـ(٢).

والألدّ: مشتق من اللّديدَيْن، وهما صفحتا العنق أي: في أيّ جانب أخذ في الخصومة غلب.

﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ ﴾ فاعل ﴿ تَوَلَّىٰ ﴾ ضمير يعود على «الأخنس».

المعنى: إذا أدبر عنك الأخنس يا رسول الله.

* ﴿ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ﴾: يقال: سعى الرجل يسعى سعيًا: أي عَدَا، وهذا هو المراد هنا. ويقال فلان يسعى على عياله: أي يعمل في نفعهم.

* ﴿ وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ﴾ عطف على ﴿ لِيُفْسِدَ ﴾، و﴿ الْحَرْثَ ﴾: الزرع، ﴿ وَالنَّسْلَ ﴾: ما خرج من كل أنثى من ولد، ذكرًا كان أو أنثى.

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه سئل عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ﴾ قال: الحرث: الزرع، والنسل: نسل كل دابة(٣).

قال البغوي: إن الأخنس كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلة فأحرق زرعهم وأهلك مواشيهم(٤).

(١ ـ ٢) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٤٢٨).

(٣) المرجع المتقدم (١/ ٤٢٩).

(٤) انظر: تفسير البغوي (١/ ١٨٠).

* ﴿ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ أي: لا يرضى بالفساد. وصدق الله إذْ قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) ﴾ [النحل: ٩٠].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ أي: خف الله، والضمير في ﴿ لَهُ ﴾ عائد على الأخنس ابن شَريق المفهوم من السياق.

* ﴿ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ ﴾:

قال القرطبي: هذه صفة الكافر والمنافق الذاهب بنفسه زَهْوًا[1].

و﴿ الْعِزَّةُ ﴾ هنا: الحميّة.

✻ المعنى: حملته العزّة على ارتكاب الإثم.

* أخرج ابن المنذر، والطبراني، والبيهقي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: إن من أكبر الذنب عند الله ـ تعالى ـ أن يقول الرجل لأخيه: اتق الله، فيقول: عليك نفسك، أنت تأمرني؟![2].

* ﴿ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ﴾ أي: كافيه جهنم معاقبة له.

* ﴿ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾: بئس: فعل للذم، و﴿ الْمِهَادُ ﴾: جمع «مَهْد» وهو الموضع المهيّأ للنوم، ومنه مهد الصبي، وسميت جهنم مهادًا، لأنها مستقر الكفار.

وصدق الله إذ قال: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) ﴾ [آل عمران: ١٢].

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧) ﴾

❀ سبب نزول هذه الآية:

أخرج الحاكم، والبيهقي عن سعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ) قال: أقبل صهيب مهاجراً إلى رسول الله ﷺ فاعترضه نفر من قريش، فنزل عن راحلته وأخرج ما في

(١) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ١٥).

(٢) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٤٣٠).

كنانته من السهام، وأخذ قوسه ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أنى من أرماكم رجلا، وايم الله لا تصلون إلىّ حتى أرمى كل سهم معى فى كنانتى، ثم أضرب بسهمى ما بقى فى يدى منه شىء، ثم افعلوا ما شئتم، فقالوا له: يا صهيب لقد جئتنا صعلوكًا لا مال لك وقد أصبحت غنيًا، والله لا نتركك تخرج بمالك أبدًا فدلّنا على مالك، فقال لهم: إن دللتكم على مالى تخلوا سبيلى؟ قالوا: نعم، فدللتهم عليه بمكة، فخلوا سبيلى، فخرجت حتى قدمت المدينة، فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال: «ربح البيع أبا يحيى ربح البيع أبا يحيى» فنزلت الآية وتلاها رسول الله ﷺ[1].

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾: لما ذكر الله ـ تعالى ـ صنيع المنافقين، وهو: الأخنس بن شَريك، ذكر هنا صنيع المؤمنين وهو: صهيب بن سنان الرومى.

* ﴿ يَشْرِي ﴾ معناه: يبيع، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ [يوسف: ٢٠]، أى: باعوه، وأصله الاستبدال.

وبيع النفس هنا: هو بذلها ابتغاء مرضاة الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ ابْتِغَاءَ ﴾ مفعول لأجله، أى: لأجل طلب رضا الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ أى: رحيم بعباده المؤمنين، وقيل: الرأفة أشد أنواع الرحمة. وصدق الله إذ قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٦٥) ﴾ [الحج: ٦٥].

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ رَءُوفٌ ﴾ [رقم: ٢٠٧]

قرأ أبو عمرو، وشعبة، وحمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار بحذف الواو التى بعد الواو فتصير الكلمة ﴿ رؤف ﴾ على وزن عضد.

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٦٧، انظر: أسباب النزول للشيخ القاضى ص٣٣ ـ ٣٤، انظر: تفسير القرطبى (٣/ ١٥)، انظر: الدرّ المنثور (١/ ٤٣٠).

وقرأ الباقون من القراء العشرة بإثبات الواو، فتصير على وزن فعول وهما لهجتان فصيحتان[١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٠٨) ﴾

❁ سبب نزول هذه الآية:

أخرج ابن جرير عن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٦هـ) قال: نزلت هذه الآية فى مؤمنى أهل الكتاب: عبد الله بن سلام وأصحابه مثل: ابن يامين، وأسد، وأسيد ابنى كعب، وسعيد بن عمرو، وقيس بن زيد كلهم من يهود، وذلك أنهم أسلموا إلا أنهم قاموا على تعظيم شرائع نبى الله «موسى» ـ عليه السلام ـ فعظموا السبت، وكرهوا لحوم الإبل، وألبانها، وقالوا إن ترك هذه الأشياء مباح فى الإسلام، وواجب فى التوراة، وقالوا أيضًا: يا رسول الله إن التوراة كتاب الله فدعنا فلنقم بها فى صلاتنا بالليل. فأنزل الله هذه الآية، وأمرهم أن يدخلوا فى السلم أى: فى جميع شرائع الإسلام، وفى جميع أحكامه، ولا يتمسكوا بالتوراة[٢].

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾:

أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: ﴿ السِّلْمِ ﴾: الإسلام[٣].

* قال حذيفة بن اليمان فى هذه الآية: الإسلام ثمانية أسهم فعدّ: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والعمرة، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر. وقال: قد خاب من لا سهم له[٤].

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن (١/ ٨٨).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٦٨، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٣٤، وتفسير البغوى (١/ ١٨٣)، والدرّ المنثور (١/ ٤٣٣).

(٣) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٤٣٣).

(٤) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٨٣).

* ﴿ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ أى: طرقه وطرق الشيطان كلها مخالفة لتعاليم الإسلام.

وصدق الله إذ قال: ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا (١١٩) ﴾ [النساء: ١١٩]، وإذ قال: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦) ﴾ [فاطر: ٦].

* ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ أى: بين العداوة، وقد حذرنا الله ـ تعالى ـ منه ومن فتنه فقال ـ تعالى ـ: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (٢٧) ﴾ [الأعراف: ٢٧].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فِي السِّلْمِ ﴾ [رقم: ٢٠٨]

قرأ نافع، وابن كثير، والكسائى، وأبو جعفر بفتح السين، على معنى: الصلح.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بكسر السين، على معنى: الإسلام[1].

* ﴿ خُطُوَاتِ ﴾ [رقم: ٢٠٨]

قرأ نافع، وأبو عمرو، وشعبة، وحمزة، وخلف البزّار، والبزّى بخُلْف عنه بإسكان الطاء، وهى لهجة تميم، وأسد.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بضم الطاء، وهو الوجه الثانى للبزّى، وهى لهجة الحجازيين[2].

---

(١) انظر: النشر لابن الجزرى بتحقيقنا (٢/ ٤٢٨)، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ٢٣٩)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٨٨)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٥٦، والمستنير فى تخريج القراءات المتواترة (١/ ٤٧ ـ ٤٨).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٨٨)، والمستنير فى تخريج القراءات (١/ ٤٨).

﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَإِن زَلَلْتُم ﴾ أى: ضللتم، وتنحيتم عن طريق الاستقامة.

وأصل الزلل فى القدم، ثم استعمل فى الاعتقادات، والآراء، وغير ذلك.

* ﴿ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ أى: الدلالات الواضحات وهى المعجزات، وآيات القرآن الكريم. وذلك على أن الخطاب للمؤمنين.

وإن كان الخطاب لليهود والنصارى، فالبينات هى ما ورد فى شرعهم وكتبهم من التعريف بنبينا «محمد» ﷺ، وأنه هو النبى المبعوث فى آخر الزمان.

* ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾: ﴿ فَاعْلَمُوا ﴾ أى: فأيقنوا. والعزيز: هو الغالب الذى لا يفوته شيء. والحكيم: ذو الإصابة فى أمره.

* قال القرطبى: حكى النقّاش أنّ كعب الأحبار لما أسلم كان يتعلّم القرآن، فأقرأه الذى كان يعلمه (فاعلموا أن الله غفور رحيم) فقال كعب: إنى لأستنكر أن يكون هكذا، ومرّ بهما رجل، فقال كعب: كيف تقرأ هذه الآية؟ فقال الرجل: ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾، فقال كعب: هكذا ينبغى[1].

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٢١٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾: ﴿ هَلْ ﴾ يراد بها هنا الجَحْدُ، أى: ما ينتظرون، يقال: نظرته، وانتظرته بمعنى واحد.

فائدة: إذا كان النظر مقرونًا بذكر الوجه، أو «إلى» لم يكن إلا بمعنى الرؤية.

✱ المعنى: هل ينتظر التاركون الدخول فى الإسلام.

﴿ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾:

(١) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ١٨).

﴿ ظُلَلٍ ﴾ جمع ظلة، و﴿ الْغَمَامِ ﴾: هو السحاب الأبيض الرقيق، وسمّى غمامًا لأنه يغمّ أى: يستر.

وقال مجاهد بن جبر: هو غير السحاب[١].

* أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ - رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال: «يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قيامًا، شاخصة أبصارهم إلى السماء ينظرون فصل القضاء، وينزل الله فى ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسى» اهـ[٢].

* وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ فى العظمة عن عبد الله بن عمرو بن العاص فى هذه الآية قال: يهبط الله وبينه وبين خلقه سبعون ألف حجاب، منها النور والظلمة والماء، فيصوّت الماء فى تلك الظلمة صوتًا تنخلع منه القلوب[٣].

* وأخرج عبد بن حميد، وأبو يعلى، وابن المنذر، وابن أبى حاتم عن ابن عباس - رضى الله عنهما - فى هذه الآية قال: يأتى الله يوم القيامة فى ظلل من السحاب قد قطعت طاقات. اهـ[٤].

* وأخرج ابن جرير، والديلمى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال: «إن فى الغمام طاقات يأتى الله فيها محفوفًا بالملائكة، وذلك قوله - تعالى -: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾»[٥].

* ﴿ وَقُضِيَ الأَمْرُ ﴾: عن عكرمة قال: قامت الساعة.

* **المعنى:** وجب الجزاء والعذاب، وفرغ من الحساب، وذلك فصل الله القضاء بالحق يوم القيامة، فلا تظلم نفس شيئًا.

وصدق الله إذ قال: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧) ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٨٤).

(٢ - ٣) انظر: الدرّ المنثور (١/ ٤٣٧).

(٤ - ٥) انظر: الدر المنثور (١/ ٤٣٣).

* ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ أي: تصير جميع الأمور إليه - سبحانه وتعالى -.

وصدق الله إذْ قال: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ⦗١٨⦘﴾ [المائدة: ١٨].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿فِي ظُلَلٍ﴾ [رقم: ٢١٠]

أجمع القراء العشرة على عدم تفخيم اللام لضم ما قبلها.

* ﴿وَالْمَلائِكَةُ﴾ [رقم: ٢١٠]

قرأ أبو جعفر بخفض تاء، ﴿والملائكة﴾ عطفًا على ﴿ظلل﴾، أو ﴿الغمام﴾.

وقرأ الباقون من القراء العشرة برفع التاء، عطفًا على لفظ الجلالة ﴿الله﴾[1].

* ﴿تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [رقم: ٢١٠]

قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف البزّار بفتح التاء وكسر الجيم، على البناء للفاعل، و﴿الأمور﴾ فاعل.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بضم التاء، وفتح الجيم، على البناء للمفعول، و﴿الأمور﴾ نائب فاعل[2].

﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ⦗٢١١⦘﴾

معاني المفردات:

* ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: ﴿سَلْ﴾ فعل أمر من السؤال.

والمعنى: يقول الله - تعالى - لنبيه «محمد» ﷺ: سل يا محمد يهود المدينة.

(١) انظر: النشر لابن الجزري بتحقيقنا (٢/ ٤٢٨)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ٨٨)، والمغني في توجيه القراءات (١/ ٢٤٠)، والمستنير في تخريج القراءات المتواترة (١/ ٥٧).

(٢) انظر: المهذب في القراءات العشر (١/ ٨٩).

* أخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن مجاهد بن جبر المكى المفسّر (ت ١٠٤هـ) قال: هم اليهود(١).

* ﴿ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ ﴾: ﴿ كَمْ ﴾ خبرية بمعنى كثير.

✵ **والمعنى:** أعطيناهم، وآباءهم، وأسلافهم آيات بينات، ودلالات واضحات على وحدانية الله ـ تعالى ـ وعلى صدق نبوّة كل من نبى الله «موسى»، ونبيه «محمد» ـ عليهما الصلاة والسلام ـ مثل: عصا «موسى»، ويده، وفلق البحر، وتظليل الغمام وهم فى التيه، وإنزال المنّ والسلوى عليهم فى التيه، وغير ذلك.

* أخرج ابن أبى حاتم عن أبى العالية الرياحىّ (ت ١٩٠هـ) فى الآية قال: آتاهم الله آيات بينات: عصا «موسى»، ويده، وأقطعهم البحر، وأغرق عدوّهم وهم ينظرون، وظلل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المنّ والسلوى(٢).

* ﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾:

﴿ يُبَدِّلْ ﴾: يغير ﴿ نِعْمَةَ اللَّهِ ﴾: لفظ عام يشمل جميع نعم الله ـ تعالى ـ مثل: كتب الله المنزلة على أنبيائه، وعهود الله ـ تعالى، والدلالات على نبوة سيدنا «محمد» ﷺ من يفعل شيئًا من ذلك فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ سيعاقبه عقوبة شديدة.

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢١٢) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أولا: قال البغوى: نزلت هذه الآية فى مشركى العرب: أبى جَهْل وأصحابه، كانوا يتنعمون بما بسط الله لهم فى الدنيا من المال ويكذّبون بالمعاد(٣).

* ثانيًا: وقال مقاتل: نزلت فى المنافقين: عبد الله بن أُبىّ وأصحابه كانوا يتنعمون فى الدنيا ويسخرون من ضعفاء المؤمنين، وفقراء المهاجرين، ويقولون: انظروا إلى هؤلاء الذين يزعم محمد أنه يغلب بهم(٤).

(١ ـ ٢) انظر: الدر المنثور (١/ ٤٣٤).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٨٥).

* ثالثًا: وقال عطاء: نزلت في رؤساء اليهود من بني قريظة والنضير، وبني قينقاع، سخروا من فقراء المهاجرين فوعدهم الله أن يعطيهم أموال بني قريظة، والنضير بغير قتال، ويسخرون من الذين آمنوا لفقرهم[1].

❀ معاني المفردات:

* ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾: ﴿ زُيِّنَ ﴾ فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ﴿ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ لأنها هي همهم، وطلبتهم، ونيتهم.

وقد حذّر الله ـ تعالى ـ من الاغترار بالحياة الدنيا فقال ـ عزّ من قائل ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝ ﴾ [فاطر: ٥].

وقال ـ تعالى ـ لنبيه «محمد» ﷺ: ﴿ وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝ ﴾ [طه: ١٣١].

* ﴿ وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾: هذا إشارة إلى كل من كفار قريش، واليهود، والمنافقين، فإنهم كانوا يعظمون حالهم من الدنيا ويغتبطون بها، ويسخرون من أتباع نبينا «محمد» ﷺ، ويقولون: لو كان «محمد» نبيًا لاتبعه سادتنا وأشرافنا، ولكن ما اتبعه إلا أهل الحاجة مثل: أبي هريرة، وأصحابه من أهل الصفّة، وغيرهم.

* ﴿ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ لأن المؤمنين والمتقين سيكونون يوم القيامة في الجنة، والكفار، والمنافقون، والمشركون سيكونون في جهنم وبئس المصير.

* وصدق الله إذْ قال: ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ۝ ﴾ [الأعراف: ٥٠ ـ ٥١].

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ١٨٥).

* وصدق الله إذ قال: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥) ﴾ [الحديد: ١٣ ـ ١٥].

* قال القرطبي: روى عن عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «مَنْ استذلّ مؤمنًا أو مؤمنة، أو حقّره لفقره وقلّة ذات يده شهره الله يوم القيامة ثم فضحه، ومن بَهَت مؤمنًا أو مومنة أو قال فيه ما ليس فيه أقامه الله ـ تعالى ـ على تلّ من نار يوم القيامة حتى يخرج مما قال فيه وإن عِظَم المؤمن أعظم عند الله وأكرم عليه من مَلَك مقرّب، وليس شيء أحبّ إلى الله من مؤمن تائب أو مؤمنة تائبة، وإن الرجل المؤمن يُعرف في السماء كما يَعْرف الرجل أهله وولده»[1].

* ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾: أي: رزقًا كثيرًا بغير مقدار، لأن كل ما دخل عليه الحساب فهو قليل، أي: يوسع على من يشاء ويبسط لمن يشاء من عباده.

* وصدق الله إذ قال: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧) ﴾ [الشورى: ٢٧].

* وإذ قال: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) ﴾ [الزخرف: ٣٢]

* وأُخْرِج عن الربيع بن أنس في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ قال: لا يخرجه بحساب يخاف أن ينقص ما عنده، إن الله لا ينقص ما عنده[2].

(١) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٢١).
(٢) انظر: الدر المنثور (١/ ٤٣٥).

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢١٣) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ أي: على دين واحد وهو الإسلام.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال ـ عزّ من قائل ـ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) ﴾ [آل عمران: ٨٥].

* وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو يعلى، والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ قال: على الإسلام كلهم[1].

* قال أُبيّ بن كعب، وابن زيد: المراد بالناس: بنو آدم حين أخرجهم الله نَسَمًا من ظهر آدم فأقروا له بالوحدانية[2].

وأقول: دليل ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

* وقال ابن عباس وقتادة بن دعامة السدوسى: المراد بالناس القرون التى كانت بَيْن «آدم ونوح» ـ عليها السلام ـ وهى عشرة كانوا على الحق حتى اختلفوا فبعث الله «نوحًا» ـ عليه السلام ـ فمن بعده[3].

* ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾: قال قتادة بن دعامة السدوسى، وعكرمة مولى ابن عباس: كان الناس من وقت «آدم» ـ عليه السلام ـ إلى مبعث «نوح» ـ عليه السلام ـ، وكان بينهما عشرة قرون، كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى،

(١) انظر: الدر المنثور (١/ ٤٣٥).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٢٢).

ثم اختلفوا في زمن «نوح» ـ عليه السلام ـ فبعث الله إليهم «نوحًا» ـ عليه السلام ـ فكان أول نبيّ بعث ـ أي بعد «آدم» عليه السلام ـ ثم بعث الله بعده النبيين[١].

* قال القرطبي في تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ ﴾ قال: وجملتهم مائة وأربعة وعشرون ألفًا، والرسل منهم: ثلاثمائة وثلاثة عشر، والمذكورون في القرآن بالاسم العلم ثمانية عشر. اهـ[٢].

* وأقول: هم المذكورون في قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) ﴾ [الأنعام: ٨٣ ـ ٨٦].

* وأقول أيضًا: بقي سبعة من الرسل الذين ذكرهم الله ـ تعالى ـ في القرآن وهم: إدريس ـ وهود ـ وشعيب ـ وصالح ـ وذو الكفل ـ وآدم ـ ومحمد ـ صلى الله وسلم عليهم أجمعين.

وحينئذ يكون جملة الرسل المذكورين في القرآن خمسة وعشرين رسولا. وعلى كل مسلم أن يؤمن بهم جميعًا عملا بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

* ﴿ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ نصبًا على الحال، أي: بعث الله النبيين حالة كونهم مبشرين من آمن بالجنة، والثواب الجزيل، والنعيم المقيم.

وحالة كونهم منذرين من كذّب وكفر، أو أشرك، بالنار والعذاب الأليم الذي لا ينقطع أبدًا.

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ١٨٦).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٢٣).

يدلّ على ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾ [البيّنة: ٦ ـ ٨].

* ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾: فاعل «أنزل» ضمير يعود على لفظ الجلالة «الله» المتقدم ذكره فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾.

والضمير فى ﴿مَعَهُمُ﴾ يعود على «النبيين».

و ﴿الْكِتَابَ﴾ اسم جنس بمعنى «الكتب».

* **والمعنى:** بعث الله ـ سبحانه وتعالى ـ النبيين مبشرين ومنذرين، وأنزل مع كل نبيّ كتابًا مشتملا على المنهج الذى يدعو أمته وفقًا لما جاء فيه. وجميع الأنبياء متفقون على وحدانية الله ـ تعالى ـ وأنه لا شريك له، وأنّه ليس كمثله شيء، وأنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وأنه لا يسأل عمّا يفعل، وأنه فعّال لما يريد. إلى آخر ما جاء مفصلا وموضحًا فى القرآن الكريم.

* ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾:

اللام فى ﴿لِيَحْكُمَ﴾ للتعليل، والفعل منصوب بأنْ مضمرة بعد لام التعليل، وفاعل (يحكم) ضمير يعود على ﴿الْكِتَابَ﴾ الذى أنزله ـ تعالى ـ مع كل نبيّ.

يدلّ على ذلك الكثير من الآيات القرآنية منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾

[المائدة: ٤٤]

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة: ٤٧].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾

[المائدة: ٤٨]

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة: ٤٩].

* ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾:

الضمير في ﴿ فيه ﴾ يعود على ﴿ الْكِتَابَ ﴾ المتقدم ذكره في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾.

ومعنى ﴿ أُوتُوهُ ﴾: أعطوه، و﴿ بَغْيًا ﴾ منصوب على أنه مفعول لأجله.

وحينئذ يكون المعنى: وما اختلف في الكتاب الذي أنزله الله ـ تعالى ـ على نبيهم إلا الذين أوتوه من أجل الحسد.

وصدق الله إذ قال: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا (٥٤) فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (٥٥) ﴾ [النساء: ٥٤ ـ ٥٥].

* ونظير ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) ﴾ [آل عمران: ١٩]

* ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ﴾:

أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ إلخ، قال:

١ ـ اختلفوا في يوم الجمعة: فأخذ اليهود يوم السبت، والنصارى يوم الأحد، فهدى الله أمة نبينا «محمد» ﷺ إلى يوم الجمعة.

٢ ـ واختلفوا في القبلة: فاستقبلت النصارى المشرق، واليهود بيت المقدس، وهدى الله أمة سيدنا «محمد» ﷺ للقبلة ـ وهي بيت الله الحرام.

٣ ـ واختلفوا في الصلاة: فمنهم من يركع ولا يسجد، ومنهم من يسجد ولا يركع، ومنهم من يصلّي وهو يتكلم، ومنهم من يصلّي وهو يمشي، فهدى الله أمة سيدنا «محمد» ﷺ للحق من ذلك.

٤ ـ واختلفوا في الصيام: فمنهم من يصوم النهار، ومنهم من يصوم عن بعض الطعام، فهدى الله أمة سيدنا «محمد» ﷺ للحق من ذلك.

٥ ـ واختلفوا في نبيّ الله «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ: فقالت اليهود: كان يهوديًّا، وقالت النصارى: كان نصرانيًّا، وجعله الله حنيفًا مسلمًا، فهدى الله أمة سيدنا «محمد» ﷺ للحق من ذلك.

٦ ـ واختلفوا في نبيّ الله «عيسى» ـ عليه السلام ـ فكذبت به اليهود وقالوا لأمّه بهتانًا عظيمًا، وجعلته النصارى إلهًا وولدًا، وجعله الله روحه وكلمته فهدى الله أمة سيدنا «محمد» للحق من ذلك[١].

* ﴿ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾: فالله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الفعال لما يريد، ولا رادّ لحكمه وقضائه، ولا يسأل عمّا يفعل، فله وحده الخلق والأمر.

وصدق الله إذْ قال: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

* وإذْ قال: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ ﴾ [النحل: ٣٦].

* وإذْ قال: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) ﴾ [الأنعام: ١٦١].

* وإذْ قال: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ﴾

[الأنعام: ٨٤]

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الدالة على أن الهدى هدى الله، وأختم ذلك بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٨) ﴾ [آل عمران: ٨].

(١) انظر: الدر المنثور (١/ ٤٣٦).

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤)﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أولا: قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ)، والسّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت: ١٢٧هـ) قالا: نزلت هذه الآية فى غزوة الأحزاب ـ أى الخندق ـ حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد، والشدة، والحر، والخوف، والبرد، وضيق العيش، وأنواع الأذى، وكانوا كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠][(١)].

* ثانيًا: قال عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ): لما دخل رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة اشتد الضر عليهم، لأنهم خرجوا بلا مال، وتركوا ديارهم وأموالهم بأيدى المشركين، وآثروا رضا الله ورسوله، وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله ﷺ وأسرّ قوم من الأغنياء النفاق، فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ إلخ تطييبا لقلوبهم[(٢)].

معانى المفردات:

* ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾: ﴿أَمْ﴾ هنا منقطعة بمعنى «بل». ويجوز أن تكون بمعنى همزة الاستفهام.

و ﴿حَسِبْتُمْ﴾ بمعنى «ظننتم» وهى تحتاج إلى مفعولين، وأقول: ﴿أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ سدت مسدّ المفعولين.

وحينئذ يكون المعنى: أظننتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم.

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٦٨، وأسباب النزول للقاضى ص٣٤، وتفسير القرطبى (٣/ ٢٤)، وتفسير البغوى (١/ ١٨٧)، والدرّ المنثور (١/ ٤٣٦ ـ ٤٣٧).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدى ص ٦٨ ـ ٦٩.

* ﴿ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ﴾: ﴿ لَمَّا ﴾ بمعنى «لم» و﴿ مَّثَلُ ﴾ معناه: شبه. ﴿ الَّذِينَ خَلَوْا ﴾ أى: الذين مضوا ﴿ مِن قَبْلِكُم ﴾: من النبيين ومن آمن بهم.

❋ **المعنى:** أظننتم أيها المسلمون أن تدخلوا الجنة وأنتم لم تمتحنوا بمثل ما امتحن به من كان قبلكم من الأمم الماضية، فتصبروا كما صبروا.

* ونظير ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) ﴾ [العنكبوت: ٢ ـ ٣].

* ومثلها قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢) ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

* ﴿ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ﴾:

* ﴿ الْبَأْسَاءُ ﴾: الفقر، والشدّة، والبلاء.

* ﴿ وَالضَّرَّاءُ ﴾: المرض، والزمانة.

* ﴿ وَزُلْزِلُوا ﴾: حركوا وخوفوا بأنواع البلايا والرزايا.

* ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ﴾:

❋ **المعنى:** ما زال البلاء بهم حتى يطلب الرسول والمؤمنون النصر من الله ـ تعالى ـ ورفع ما حل بهم من البأساء، والضراء.. إلخ.

* أخرج أحمد، والبخارى، وأبو داود، والنسائى عن خبّاب بن الأرت قال: قلنا يا رسول الله ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: «إن من كان قبلكم كان أحدهم يوضع المنشار على مفرق رأسه فيخلص إلى قدميه لا يصرفه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه لا يصرفه ذلك عن دينه» ثم قال: «والله ليتمنّ هذا

الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون»[١].

* ﴿أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾: هذا كلام مستأنف بعد تمام ذكر القول، وهو إخبار من الله ـ تعالى ـ وبشارة بقرب النصر منه ـ عزّ وجلّ ـ.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ﴾ [رقم: ٢١٤]

قرأ نافع ﴿ يقولُ﴾ برفع اللام، على أنه ماض بالنسبة إلى زمن الإخبار. أو حال باعتبار الحال الماضية التي كان عليها الرسول والذين آمنوا معه، فلم تعمل فيه حتّى.

قال ابن مالك في ألفيته:

وتلو حتّى حالا أو مؤوّلا ∴ به ارفعن

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ يقولَ﴾ بنصب اللام، والتقدير: إلى أن يقول الرسول والذين آمنوا معه. فهو غاية، والفعل هنا مستقبل حكيت به حالهم.

قال ابن مالك في ألفيته:

وبعد حتّى هكذا إضمار أنْ ∴ حتم كجدّ حتى تسرّ ذا حزن

قال ابن هشام: فأمّا نصب الفعل بعد حتى فشرطه كون الفعل مستقبلا بالنسبة إلى ما قبلها، سواء كان مستقبلا بالنسبة إلى زمن التكلم أو لا:

فالأول: كقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ (٩١)﴾ [طه: ٩١]

والثاني: كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [البقرة: ٢١٤] ـ لأن قول الرسول وإن كان ماضيًا بالنسبة إلى زمن الإخبار إلا أنه مستقبل بالنسبة إلى زلزالهم[٢].

---

(١) انظر: الدر المنثور (١/ ٤٣٧).

(٢) انظر: النشر بتحقيقنا (٢/ ٤٢٩)، والمغني في توجيه القراءات (١/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣)، وشرح قطر الندى لابن هشام ص٦٨.

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢١٥) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

قال عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ): نزلت هذه الآية فى رجل أتى النبى ﷺ فقال: إن لى دينارًا، فقال: «أنفقه على نفسك»، فقال: إن لى دينارين، فقال: «أنفقهما على أهلك»، فقال: إن لى ثلاثة، فقال: «أنفقها على خادمك»، فقال: إن لى أربعة، فقال: «أنفقها على والديك»، فقال: إن لى خمسة، فقال: «أنفقها على قرابتك»، فقال: إن لى ستة، فقال: «أنفقها فى سبيل الله وهو أحسنها» اهـ[1].

معانى المفردات:

* ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾: «ما» بمعنى الذى، فى محل رفع مبتدأ، و«ذا» الخبر، وجملة ﴿ يُنفِقُونَ ﴾ صلة، والعائد محذوف، والتقدير: ما الذى ينفقونه.

ويجوز أن يكون ﴿ مَاذَا ﴾ فى محل نصب مفعول مقدم بينفقون، والتقدير: أىَّ شىء ينفقون. ومتى كانت مركبة فهى فى موضع نصب.

* ﴿ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾:

﴿ مَا ﴾ فى محل نصب مفعول مقدم بـ ﴿ أَنفَقْتُم ﴾ وهو شرط وجوابه: ﴿ فَلِلْوَالِدَيْنِ ﴾ وما عطف عليه.

* ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾: ﴿ مَا ﴾ فى محل نصب مفعول مقدم بـ ﴿ تَفْعَلُوا ﴾ وهو شرط وجوابه: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾.

* ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾: ﴿ كُتِبَ ﴾ معناه: فرض. وهو فعل ماض مبنى للمجهول، ونائب الفاعل ﴿ الْقِتَالُ ﴾ والفاعل الحقيقى: هو الله ـ تعالى ـ.

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٦٩.

* أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن شهاب في الآية قال: الجهاد مكتوب على كل واحد غزا أو قعد، فالقاعد إن استعين به أعان، وإن استغيث به أغاث، وإن استغنى عنه قعد.. اهـ[(١)].

* وقال القرطبي: قال ابن عطية هو: عبد الحق بن غالب بن عبد الرءوف (ت ٥٤٦هـ): الذي استمرّ عليه الإجماع أن الجهاد على كل أمة نبينا «محمد» ﷺ فرض كفاية، فإذا قام به من قام من المسلمين سقط عن الباقين، إلا أن ينزل العدو بساحة الإسلام فهو حينئذ فرض عين.. اهـ[(٢)].

* ﴿ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾: مبتدأ وخبر، والقتال كره في الطباع، لأن فيه بذل المال، ومفارقة الأهل والوطن، والتعرض بالجسد للجراح، وقطع الأطراف، وذهاب النفس، فكانت كراهيته لذلك، لا أنهم كرهوا فرض الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾:

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ):

المعنى: عسى أن تكرهوا ما في الجهاد من مشقة وهو خير لكم في أنكم تغلبون، وتظفرون، وتغنمون، وتؤجرون، ومن مات مات شهيدًا، وعسى أن تحبوا الدعة وترك القتال وهو شر لكم في أنكم تُغلَبون، وتُذلّون، ويذهب أمركم.. اهـ[(٣)].

* **فائدة علمية:**

أخرج ابن أبي حاتم من طريق السّدّي عن أبي مالك قال:

كل شيء من القرآن (عسى) فهو واجب إلا حرفين: الأول في التحريم، قوله ـ تعالى ـ: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ ﴾ [رقم: ٥]، والثاني في الإسراء قوله ـ تعالى ـ: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ﴾ [رقم: ٨].

---

(١) انظر: الدر المنثور (١/ ٤٣٨).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٢٧).

(٣) المرجع المتقدم (٣/ ٢٨).

* ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾: أي: يعلم ما فيه الخير لكم أيها المسلمون من فرضه الجهاد عليكم، لأنه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، يضاف إلى ذلك أن الجهاد فيه الشرف الكبير في الدنيا، والثواب الجزيل يوم القيامة.

يدل على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) ﴾ [التوبة: ١١١].

* وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) ﴾ [آل عمران: ١٦٩ـ ١٧٠ ـ ١٧١].

* ومن يقرأ السنة المطهرة يجد الهادى البشير ﷺ بيّن فضل الجهاد، ورغب فيه، فمن ذلك الحديثان التاليان:

١ ـ أخرج أحمد، والبخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، والبيهقى فى الشعب عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: سئل رسول الله ﷺ: أىّ الأعمال أفضل؟ قال: «الإيمان بالله ورسوله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «ثم الجهاد فى سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور» اهـ[١].

٢ ـ وأخرج مالك، وعبد الرزاق فى المصنف، والبخارى ومسلم، والنسائى، والبيهقى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«مثل المجاهد فى سبيل الله ـ والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله ـ كمثل الصائم القائم، الخاشع، الراكع، الساجد، وتكفّل الله للمجاهد فى سبيله أن يتوفّاه فيدخله الجنة، أو يرجعه سالمًا بما نال من أجر وغنيمة» اهـ[٢].

(١ ـ ٢) انظر: الدر المنثور (١/ ٤٣٩).

• وأختم تفسير هذه الآية الكريمة بالخبر التالى:

أخرج ابن أبى حاتم، عن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) فى تفسير هذه الآية قال: إن الله أمر النبى ﷺ والمؤمنين بمكة بالتوحيد، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن يكفوا أيديهم عن القتال، فلما هاجر إلى المدينة نزلت سائر الفرائض، وأذن لهم فى القتال فنزلت ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾: يعنى فرض عليكم، وأذن لهم بعدما كان نهاهم عنه.

﴿ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾: يعنى القتال وهو مشقة لكم.

﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا ﴾: يعنى: الجهاد، قتال المشركين.

﴿ وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾: ويجعل الله عاقبته فتحًا وغنيمة وشهادة.

﴿ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا ﴾ يعنى: القعود عن الجهاد.

﴿ وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾: فيجعل الله عاقبته شرًا فلا تصيبوا ظفرًا ولا غنيمة.. اهـ[1].

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن جرير من طريق السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسر (ت ١٢٧هـ) أن رسول الله ﷺ بعث سريّة وكانوا سبعة نفر عليهم عبد الله بن جحش الأسدى، وفيهم: عمار بن ياسر، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وسعد بن أبى وقاص، وعتبة بن غزوان السلمى حليف لبنى نوفل، أو سهيل ابن بيضاء، وعامر بن فهيرة، وواقد بن عبد الله اليربوعى حليف لعمر بن الخطاب، وكتب مع ابن جحش كتابًا وأمره أن لا يقرأه حتى ينزل «ملل» فلما نزل «بطن ملل» فتح الكتاب، فإذا فيه: أن سِرْ

(١) انظر: الدر المنثور (١/ ٤٣٩).

حتى تنزل بطن نخلة، قال لأصحابه: من كان يريد الموت فليمض وليوصّ فإني موص وماض لأمر رسول الله ﷺ فسار وتخلف عنه سعد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان أضلا راحلة لهما، وسار ابن جحش إلى بطن نخلة فإذا هم بالحكم بن كيسان، وعبد الله بن المغيرة بن عثمان، وعمرو الحضرمي فاقتتلوا، فأسروا الحكم بن كيسان، وعبد الله بن المغيرة بن عثمان وانقلب المغيرة، وقُتلَ عمرو الحضرمي قَتَله واقد بن عبد الله فكانت أوّل غنيمة غنمها أصحاب سيدنا «محمد» ﷺ فلما رجعوا إلى المدينة بالأسيرين، وما غنموا من الأموال، قال المشركون: محمد يزعم أنه يتبع طاعة الله وهو أوّل من استحلّ الشهر الحرام، فأنزل الله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ الآية[1].

❀ معانى المفردات:

* ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾: المراد شهر رجب الذى وقع فيه قَتْلُ عمرو الحضرمى وسمّى بذلك لتحريم القتال فيه، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

والأشهر الأربعة الحرم هى: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم ثلاثة سرْد وواحد فرد.

* ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ مبتدأ وخبر، أى: قل لهم يا محمد القتال فى الشهر الحرام عظيم، لأنه حُرِّمَ فيه القتال. وكانت العرب قد جعل الله لها الشهر الحرام قوامًا تعتدل عنده، فكانت لا تسفك دمًا، ولا تُغيرُ فى الأشهر الحرم.

* ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ﴾، ﴿وَصَدٌّ﴾ مبتدأ، والخبر ﴿أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ﴾، ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾ معطوف على ﴿وَصَدٌّ﴾، ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ﴾ معطوف على ﴿وَصَدٌّ﴾، ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ معطوف على ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

(١) انظر: الدر المنثور (١/ ٤٤٩).

والتقدير: وصدكم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام أكبر عند الله من القتال فى الشهر الحرام، أى: أكثر جُرْمًا، وأعظم ذنبًا وإثمًا.

* ﴿ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ﴾ أى: أعظم عقوبة عند الله ـ تعالى ـ من القتال فى الشهر الحرام.

* ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ أى: فتنتهم المسلمين عن دينهم حتى يهلكوا، أكبر وأشد اجْترامًا من القتل فى الشهر الحرام.

* ﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾:

«لا» تفيد النفى، و«زال» للنفى أيضًا، ونفى النفى إثبات، وحينئذ يكون المعنى: قتال الكفار لكم أيها المسلمون مستمر ولن ينقطع حتى يردّوكم عن دينكم إن استطاعوا، وهذا تحذير للمسلمين من شرّ الكفار ليأخذوا حذرهم كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا (٧١) ﴾ [النساء: ٧١]

* ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ ﴾

فستكون عقوبته كما قال ـ تعالى ـ فى ختام هذه الآية:

* ﴿ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾.

* وصدق الله إذ قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ (١٦٢) ﴾ [البقرة: ١٦١ ـ ١٦٢].

* وإذ قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ (٩١) ﴾ [آل عمران: ٩١].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢١٨)﴾

سبب نزول هذه الآية:

* قال أصحاب السَّرِيَّة المذكورون في سبب نزول الآية ٢١٧: يا رسول الله هل نؤجر على وجهنا هذا، وهل نطمع أن يكون سفرنا هذا غزواً؟ فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ الآية.

معاني المفردات:

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾:

﴿إِنَّ﴾ تنصب الاسم وترفع الخبر، واسمها ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ معطوفان على اسم ﴿إِنَّ﴾ وخبرها جملة ﴿أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾.

والهجرة معناها: الانتقال من موضع إلى موضع.

والمهاجرة من أرض إلى أرض: ترك الأولى للثانية.

* ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: في سبيل طاعة أوامر الله ـ تعالى ـ، وإعلاء كلمته، وتوحيده عزّ وجلّ.

يدلّ على ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩)﴾ [الأنفال: ٣٩].

* ﴿أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾: أخبر الله ـ تعالى ـ أنهم على رجاء رحمته.

* أخرج عبد بن حميد عن قتادة بن دعامة السدوسي في الآية قال: هؤلاء خيار هذه الأمة، جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون[١].

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن مجاهد بن جبر في الآية قال: هؤلاء خيار هذه الأمة، ثم جعلهم الله أهل رجاء، إنه من رجا طلب، ومن خاف هرب[٢].

(١ ـ ٢) انظر: الدر المنثور (١/ ٤٥١).

* ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾: الغفران، والرحمة، صفتان من صفات الألوهية، فهنيئًا لمن غفر الله له، وكان به رحيمًا.

وصدق الله إذ قال: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢) ﴾ [طه: ٨٢]

وإذْ قال: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) ﴾ [الأعراف: ٥٦].

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩) ﴾

❁ سبب نزول هذه الآية:

* أولا: قال البغوى أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ): نزلت فى عمر بن الخطاب، ومعاذ بن جبل، ونفر من الأنصار، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله أفتنا فى الخمر والميسر، فإنهما مَذْهبة للعقل مَسْلبة للمال، فأنزل الله هذه الآية[1].

* ثانيًا: أخرج ابن إسحاق، وابن أبى حاتم عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما): أن نفرًا من الصحابة حين أمروا بالنفقة فى سبيل الله أتوا النبى ﷺ فقالوا: إنا لا ندرى ما هذه النفقة التى أُمرنا بها فى أموالنا، فما ننفق منها؟ فأنزل الله: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾.

وكان قبل ذلك ينفق ماله حتى ما يجد ما يتصدق به، ولا ما لا يأكل حتى يُتصَدَّق عليه[2].

❁ معانى المفردات:

* ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾: الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ. والسائلون نفر من المؤمنين كما تقدم فى سبب النزول.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٩١).

(٢) انظر: الدر المنثور (١/ ٤٥٣).

والخمر: مأخوذة من (خَمَر) إذا ستر، ومنه خمار المرأة، فالخمر تَخْمُر العقل، أى: تغطيه وتستره.

* وجملة القول فى تحريم الخمر وفقًا لما ذكره العلماء: أن الله أنزل فى الخمر أربع آيات وهى:

١ - قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ [النحل: ٦٧]. فكان المسلمون يشربونها وهى حلال يومئذ.

٢ - ثم نزلت هذه الآية فى مسألة عمر بن الخطاب، ومعاذ بن جبل: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ الآية. فلما نزلت هذه الآية، تركها قوم لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ وشربها قوم لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾. إلى أن صنع عبد الرحمن بن عوف طعامًا، فدعا ناسًا من أصحاب النبى ﷺ وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا، وحضرت صلاة المغرب، فقدّموا بعضهم يصلى بهم، فقرأ: (قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون) هكذا إلى آخر السورة بحذف «لا» فأنزل الله هذه الآية:

٣ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء: ٤٣]، فحرّم السكر فى أوقات الصلاة، فلما نزلت هذه الآية تركها قوم وقالوا: لا خير فى شىء يحول بيننا وبين الصلاة، وتركها قوم فى أوقات الصلاة، وشربوها فى غير حين الصلاة حتى كان الرجل يشرب بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال عنه السكر، ويشرب بعد صلاة الصبح فيصحو إذا جاء وقت الظهر.

واتّخذ عتبان بن مالك صنيعًا ودعا رجالا من المسلمين فيهم سعد بن أبى وقاص، وكان قد شوى لهم رأس بعير، فأكلوا منه وشربوا الخمر حتى أخذت منهم، ثم إنهم افتخروا عند ذلك، وانتسبوا، وتناشدوا الأشعار، فأنشد سعد قصيدة فيها هجاء للأنصار، وفخر لقومه، فأخذ رجل من الأنصار لَحْى بَعير فضرب به رأس سعد فشجه، فانطلق سعد إلى رسول الله ﷺ وشكا إليه الأنصارى، فقال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ: اللهم بيّن لنا فى الخمر بيانًا شافيًا.

٤ ـ فأنزل الله ـ تعالى ـ تحريم الخمر في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة: ٩٠ ـ ٩١]. وذلك بعد غزوة الأحزاب بأيّام. فقال عمر ـ رضى الله عنه ـ: انتهينا يا رب[١].

* عن ابن عمر قال: خطب عمر ـ رضى الله عنهما ـ على منبر رسول الله ﷺ فقال: إنه قد نزل تحريم الخمر، وهى من خمسة أشياء: من العنب ـ والتمر ـ والحنطة ـ والشعير ـ والعسل. والخمر: ما خامر العقل. اهـ[٢].

* وعن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله الأنصارى (ت ٧٨هـ) أن رسول الله ﷺ قال: «ما أسكر كثيره فقليله حرام» اهـ[٣].

* وعن نافع عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر حرام، ومن شرب الخمر فى الدنيا فمات وهو يدمنها ولم يتب لم يشربها فى الآخرة» اهـ[٤].

* ﴿ وَالْمَيْسِرِ ﴾ يعنى: القمار، والمراد: أنواع القمار كلها.

* قال طاوس بن كيسان أبو عبد الرحمن اليمنى (ت ١٠٦هـ)، وعطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ)، ومجاهد بن جبر المكى المفسّر (١٠٤هـ): كل شيء فيه قمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجَوز، والكعاب. اهـ[٥].

* وروى عن على بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) فى النرْد، والشطرنج أنهما من الميسر[٦].

* ﴿ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ أى: فى الخمر والميسر: وزر عظيم، وإثم الخمر ما يصدر عن الشارب من المخاصمة، والمشاتمة، وقول الفحش والزور، وزوال العقل، وتعطيل الصلوات، إلى غير ذلك.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٩١).
(٢ : ٤) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٩٢).
(٥ ـ ٦) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٩٣).

وإثم الميسر: فإنه يورث العداوة، والبغضاء، ولأنه أكل مال الغير بالباطل.

وصدق الله إذْ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩١].

* ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾: أى فى شرب الخمر، ولعب الميسر، فمنفعة الخمر: اللذة حالة شربها، وما يصيبونه من الربح فى التجارة فيها.

ومنفعة الميسر: إصابة المال من غير كدّ ومشقة.

* ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾: قال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) وغيره: إثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم(١).

* ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾: وذلك أن رسول الله ﷺ حثهم على الصدقة فقالوا: ماذا ننفق؟ فقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ أى: أنفقوا العفو، والعفو: ما فضل عن حاجة الإنسان.

* ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ﴾: قال المفضل بن سلمة أى: فى أمر النفقة(٢).

* ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ فى العظمة، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ أى: فى الدنيا والآخرة، يعنى فى زوال الدنيا وفنائها، وإقبال الآخرة وبقائها.

* وأخرج عبد بن حميد عن قتادة بن دعامة السدوسىّ فى الآية قال: من تفكر فى الدنيا عرف فضل إحداهما على الأخرى، عرف أن الدنيا دار بلاء، ثم دار فناء، وأن الآخرة دار بقاء، ثم دار جزاء، فكونوا ممن يَصْرِم حاجة الدنيا ـ أى يقطعها ويدخرها ـ لحاجة الآخرة. اهـ(٣).

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٩٣).

(٢ ـ ٣) انظر: الدر المنثور (١/ ٤٥٦).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قُلْ فِيهِمَا ﴾ [رقم: ٢١٩]

قرأ يعقوب بضم الهاء على الأصل لأن الأصل فى هاء الضمير البناء على الضم.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بكسر الهاء، لمناسبة الياء[١].

* ﴿ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ [رقم: ٢١٩]

قرأ حمزة، والكسائى: ﴿ كثير ﴾ بالثاء المثلثة، والكثرة باعتبار الآثمين من الشاربين والمقامرين.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ كبير ﴾ بالباء الموحدة، أى: إثم عظيم، لأنه يقال لعظائم الذنوب كبائر[٢].

* ﴿ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ [رقم: ٢١٩]

قرأ أبو عمرو: ﴿ العفوُ ﴾ برفع الواو، على أن «ما» استفهامية، و «ذا» موصولة فوقع جوابها مرفوعًا، وهو خبر لمبتدأ محذوف، أى: الذى ينفقونه العفو.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ العفوَ ﴾ بنصب الواو، على أن «ماذا» مفعول مقدم، والتقدير: أىْ أىَّ شىء ينفقونه، فوقع الجواب منصوبًا بفعل مقدّر أىْ أنفقوا العفوَ، وهو ما فضل عن حاجة الإنسان وحاجة من يعولهم[٣].

﴿ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٠) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج أبو داود، والنسائى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والحاكم، وصححه البيهقى فى سننه عن ابن عباس

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٩٠).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٢٤٤).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٢٤٥).

ـ رضى الله عنهما ـ قال: لما أنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٣٤].

و﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠] الآيتين، انطلق من كان عنده يتيم، فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيجلس له حتى يأكله، أو يفسد فيرمى به، فاشتدّ ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾.

فخلطوا طعامهم بطعامهم، وشرابهم بشرابهم. اهـ(١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: هذا متعلق بقوله ـ تعالى ـ فى الآية المتقدمة: ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾ وحينئذ يكون المعنى: كذلك يبين الله لكم الآيات فى أمر النفقة فى الدنيا والآخرة، فتحبسون من أموالكم ما يصلحكم فى معاش الدنيا، وتنفقون الباقى فيما ينفعكم فى الدار الآخرة.

* ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ﴾: أى: يسألك يا رسول الله القوّامون على اليتامى الكافلون لهم.

* ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾: أى: الإصلاح لأموالهم من غير أجرة، ولا أخذ عوض خير لكم وأعظم أجرًا لما فى ذلك من الثواب الجزيل، وخير لهم لما فى ذلك من توفّر أموالهم عليهم.

* ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾: هذا دليل على إباحة المخالطة، أى: إن تشاركوهم فى أموالهم وتخلطوها بأموالكم فى نفقاتكم، ومساكنكم، وخدمكم ودوابكم، فهم إخوانكم، والإخوان يُعين بعضهم بعضًا، ويصيب بعضهم من أموال بعض، على وجه الإصلاح والتراضى.

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٧٤، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٣٦، وتفسير القرطبى (٣/ ٤٢)، وتفسير البغوى (١/ ١٩٤)، والدر المنثور (١/ ٤٥٦).

* ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾: أى: الله يعلم المفسد لأموالهم، من المصلح لها، فيجازى كلا حسب عمله ونيّته.

* ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ ﴾: أصل العنت: الشدّة والمشقة، وحينئذ يكون المعنى: لضيق عليكم، وما أباح لكم مخالطتهم.

وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: ولو شاء الله لجعل ما أصبتم من أموال اليتامى موبقًا لكم[١].

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ أى: لا يمتنع عليه شىء، لأنه عزيز فى سلطانه وقدرته على الإعنات وغيره.

* ﴿ حَكِيمٌ ﴾ أى: يتصرف فى ملكه بحكمة، وبما يريد، فلا حجر عليه، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

وصدق الله إذ قال: ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٦) ﴾ [البروج: ١٥ ـ ١٦].

وإذ قال: ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣) ﴾ [الأنبياء: ٢٢ ـ ٢٣].

﴿ وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١) ﴾

۞ سبب نزول هذه الآية:

* أولا: أخرج ابن أبى حاتم، وابن المنذر عن مقاتل بن حيان (ت ١١٠هـ) قال: نزلت هذه الآية فى أبى مرثد الغنوى وكان شجاعًا، بعثه رسول الله ﷺ إلى مكة ليخرج منها ناسًا من المسلمين سرًّا، فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته فى الجاهلية، فأتته وقالت: يا أبا مرثد ألا تخلوا؟ فقال لها: ويحك يا عناق إن الإسلام قد حال بيننا وبين ذلك، قالت: فهل لك أن تتزوج بى؟ قال: نعم ولكن أرجع إلى رسول الله ﷺ فأستأمره، فقالت: أبى تتبرّم؟ ثم استعانت

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ١٩٥).

عليه فضربوه ضربًا شديدًا ثم خلّوا سبيله، فلما قضى حاجته بمكة وانصرف إلى رسول الله ﷺ أعلمه بالذى كان من أمره، وأمر عناق وما لقى بسببها، وقال: يا رسول الله أتحلّ لى أن أتزوجها؟ فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾(1).

* ثانيًا: أخرج الواحدى، وابن عباس عن أبى مالك عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى هذه الآية: ﴿ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ قال: نزلت فى عبد الله بن رواحة وكانت له أمَةٌ سوداء، وإنه غضب عليها فلطمها، ثم إنه فزع فأتى النبى ﷺ فأخبره خبرها، فقال له النبى ﷺ: «ما هى يا عبد الله؟» فقال: يا رسول الله هى تصوم وتصلّى، وتحسن الوضوء، وتشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال: «يا عبد الله هذه مؤمنة» فقال عبد الله: فوالذى بعثك بالحقّ نبيا لأعتقنّها، ولأتزوجنها، ففعل، فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا: نكح أمة، وكانوا يريدون أن ينكحوا إلى المشركين، وينكحوهم رغبة فى أحسابهم، فأنزل الله ـ تعالى ـ فيهم: ﴿ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ الآية(2).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾:

* أخرج وكيع، وابن جرير، وابن أبى حاتم والنحّاس فى ناسخه، والبيهقى فى سننه عن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾ قال: يعنى أهل الأوثان.. اهـ(3).

* وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾ قال: مشركات العرب اللاتى ليس لهن كتاب(4).

---

(1) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٧٤، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٣٦، وتفسير القرطبى (٣/ ٤٥)، وتفسير البغوى (١/ ١٩٥)، وتفسير الدر المنثور (١/ ٤٥٨).

(2) انظر: أسباب النزول للواحدى ص ٧٤ ـ ٧٥، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٣٦، وتفسير البغوى (١/ ١٩٥ ـ ١٩٦)، وتفسير الدر المنثور (١/ ٤٥٩).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدرّ المنثور (١/ ٤٥٨).

* وأخرج عبد بن حميد، عن حماد قال: سألت إبراهيم[١] عن تزويج اليهودية والنصرانية، فقال: لا بأس به، فقلت: أليس الله يقول: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ قال: إنما ذاك المجوسيّات، وأهل الأوثان[٢].

* ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾: هذا إخبار من الله ـ تعالى ـ بأن المؤمنة المملوكة خير من المشركة وإن كانت ذات حسب ومال.

* ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾: أي: ولو أعجبتكم المشركة في حسنها أو غير ذلك، فلا يجوز نكاحها بالإجماع.

* ومن يقرأ السنة المطهرة يجد الكثير من الأحاديث التي ترغب في نكاح المرأة المسلمة، وتبين الأفضل في ذلك، وهذا قبس منها:

* أولا: أخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حُمَيد في مسنده، وابن ماجه، والبيهقي في سننه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥هـ ـ رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ قال: «لا تنكحوا النساء لحسنهنّ، فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تنكحوهنّ على أموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهنّ، وأنكحوهنّ على الدين، فلأمة سوداء خرماء ذات دين أفضل». اهـ[٣].

* ثانيًا: أخرج البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه في سننه، والبيهقي في سننه، عن أبي هريرة (ت ٥٨هـ ـ رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» اهـ[٤].

* ثالثًا: أخرج الطبراني في الأوسط، عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: «من تزوّج امرأة لعزّها لم يزده الله إلا ذلا، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرًا، ومن تزوجها لحسنها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوّج امرأة لم

(١) لا أدري من «إبراهيم» المقصود هل هو: إبراهيم بن أبي عبلة (ت ١٥١هـ) أو إبراهيم الزهري (ت ١٨٣هـ) أو إبراهيم النخعي (ت ٩٠هـ).

(٢) انظر: تفسير الدرّ المنثور (١/ ٤٥٨).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور (١/ ٤٥٩).

يدر بها إلا أن يغض بصره، ويحصّن فرجه، أو يصل رحمه، بارك الله له فيها وبارك لها فيه»[(١)].

* ﴿ وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ﴾: أى: لا تزوجوا المسلمة من المشرك.

وقد أجمعت الأمة على أن المشرك لا يجوز له أن يتزوج المسلمة بأىّ وجه كان.

وفى هذه الآية دليل على أنه لا نكاح إلا بولىّ، لأن الفعل ﴿ وَلا تُنكِحُوا ﴾ مبنى للمجهول، والواو هى نائب الفاعل.

ومن يقرأ السنة المطهرة يجد الكثير من الأحاديث الصحيحة التى تقرر أنه لا نكاح إلا بولىّ.

ولا يجوز للمرأة أن تزوج نفسها، كما لا يجوز للمرأة أن تزوج المرأة.

وفى بعض الأحاديث لا نكاح إلا بولىّ وشاهدىْ عدل.

وهذا قبس من الأحاديث الواردة فى ذلك:

* أولا: أخرج ابن ماجه، والبيهقى عن «عائشة أم المؤمنين» (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) أن النبى ﷺ قال: «لا نكاح إلا بولىّ، والسلطان ولىّ من لا ولىّ له» اهـ[(٢)].

* ثانيًا: أخرج الشافعى، وأبو داود، والترمذى وحسّنه، والنسائى، وابن ماجه، والحاكم وصححه، والبيهقى فى سننه عن «عائشة أم المؤمنين» (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) عن النبى ﷺ قال: «أيّما امرأة نكحت بغير إذن وليّها فنكاحها باطل ثلاثًا، فإن أصابها، فلها المهر بما استحلّ من فرجها، وإن استجرأوا فالسلطان ولىّ من لا ولىّ له» اهـ[(٣)].

* ثالثًا: أخرج ابن ماجه، والبيهقى عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزوّج المرأة المرأة، لا تزوّج المرأة نفسها، فإن الزانية هى التى تزوّج نفسها» اهـ[(٤)].

* رابعًا: أخرج البيهقى عن «عائشة» ـ رضى الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا نكاح إلا بولىّ وشاهدىْ عدل» اهـ[(٥)].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور (١/ ٤٥٩ ـ ٤٦٠).

(٢ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور (١/ ٤٦٠).

* خامسًا: أخرج البيهقى عن عمران بن حصين ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجوز نكاح إلا بوليّ وشاهدَيْ عدل» اهـ[١].

* ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾:

❋ **المعنى:** ولعبد مؤمن مملوك خير وأحبّ إلى الله ـ تعالى ـ من المشرك الحسيب، ولو أعجبكم حسبه وماله. أى: زوجوا العبد المؤمن، ولا تزوّجوا الحرّ المشرك.

* ومن يقرأ السنة المطهرة يجدها رغبت فى تزويج المؤمن التقى ولو كان فقيرًا، وهذا قبس من الأحاديث الواردة فى ذلك:

* أولا: أخرج الترمذى، وابن ماجه، والحاكم وصححه عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه، وخلقه، فزوجوه، إن لا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض» اهـ[٢].

* ثانيًا: أخرج الترمذى، والبيهقى فى سننه عن أبى حاتم المزنى قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون دينه، وخلقه، فانكحوه، إن لا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض، قالوا: يا رسول الله وإن كان فيه؟ قال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه، فانكحوه ثلاث مرات» اهـ[٣].

* ﴿أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾: أى: المشركون والمشركات، يدعون إلى الأعمال الموجبة للنار، وصحبتهم ومعاشرتهم يترتب عليها الانحطاط فى كثير فى الأخلاق والآداب التى لا تتفق وتعاليم الإسلام.

* ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ﴾:

❋ **المعنى:** الله ـ سبحانه وتعالى ـ يدعو دائمًا إلى الأعمال الحسنة، والأخلاق الفاضلة التى من عملها، وتمسك بها ـ رضى الله عنه ـ وأدخله بفضله وكرمه الجنة. يوضح كل هذا قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور (١/ ٤٦٠). (٣) انظر: تفسير الدر المنثور (١/ ٤٦١).

ومما يوضح ذلك أيضًا قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٢٨) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ [الأعراف: ٢٨ - ٢٩].

* ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾:

المعنى: أن الله - سبحانه وتعالى - أنزل أوامره، ونواهيه فى كتبه المنزلة على رسله ليبينوها للناس لعلهم يتذكرون أى يتعظون.

وصدق الله إذ قال لنبيه محمد ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج أحمد، وعبد بن حميد، والدارمى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، وأبو يعلى، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن حبّان، والبيهقى فى سننه عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ - رضى الله عنه): أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة منهم أخرجوها من البيت، ولم يؤاكلوها، ولم يشاربوها، ولم يجامعوها فى البيوت، فسأل رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله - تعالى -: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ الآية.

فقال رسول الله ﷺ: «جامعوهن فى البيوت، واصنعوا كل شىء إلا النكاح».

فبلغ اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه، فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا: يا رسول الله إن اليهود قالت كذا وكذا أفلا نجامعهن؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظنّا أن قد وَجدَ عليهما، فخرجا فاستقبلهما هديّة من لبن إلى رسول الله ﷺ فأرسل فى أثرهما فسقاهما، فعرفا أنه لم يَجِدْ عليهما. اهـ[1].



(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٤٦١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ﴾: أخرج ابن جرير عن السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ﴾ قال: الذى سأل عن ذلك ثابت بن الدّحْداح(١).

* و ﴿ الْمَحِيضِ ﴾: هو الحيض، وهو مصدر، يقال: حاضت المرأة تحيض حيضًا ومحيضًا، مثل: سار يسير سيرًا ومسيرًا.

وأصل الحيض: الانفجار، والسيلان.

* ﴿ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾ أى: قل يا محمد لمن سألك عن المحيض هو أذى، أىْ: قذر، وهو شىء تتأذّى به المرأة وغيرها أى برائحة دم الحيض لأنها كريهة، وغير مقبولة لأصحاب الطباع السليمة.

* ﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾:

المراد بالاعتزال: ترك الجماع، يدلّ على ذلك الأحاديث الآتية:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والبيهقى فى سننه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾ قال: اعتزلوا نكاح فروجهن(٢).

* وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، والبيهقى عن «عائشة أم المؤمنين» (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) أنها سئلت: ما للرجل من امرأته وهى حائض؟ فقالت: كل شىء إلا فرجها(٣).

* وأخرج أبو العباس السراج فى مسنده عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتى امرأته وهى حائض، فجاء ولده أجذم فلا يلومنّ إلا نفسه»(٤).



(١) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٥٤)، وتفسير الدر المنثور (١/ ٤٦١).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور (١/ ٤٦٣).

* ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾: أى: لا تجامعوهن حتى يطهرن أى: يغتسلن بعد انقطاع دم الحيض، يقال: طهرت المرأة: إذا شفيت من الحيض واغتسلت.

❋ **المعنى:** نهى الله ـ تعالى ـ الأزواج عن مباشرة أزواجهم بالجماع أثناء الحيض لما فيه من الضرر الشديد والأذى، ويكون ذلك سببًا للكثير من الأمراض التى أثبتها الطبّ الحديث.

كما بيّن أنه ينبغى على الزوج أن لا يجامع امرأته إلا بعد انقطاع دم الحيض تمامًا واغتسالها، وهذا ما يستفاد من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ﴾ أى: اغتسلن بالماء بعد انقطاع الدم فأتوهن من حيث أمركم الله أى من القبل فقط.

* ومن الأدلة أيضًا على تحريم جماع المرأة الحائض أثناء حيضها الحديث التالى:

* فقد أخرج ابن أبى شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، والبيهقى فى سننه عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أتى حائضًا، أو امرأة فى دبرها، أو كاهنًا، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[١].

* ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾:

* ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ﴾ أى: اغتسلن بالماء.

قال القرطبى فى تفسيره: وإليه ذهب مالك وجمهور العلماء، وأن الطهر الذى يحلّ به جماع الحائض التى يذهب عنها الدم، هو تطهرها بالماء كطهر الجنب، ولا يجزئ من ذلك تيمّم ولا غيره، وبه قال مالك، والشافعى، والطبرىّ، ومحمد بن مسلمة، وأهل المدينة وغيرهم. اهـ[٢].

* وأخرج سفيان بن عيينة، وعبد الرزاق فى المصنَّف، وابن جرير، وابن المنذر، والنحّاس، عن مجاهد بن جبر المكى المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ﴾ قال: إذا اغتسلن، ولا تحلّ لزوجها حتّى تغتسل.. اهـ[٣].

(١) انظر: تفسير الدر المنثور (١/ ٤٦٥).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٥٩).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور (١/ ٤٦٥).

* ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾: أي: فجامعوهن في الموضع الذي أمركم الله بالجماع فيه وهو الفرج.

وهذا الأمر للإباحة، وكنّى الله ـ تعالى ـ بالإتيان عن الجماع.

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في سننه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾، يقول: في الفرج، ولا تعدوه إلى غيره[(١)].

* وفي رواية أخرى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: من حيث أمركم الله أيْ تعتزلوهن[(٢)].

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾:

قال عطاء بن أبي رباح (ت ١١٥هـ) وغيره: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾: من الذنوب، والشرك، ﴿ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾: أي بالماء من الجنابة والأحداث[(٣)].

* وقال مقاتل بن حيّان (ت ١١٠هـ): يحب التوابين من الذنوب، ويحب المتطهرين من الشرك[(٤)].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ [رقم: ٢٢٢]

قرأ شعبة، وحمزة، والكسائي، وخلف البزار: ﴿ يطّهّرن ﴾ بفتح الطاء والهاء مع تشديدهما، على أنه مضارع «تطهّر» أي اغتسل، والأصل: «يتطهرن» فأدغمت التاء في الطاء لوجود التجانس بينهما، لأنهما يخرجان من مخرج واحد وهو: طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ يطْهُرن ﴾ بسكون الطاء، وضم الهاء مخففة، على أنه مضارع «طهر»، يقال: طهرت المرأة إذا شفيت من الحيض واغتسلت[(٥)].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور (١/ ٤٦٦).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٦١). (٤) انظر: تفسير البغوي (١/ ١٩٨).

(٥) انظر: النشر لابن الجزري بتحقيقنا (٢/ ٤٣٠)، والمغني في توجيه القراءات (١/ ٢٤٧)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ٩١)، والمستنير في تخريج القراءات المتواترة (١/ ٦٢)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٢٩٣)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٥٧.

﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج وكيع، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والبخاري، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن جرير، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في سننه، عن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري (ت ٧٨هـ ـ رضي الله عنه) قال: كانت اليهود تقول: إذا أتى الرجل امرأته من خلفها في قبلها ثم حملت جاء الولد أحول، فنزلت: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ أي: مَحْنيّة، وإن شاء غير مَحْنيّة، غير أن ذلك في صمام واحد[١].

وأقول: هو القبل بدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾، كما سيتضح ذلك فيما سيأتي بإذن الله ـ تعالى ـ.

معاني المفردات:

* ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ أي: موضع ومنبت الولد.

* ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾: أي مقبلات، أو مدبرات، أو مستلقيات، بشرط أن يكون ذلك في القبل الذي هو محل منبت الولد.

ومن الأدلّة على ذلك ما يأتي:

* أخرج ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) قال: يأتيها من بين يديها، ومن خلفها، ما لم يكن في الدبر[٢].

* وأخرج سعيد بن منصور، والبيهقي في سننه، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: ائت حرثك من حيث نباته[٣].

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص٧٧، وأسباب النزول للشيخ القاضي ص٣٧، وتفسير القرطبي (٣/ ٦١)، وتفسير البغوي (١/ ١٩٨ ـ ١٩٩)، وتفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٤٧٠).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٤٧١).

* وأخرج النسائى، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ملعون من أتى امرأة فى دبرها»(١).

* وأخرج ابن عدىّ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «من أتى شيئًا من الرجال، أو النساء فى الأدبار فقد كفر»(٢).

* ﴿ وَقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ ﴾ أى: قولوا: بسم الله الرحمن الرحيم.

* أخرج عبد الرزّاق فى المصنّف، وابن أبى شيبة، وأحمد، والبخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، والبيهقى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنّبنا الشيطان، وجنّب الشيطان ما رزقتنا، فقضى بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدًا»(٣).

* ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلاقُوهُ ﴾:

أى: صائرون إليه فيجازيكم بأعمالكم، إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشر.

وصدق الله إذْ قال: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦) ﴾ [فصّلت: ٤٦].

* روى ابن عيينة، عن عمرو بن دينار قال: سمعت سعيد بن جبير، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب يقول: «إنكم ملاقوا الله حفاةً عراةً مشاةً غُرْلا، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلاقُوهُ ﴾»(٤).

* ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أى: بالثواب الجزيل يوم القيامة، وجنات تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها.

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٤٧٢).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٤٧٨)، وتفسير البغوى (١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٦٤).

﴿ وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* قال البغوى: نزلت فى عبد الله بن رواحة، كان بينه وبين خَتَنه[1] على أخيه بشير بن النعمان الأنصارى شىء، فحلف عبد الله أن لا يدخل عليه، ولا يكلمه، ولا يصلح بينه وبين خصمه، وإذا قيل له فيه، قال: قد حلفت بالله أن لا أفعل فلا يحلّ لى إلا أن تبرّ بيمين، فأنزل الله هذه الآية[2].

* ثانيًا: قال ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) نزلت فى أبى بكر الصديق (ت ١٣هـ ـ رضى الله عنه) حين حلف أن لا ينفق على مُسْطح حين خاض فى حديث الإفك[3].

معانى المفردات:

* ﴿ وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا ﴾:

* ﴿ أَن تَبَرُّوا ﴾ معناه: أن لا يبروا، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ﴾ [النساء: ١٧٦].

أى: لئلا تضلوا.

المعنى: لا تجعلوا الحلف بالله ـ تعالى ـ سببًا مانعًا لكم من البرّ أى عمل البرّ والخير.

* وقال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): هو الرجل يحلف ألا يبرّ ولا يَصلُ، ولا يصلح بين الناس، فيُقال له: «بر» فيقول: قد حلفت[4].

(١) الخَتَنُ: هو كل من كان من قبيل المرأة، والخَتَنُ: الصِّهر.

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٨٠، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٣٧، وتفسير القرطبى (٣/ ٦٥)، وتفسير البغوى (١/ ٢٠٠).

(٣) انظر: أسباب النزول للشيخ القاضى ص٣٧، وتفسير القرطبى (٣/ ٦٥)، وتفسير البغوى (١/ ٢٠٠).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٦٤).

* ﴿ وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والبيهقى فى مسنده عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى معنى الآية قال: يقول الله ـ تعالى ـ: لا تجعلنى عرضة ليمينك أن لا تصنع الخير.

ثم قال: ولكن كفّر عن يمينك واصنع الخير(١).

* وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى معنى الآية قال: هو أن يحلف الرجل أن لا يكلم قرابته، أو لا يتصدق، أو يكون بين رجلين مغاضبة فيحلف لا يصلح بينهما، ويقول: قد حلفت، قال: يكفر عن يمينه(٢).

* وأخرج مالك، ومسلم، والترمذى، والنسائى عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذى هو خير» اهـ(٣).

* وأخرج البخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى عن عبد الرحمن ابن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن غير مسألة أُعنْتَ عليها، وإن أُعْطيتَها عن مسألة وُكلتَ إليها، وإن حلفتَ عن يمين فرأيتَ غيرها خيراً منها فأت الذى هو خير وكفّر عن يمينك» اهـ(٤).

* وأخرج أبو داود، والحاكم وصححه عن سعيد بن المسيّب (ت ٩٤هـ ـ رضى الله عنه): أن أخوين من الأنصار كان بينهما ميراث، فسأل أحدهما صاحبه القسمة فقال: إن عدت تسألنى القسمة لم أكلمك أبدًا، وكل مالى فى رتاج الكعبة.

فقال له عمر ـ رضى الله عنه ـ: إن الكعبة لغنيّة عن مالك، كفِّر عن يمينك وكلّم أخاك، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يمين ولا نَذْر فى معصية الربّ ولا فى قطيعة الرحم، وفيما لا تملك» اهـ(٥).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٤٧٩).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠).

(٤ ـ ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٤٨٠).

﴿ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٢٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾:

* ﴿ اللَّغْوِ ﴾: كل ساقط مُطَّرح من الكلام لا يعتدّ به. وهو مصدر «لغا يلغُو ويلغَى».

ولغو اليمين المذكور فى الآية الكريمة: هو ما يسبق إلى اللسان على عجلة من غير عَقْد وقَصْد، كقول القائل: «لا والله، وبَلَى والله، وكلا والله».

ومما يدلّ على ذلك الأخبار الآتية:

* أولا: أخرج مالك فى الموطأ، ووكيع، والشافعى فى الأمّ، وعبد الرزاق، والبخارى، ومسلم، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، والبيهقى فى سننه من طرق عن «عائشة أم المؤمنين» (ت ٥٨هـ - رضى الله عنها) قالت: أنزلت هذه الآية: ﴿ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ فى قول الرجل: لا والله، وبلى والله، وكلا والله[1].

* ثانيًا: أخرج أبو داود، وابن جرير، وابن حبّان، وابن مردويه، والبيهقى من طريق عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ) أنه سئل عن اللغو فى اليمين فقال: قالت «عائشة» - رضى الله عنها -: إن رسول الله ﷺ قال: «هو كلام الرجل فى يمينه كلا والله، وبلى والله» اهـ[2].

* ومن أنواع لغو اليمين ما توضحه الأخبار الآتية:

* أولا: أخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والبيهقى، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: لغو اليمين أن تحلف وأنت غضبان[3].

(١ - ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٤٨٠).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٤٨١).

* ثانيًا: أخرج ابن جرير عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: لغو اليمين حلف الإنسان على الشيء يظنّ أنه الذى حلف عليه، فإذا هو غير ذلك(١).

* ثالثًا: أخرج وكيع، وعبد الرزاق، وابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) قال: لغو اليمين: هو الرجل يحلف على المعصية يعنى أن لا يصلّى، ولا يصنع الخير(٢).

* رابعًا: أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبى حاتم عن إبراهيم النّخعى (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ قال: هو الرجل يحلف على الشيء ثم ينسى، فلا يؤاخذه الله به(٣).

* ﴿ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾:

* كسب القلب: العقد، والنية.

المعنى: ولكن يؤاخذكم الله ـ تعالى ـ بما عزمتم، وقصدتم إلى اليمين.

واعلم أخى المسلم أن اليمين لا تنعقد إلا بالله، أو باسم من أسمائه، أو بصفة من صفاته. فإذا حلف بشيء منها على أمر مستقبل، فحنث وجبت عليه الكفارة.

وإذا حلف على أمْرٍ ماض أنه كان ولم يكن، أو على أمر أنه لم يكن وقد كان، وهو عالم بذلك أى بما حلف عليه، فهو اليمين الغموس، وهو من الكبائر.

وقد اختلف الفقهاء فى حكم اليمين الغموس هل تجب فيه الكفارة أو لا:

فقال الشافعى ـ رحمه الله تعالى ـ: تجب فيه الكفارة(٤).

* وكفارة اليمين بيّنها الله وفصّلها فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩) ﴾ [المائدة: ٨٩]

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٤٨١).

(٤) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٠١).

* وكفارة اليمين تكون بالخيار بين الأمور الثلاثة التالية:

أولا: إطعام عشرة مساكين.

وهذه بعض الأخبار الواردة فى ذلك:

* أخرج ابن ماجه، وابن مردويه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: كفّر رسول الله ﷺ بصاع من تمر، وأمر الناس به، ومن لم يجد فنصف صاع من برّ ـ أى: لكل مسكين ـ[1].

* وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ كان يقيم كفارة اليمين «مدّا» من حنطة بمدّ الأول[2].

* وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم عن علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) قال: يغذيهم ويعشيهم، إن شئت خبزًا ولحمًا، أو خبزًا وزيتًا، أو خبزًا وسمنًا، أو خبزًا وتمرًا[3].

* وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبى حاتم، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ قال: من عسركم ويسركم[4].

* ثانيًا: كسوة عشرة مساكين.

وهذه بعض الأخبار الواردة فى ذلك:

* أخرج الطبرانى، وابن مردويه عن «عائشة أم المؤمنين» ـ رضى الله عنها ـ عن النبى ﷺ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ قال: «عباءة لكل مسكين»[5].

* وأخرج أبو عبيد القاسم بن سلام، وابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قول ـ تعالى ـ: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ قال: ثوب لكل إنسان، وقد كانت العباءة تقضى يومئذ من الكسوة[6].

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور (٣/ ٥٥٢).

(٥ ـ ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٥٤).

* وأخرج عبد بن حُمَيْد عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) قال: القميص، أو الرداء، أو الإزار، قال: ويجزئ في كفارة اليمين كلٌّ إلا القلنسوة[1].

* وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وأبو الشيخ، عن مجاهد قال: أدناه ثوب، وأعلاه ما شئت[2].

* وأخرج عبد الرزاق، وأبو الشيخ عن سعيد بن المسيب قال: إزار وعمامة[3].

* ثالثًا: عتق رقبة مؤمنة: سواء كانت صغيرة، أو كبيرة. إلا أنه لا يجزئ كلّ من: ولد الزنا، ولا الأعمى، ولا المقعد، والدليل على ذلك الأخبار التالية:

* أخرج أبو الشيخ عن عطاء بن أبي رباح (ت ١١٥هـ) قال: تُجزئ الرقبة الصغيرة[4].

* وأخرج ابن أبي شيبة، وأبو الشيخ، عن الحسن البصري (ت ١١٠هـ) قال: لا يجزئ الأعمى، ولا المقعد في الرقبة[5].

* وأخرج ابن أبي شيبة عن الحسن البصري أنه كان لا يرى عتق الكافر في شيء من الكفارات[6].

* وأخرج ابن أبي شيبة عن طاوس بن كيسان (ت ١٠٦هـ) قال: لا يجزئ ولد الزنا في الرقبة[7].

* فمن لم يجد واحدًا من الأنواع الثلاثة فعليه أن يصوم ثلاثة أيام متتابعات، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾ [المائدة: ٨٩].

* ومن الأدلّة على أن كفّارة الحنث في اليمين بالخيار. وأن الصوم يشترط فيه التتابع الأخبار التالية:

* أخرج ابن مردويه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما نزلت آية الكفارات قال حذيفة بن اليمان: يا رسول الله نحن بالخيار؟ قال: «أنت بالخيار إن

(١ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٥٥٤).

(٦ ـ ٧) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٥٥٥).

شئت أعتقت، وإن شئت كسوت، وإن شئت أطعمت، فإن لم تجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات» اهـ[(١)].

* وأخرج ابن جرير، والبيهقي في سننه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ في آية كفارة اليمين قال: هو بالخيار في هؤلاء الثلاثة: الأوّل فالأول، فإن لم يجد شيئًا من ذلك فصيام ثلاثة أيام متتابعات[(٢)].

* وأخرج عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حُميد، وابن المنذر عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) قال: كل صوم في القرآن فهو متتابع، إلا قضاء رمضان، فإنه عدّة من أيام أخر[(٣)].

* وأخرج ابن أبي شيبة عن الحسن البصري (ت ١١٠هـ) أنه كان يقول في صوم كفارة اليمين: يصومه متتابعات، فإن أفطر من عذر يقضي يومًا مكان يوم[(٤)].

﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٦) ﴾

❁ سبب نزول هذه الآية:

قال البغوي: قال سعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ): كان الإيلاء من أضرار الجاهلية، كان الرجل منهم لا يحبّ امرأته، ولا يريد أن يتزوجها غيره، فيحلف ألا يقربها أبدًا، وألا يقربها سنة أو سنتين، أو أكثر من ذلك، فيتركها لا أيّمًا ولا ذات بَعْل، وكانوا عليه في ابتداء الإسلام، فَضُرِب له في الإسلام الأجل الذي يُعْلم به ما عند الرجل في المرأة أربعة أشهر، فأنزل الله هاتين الآيتين رقم: ٢٢٦ ـ ٢٢٧[(٥)].

❁ معاني المفردات:

* ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾:

* ﴿ يُؤْلُونَ ﴾ أي: يحلفون، والمراد الحلف بالله ـ تعالى ـ وحده لقوله ﷺ: «من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت» وقد قال بذلك الإمام الشافعي[(٦)].

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٥٥٥).

(٥) انظر: أسباب النزول للواحدي ص٨١، وأسباب النزول للقاضي ص٣٧، وتفسير البغوي (١/ ٢٠٢).

(٦) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٦٩).

والمراد من الآية الكريمة: أن يحلف الرجل بالله ـ تعالى ـ أن لا يطأ زوجته أربعة أشهر، فإن كان الإيلاء أقلّ من أربعة أشهر فليس بإيلاء. فإن مضت أربعة أشهر فليس بإيلاء. فإن مضت أربعة أشهر قبل أن ينكحها فهو بالخيار: إمّا أن يفيء فيراجع، وإمّا أن يعزم فيطلق.

* ومن الأدلة على ما ذكرته الأخبار التالية:

* أولا: أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في سننه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾ إلخ. قال: هو الرجل يحلف لامرأته بالله لاينكحها، فيتربص أربعة أشهر، فإن هو نكحها كفّر يمينه، فإن مضت أربعة أشهر قبل أن ينكحها خيّره السلطان: إمّا أن يفيء فيراجع، وإمّا أن يعزم فيطلق[1].

* ثانيًا: أخرج عبد بن حميد، عن قتادة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ قال: هذا في الرجل يؤلي من امرأته يقول: والله لا يجتمع رأسي ورأسك، ولا أقربك، ولا أغشاك، قال: وكان أهل الجاهليّة يعدّونه طلاقًا فحدّ لهم أربعة أشهر، فإن فاء فيها كفّر عن يمينه وكانت امرأته، وإن مضت الأربعة أشهر ولم يفء فيها فهي طالق، وهي أحقّ بنفسها، وهو أحد الخطّاب، ويخطبها زوجها في عدّتها، ولا يخطبها غيره في عدّتها[2].

* ثالثًا: عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان إيلاء أهل الجاهلية السنة والسنتين، وأكثر من ذلك فوقّت الله أربعة أشهر، فإن كان إيلاؤه أقلّ من أربعة أشهر فليس بإيلاء[3].

* ﴿فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

* ﴿فَاءُوا﴾ أي: رجعوا عن اليمين قبل مضي الأربعة أشهر ووطئ الحالف زوجته في الفرج.

وحينئذ أجد سؤالا يفرض نفسه وهو:

ما حكم مَنْ فاء: هل عليه كفارة اليمين أو لا؟

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٤٨٢).

أقول: ذكر الإمام البغوى فى ذلك قولين:

الأول: قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، وإبراهيم النخَعىّ (ت ٩٦هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): لا كفارة عليه لأن الله ـ تعالى ـ وعده بالمغفرة فقال: ﴿ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

* ومن الأدلة على ذلك القول الخبر الآتى المروى عن الحسن: فقد أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير عن الحسن البصرى قال: إذا آلى الرجل من امرأته ثم وقع عليها قبل الأربعة أشهر فليس عليه كفارة، لأن الله ـ تعالى ـ قال: ﴿ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أى: لتلك اليمين.. اهـ[2].

* القول الثانى: تجب عليه كفارة اليمين عند أكثر أهل العلم. وحينئذ يكون معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أى: لا عقوبة عليه[3].

﴿ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ ﴾ الآية: العزيمة: تتميم العقد على الشىء.

قال القرطبى: هذا دليل على أنها لا تطلق بمضىّ مدّة أربعة أشهر ما لم يقع إنشاء تطليق بعد المدة.

ثم قال ـ أى القرطبى ـ: وروى سهل بن أبى صالح عن أبيه قال: سألت اثنى عشر رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ عن الرجل يولى من امرأته، فكلهم يقول: ليس عليه شىء حتى تمضى أربعة أشهر، فيوقف، فإن فاء وإلا طلق. اهـ[4].

* وهذه بعض الأخبار الواردة فى هذا الحكم نظرًا لأهميته:

* أخرج ابن جرير عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: الإيلاء إذا مضت أربعة أشهر لا شىء عليه حتى توقف فيطلق، أو يمسك[5].

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٠٣).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور (١/ ٤٨٥).

(٣) انظر: تفسير البغوى (٣١٤١/ ٢٠٣).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٧٤).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٤٨٥).

* وأخرج البخارى، وعبد بن حميد عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: الإيلاء الذى سمّ الله لا يحلّ لأحد بعد الأجل إلا أن يمسك بالمعروف، أو يعزم الطلاق كما أمره الله(١).

* وأخرج مالك، والشافعى، وعبد بن حميد، وابن جرير، والبيهقى عن علىّ بن أبى طالب - رضى الله عنه - أنه كان يقول: إذا آلى الرجل من امرأته لم يقع عليها طلاق إن مضت عليها أربعة أشهر حتى يوقف فإمّا أن يطلق وإمّا أن يفىء(٢).

* وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، والبيهقى، عن أبى الدرداء فى رجل آلى من امرأته قال: يوقف عند انقضاء الأربعة أشهر فإمّا أن يطلق وإمّا أن يفىء(٣).

* وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن أبى حاتم والبيهقى عن عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس - رضى الله عنهم أجمعين - قالوا: الإيلاء تطليقة بائنة إذا مرّت أربعة أشهر قبل أن يفىء فهى أملك بنفسها. اهـ(٤).

* وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، والبيهقى عن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال: إذا آلى الرجل من امرأته فمضت أربعة أشهر فهى تطليقة بائنة، وتعتد بعد ذلك ثلاثة قروء، ويخطبها زوجها فى عدّتها، ولا يخطبها غيره، فإذا انقضت عدتها خطبها زوجها وغيره. اهـ(٥).

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

أخرج أبو داود، وابن أبى حاتم، والبيهقى فى سننه عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية قالت: طُلقتُ على عهد رسول الله ﷺ ولم يكن للمطلقة عدّة،

(١ - ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٤٨٥).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٤٨٥ - ٤٨٦).
(٤ - ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٤٨٦).

فأنزل الله حين طُلِّقتُ العدة للطلاق: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ فكنت أول من أُنزِلَت فيها العدّة للطلاق[١].

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ﴾:

* ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ ﴾: هذا لفظ عام والمراد به الخصوص، وهنّ: المدخول بهنّ وكنّ من ذوات الحيض.

* وخرجت المطلقة قبل البناء بها بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴿٤٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٩] فهذه تزوّج إن شاءت من يومها، ولا عدّة لها.

* وخرجت المرأة العجوز التي لا تحيض، وكذا الصغيرة التي لم تحض، بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ ﴾ [الطلاق: ٤]، فهذه العجوز التي لا تحيض، والصغيرة التي لم تحض عدتهن ثلاثة أشهر، وليس من أمرهنّ في شيء.

* وخرجت الحامل بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ٤]، فهذه ليست من أصحاب القروء، إنما أجلها أن تضع حملها.

* ﴿ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ أي: ينتظرن، وهذا خبر والمراد به الأمر، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

* ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ﴾:

أي: فلا يحلّ لهنّ أن يتزوجن إلا بعد انقضاء عدتهن وعدّة كل واحدة منهن ثلاثة قروء.

والقروء: جمع قرء، ويجمع جمع قلّة على أقرؤ، وجمع كثرة على أقراء.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٤٨٩).

* واختلف العلماء فى القرء على قولين:

١ ـ فمن جعل القرء اسمًا للمحيض قال: القرء الحيض.

٢ ـ ومن جعله اسمًا لاجتماع الدم فى الرحم قال: القرء الطهر.

* وممن قال المراد بالقرء الحيض كل من:

١ ـ عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه).

٢ ـ علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه).

٣ ـ عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه).

٤ ـ عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما).

٥ ـ أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ.

٦ ـ مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ).

٧ ـ قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ).

٨ ـ الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ).

٩ ـ السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ).

١٠ ـ عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ).

* ومن الأدلة على هذا القول: الأخبار التالية:

* أخرج ابن جرير، والبيهقى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾ قال: ثلاث حيض[١].

* وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد بن جبر فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾ قال: ثلاث حيض[٢].

* وأخرج عبد بن حميد عن قتادة بن دعامة السدوسى فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾ قال: ثلاث حيض[٣].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٤٩٠).

* وأخرج عبد الرزاق عن عكرمة قال: الإقراء الحيض وليس الطهر(١).

* وممن قال المراد بالقرء الطهر كل من:

ـ «عائشة أم المؤمنين» (ت ٥٨ هـ ـ رضى الله عنها).

ـ عبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما).

ـ زيد بن ثابت (ت ٤٥ هـ ـ رضى الله عنهما).

ـ الزهرى محمد بن مسلم بن عبد الله (ت ١٢٤هـ).

ـ أبان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥هـ).

ـ الإمام محمد بن إدريس الشافعى (ت ٢٠٤هـ).

* ومن الأدلة على هذا القول الأخبار التالية:

* أخرج مالك، والشافعى، والبيهقى، من طريق ابن شهاب عن عروة بن دينار (ت ١٢٦هـ) عن «عائشة أم المؤمنين» ـ رضى الله عنها ـ: أنها انتقلت حفصة بنت عبد الرحمن حين دخلت فى الدّم من الحيضة الثالثة، قال ابن شهاب: فذكرت ذلك لعمرة بنت عبد الرحمن فقالت: صدق عروة، وقد جادلها فى ذلك ناس قالوا: إن الله يقول: ﴿ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾ فقالت «عائشة»: صدقتم، وهل تدرون ما الأقراء؟ الأقراء: الأطهار، قال ابن شهاب: سمعت أبا بكر بن عبد الرحمن يقول: ما أدركت أحدًا من فقهائنا إلا وهو يقول هذا يريد الذى قالت «عائشة»(٢).

* وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، والبيهقى عن ابن عمر، وزيد بن ثابت قالا: الأقراء: الأطهار(٣).

* فإن قيل: ما فائدة هذا الخلاف؟

أقول: تظهر ثمرة هذا الخلاف فيما يلى:

أولا: منْ ذهب إلى أن الأقراء هى الحيض يقول: لا تنقضى عدتها حتى تطهر من الحيضة الثالثة.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٤٩١).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٤٩٠).

ثانيًا: ومن ذهب إلى أن الأقراء هى الطهر يقول: إذا شرعت المعتدة فى الحيضة الثالثة تنقضى عدتها[(١)].

❖ فائدة مهمة وجليلة تتعلق بعدّة المرأة:

* أولا: إذا كانت حاملا فعدّتها بوضع الحمل، سواء وقعت الفرقة بينها وبين الزوج: بالطلاق، أو بالموت.

ودليل ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ٤].

* ثانيًا: إن لم تكن حاملا نظر:

١ ـ إن وقعت الفرقة بينهما بموت الزوج، فعليها أن تعتدّ بأربعة أشهر وعشرًا، سواء مات الزوج قبل الدخول بها، أو بعده، وسواء كانت المرأة ممن تحيض أو لا.

ودليل ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

٢ ـ وإن وقعت الفرقة بينهما بالطلاق فى الحياة نظر:

* إن كان قبل الدخول بها فلا عدّة لها.

ودليل ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ﴾ [الأحزاب: ٤٩].

* وإن كان بعد الدخول بها نظر:

١ ـ إن كانت المرأة لم تحض قط، أو بلغت من الكبر سنّ اليأس: فعدتها ثلاثة أشهر.

ودليل ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ﴾ [الطلاق: ٤].

٢ ـ وإن كانت ممن تحيض فعدتها ثلاثة قروء.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٠٤).

ودليل ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

* ثالثًا: عدّة الأمة:

١ ـ إن كانت حاملا فعدّتها بوضع الحمل كالحرّة.

٢ ـ وإن كانت كائلا ففى الوفاة عدتها شهران، وخمس ليال.

وفى الطلاق إن كانت تحيض فعدتها (قرآن).

وإن كانت ممن لا تحيض فشهر ونصف، وقيل: شهران كالقرءين فى حقّ ممن تحيض.

* ومن الأدلة على عدّة الأمة الخبران التاليان:

* أولا: أخرج أبو داود، والترمذى، وابن ماجه، والدارقطنى، والحاكم وصححه، والبيهقى، عن «عائشة أم المؤمنين» (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) عن النبى ﷺ قال: «طلاق الأمة تطليقتان، وقرؤها حيضتان، وفى لفظ وعدّتها حيضتان»(١).

* ثانيًا: قال عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه): ينكح العبد امرأتين، ويطلق طلقتين، وتعتدّ الأمة بحيضتين، فإن لم تكن تحيض فشهرين أو شهرًا ونصفًا(٢).

* ﴿ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ معنى ذلك فى الأخبار التالية:

* أخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ ﴾ قال: كانت المرأة تكتم حملها حتى تجعله لرجل آخر، فنهاهن الله عن ذلك(٣).

* وأخرج عبد بن حميد عن قتادة أيضًا مثل ذلك(٤).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٤٩١).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٠٤).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٤٩٢).

* وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ ﴾ قال: الحمل والحيض، لا يحلّ لها إن كانت حاملا أن تكتم حملها، ولا يحلّ لها إن كانت حائضًا أن تكتم حيضها(١).

* وأخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، والبيهقى عن مجاهد بن جبر فى الآية قال: الحيض والولد، لا يحلّ للمطلقة أن تقول: أنا حائض، وليست بحائض، ولا أن تقول: إنى حبلى وليست بحبلى، ولا تقول لست بحبلى وهى حبلى(٢).

* ﴿ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾:

هذا وعيد شديد لتأكيد تحريم الكتمان، وإيجاب لأداء الأمانة فى الإخبار عن الرحم بحقيقة ما فيه: أى: فسبيل المؤمنات ألا يكتمن الحق.

* وقال القرطبى، والبغوى: المؤمنة والكافرة ـ أى الكتابية ـ فى هذا الحكم سواء، وهذا كما تقول: أدّ حقّى إن كنت مؤمنًا يعنى أداء الحقوق من فعل المؤمنين(٣).

* ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ ﴾ أى: أزواجهنّ، جمع بَعْل مثل: الفحولة جمع فحل، وسمّى الزوج بعلا لقيامه بأمور زوجته، وأصل البعل: السيّد والمالك.

* ﴿ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴾ أى: بمراجعتهن. * ﴿ فِي ذَٰلِكَ ﴾ أى: فى حال العدّة، ومن الأدلة على ذلك الأخبار التالية:

* أخرج وكيع، وعبد بن حميد، وابن جرير، والبيهقى عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) قال: فى القروء الثلاثة(٤).

* وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: فى العدّة ما لم يطلقها ثلاثًا(٥).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٤٩٢).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٧٩)، وتفسير البغوى (١/ ٢٠٥).

(٤ ـ ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٤٩٢).

* ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾: أى: إن أراد الأزواج بالرجعة الإصلاح وحسن العشرة، لا الإضرار بالزوجات.

* ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾: أى: للنساء المتزوجات على الأزواج مثل الذى عليهن لأزواجهن، وهذه بعض الأخبار الواردة فى ذلك:

* أخرج الترمذى وصححه، والنسائى، وابن ماجه، عن عمرو بن الأحوص أن رسول الله ﷺ قال: «ألا إنّ لكم على نسائكم، ولنسائكم عليكم حقّا، فأمّا حقكم على نسائكم: فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذنّ فى بيوتكم من تكرهون، ألاَ وحقهنّ عليكم: أن تحسنوا إليهنّ فى كسوتهنّ وطعامهنّ» اهـ[١].

* وأخرج أحمد، وأبو داود، والنسائىّ، وابن ماجه، وابن جرير، والحاكم وصححه، والبيهقى عن معاوية بن حيدة القشيرى: أنه سأل النبى ﷺ ما حق المرأة على الزوج؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وأن تكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبّح، ولا تهجر إلا فى البيت» اهـ[٢].

* وأخرج ابن عدىّ عن قيس بن طلق عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جامع أحدكم أهله فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها، كما يحب أن يقضى حاجته» اهـ[٣].

* ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ أى: منزلة.

وهذه بعض الأخبار الواردة فى هذا المعنى:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: الدرجة إشارة إلى الحضّ على حسن العشرة، والتوسع للنساء فى المال والخُلُق[٤].

* وقال ابن عباس أيضًا: بما ساق إليها من المهر، وأنفق عليها من المال[٥].

* وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) قال: فضل ما فضّله الله به عليها من الجهاد، وفضل ميراثه على ميراثها، وكل ما فضل به عليها[٦].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٤٩٣).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٨٣). (٥) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٠٥).

(٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٤٩٣).

* وأخرج عبد بن حميد، وابن أبى حاتم عن أبى مالك قال: يطلقها وليس لها من الأمر شىء[(١)].

* ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾: ﴿ عَزِيزٌ ﴾ أى: منيع السلطان لا معترض عليه. ﴿ حَكِيمٌ ﴾ أى: عالم مصيب فيما يفعل.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ بِأَنفُسِهِنَّ ﴾، ﴿ لَهُنَّ ﴾، ﴿ فِي أَرْحَامِهِنَّ ﴾، ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ ﴾، ﴿ بِرَدِّهِنَّ ﴾، ﴿ عَلَيْهِنَّ ﴾ [رقم: ٢٢٨]

وقف يعقوب على الجميع بهاء السكت بخلف عنه، وذلك لبيان حركة الحرف الموقوف عليه[(٢)].

﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أولا: أخرج مالك، والشافعى، وعبد بن حميد، والترمذى، وابن جرير، وابن أبى حاتم، والبيهقى فى سننه عن هشام بن عروة، عن أبيه قال:

كان الرجل إذا طلق امرأته ثم ارتجعها قبل أن تنقضى عدّتها كان ذلك له، وإن طلقها ألف مرّة، فعمد رجل إلى امرأته فطلقها، حتى إذا ما جاء وقت انقضاء عدتها ارتجعها ثم طلقها، ثم قال: والله لا آويك، ولا تخلين أبداً، فأنزل الله: ﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ فاستقبل الناس الطلاق جديداً من يومئذ، من كان منهم طلق، ومن لم يطلق.. اهـ[(٣)].

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٩٤).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٩٢).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٤٩٤)، انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٨٣).

* ثانيًا: أخـرج ابن جرير عن ابن جـريج قال: نزلت هذه الآية فى ثابـت بن قيس وفى حبيبة بنت سهل الأنصارى وكانت اشتكته إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «تردّين عليه حديقته؟» قالت: نعم، فدعاه فذكر له ذلك فقال: ويطيب لى ذلك؟ قال: «نعم»، قال ثابت قد فعلت، فنزلت ﴿ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ اهـ(١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ ﴾:

المراد: الطلاق الذى يملك الزوج الرجعة عقبه مرتان. فإذا طلق ثلاثًا فلا تحلّ له إلا بعد نكاح زوج آخر.

والدليل على ذلك قوله ـ تعالى ـ عقب هذه الآية: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ [رقم: ٢٣٠].

* والطلاق: هو حلّ العصمة المنعقدة بين الزوجين بألفاظ مخصوصة.

والطلاق مباح بهذه الآية وغيرها، كما أجـمعت الأمّة على أن الطلاق مباح وغير مـحظور. ومن يقرأ السنة الـمطهرة يجـد الكثيـر من الأحـاديث التى تفيـد أن الطلاق مباح، إلا أنه من أبغض الحلال إلى الله.

* ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ ﴾:

المراد منه: الإمساك بعد الرجـعة الثانية، يعنى: إذا راجعها بعد الطلقـة الثانية فعليه أن يمسكهـا بالمعروف، والمعـروف: كل ما يعرف فى الشرع من أداء حـقوق النكاح، وحسن الصحبة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

* ومن الأخبار التى تفيد المعانى التى ذكرتها ما يلى:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٤٩٩).

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: إذا طلق الرجل امرأته تطليقتين، فليتق الله فى الثالثة، فإمّا أن يمسكها بمعروف فيحسن صحبتها، أو يسرحها بإحسان فلا يظلمها من حقها شيئًا[١].

• مهمة:

قال القرطبى: قال علماؤنا: اتفق أئمة الفتوى على لزوم إيقاع الطلاق الثلاث فى كلمة واحدة، وهو قول جمهور علماء السلف: ـ أى يقع ثلاثًا ـ.

وشذ طاووس وبعض أهل الظاهر إلى أن طلاق الثلاث فى كلمة واحدة يقع واحدة.. اهـ[٢].

* ومما يدلّ على صحة ما ذكره القرطبى الخبر التالى:

* أخرج البيهقى، عن رافع بن سَحْبان أن رجلا أتى عمران بن حصين فقال: رجل طلق امرأته ثلاثًا فى مجلس؟ قال: آثم بربه وحرمت عليه امرأته، فانطلق الرجل فذكر ذلك لأبى موسى يريد بذلك عيبه، فقال: ألا ترى أن عمران بن حصين قال: كذا وكذا؟ فقال أبو موسى: الله أكبر، فُتْيا مثل أبى نجيد.. اهـ[٣].

* ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾:

المراد: هو أن يتركها زوجها بعد الطلقة الثانية حتى تنقضى عدّتها، وفى ذلك إحسان إليها.

• فائدة مهمة وجليلة:

اعلم أخى المسلم أن الطلاق على ضربين: صريح وكناية.

وقد اختلف الفقهاء فى صريح الطلاق:

١ ـ فقال الإمام الشافعى:

الصريح ثلاثة ألفاظ وهو ما ورد فى القرآن الكريم:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٤٩٦).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٨٥).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٠٤).

الأول: الطلاق، ودليله قوله ـ تعالى ـ: ﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ ﴾، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ [الطلاق: ١].

والثاني: السراح، ودليله قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

والثالث: الفراق، ودليله قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ [الطلاق: ٢]. وما عدا ذلك فهو كناية[1].

٢ ـ وقال الإمام أبو حنيفة، والقاضي أبو محمد: صريح الطلاق ما تضمن لفظ الطلاق على أيّ وجه، مثل أن يقول: أنت طالق، أو أنت مطلقة، أو طلقتك.. إلخ. وما عدا ذلك مما يستعمل فيه فهو كناية[2].

٣ ـ وقال القاضي أبو الحسن، وهو من علماء الأحناف: صريح ألفاظ الطلاق بعضها أبين من بعض مثل: الطلاق، والسراح، والفراق، والحرام، والخلية، والبرية. وما عدا ذلك فهو كناية.

* والفرق بينهما: أن الصريح لا يفتقر إلى نيّة، بل بمجرد التلفظ يقع الطلاق. والكناية تفتقر إلى نيّة[3].

* ﴿ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا ﴾:

المعنى: هذا خطاب للأزواج، نهوا أن يأخذوا من أزواجهم شيئًا على وجه المضارّة ومن الأدلة على ذلك ما يأتي:

* أخرج أبو داود في ناسخه، وابن أبي حاتم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان الرجل يأكل من مال امرأته نحْلته الذي نحلها، وغيره، لا يرى أن عليه جناحًا فأنزل الله: ﴿ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا ﴾ فلم يصلح لهم بعد هذه الآية أخذ شيء من أموالهن إلا بحقها[4].

* قال القرطبي: والجمهور على أن أخذ الفدية على الطلاق جائز، وأجمعوا على تحظير أخذ مالها إلا أن يكون النشوز وفساد العشرة من قبلها[5].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٤٩٦).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٨٥).
(٣) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٨٨).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٤٩٩).
(٥) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٩١).

* ومما يدلّ على صحة ما قاله القرطبى الخبران التاليان:

* أخـــرج ابن جـريـر عـن عـكرمة أنه سـئل هـل كان للخلـع أصـل؟ قــال: كان ابن عباس ـ رضى الله عنهـما ـ يقول: إن أولّ خلع كان فى الإسـلام فى أخت عبد الله بن أُبَىّ، أنها أتت رسول الله ﷺ فقـالت: يا رسول الله لا يجمع رأسى ورأسه شىء أبدًا؛ إنى رفـعت جانب الخـباء فـرأيته أقـبل فى عدّة، فـإذا هو أشدّهم سـوادًا، وأقصـرهم قامـة، وأقبحهم وجهًا، قال زوجها: يا رسول الله إنى أعطيتها أفضل مالى: حديقة لى، فإن ردّت علىّ حديقتى، قال: «ما تقولين؟» قالت: نعم، وإن شاء زدته، قال: ففرق بينهما(١).

* وأخرج ابـن جرير، عن عـبد الله بن رباح عن جـميلة بنت أبىّ ابن سلول: أنـها كانت تحت ثـابت بن قيس فنشزت عليـه، فأرسل إليـها النبىّ ﷺ فقـال: يا جمـيلة ما كرهت من ثابت؟ قالت: والله ما كـرهت منه دينًا ولا خُلُقًا، إلا أنى كـرهت دمامـته، فقال لها: «أتردّين الحديقة؟» قالت: نعم، فردّت الحديقة وفرّق بينهما(٢).

* ﴿ إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾: الخطاب للزوجين.

✳ المعنى: حرّم الله بهذه الآية ألا يأخذ الزوج شيـئًا من المرأة إلا بعد الخوف من عدم إقامة حدود الله.

* ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾:

الخطاب فى قـوله ـ تعالى ـ: ﴿ خِفْتُمْ ﴾ لأولياء أمـور كل من الزوج والزوجة، وقيل للحكّام، والمتوسطين لمثل هذا الأمر وإن لم يكونوا حكامًا.

✳ المعنى: إن خفتم على ألا يقـيما أى: الزوجان ﴿ حُدُودَ اللَّهِ ﴾ أى: فيما يجب عليهما من حسن الصحبة، وجميل العشرة.

وترك إقامة حدود الله هو استخفاف المرأة بحقّ زوجها، وسوء طاعتها إيّاه.

وقال الحسـن بن الحسن وجـماعة مـعه: إذا قـالت المرأة لزوجـها: لا أطيع لك أمرًا، ولا أغتسل لك من جنابة، ولا أبرّ لك قَسَمًا حلّ الخلع(٣).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٠٠).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٩٢).

* ﴿ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾:

✳ **المعنى:** دلّ هذا على جواز الخلع بأكثر مما أعطاها.

وقد اختلف العلماء فى هذا:

١ ـ فقال مالك، والشافعي، وأبو حنيفة، وأصحابهم، وأبو ثور: يجوز أن تفتدى منه بما تراضيا عليه، سواء كان أقلّ مما أعطاها، أو أكثر منه.

ومما يدلّ على ذلك الخبر التالي:

* روى الدارقطنى عن أبى سعيد الخدرى أنه قال: كانت أختى تحت رجل من الأنصار تزوجها على حديقة، فكان بينهما كلام، فارتفعا إلى رسول الله ﷺ فقال: «تردّ عليه حديقته ويطلقك؟»، قالت: نعم، وأزيده، قال: «ردّى عليه حديقته وزيديه»[١].

٢ ـ وقال طاووس، وعطاء، والأوزاعى، وجماعة من أهل العلم: لا يأخذ منها أكثر مما أعطاها. وبه قال الإمام أحمد.

* واحتجوا بما رواه ابن جريج قال: أخبرنى أبو الزبير أن ثابت بن قيس بن شمّاس كانت عنده زينب بنت عبد الله بن أُبَيّ ابن سلول وكان أصدقها حديقة، فكرهته، فقال النبى ﷺ: «أمّا الزيادة فلا ولكن حديقته» فقالت: نعم، فأخذها له وخلّى سبيلها، فلما بلغ ذلك ثابت بن قيس قال: قد قبلت قضاء رسول الله ﷺ، سمعه أبو الزبير من غير واحد. وأخرجه الدارقطنى[٢].

* ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا ﴾:

أى: هذه أوامر الله ونواهيه فلا تعتدوها.

* وحدود الله قسمان: منها حدود الأوامر بالامتثال. وحدود النهى بالاجتناب، ثم أخبر الله فقال:

* ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾:

لأن وبال ذلك سيعود عليهم بالعقوبة من الله ـ تعالى ـ.

(١ ـ ٢) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٩٣).

وصدق الله إذْ قال: ﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ⦗١٩⦘ ﴾ [الفرقان: ١٩].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ الطَّلَاقُ ﴾، قرأ ورش بتغليظ اللام، والباقون بترقيقها.

* ﴿ أَن تَأْخُذُوا ﴾ [رقم: ٢٢٩]

قرأ ورش، والسوسيّ، وأبو جعفر بإبدال الهمزة وصلا ووقفًا، وكذا حمزة حالة الوقف.

* ﴿ آتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ [رقم: ٢٢٩]

قرأ يعقوب حالة الوقف بهاء السكت بخلف عنه.

* ﴿ شَيْئًا ﴾ قرأ ورش حَرْف اللين بالتوسط وهو أربع حركات، وبالإشباع وهو ستّ حركات.

* ﴿ إِلاَّ أَن يَخَافَا ﴾ [رقم: ٢٢٩]

قرأ حمزة، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ يُخَافَا ﴾ بضم الياء، على البناء للمجهول، فحذف الفاعل وناب عنه ضمير الزوجين، و﴿ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ بدل اشتمال من ضمير الزوجين.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ يَخَافَا ﴾ بفتح الياء، على البناء للفاعل، وإسناد الفعل إلى ضمير الزوجين المفهوم من السياق، و﴿ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ مفعول به[١].

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ⦗٢٣٠⦘ ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن المنْذرْ عن مقاتل بن حيّان (ت ١١٠هـ) قال: نزلت هذه الآية في عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك النضرى كانت عند رفاعة بن وهب بن عتيك وهو

(١) انظر: النشر لابن الجزرى بتحقيقنا (٢/ ٤٣٠)، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ٢٤٩)، والمستنير فى تخريج القراءات (١/ ٦٣)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٩٢)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٥٨.

ابن عمها، فطلقها طلاقًا بائنًا، فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير القرظى فطلقها، فأتت النبىّ ﷺ فقالت: إنه طلقنى قبل أن يمسّنى أفأرجع إلى الأوّل؟ قال: لا حتّى يمسّ، فلبثت ما شاء الله ثم أتت النبى ﷺ فقالت له: إنه قد مسّنى، فقال: كذبت بقولك الأول فلم أصدقك فى الآخر، فلبثت حتى قبض النبى ﷺ فأتت أبا بكر فقالت: أرجع إلى الأول فإن الآخر قد مسّنى؟ فقال أبو بكر: شهدتُ النبى ﷺ قال لك: «لا ترجعى إليه» فلما مات أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ أتت عمر ـ رضى الله عنه ـ فقال لها: لئن أتيتنى بعد هذه المرّة لأرجمنّك فمنعها، وكان نزل فيها: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ فيجامعها، فإن طلقها بعدما جامعها فلا جناح عليهما أن يتراجعا. اهـ[١].

❀ معانى المفردات:

* ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾:

أى: الطلقة الثالثة، فلا تحلّ له من بعدُ: أى بعد الطلقة الثالثة، حتى تنكح زوجًا غيره أى غير الزوج المطلق ويجامعها، ويذوق كل منهما عسيلة الآخر.

* قال القرطبى: وهذا مجمع عليه لا خلاف فيه[٢].

* ومن الأدلة على ما ذكرته الأخبار التالية:

* أولا: أخرج البخارى، ومسلم، والنسائى، وابن جرير، والبيهقى عن «عائشة أم المؤمنين» ـ رضى الله عنها ـ: أن رجلا طلّق امرأته ثلاثًا، فتزوجت زوجًا، وطلقها قبل أن يمسها، فسأل النبى ﷺ: أتحلّ للأول؟ قال: «لا حتى يذوق من عسيلتها كما ذاق الأول»[٣].

* ثانيًا: أخرج مالك، والشافعى، وابن سعد، والبيهقى، عن الزبير بن عبد الرحمن ابن الزبير أن رفاعة بن سموأل القرظى طلّق امرأته تميمة بنت وهب فى عهد رسول الله ﷺ ثلاثًا، فنكحها عبد الرحمن بن الزبير فاعترض عنها فلم يستطع أن

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٠٨)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٠٥).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٩٧).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٠٥).

يمسها ففارقها فأراد رفاعة أن ينكحها وهو زوجها الأول الذى كان طلقها، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فنهاه أن يتزوجها وقال: «لا تحلّ لك حتى تذوق العسيلة»[١].

* ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا ﴾:

❋ **المعنى:** إن طلقها الزوج الثانى بعدما جامعها جماعًا صحيحًا فى الفرج ـ أى القبل ـ فلا جناح على الزوج الأول، والمرأة أن يتراجعا ـ أى: بنكاح جديد، وهذا لا خلاف فيه.

• **مهمة:**

قال القرطبى: قال ابن المنذر: أجمع أهل العلم على أن الحرّ إذا طلق زوجته ثلاثًا، ثم انقضت عدّتها، ونكحت زوجًا آخر ودخل بها ثم فارقها، وانقضت عدّتها، ثم نكحت زوجها الأول أنها تكون عنده على ثلاث تطليقات.. اهـ[٢].

* ﴿ إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾:

❋ **المعنى:** هذا شرط، أى: إن ظن الطرفان: الزوج الأول، والمرأة أن يقيما حدود الله أى: يكون بينهما الصلاح وحسن الصحبة والعيشة الكريمة، وبشرط ألا يكون هذا النكاح لمجرد التحليل.

* ومما يدل على ذلك الخبر التالى:

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): معناه: إن علما أن نكاحهما على غير دلسة ـ أى التحليل ـ[٣].

* واعلم أخى المسلم أن النبى ﷺ لعن المحلّل والمحلَّل له:

فعن أبى واصل عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «لعن الله المحلّل والمحلَّل له»[٤].

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٠٥).

(٢) انظر تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٤٩٦).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٠٨)، وتفسير البغوى (١/ ٢٠٩).

(٤) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٠٩).

* وقال البغوى قال نافع: أتى رجل ابن عمر - رضى الله عنهما - فقال له: إن رجلا طلق امرأته ثلاثًا، فانطلق أخ له من غير مؤامرة، فتزوجها ليحلّها للأوّل فقال: «لا» إلا نكاح رغبة، كنا نعدّ هذا سفاحًا على عهد رسول الله ﷺ، وقال رسول الله ﷺ: «لعن الله المحلّل والمحلّل له» اهـ[١].

* ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾:

أى: يعلمون ما أمرهم الله به فينفذونه، ويعملون به بإخلاص وبجد واجتهاد ما استطاعوا لذلك سبيلا.

وصدق الله إذ قال: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) ﴾ [التوبة: ١٠٥].

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١) ﴾

۞ سبب نزول هذه الآية:

* أولا: أخرج ابن جرير، وابن المنذر عن إسماعيل بن عبد الرحمن السّدّى (ت ١٢٧هـ) قال: نزلت هذه الآية فى رجل من الأنصار يدعى ثابت بن يسار طلّق امرأته، حتى إذا انقضت عدّتها إلا يومين أو ثلاثة راجعها، ثم طلقها، ففعل ذلك بها حتى مضت لها تسعة أشهر يضارّها، فأنزل الله: ﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ﴾ اهـ[٢].

* ثانيًا: أخرج ابن أبى عمر فى مسنده، وابن مردويه عن أبى الدرداء عُوَيْمر بن زيد الأنصارى الصحابى (ت ٣٢هـ - رضى الله عنه) قال: كان الرجل يطلق ثم يقول لعبت، ويعتق ثم يقول: لعبت، فأنزل الله ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «من طلّق أو أعتق فقال: لعبت فليس قوله بشىء، يقع عليه ويلزمه» اهـ[٣].

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٠٩).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٠٨).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٠٩).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾:

أى: أشرفن على أن تبين بانقضاء العدّة، ولم يرد الله ـ تعالى ـ انقضاء العدّة، لأن العدّة إذا انقضت لم يكن للزوج شرعًا إمساكها، إذًا فالبلوغ هنا بلوغ مقاربة.

* وقال القرطبى: معنى (بلغن): قاربن، بإجماع من العلماء، ولأن المعنى يضطر إلى ذلك، لأنه بعد بلوغ الأجل لا خيار له فى الإمساك. اهـ[1].

* ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾:

الإمساك بمعروف: هو القيام بما يجب لها من حقّ على زوجها.

ولن يكون ذلك إلا بعد مراجعتها، ويُشْهِد على رجعتها، وأن تكون المراجعة بالقول لا بالوطء.

* ﴿ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾:

أى: اتركوهن حتى تنقضى عدّتهم، فيكنّ أملك لأنفسهنّ.

* ﴿ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ﴾:

أى: لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل المدّة على المرأة.

* ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾:

أى: أضرّ بنفسه لمخالفته أمر الله ـ تعالى ـ، وحينئذ سيعرّض نفسه لغضب الله ـ تعالى ـ وعقابه.

وصدق الله إذْ قال: ﴿ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

* ﴿ وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ﴾:

✻ **المعنى:** لا تخالفوا أوامر الله ـ تعالى ـ وشرعه، لأن كل من خالف أمر الشرع فهو متخذ آيات الله هزوا.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ١٠٢).

واعلم أخي المسلم أن أحكام الشرع كلها جدٌّ، ومَنْ هزل فيها لزمته، يدلّ على ذلك الأخبار التالية:

* أولا: أخرج ابن ماجه، وابن جرير، والبيهقي عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بال أقوام يلعبون بحدود الله يقول: قد طلقتك، قد راجعتك، قد طلقتك، قد راجعتك، قد طلقتك، قد راجعتك، ليس هذا طلاق المسلمين، طلقوا المرأة في قبل عدّتها» اهـ[١].

* ثانيًا: أخرج أبو داود، والترمذي وحسَّنه، وابن ماجه، والحاكم وصححه، والبيهقي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث جدّهن جدّ، وهزلهنّ جدّ: النكاح، والطلاق، والرجعة» اهـ[٢].

* ثالثًا: أخرج البخاري في تاريخه، والبيهقي عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: أربع مقفلات: النذر، والطلاق، والعتق، والنكاح[٣].

* رابعًا: أخرج عبد الرزاق عن أبي ذر (ت ٣٢هـ ـ رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من طلّق وهو لاعب فطلاقه جائز، ومن أعتق وهو لاعب فعتقه جائز، ومن أنكح وهو لاعب فنكاحه جائز» اهـ[٤].

• تنبيـه:

اعلم أخي المسلم أن من طلق امرأته أكثر من ثلاث، فهو من الذين يتخذون آيات الله هزوا، لأن الله ـ تعالى ـ حدّد الطلاق بثلاث فقط.

فمن فعل ذلك بانت منه امرأته بينونة كبرى بثلاث، وما زاد على ذلك فهو معصية.

يدل على ذلك الأخبار التالية:

* أولا: أخرج عبد الرزاق عن داود بن عبادة بن الصامت قال: طلق جدّي امرأته ألف تطليقة فانطلق أبي إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «ما اتقى الله، أمّا ثلاث فله، وأمّا تسعمائة وسبعة وتسعون فعدوان وظلم، إن شاء عذّبه، وإن شاء غفر له» اهـ[٥].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٥٠٩).

(٤ ـ ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٥١٠).

* ثانيًا: أخـرج عـبـد الـرزاق، والبيهقى عـن ابـن مسـعـود (ت ٣٢هـ ـ رضـى الله عنـه): أن رجـلا قـال له: إنى طلقت امـرأتى مـائة، قـال: بانت منك بثـلاث، وفى سائرهن معصية، وفى لفظ: عدوان[1].

* ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ أى: بالإيمان.

* ﴿ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ أى: القرآن.

* ﴿ وَالْحِكْمَةِ ﴾ أى: السنة المطهرة.

* ﴿ يَعِظُكُم بِهِ ﴾ أى: بكل من القرآن، وسنة النبى ﷺ.

* ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾:

فالله ـ سبـحانه وتعالى ـ لا تخفى علـيه خافية فى الأرض ولا فى السـماء، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

وصدق الله إذ قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ (٥) ﴾ [آل عمران: ٥]

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٢٣٢) ﴾

۞ سبب نزول هذه الآية:

* أخرج وكـيع، والبخارى، وعـبد بن حمـيد، وأبو داود، والترمـذى، والنسائى، وابن مـاجــه، وابن جـرير، وابن المنذر، وابـن أبى حـاتم، وابن مـردويـه، والحـاكم والبيهـقى من طريق معقل بن يسار قـال: كانت لى أخت فأتانى ابن عمّ لى فأنكحـتها إيّاه، فكانت عنـده ما كانت ثـم طلقها تطليقة لم يراجعها حتى انقضت العدّة، فهويها وهويته، ثم خطبها مع الخطاب، فقلت له: يا لكع أكرمتك بها، وزوجتكها فطلقتها ثم جـئـت تخطبـهـا، والله لا ترجـع إليك أبـدًا، وكـان رجـلا لا بأس به، وكـانت المـرأة تريد أن ترجع إليه، فـعلم الله حاجته إليـها، وحاجـتها إلى بعلها، فـأنزل الله ـ تعالى ـ:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥١٠).

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾ قال: ففىّ نزلت هذه الآية، فكفّرت عن يمينى وأنكحتها إيّاه.

وفى لفظ: فلما سمعها معقل قال: سمعًا لربى وطاعة، ثم دعاه فقال: أزوجك وأكرمك. اهـ(١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾:

أى: انقضت عدّتهن، وبلوغ الأجل فى هذا الموضع تناهيه.

* ﴿ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾:

الخطاب لولى أمر المرأة أى: لا تمنعوهنّ عن النكاح، إن العضل معناه: المنع، وأصله الضيق والشدّة، يقال: عضلت المرأة: إذا نشب ولدها فى بطنها فضاق عليه الخروج.

* قال القرطبى، والبغوى: فى الآية دليل على أن المرأة لا يجوز لها أن تلى عقد النكاح، بل لا بدّ من وليها، لأن أخت معقل بن يسار كانت ثيّبًا، ولو كان الأمر إليها دون وليها لزوجت نفسها ولم تحتج إلى وليها معقل، ولو كانت تملك ذلك ما كان هناك عَضْل(٢).

* ﴿ إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾:

أى: بعقد حلال، ومهر ترضى به المرأة، ولا يكون مبالغًا فيه بحيث يكون فيه ضرر على الرجل. وبحيث يتم التراضى بين الرجل والمرأة على حسن المعاشرة.

* ﴿ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾:

أى: الذى ذكر من النهى عن العَضْل، يعمل به كل مؤمن بالله ـ تعالى ـ وباليوم الآخر.

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٨٢، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص٤٠، وتفسير القرطبى (٣/ ١٠٤)، وتفسير البغوى (١/ ٢١٠)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥١٠ ـ ٥١١).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ١٠٥)، وتفسير البغوى (١/ ٢١١).

إذ المؤمن يسارع دائمـاً إلى ترك ما نهى الله عنه. والعمل بما أمر الله به ما استطاع لذلك سبيلا.

ففى الحديث الصحيح عن النبى ﷺ قال: «مـا نهيتكم عنه فدعوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعم».

* ﴿ ذَلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾ أى: الذى ذكـر خـيـر لكم وأطهـر لقلوبكم من الريبة والشك.

* ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ أى: يعلم من حبّ كل واحد منهما لصاحبه ما لا تعلمونه أنتم، لأنه عليم بذات الصدور.

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾:

* ﴿ وَالْوَالِدَاتُ ﴾ أى: المطلقات اللاتى لهنّ أولاد من أزواجهنّ.

* ﴿ يُرْضِعْنَ ﴾: خبـر بمعنـى الأمر، و ﴿ يُرْضِعْنَ ﴾ فعل مـضارع ونون النـسوة فاعل، وهذه الجملة خبرية لفظًا إنشائية معنى.

وفعل الأمر هذا للاستحباب لا للإيجاب، إلا أنه إذا رغبت الأم فى إرضاع ولدها فهى أولى به من غيرها.

* ﴿ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ أى: سنتين كـاملتين أربعة وعـشرين شهراً، وذكـر الكمال للتأكيد، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٦].

* ﴿ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾:

المراد: لمن أراد أن يكمل مدّة الرضاعة وهى سنتان.

* قال القرطبى: وهذا دليل على أن إرضاع الحولين ليس حتمًا، فإنه يجوز الفطام قبل الحولين. إلى أن قال: والزيادة على الحولين أو النقصان إنما يكون عند عدم الإضرار بالمولود، وعند رضا الوالدين.. اهـ[(١)].

* ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ ﴾: وهو الأب.

* ﴿ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾:

✳ **المعنى:** على الأب إطعام الأم، وكسوتها، على قدر الميسرة كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ أى: طاقتها.

وصدق الله إذ قال: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧) ﴾ [الطلاق: ٧].

* ﴿ لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا ﴾:

✳ **المعنى:** لا تضارَّ والدة بولدها فينزع ولدها منها بعد أن رضيت بإرضاعه، ويُعْطى إلى غيرها.

* ﴿ وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ﴾:

✳ **المعنى:** ولا يضارَّ الوالد بولده، أى لا تعطى الأم الولد إلى أبيه بعدما ألفها، بقصد مضارّة الأب.

* ﴿ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ﴾:

اختلف العلماء فى المراد من الوارث على قولين:

* الأول: قال جماعة: هو وارث الصبى الذى لو مات الصبى وكان له شىء يورث ورثه شرعًا.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ١٠٧).

قالوا: إذا لم يكن للصبي مال يُنفقُ منه أُجْبِرت عصبتُه الذين يرثونه أن يسترضعوه، أي يتحملوا مصاريف إرضاعه.

* الثاني: وذهب جماعة إلى أن المراد بالوارث: هو الصبي نفسه الذي هو وارث والده المتوفّى:

بمعنى: تكون أجرة رضاعه، ونفقته من ماله.

* ﴿ فَإِنْ أَرَادَا ﴾ أي: الوالدان.

* ﴿ فِصَالاً ﴾ أي: فطامًا قبل الحولين.

* ﴿ عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا ﴾ أي: اتفاق من الوالدين.

* ﴿ وَتَشَاوُرٍ ﴾ أي: يشاوروا أهل العلم، وذوي الخبرة في ذلك، فإن توصلوا إلى أن الفطام قبل الحولين لا يضر بالمولود، فلا مانع من فطامه.

* ﴿ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ أي: لا حرج على الوالدين في فطام المولود قبل الحولين.

* ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾:

الخطاب هنا للآباء، وحينئذ يكون المعنى:

إن أردتم أيها الآباء أن تسترضعوا لأولادكم مراضع غير أمهاتهم: إذا أبت أمهاتهم إرضاعهم، لسبب من الأسباب مثل: انقطاع اللبن، أو أردن النكاح فلا جناح عليكم أي: لا إثم عليكم في ذلك.

* ﴿ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾:

* **المعنى:** لا جناح عليكم إذا أعطيتم أمهاتهم ما سبق أن اتفقتم عليه من أجرة الرضاع بقدر ما أرضعن.

وقيل: لا جناح عليكم إذا أعطيتم أجور المراضع لهن حسبما يتم الاتفاق بينكما، على أن يكون ذلك وفقًا للعرف فلا ظلم ولا غبن لأحد الطرفين، لأن الحق أحق أن يتبع.

* ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾:

فيحاسب كلا بعمله إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشر.

وصدق الله إذ قال: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨].

القراءات وتوجيهها:

﴿ أَوْلادَهُنَّ ﴾، ﴿ رِزْقُهُنَّ ﴾، ﴿ وَكِسْوَتُهُنَّ ﴾ [رقم: ٢٣٣]

وقف يعقوب على الجميع بهاء السكت بخلف عنه[١].

* و﴿ لا تُضَارَّ ﴾ [رقم: ٢٣٣]

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب ﴿ لا تضارُّ ﴾ برفع الراء مشدّدة، على أنه فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم، و ﴿ لا ﴾ معناها النهى للمشاكلة.

وقرأ أبو جعفر بخلف عنه بسكون الراء مخففة، على أنه مضارع من «ضار يضير» والسكون إجراء للوصل مجرى الوقف و «لا» ناهية والفعل مجزوم بها.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بفتح الراء مشدّدة، وهو الوجه الثانى لأبى جعفر، على أن «لا» ناهية، والفعل مجزوم بها، ثم تحركت الراء الأخيرة تخلصًا من التقاء الساكنين على غير قياس، لأن الأصل فى التخلص من الساكنين أن يكون للحرف الأول، وكانت فتحة لخفتها[٢].

* ﴿ فِصَالاً ﴾ [رقم: ٢٣٣]

قرأ الأزرق عن ورش بترقيق اللام وتغليظها، للفصل بالألف، وقرأ الباقون بالترقيق[٣].

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٩٤).

(٢) انظر: النشر لابن الجزرى بتحقيقنا (٢/ ٤٣١)، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ٢٥١)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٩٤)، وإتحاف فضلاء البشر ص ١٥٨.

(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٩٤).

* ﴿ عَلَيْهِمَا ﴾ [رقم: ٢٣٣]

قرأ يعقوب بضم الهاء، والباقون بكسرها[١].

* ﴿ مَّا آتَيْتُم ﴾ [رقم: ٢٣٣]

قرأ ابن كثير ﴿ أتيتم ﴾ بقصر الهمزة، بمعنى جئتم وفعلتم.

وقرأ الباقون ﴿ آتيتم ﴾ بمد الهمزة، بمعنى أعطيتم[٢].

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤) ﴾

•• الناسخ والمنسوخ:[٣]

من أنواع النسخ فى القرآن الكريم:

نسخ الحكم وبقاء التلاوة مثال ذلك هذه الآية التى نحن بصدد الحديث عنها رقم: ٢٣٤.

فقد نسخت الحكم المستفاد من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ [البقرة: ٢٤٠].

فهذه الآية تفيد أن عدّة المتوفى عنها زوجها: «حول كامل» إذا لم تكن حاملا فعدتها بوضع الحمل لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ٤]، فالآية رقم: ٢٣٤، نسخت حكم الآية رقم ٢٤٠، فبعد أن كان عدّة المتوفى عنها زوجها إذا لم تكن حاملا «حولا كاملا» نسخ ذلك الحكم وأصبحت عدّتها أربعة أشهر وعشرة أيام[٤].

ولعل الحكمة من ذلك إيراد التخفيف والتيسير، قال ـ تعالى ـ: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾ [النساء: ٢٨].

(١ ـ ٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٩٤).

(٣) سبق الكلام على تعريف النسخ وبعض الأمور المتصلة به أثناء تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ ﴾ [رقم: ١٠٦].

(٤) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ١١٥)، وفتح الملك المنان فى علوم القرآن للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن.

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾:

❋ **المعنى:** والذين يموتون منكم ويذرون أي: ويتركون زوجات، فعلى الزوجة أن تعتدّ بترك الزينة، والطيب، والتنقل من مكان إلى مكان أربعة أشهر وعشرة أيام، إلا أن يكنّ حوامل فعدتهن بوضع الحمل.

والدليل على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ٤].

* ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾:

الخطاب لأولياء المرأة المتوفى عنها زوجها.

❋ **المعنى:** لا جناح عليكم أيها الأولياء إذا أتمت المرأة عدّتها، من التزين، والطيب، ولبس فاخر الثياب، بشرط أن يكون كل ذلك متمشيًا مع تعاليم الإسلام.

وصدق الله إذ قال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وإذ قال: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١].

* ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾:

وصدق الله إذ قال: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦١) ﴾ [يونس: ٦١].

﴿ وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُوا قَوْلاً مَّعْرُوفًا وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٣٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ أى: لا إثم عليكم إذْ الجناح معناه: الإثم.

والخطاب فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ لجميع الناس.

* ﴿ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ ﴾:

«التعريض»: ضدّ التصريح، وهو إفهام المعنى بالشىء المحتمل له ولغيره.

وهو من «عُرْض الشىء»: وهو جانبه، كأنه يحوم به على الشىء ولا يظهره.

والخطبة: بكسر الخاء فعل الخاطب من كلام، وقَصْد، واستلطاف بالقول.

يقالَ: خطبها يخطُبها خَطْبًا، وخطْبة.

والمراد بـ ﴿ النِّسَاءِ ﴾: النساء المعتدات.

والتعريض بالخطبة مباح شرعًا فى العدّة، وهو أن يقول الخاطب للمرأة التى فى العدّة: ربّ راغب فيك، إنك لجميلة، من يجد مثلك يكون سعيدًا، وإنك لصالحة، وإنّى فيك لراغب، وإنّ غرضى أن أتزوج بك، أسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى الحلال، لإن تزوجتك لأحسن إليك ونحو ذلك من الكلام.

* ﴿ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ ﴾:

﴿ أَكْنَنتُمْ ﴾ معناه: سترتم، وأضمرتم فى أنفسكم من التزوّج بها بعد انقضاء عدتها. والإكنان: أصله الستر والإخفاء. يقال: كننته، وأكننته بمعنى واحد.

وقال ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى الكوفى (ت ٢٩١هـ) أكننت الشىء أى: أخفيته فى نفسى، وكننته: سترته.

* ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ ﴾:

أى: بقلوبكم سرًا، أو إعلانًا بألسنتكم، بشرط أن يكون ذلك تعريضًا لا تصريحًا.

* ﴿ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ أى: نكاحًا مشروعًا.

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ قال: لا يقول لها: إنى عاشق وعاهدينى أن لا تتزوجى غيرى ونحو هذا[١].

* ﴿ إِلاَّ أَن تَقُولُوا قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾: هذا استثناء منقطع بمعنى لكن، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا ﴾ [النساء: ٩٢] أى: لكن خطأ.

والقول المعروف: هو ما أبيح من التعريض بالخطبة، وتقدّمت أمثلة ذلك.

* ﴿ وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾:

المعنى: لا تحققوا العزم على عقد النكاح فى العدّة حتى يبلغ الكتاب أجله، أى حتى تنقضى عدتها.

وسماها الله ـ تعالى ـ كتابًا، لأنها فرض من الله، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، أى: فرض عليكم الصيام.

* ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾:

أى: خافوه، وهذا نهاية التحذير من الوقوع فيما نهى عنه.

* ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾: لا يعجّل بالعقوبة.

﴿ لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

قال الإمام البغوى (ت ٥١٦هـ ـ رحمه الله تعالى): نزلت هذه الآية فى رجل من الأنصار، تزوج امرأة من بنى حنيفة، ولم يُسَمِّ لها مهرًا، ثم طلقها قبل أن يمسّها فنزلت هذه الآية، فقال له رسول الله ﷺ: «متّعها ولو بقلنسوة» اهـ[٢].

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥١٨).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢١٧).

❀ معانى المفردات:

* ﴿لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾:
الخطاب فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ لجميع المسلمين.

❋ المعنى: هذا إخبار من الله ـ تعالى ـ برفع الجناح وهو الإثم عن المطلّق قبل الدخول بالمرأة سواء فرض لها مهرًا أو لم يفرض كما سيأتى فى الآية التالية رقم: ٢٣٧.

ومعنى ﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ أى: ما لم تجامعوهن، والفعل مسند إلى الرجال، لأن الغشيان يكون عادة من فعل الرجل، ودليل ذلك قوله ـ تعالى ـ على لسان مريم أمّ نبىّ الله «عيسى» ـ عليه السلام ـ: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [مريم: ٢٠].

* ومعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ أى: ولم توجبوا لهن مهرًا.

* ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أى: أعطوهنّ مِنْ مالكم ما يتمتعن به.

* وقد اختلف العلماء فى فعل الأمر هذا: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ هل هو للوجوب، أو الندب؟

* أولا: ذهب جماعة إلى أنه للوجوب، وممن قال بذلك:

١ ـ علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه).
٢ ـ عبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما).
٣ ـ سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ ـ رحمه الله تعالى).
٤ ـ الزهرى محمد بن مسلم (ت ١٢٤هـ ـ رحمه الله).
٥ ـ قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ ـ رحمه الله).
٦ ـ الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ ـ رحمه الله).

* ثانيًا: ذهب جماعة إلى أنه للندب، وممن قال بذلك:

١ ـ الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ ـ رحمه الله).
٢ ـ أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ ـ رحمه الله).

٣ ـ القاضي شريح بن يزيد الحمصي (ت ٢٠٣هـ ـ رحمه الله)[1].

* قال القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ ـ رحمه الله): القول الأول أولَى لأن عمومات الأمر بالإمْتاع، وإضافة الإمتاع إليهن بلام التمليك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (٢٤١) ﴾ [البقرة: ٢٤١] أظهر في الوجوب منه في الندب.. اهـ[2].

* ﴿ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ ﴾:

* ﴿ الْمُوسِعِ ﴾: الغني. * ﴿ الْمُقْتِرِ ﴾: الفقير.

* يفسّر ذلك ويوضحه قوله ـ تعالى ـ في سورة الطلاق: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧) ﴾ [الطلاق: ٧].

* ﴿ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾:

* ﴿ مَتَاعًا ﴾ نصب على المصدر، أي: متعوهن متاعًا.

* ﴿ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ أي: بما أمركم الله به من غير ظلم، وبما عرف في الشرع من عدم الإسراف، أو التقتير.

قال ـ تعالى ـ في وصف عباد الرحمن:

* ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) ﴾ [الفرقان: ٦٧]

• خلاصة مهمة ومفيدة في متعة المرأة المطلقة قبل الدخول بها:

أولا: إذا لم يُسمِّ لها الزوج مهرًا، تكون متعتها حسبما بينته الآية التي تم تفسيرها رقم ٢٣٦.

ثانيًا: إذا كان الزوج قد سمّى لها المهر فلا متعة لها وإنما يكون لها نصف المهر الذي تم الاتفاق عليه حسبما سيأتي في الآية التالية رقم: ٢٣٧. والله أعلم.

(١ ـ ٢) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ١٣٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ [رقم: ٢٣٦]

* ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [رقم: ٢٣٧]

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزار ﴿ تماسوهن﴾ فى الموضعين بضم التاء، وإثبات ألف بعد الميم، مع المدّ المشبع ستّ حركات.

وهو من المفاعلة التى تكون بين اثنين، لأن كل واحد من الزوجين يمسّ الآخر أثناء الجماع.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ تمسّوهن﴾ فى الموضعين بفتح التاء من غير ألف ولا مدّ، على أن «المسّ» من الرجال، ومعناه: الجماع على القراءتين[1].

* ﴿قَدَرُهُ﴾ معًا [رقم: ٢٣٦]

قرأ ابن ذكوان، وحفص، وحمزة، والكسائى، وأبو جعفر، وخلف البزّار ﴿ قدَره﴾ معًا بفتح الدال.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بإسكان الدال فيهما، والفتح والإسكان لهجتان بمعنى واحد وهو: الطاقة والقدرة[2].

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧)﴾

•• الناسخ والمنسوخ:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، والنحّاس فى ناسخه عن سعيد بن المسيّب (ت ٩٤هـ) قال: نسخت هذه الآية [رقم: ٢٣٧ البقرة] الآية التى فى الأحزاب: وهى

(١) انظر: النشر لابن الجزرى بتحقيقنا (٢/ ٤٣٢)، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ٢٥٦)، والمستنير فى تخريج القراءات (١/ ٤٧)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٧)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٢٩٧).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٩٥)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٥٩، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ٢٥٣).

قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً (٤٩) ﴾ [الأحزاب: ٤٩] لأن الآية التى فى الأحزاب تضمنت تمتيع المرأة التى لم يتم الدخول بها.

فلما نزلت الآية التى فى البقرة جعل الله لها النصف من صداقها، ولا متعة لها، فآية سورة البقرة نسخت حكم الآية التى فى سورة الأحزاب وبقى لفظها أى تلاوتها[1].

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾:

✳ **المعنى:** إذا طلق الرجل المرأة قبل أن يدخل بها: سواء كانت بكرًا، أو ثيبًا، وقد فرض لها المهر، فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أخبر بأنها حينئذ يكون لها نصف الصداق، ولا متعة لها.

* ﴿ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ ﴾ أى: النساء المطلقات قبل الدخول بهن.. أى: إلا أن تترك المرأة نصف مهرها، وحينئذ يعود جميع الصداق إلى الزوج، وفى هذا المعنى أذكر الخبر التالى:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم والبيهقى فى سننه عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ﴾ الآية. قال: هو الرجل يتزوج المرأة وقد سمّى لها صداقًا ثم يطلقها من قبل أن يمسها ـ والمسّ الجماع ـ فلها نصف صداقها، وليس لها أكثر من ذلك.

﴿ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ ﴾ وهى: المرأة الثيب، والبكر، يزوّجها غير أبيها، فجعل الله العفو لهنّ: إن شئن عفون بتركهنّ، وإن شئن أخذن نصف الصداق. اهـ[2].

* ﴿ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾:

اختلف العلماء فى ذلك على قولين:

---

(١) انظر فى ذلك بدون التفاصيل التى ذكرتها: تفسير القرطبى (٣/ ١٣٤)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٢٠).

(٢) انظر: تفسير الدرّ المنثور للسيوطى (١/ ٥٢٠).

* أولا: ذهب بعضهم إلى أن الذى بيده عقدة النكاح: الزوج، وممن قال بذلك كل من:

١ ـ علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه).

٢ ـ سعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ).

٣ ـ سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ).

٤ ـ الشعبى عامر بن شراحيل (ت ١٠٥هـ).

٥ ـ مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ).

٦ ـ قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ).

ومن أدلتهم على ذلك الخبران التاليان:

١ ـ أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم، والطبرانى فى الأوسط والبيهقى بسند حسن عن ابن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ قال: «الذى بيده عقدة النكاح: الزوج»[١].

٢ ـ روى الدارقطنىّ مرفوعًا من حديث قتيبة بن سعيد قال: حدثنا ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه قال: قال رسول الله ﷺ: «ولىّ عقدة النكاح: الزوج»[٢].

* ثانيًا: وذهب بعضهم إلى أنّ الذى بيده عقدة النكاح: الولىّ، وممن قال بذلك كل من:

١ ـ عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما).

٢ ـ علقمة بن قيس النخَعىّ (ت ٦٢هـ ـ رضى الله عنه).

٣ ـ عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ).

٤ ـ الحسن البصرى (ت ١١٠هـ).

٥ ـ الزهرى محمد بن مسلم بن عبد الله (ت ١٢٤هـ).

(١) انظر: تفسير الدرّ المنثور للسيوطى (١/ ٥٢١).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ١٣٦).

* ومن أدلتهم على ذلك الخبران التاليان:

١ - أخرج ابن جرير عن ابن عباس - رضى الله عنهما - فى قوله - تعالى -: ﴿أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ قال: هو الولى"[١].

٢ - وأخرج ابن أبى شيبة عن عطاء، والحسن، وعلقمة، والزهرى فى قوله - تعالى -: ﴿الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ قالوا: هو الولى"[٢].

* ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾: أنْ وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مبتدأ، وما بعده خبر، والتقدير: العفو أقرب للتقوى. وهو خطاب للرجال، والنساء ليتسابقوا فى العفو إذْ فيه رضا الله - تعالى - لأنه من الأدلة على تقوى الله - تعالى -، وعفو الرجال: هو التنازل عن جميع الصداق للمرأة، وعفو المرأة هو التنازل عن شطرها للرجل.

ومما يدل على ذلك الخبران التاليان:

* أولا: أخرج عبد الرزاق عن سعيد بن المسيب قال: عفو الزوج: إتمام الصداق، وعفوها: أن تضع شطرها[٣].

* ثانيًا: أخرج ابن أبى حاتم عن مقاتل بن حيّان قال: يعنى بذلك الزوج والمرأة جميعًا، أمرهما أن يتسابقا فى العفو وفيه الفضل[٤].

* ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾:

قال مجاهد بن جبر المكى المفسّر (ت ١٠٤هـ): ﴿الْفَضْلَ﴾: إتمام الرجل الصداق كله، أو ترك المرأة النصف الذى لها[٥].

* ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: هذا خبر فى ضمنه الوعد للمحسنين بالثواب الجزيل، والحرمان من فضل الله - تعالى - لغير المحسنين، أى: لا يخفى عليه - عزّ وجلّ - عفوكم وإحسانكم.

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٢١).

(٥) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ١٣٧).

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ ﴾: هذا خطاب جميع أمّة نبينا محمد ﷺ ذكورًا، وإناثًا بشرط البلوغ، والعقل.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ حَافِظُوا ﴾ فعل أمر، وهو للوجوب بالإجماع، والصلاة هى الركن الثانى من أركان الإسلام بعد الشهادتين. والآية أمر بالمحافظة على الصلوات الخمس فى أوقاتها بجميع شروطها، وإتمام أركانها.

ثم خصّ الله ـ تعالى ـ الصلاة الوسطى بالذكر وبالمحافظة عليها للدلالة على فضلها، وتشريفًا لها، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب: ٧].

وكما قال ـ تعالى ـ: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ (٩٨) ﴾ [البقرة: ٩٨].

* ومن يقرأ السنة المطهرة يجد الكثير من الأحاديث الصحيحة التى تبين فضل الصلاة أقتبس منها الحديث التالى:

* أخرج البخارى، ومسلم، والنسائى عن أبى أيوب قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: دلّنى على عمل أعمله يدنينى من الجنة ويباعدنى من النار، قال: «تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصل ذا رحمك» فلما أدبر قال رسول الله ﷺ: «إن تمسّك بما أمر به دخل الجنة»[١].

* ونظرًا لأهمية الصلاة فى الشريعة الإسلامية فإن صحابة رسول الله ﷺ كانوا لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفرًا غير الصلاة.

والأحاديث الصحيحة الواردة عن النبى ﷺ تؤكد ذلك، ولأهمية هذا الحكم أقتبس الحديثين التاليين:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٢٤).

* أولا: أخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة» اهـ[١].

* ثانيًا: أخرج ابن ماجه، ومحمد بن نصر المروزي، والطبراني في الأوسط عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: «ليس بين العبد والشرك إلا ترك الصلاة، فإذا تركها متعمداً فقد أشرك» اهـ[٢].

* قال القرطبي في تفسيره: اختلف الناس في تعيين الصلاة الوسطى على عشرة أقوال[٣]. إلا أنني سأكتفي هنا بذكر ثلاثة أقوال فقط لأنها هي أهمها وأرجحها فأقول وبالله التوفيق:

* القول الأول: إنها صلاة العصر: لأن بعدها صلاتيْ ليل يجهر فيهما. وقبلها صلاتَيْ نهار يسرّ فيهما.

* ومن قال بذلك كل من:

١ـ عليّ بن أبي طالب (ت ٤٠هـ ـ رضي الله عنه).

٢ـ عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضي الله عنه).

٣ـ أبي هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضي الله عنه).

٤ـ أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

٥ـ عبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضي الله عنهما).

٦ـ «عائشة أم المؤمنين» (ت ٥٨هـ ـ رضي الله عنها).

٧ـ الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ).

٨ـ الإمام أبي حنيفة (ت ١٥٠هـ) وأصحابه.

٩ـ قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨هـ).

١٠ـ الحسن البصري (ت ١١٠هـ).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٥٢٩).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٥٣٠).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ١٣٨).

* ومن أدلة أصحاب هذا القول الخبران التاليان:

* أولا: أخرج ابن أبى شيبة، والترمذى، وابن حبّان من طرق، عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الصلاة الوسطى: صلاة العصر» اهـ[١].

* ثانيًا: أخرج الدمياطى فى كتاب الصلاة الوسطى من طريق الحسن البصرى عن علىّ بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ، عن النبى ﷺ قال: «الصلاة الوسطى صلاة العصر»[٢].

* القول الثانى: إنها صلاة الصبح:

لأن قبلها صلاتَىْ ليل يجهر فيهما. وبعدها صلاتَىْ نهار يسرّ فيهما.

* وممن قال بذلك كل من:

١ ـ عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه).

٢ ـ عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما).

٣ ـ معاذ بن جبل (ت ١٧هـ ـ رضى الله عنه).

٤ ـ جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنه).

٥ ـ عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ ـ رحمه الله).

٦ ـ عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ ـ رحمه الله).

٧ ـ مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ ـ رحمه الله).

٨ ـ وإليه مال الإمام مالك (ت ١٧٩هـ ـ رحمه الله).

٩ ـ وهو قول للإمام الشافعى (ت ٢٠٤هـ ـ رحمه الله).

* ومن أدلة أصحاب هذا القول ما يأتى:

* أولا قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾: ولا صلاة مكتوبة فيها قنوت إلا الصبح.

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٣٩).

* ثانيًا: قال أبو رجاء: صلّى بنا ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ صلاة الغداة بالبصرة ـ أى الصبح ـ فقنت فيها قبل الركوع ورفع يديه، فلما فرغ قال: هذه الصلاة الوسطى التى أمرنا الله ـ تعالى ـ أن نقوم فيها قانتين.. اهـ[(١)].

* ثالثًا: قال أنس: قنت النبى ﷺ فى صلاح الصبح بعد الركوع[(٢)].

* القول الثالث: إنها صلاة الظهر: لأنها وسط النهار، على القول بأن النهار أوله من طلوع الفجر، والليل أوله من غروب الشمس.

* وممّن قال بذلك كل من:

١ ـ زيد بن ثابت (ت ٤٥ هـ ـ رضى الله عنه).

٢ ـ أسامة بن زيد ـ رضى الله عنه ـ.

٣ ـ أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ.

* ومن أدلة أصحاب هذا القول الخبران التاليان:

* أولا: أخرج ابن جرير فى تهذيبه من طريق عبد الرحمن بن أبان عن أبيه، عن زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ يرفعه قال: الصلاة الوسطى صلاة الظهر[(٣)].

* ثانيًا: أخرج ابن جرير عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال: صلاة الظهر هى الصلاة الوسطى[(٤)].

* ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾:

* قال القرطبى، والبغوى: اختلف العلماء فى معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ على عدّة أقوال، سأذكر أرجحها فأقول وبالله التوفيق:

* القول الأولَ: معنى ﴿ قَانِتِينَ ﴾: داعين.

ومن الأدلة على هذا القول الخبران التاليان:

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ١٣٩).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٣٦).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٣٧).

* الأول: أخرج البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والبيهقي في سننه عن محمد بن سيرين قال: سئل أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: أقنت النبي ﷺ في الصبح؟ قال: نعم، قيل: أقنت قبل الركوع؟ قال: بعد الركوع يسيراً، قال: فلا أدري اليسير للقيام أو القنوت(١).

* والثاني: أخرج ابن أبي شيبة، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، والدارقطني، والبيهقي، عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ كان يقنت في الفجر، والمغرب(٢).

* القول الثاني: معنى قانتين: خاشعين.

ومن الأدلة على هذا القول الخبر التالي:

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): معنى ﴿قَانِتِينَ﴾: خاشعين، قال: ومن القنوت: طول الركوع، وغض البصر، وخفض الجناح(٣).

* القول الثالث: معنى ﴿قَانِتِينَ﴾: مطيعين.

ومن الأدلة على هذا القول الخبر التالي:

* قال عطاء بن أبي رباح، وسعيد بن جبير، والحسن البصري، وقتادة بن دعامة السدوسي: القنوت: الطاعة(٤).

* القول الرابع: معنى ﴿قَانِتِينَ﴾: ساكتين، أي: لا يتكلم المصلي بأي كلام أجنبي.

ومن الأدلة على هذا القول الخبر التالي:

* أخرج ابن جرير من طريق زرّ بن حُبَيْش (ت ٨٢هـ) عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا نتكلم في الصلاة فسلّمت على النبيّ ﷺ فلم يردّ عليّ، فلما انصرف ـ أي من الصلاة ـ قال: «قد أحدث الله أن لا تتكلموا في الصلاة» ونزلت هذه الآية: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ اهـ(٥).

(١ ـ ٢) تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٥٤٥).

(٣ ـ ٤) تفسير البغوي (١/ ٢٢١).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٥٤٣).

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (٢٣٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا ﴾:

* ﴿ خِفْتُمْ ﴾ من الخوف الذى هو الفزع.

* ﴿ فَرِجَالاً ﴾ أى: فصلوا رجالا، والرجال جمع راجل يقال: راجل ورجال مثل: صاحب وصحاب.

* ﴿ أَوْ رُكْبَانًا ﴾ معطوف على (رجالا) أى: صلوا ركبانًا على ظهور دوابكم.

✳ **المعنى:** إن لم يمكنكم أن تصلوا قانتين موفّين للصلاة حقها لخوف، فصلوا مشاة على أرجلكم أو ركبانًا على ظهور دوابكم وهذا فى حال المقاتلة يصلّى حيث كان وجهه مستقبل القبلة، أو غير مستقبل لها، ويومئ بالركوع والسجود، ويجعل السجود أخفض من الركوع.

* والقول الراجح أن تكون صلاة الخوف ركعتين.

ومن الأدلة على ذلك الخبر التالى:

* أخرج مالك، والشافعى، وعبد الرزاق، وابن جرير، والبيهقى من طريق نافع قال:

* كان ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ إذا سئل عن صلاة الخوف قال: يتقدّم الإمام وطائفة من الناس فيصلّى بهم الإمام ركعة، وتكون طائفة منهم بينهم وبين العدوّ لم يصلوا، فإذا صلّى الذين معه ركعة استأخروا مكان الذين لم يصلوا فيصلون معه ركعة، ثم ينصرف الإمام وقد صلّى ركعتين، فتقوم كل واحدة من الطائفتين فيصلون لأنفسهم ركعة بعد أن ينصرف الإمام، فيكون كل واحد من الطائفتين قد صلّى ركعتين.

وإن كان خوف هو أشدّ من ذلك صلوا رجالا أى قيامًا على أقدامهم، أو ركبانًا، مستقبلى القبلة، أو غير مستقبليها.

قال نافع: لا أرى ابن عمر ذكر ذلك إلا عن رسول الله ﷺ.. اهـ[١].

* ﴿ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾

* **المعنى:** فإذا أمنتم من عدوّكم فارجعوا إلى ما أمرتم به وصلّوا الصلوات الخمس تامّة بحقوقها، وشروطها، وأركانها، وآدابها وفقًا لما علمكم الله ـ تعالى ـ على لسان نبيه محمد ﷺ، وقد صحّ عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «صلّوا كما رأيتمونى أصلى».

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠) ﴾

•• الناسخ والمنسوخ:

سبق أن قلتُ: إن حكم هذه الآية رقم ٢٤٠ نسخه الحكم الذى تضمنته الآية رقم: ٢٣٤ البقرة، إذًا فلا داعى للتكرار، فما عليك أخى المسلم إلا بالرجوع إلى تفسير الآية رقم ٢٣٤.

فقد وفيت كل شىء بما فى ذلك تفسيرها.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَصِيَّةً ﴾ [رقم: ٢٤٠]

قرأ نافع، وابن كثير، وشعبة، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزار: ﴿ وصية ﴾ برفع التاء، أى: تلزمهم وصيةٌ.

وقرأ الباقون بالنصب، أى: يوصون وصية[٢].

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٤٧).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٢٥٧).

﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (٢٤١) كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢٤٢) ﴾

❋ **المعنى:** يوضحه الأخبار التالية:

* أخرج مالك، وعبد الرزاق، والشافعي، وعبد بن حميد، والنحاس في ناسخه، وابن المنذر، والبيهقي، عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضي الله عنهما) قال: لكل مطلقة متعة، إلا التي يطلقها ولم يدخل بها وقد فرض لها، كفى بالنصف متاعًا. اهـ[1].

* وأخرج ابن المنذر عن علي بن أبي طالب (ت ٤٠هـ ـ رضي الله عنه) قال: لكل مؤمنة طلقت حرّة، أو أمة متعة وقرأ ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾[2].

* وأخرج البيهقي عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) قال: طلق رجل امرأته عند شريح فقال له شريح: متّعها، فقالت المرأة: إنه ليس عليه متعة، إنما قال الله: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [رقم: ٢٤١]، وقال: ﴿ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦) ﴾ [رقم: ٢٣٦] وليس من أولئك[3].

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ (٢٤٣) ﴾

❋ **المعنى:** يوضحه الخبر التالي:

* أخرج وكيع، والفريابي، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم من طريق سعيد ابن جبير عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ ﴾ الآية قال: كانوا أربعة آلاف خرجوا فرارًا من الطاعون[4]، وقالوا: نأتي أرضًا ليس بها موت، حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا قال لهم الله: موتوا، فمرّ عليهم نبيّ من الأنبياء فدعا ربّه أن يحييهم حتى يعبدوه فأحياهم[5].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٥٥٠).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٥٥١).

(٤) قيل: كانوا في قرية يقال لها: داوردان قريب من واسط.

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٥٥١).

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٤٤) ﴾

هذا خطاب لأمة نبينا محمد ﷺ بالقتال فى سبيل الله، لتكون كلمة الله هى العليا، وسُبُل الله كثيرة فهى عامة فى كل سبيل.

* وقيل: الخطاب للذين أُحْيُوا من بنى إسرائيل.

﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥) ﴾

۞ سبب نزول هذه الآية:

* أولا: أخرج ابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن حبّان فى صحيحه، وابن مردويه، والبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن عمر (ت٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: لما نزلت: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) ﴾ [البقرة: ٢٦١] قال رسول الله ﷺ: «ربِّ زد أمتى»، فنزلت: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [الآية: ٢٤٥]، قال: «رب زد أمتى»، فنزلت: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) ﴾ [الزمر: ١٠][(١)].

* ثانيًا: أخرج ابن المنذر عن سفيان[(٢)] قال: لما نزلت: ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، قال: «رب زد أمتى»، فنزلت: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ الآية، قال: «ربِّ زد أمتى»، فنزلت ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ الآية، قال: «ربِّ زد أمتى»، فنزلت: ﴿ ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم ﴾ الآية[(٣)].

۞ معانى المفردات:

* ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾:

القرض: اسم لكل ما يعطيه الإنسان ليجازيه الله عليه. وقد سمّى الله ـ سبحانه وتعالى ـ عمل المؤمن له على رجاء ما أعده لهم من السماء قرضًا، لأنهم يعملونه لطلب ثوابه.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٥٥).
(٢) هل هو سفيان بن مسروق الثورى (ت ١٦١هـ) أو سفيان بن عيينة بن أبى عمران (ت ١٩٨هـ) الله أعلم.
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور (١/ ٥٥٥).

* ﴿ حَسَنًا ﴾: اختلف العلماء فى معنى ﴿ قَرْضًا حَسَنًا ﴾:

١ ـ فقال الواقدى: محتسبًا طيبة به نفسه.

٢ ـ وقال عمرو بن عثمان الصّدَفِىّ: لا يمنّ به ولا يؤذى.

٣ ـ وقال سهل بن عبد الله: لا يعتقد فى قرضه عوضًا(١).

وأُضيفُ قائلا: لا يعتقد فى قرضه عوضًا إلا من الله ـ تعالى ـ لأن الآيات القرآنية دلّت على ذلك.

* ﴿ فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾: قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) والسّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ): لا يعلم هذا التضعيف إلا الله وحده، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء: ٤٠](٢).

* ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ ﴾:

قيل: يقبض بإمساك الرزق، ويبسط بالتوسيع.

* ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أى: إلى الله تعودون فيجازيكم بأعمالكم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَيُضَاعِفَهُ ﴾ [رقم: ٢٤٥]

قرأ نافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار ﴿ فيضاعفه ﴾ بتخفيف العين وألف قبلها مع رفع الفاء، على الاستئناف، أى فهو يضاعفُه.

وقرأ ابن كثير، وأبو جعفر ﴿ فيضعِّفُه ﴾ بتشديد العين، وحذف الألف مع رفع الفاء، على الاستئناف أيضًا.

وقرأ ابن عامر، ويعقوب ﴿ فيضعِّفَه ﴾ بتشديد العين وحذف الألف مع نصب الفاء.

وقرأ عاصم ﴿ فيضاعفَه ﴾ بتخفيف العين وألف قبلها مع نصب الفاء.

(١ ـ ٢) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ١٥٨).

وتوجيه قراءتَيْ النصب أن الفعل منصوب بأن مضمرة بعد الفاء لوقوعها بعد الاستفهام.

ووجه التشديد والتخفيف فى العين أنهما لهجتان[(١)].

* ﴿ كَثِيرَةً ﴾ [رقم: ٢٤٥]

قرأ الأزرق عن ورش بترقيق الراء، والباقون بتفخيمها[(٢)].

* ﴿ وَيَبْصُطُ ﴾ [رقم: ٢٤٥]

قرأ الدورى عن أبى عمرو، وهشام، وخلف عن حمزة، ورويس، وخلف البزّار ﴿ ويبسط ﴾ بالسين قولا واحداً وذلك على الأصل، والدليل على أن السين هى الأصل أنه لو كانت الصاد هى الأصل ما جاز أن تردّ إلى السين، لأن الصاد أقوى من السين، لأن الصاد مستعْلية، ومطبقة، والسين منفتحة، ومستفلة، ولا يصح أن ينقل الحرف القوى إلى حرف أضعف منه، فإذا لم يجز أن تردّ الصاد إلى السين، وجاز أن تردّ السين إلى الصاد، علم أن السين هى الأصل.

وقرأ نافع، والبزّى، وشعبة، والكسائى، وأبو جعفر، وروح بالصاد قولا واحداً.

وذلك لمجانسة الصاد للطاء التى بعدها، وذلك باشتراكهما فى صفات: الاستعلاء، والإطباق، والإصمات.

وقرأ الباقون وهم: قنبل، والسوسى، وابن ذكوان، وحفص، وخلاد بالسين والصاد، وذلك جمعًا بين اللغتين[(٣)].

* ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [رقم: ٢٤٥]

قرأ يعقوب بفتح التاء وكسر الجيم، على البناء للفاعل، والواو فاعل.

وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الجيم، على البناء للمفعول والواو نائب فاعل[(٤)].

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٩٦ ـ ٩٧)، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ٢٥٩)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٢/ ٤٣٣).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٩٧).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٢٦٠).

(٤) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٩٧).

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾:

* ﴿ الْمَلَإِ ﴾: الأشراف من الناس، وأصل الملأ: الجماعة من الناس، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل: القوم، والرهط، والإبل، والخيل، والجيش، وجمعه «أملاء».

* ﴿ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾ أي: من بعد موت «موسى» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ﴾:

اختلف العلماء في ذلك النبي:

١ ـ فقال قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨هـ): هو يوشع بن نون بن أفراتيم بن يوسف ـ عليه السلام ـ.

٢ ـ وقال السّدّي إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): اسمه شمعون.

٣ ـ وقال الكثيرون من المفسرين: هو أشمويل وهو بالعبرانية إسماعيل بن بال ابن علقمة.

* ﴿ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾:

* ﴿ ابْعَثْ ﴾ مجزوم في جواب الطلب، فلما قالوا له ذلك.

* ﴿ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ﴾:

* ﴿ هَلْ عَسَيْتُمْ ﴾: استفهام تضمن الشك، أي: لعلكم. * ﴿ إِن كُتِبَ ﴾ أي: فرض.

* ﴿ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾: مِنْ ذلك الملك. * ﴿ أَلَّا تُقَاتِلُوا ﴾: أي: لا تفُوا بما تقولون ولا تقاتلوا معه.

* ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾:

أي: وما يمنعنا أن لا نقاتل فى سبيل الله.

* ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾:

أي: أَخْرجهم من غَلَبَ عليهم من ديارهم، فتركوها وتركوا أيضًا أبناءهم.

وظاهر الكلام العموم إلا أن المراد به الخصوص، لأن الذين قالوا لنبيهم: ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ كانوا فى ديارهم مع أبنائهم، وإنما أُخْرِج من أُسِر منهم.

* ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾:

✳ **المعنى:** لما فرض عليهم القتال أعرضوا عن الجهاد، ولم يعملوا بأمر الله ـ تعالى ـ، إلا قليلا منهم، فإنهم جاهدوا، ونفذوا أمر الله ـ تعالى ـ لهم بالقتال.

* ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: فيجازى كل واحد بعمله: فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ [رقم: ٢٤٦]

قرأ نافع ﴿عسيتم﴾ بكسر السين.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بفتح السين.

والكسر والفتح لهجتان فى «عسى» إذا اتصلت بضمير. والفتح هو الأصل للإجماع عليه فى «عسى» إذا لم تتصل بالضمير.

وقد اختلف النحاة فى «عسى» على ثلاثة أقوال:

* الأول: ذهب جمهور نحاة البصرة إلى أن «عسى» فعل يدل على الرجاء فى جميع الأحوال، يرفع المبتدأ وينصب الخبر.

* والثاني: ذهب كل من أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١هـ)، وأبي بكر محمد بن السّرى المعروف بابن السرّاج (ت ٣١٦هـ) إلى أن «عسى» حرف يدل على الرجاء في جميع الأحوال مثل «لعل» يعمل عمل «إن» ينصب الاسم ويرفع الخبر.

* والثالث: ذهب سيبويه (ت ١٨٠هـ) إلى أنها حرف إن اتصل بها ضمير نصب، وفعل فيما عدا ذلك، أي إذا لم يتصل بها ضمير نصب.

* وقرر النحويون أن الراجح في خبر «عسى» أن يكون مضارعًا يكثر اقترانه «بأن» مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ ﴾ [المائدة: ٥٢][(١)].

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ﴾:

اختلف العلماء في هذا النبي على أربعة أقوال:

* القول الأول: أخرج ابن جرير عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) قال: هو شمؤل[(٢)].

* والثاني: أخرج عبد الرزاق عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) قال: هو يوشع بن نون[(٣)].

* والثالث: أخرج ابن أبي حاتم من طريق عمرو بن مرّة عن أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) قال: هو الشمول بن حنة بن العاقر[(٤)].

* والرابع: قال البغوي في تفسيره: هو أشمويل[(٥)].

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾:

أي: قال لهم نبيهم بناء على طلبكم ورغبتكم سألتُ الله ـ تعالى ـ أن يبعث لكم مَلِكًا، فاستجاب الله ـ عزّ وجلّ ـ لدعائي وقال: إني بعثت لهم طالوت مَلِكًا.

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات (١/ ٢٦١ ـ ٢٦٣)، وانظر: شرح ابن عقيل على الألفية (١/ ٣٢٧).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٥٥٩).

(٥) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٢٧).

* ﴿ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ﴾:

✵ **المعنى:** قالوا: من أين يكون له الملك علينا ونحن أولى بالملك منه، لأنه ليس من سبط النبوّة، ولا من سبط المملكة، يضاف إلى ذلك أنه فقير.

* قال البغوي في تفسيره: إنما قالوا ذلك لأنه كان في بني إسرائيل سبطان:

١ ـ سبط النبوة. ٢ ـ وسبط المملكة. فكان سبط النبوّة سبط لاوى بن يعقوب، ومنه كان: «موسى وهارون» ـ عليهما السلام ـ.

وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان: «داود وسليمان» ـ عليهما السلام ـ.

ولم يكن طالوت من أحدهما، وإنما كان من سبط: «بنيامين بن يعقوب» ـ عليهما السلام ـ، ومع ذلك قالوا: هو فقير.. اهـ[(١)].

* ﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾:

* ﴿ اصْطَفَاهُ ﴾ أي: اختاره. * ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً ﴾ أي: فضيلة وسعة.

* ﴿ فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾: وذلك أنه كان أعلم بني إسرائيل في وقته. كما كان جسمه قويًا وطويل القامة.

* وقال الكلبي محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ): زاده بسطة: فضيلة وسعة في العلم بالحرب، وفي الجسم بالطول[(٢)].

* ﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾:

✵ **المعنى:** الله ـ سبحانه وتعالى ـ يؤتي ملكه من يشاء، لأنه فعّال لما يريد، ولا يُسأل عما يفعل وغيره يسأل، كما أنه ـ عزّ وجلّ ـ من صفاته سعة العلم بلا حدود، يعلم ما في السموات وما في الأرض وما بينهما، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

▦ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً ﴾ [رقم: ٢٤٧]

قرأ قنبل عن ابن كثير المكي بالسين والصاد، وهما لهجتان.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بالسين موافقة لرسم المصحف[(٣)].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٢٨).

(٣) انظر: النشر بتحقيقنا (٢/ ٤٣٦)، والمغنى في توجيه القراءات (١/ ٢٦٤)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ٩٨)، إتحاف فضلاء البشر ص١٦٠.٣٦٥

جاء في المفردات للراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ): بسط الثوب: نشره، ومنه البساط، وذلك اسم لكل مبسوط، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) ﴾ [نوح: ١٩].

واستعار قوم «البسط» لكل شيء لا يتصور فيه: تركيب وتأليف ونظم، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ [البقرة: ٢٤٧] اهـ[1].

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٤٨) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ﴾:

* قال السّدّي إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ): كان من شأن التابوت فيما ذكر: أنه أنزله الله ـ تعالى ـ على «آدم» ـ عليه السلام ـ، فكان عنده إلى أن وصل إلى «يعقوب» ـ عليه السلام ـ، فكان في بني إسرائيل يَغْلبون به مَنْ قاتلهم، حتى عَصَوْا فَغُلبوا على التابوت، غلبهم عليه العمالقة: جالوت وجنوده، وسلبوا التابوت منهم.. اهـ[2].

* وقال البغوي (ت ٥١٦ هـ) في تفسيره:

كانت قصة التابوت أن الله ـ تعالى ـ أنزل تابوتًا على «آدم» ـ عليه السلام ـ فيه صورة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وكان نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين، فكان عند «آدم» ـ عليه السلام ـ إلى أن مات، ثم بعد ذلك عند «شيث»، ثم توارثه أولاد آدم، إلى أن بلغ «إبراهيم» ـ عليه السلام، ثم كان عند «إسماعيل» ـ عليه السلام ـ لأنه كان أكبر ولده، ثم عند «يعقوب» ـ عليه السلام ـ، ثم كان في بني إسرائيل إلى أن وصل إلى «موسى» ـ عليه السلام ـ، فكان عنده إلى أن مات، ثم تداولته أنبياء بني إسرائيل إلى وقت أشمويل[3].

(١) انظر: المفردات للراغب الأصفهاني مادة «بسط» ص٤٦.
(٢) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٢٦١ ـ ٢٦٢).
(٣) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩).

* ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾:

اختلف العلماء فى السكينة ما هى، وهذه أهمّ الأقوال:

* أولا: قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ)، والكلبى محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ): السكينة: فعيلة من السكون أى: طمأنينة من ربكم، ففى أىّ مكان كان التابوت اطمأنوا إليه وسكنوا[(١)].

* ثانيًا: قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ):

﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ ﴾ أى: شىء تسكن إليه قلوبهم[(٢)].

* ثالثًا: قال ابن عطية عبد الحقّ بن غالب بن عبد الرءوف (ت ٥٤٦هـ): إن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وآثارهم، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك وتأنس به وتتقوّى[(٣)].

* ﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ ﴾:

اختلف العلماء فى هذه البقية على أقوال، وهذه أهمها:

* أولا: أخرج وكيع، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن أبى حاتم عن أبى صالح بازام مولى أم هانئ (ت ٢٢١هـ) قال: كان فى التابوت: عصا «موسى»، وعصا «هارون»، وثياب «موسى»، وثياب «هارون»، ولوحان من التوراة، وكلمة الفرج: لا إله إلا الله الحليم الكريم، وسبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين.. اهـ[(٤)].

* ثانيًا: قال عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): كان فيه: عصا موسى، وعصا هارون، ورضاض الألواح لأنها انكسرت حين ألقاها نبىّ الله «موسى» ـ عليه السلام ـ[(٥)].

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٢٩).
(٢) انظر: الدر المنثور (١/ ٥٦٣).
(٣) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ١٦٢).
(٤) انظر: الدر المنثور (١/ ٥٦٣).
(٥) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ١٦٣).

* ﴿ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ ﴾: هذه أقوال العلماء فى ذلك:

* أولا: أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨ هـ) قال: أقبلت به الملائكة تحمله حتى وضعته فى بيت طالوت فأصبح فى داره(١).

* ثانيًا: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت(٢).

* ثالثًا: فى رواية ثانية عن قتادة قال: كان التابوت فى التّيه خلّفه «موسى» ـ عليه السلام ـ عند يوشع بن نون فبقى هناك، فحملته الملائكة حتى وضعته فى دار طالوت فأقروا بملكه(٣).

* ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ ﴾ أى: لعبرة لكم. * ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ ﴾:

* ﴿ فَصَلَ ﴾ معناها: خرج، أى: لما خرج طالوت من بيت المقدس بالجنود. قال السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧ هـ): كانوا ثمانين ألفًا(٤).

* ﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ ﴾: فاعل قال طالوت. * ﴿ مُبْتَلِيكُم ﴾ أى: مختبركم. * ﴿ بِنَهَرٍ ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما) والسدى: هو نهْر فلسطين(٥).

(١) انظر: الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٦٣).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٣٠).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٦٣).

(٥) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٣١).

وقال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): هو نهر بين الأردن وفلسطين[١].

* ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أى: ليس من أتباعى فى هذه الحرب.

* ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ أى: من لم يشرب من هذا النهر فإنه من أتباعى.

* ﴿إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾:

الاغتراف: الأخذ من الشيء باليد، وبآلة، ومنه «المغْرفة» والغرف مثل الاغتراف.

* ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾:

* ﴿قَلِيلاً﴾ منصوب على الاستثناء، والاستثناء تامّ متصل.

* أخرج عبد بن حميد، وابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) قال: القليل ثلثمائة وبضعة عشر، عدّة أهل بدر[٢].

* ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾:

✵ **المعنى:** لما جاوز طالوت النهر، هو والذين آمنوا معه وهم القليلون.

* ﴿قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾:

✵ **المعنى:** قال الذين شربوا من النهر وخالفوا أمر الله ـ تعالى ـ لا قدرة لنا على حرب جالوت وجنوده.

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ والسدى: انحرفوا ولم يجاوزوا النهر[٣].

* ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ﴾:

* ﴿يَظُنُّونَ﴾ أى: يوقنون، لأن الظن هنا بمعنى اليقين.

* ﴿أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ﴾:

✵ **المعنى:** قال الذين يعتقدون أنهم إن يُقتلوا مع طالوت فإنهم سيلقون الله ـ سبحانه وتعالى ـ يوم القيامة بعد البعث، وهؤلاء هم الذين ثبتوا مع طالوت وهم الفئة القليلة، قالوا:

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٣١).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٦٤).

(٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٣١).

* ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾: أي: بقضاء الله ـ تعالى ـ وقدره، وإرادته.

* ﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ أي: بالنصر، والمعونة.

وصدق الله إذ قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠) ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ غُرْفَةً ﴾ [رقم: ٢٤٩]

قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف البزّار ﴿ غرفة ﴾ بضم الغين: اسم للماء المغترف.

وقرأ الباقون بفتح الغين: اسم للمرّة(١).

﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا ﴾ أي: طالوت، وجنوده المؤمنون.

* ﴿ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ أي: المشركين.

ومعنى ﴿ بَرَزُوا ﴾: صاروا بالبراز من الأرض، وهو ما ظهر واستوى منها.

وكان جالوت أمير العمالقة وملكهم، وكان فيما يُروى في ثلثمائة ألف فارس.

ولما رأى طالوت وجنوده المؤمنون: كثرة عدوّهم تضرعوا إلى الله ـ تعالى ـ وقالوا:

* ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ فاستجاب الله ـ سبحانه وتعالى ـ دعاءهم وهزموهم بإذن الله، وقتل داود جالوت كما نصّ على ذلك الآية التالية رقم: ٢٥١.

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات (١/ ٢٦٥)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ٩٨)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٠٣)، وحجة القراءات لابن زنجلة ص١٤٠.

وصدق الله إذ قال: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وإذ قال: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) ﴾ [الحج: ٤٠].

﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾:

أي: فأنزل الله على طالوت وجنوده النصر، فهزموا جالوت وجنوده، أي: كسروهم. والهزم: الكسر، وما تكسَّر من يابس الحطب. ومنه ما قيل في زمزم: إنها هَزْمة جبريل ـ عليه السلام ـ، أي: هزمها جبريل برجله، أو بجناحه فخرج الماء.

* ﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾: وصفة قتله في الخبر التالي:

* أخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن وهب بن منبّه قال:

لما برز طالوت لجالوت قال جالوت: أبرزوا لي من يقاتلني، فإن قتلني فلكم ملكي، وإن قتلته فلي ملككم، فأُتي بداود إلى طالوت فقاضاه إن قتله أن ينكحه ابنته، وأن يحكمه في ماله، فألبسه طالوت سلاحًا، فكره داود أن يقاتله بسلاح وقال: إن الله إن لم ينصرني عليه لم يُغن السلاح شيئًا، فخرج إليه بالمقلاع، ومخلاة فيها أحجار، ثم برز له جالوت فقال: أنت تقاتلني؟! قال داود: نعم، قال: ويلك ما خرجت إلا كما تخرج إلى الكلب بالمقلاع والحجارة، لأبدّدنَ لحمك ولأطعمنه اليوم للطير والسباع، فقال له داود: بل أنت عدوّ الله شرّ من الكلب، فأخذ داود حجرًا فرماه بالمقلاع، فأصابت بين عينيه حتى نفذت في دماغه، فصرخ جالوت وانهزم مَنْ معه واحتزّ رأسه.. اهـ[1].

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٥٦٥).

* ﴿ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ﴾:

* قال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ): آتاه الله ملك طالوت، ونبوّة شمعون[١].

* وقال البغوى (ت ٥١٦هـ) فى تفسيره: جمع الله له بين الملك والنبوّة، ولم يكن كذلك من قبل، كان الملك فى سبط، والنبوّة فى سبط[٢].

* ﴿ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾:

* قال السدّى: علمه صنعة الدروع، ومنطق الطير، وغير ذلك[٣].

وصدق الله إذ قال: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) ﴾ [سبأ: ١٠ ـ ١١].

* ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾:

* قال مجاهد بن جبر المكى (ت ١٠٤هـ): ولولا دفع الله الناس بجنود المسلمين لغلب المشركون على الأرض فقتلوا المؤمنين، وخرّبوا المساجد والبلاد[٤].

* وصدق الله إذْ قال: ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [الحج: ٤٠].

* وقال البغوى فى تفسيره: أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحى، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبى بسندهما عن عبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء»، ثم قرأ ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ: ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[٥].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ١٦٨).
(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٣٥).
(٣) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ١٦٨).
(٤) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٣٥).
(٥) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٣٦).

* وأخرج البخارى، ومسلم، وابن ماجه عن معاوية بن أبى سفيان (ت ٦٠هـ - رضى الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمّتى قائمة بأمر الله لا يضرّهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون على الناس» اهـ(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ ﴾ [رقم: ٢٥١]

قرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب ﴿ دفاع ﴾ بكسر الدال، وفتح الفاء، وألف بعدها، على أنها مصدر «دافع» مثل: «قاتل قتالا».

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ دَفْع ﴾ بفتح الدال، وإسكان الفاء من غير ألف، على أنها مصدر «دفع يدفع» نحو: «فتح يفتح»(٢).

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢) تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ﴾:

* ﴿ تِلْكَ ﴾ إشارة لما تقدم وهو مبتدأ، خبره ﴿ آيَاتُ اللَّهِ ﴾ ويجوز أن يكون ﴿ آيَاتُ اللَّهِ ﴾ بدلا من ﴿ تِلْكَ ﴾ والخبر: ﴿ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ﴾، ومعنى ﴿ نَتْلُوهَا ﴾: أى نقصها ونخبرك بها يا «محمد» عن طريق الوحى، ومما لا شك فيه أن خبر الله كله صدق، وأن الوحى كله حق.

وصدق الله إذ قال: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً (١٢٢) ﴾ [النساء: ١٢٢].

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٦٩).

(٢) انظر: النشر بتحقيقنا (٢/ ٤٣٦)، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ٢٦٦)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ٩٩)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٠٤)، وحجة القراءات لابن زنجلة ص١٤٠، إتحاف فضلاء البشر ص١٦١.

* ﴿ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾:
هذا خبر من الله ـ تعالى ـ مؤكّد بإنّ واللام بأن نبينا «محمدًا» ﷺ من الأنبياء المرسلين.
وصدق الله إذ قال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].
* ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾:
* ﴿ تِلْكَ ﴾: اسم إشارة مبتدأ، وأنث مراعاة لتأنيث جماعة الرسل.
* ﴿ الرُّسُلُ ﴾ يجوز أن تكون بدلا، أو عطف بيان، أو صفة إلى ﴿ تِلْكَ ﴾.
قال النحاة: ما بعد اسم الإشارة المحلّى بألْ يُعْرب بدلا، أو عطف بيان، أو صفة.
وخبر المبتدأ جملة ﴿ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾.
* ﴿ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾:

* أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ قال: اتخذ الله «إبراهيم» خليلا، وكلّم «موسى» تكليمًا، وجعل «عيسى» كمثل «آدم» خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون، وهو عبد الله وكلمته، وآتى «داود» زبورًا، وآتى «سليمان» مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده، وغفر لنبينا «محمد» ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر.. اهـ[1].

* ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ﴾: أي: كلمه الله ـ تعالى ـ وهو نبي الله «موسى» ـ عليه السلام ـ.
يدلّ على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) ﴾ [النساء: ١٦٤].
* ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾:

* أخرج ابن أبي حاتم عن عامر بن شراحيل الشعبي (ت ١٠٥هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ قال: هو نبينا «محمد» ﷺ[2].

* وقال البغوي (ت ٥١٦هـ) في تفسيره: قال الشيخ الإمام[3]: ما أوتي نبيّ آية إلا أوتي نبينا «محمد» ﷺ مثل تلك الآية، وفُضّل على غيره بآيات مثل:

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٥٧٠ ـ ٥٧١).
(٣) من المقصود بالشيخ الإمام؟ ما عرفت ذلك.

انشقاق القمر بإشارته، وحنين الجذع على مفارقته، وتسليم الحجر والشجر عليه، وكلام البهائم والشهادة برسالته، ونبع الماء من بين أصابعه، وغير ذلك من المعجزات والآيات التى لا تُحصى، وأشهرها القرآن الذى عجز أهل السماء والأرض عن الإتيان بمثله اهـ[١].

* ومن الآيات التى اختصّ بها نبينا «محمد» ﷺ لأنه أفضل الأنبياء، ما يدلّ عليها ويوضحها الأخبار التالية:

* الأول: عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبيٍّ من الأنبياء إلا وقد أعطى من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحيًا أوحاه الله إلىّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة» اهـ[٢].

* الثانى: عن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصارى (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنه): أنّ النبى ﷺ قال: «أُعطيتُ خمسًا لم يُعْطهنّ أحد قبلى: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلتْ لى الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصلّ، وأُحلّت لى الغنائم ولم تحلّ لأحد من قبلى، وأُعطيتُ الشفاعة، وكان النبىّ يُبعث إلى قومه خاصة وبعثتُ إلى الناس عامّة» اهـ[٣].

* الثالث: عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ: أن النبى ﷺ قال: «فُضِّلتُ على الأنبياء بستٍّ: أُوتيتُ جوامع الكلم، ونُصرتُ بالرعب، وأُحلّت لى الغنائم، وجُعلت لى الأرض مسجدًا، وأرسلتُ إلى الخلق كافة، وخُتم بى النبيّون» اهـ[٤].

* ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾:

بيِّنات نبى الله «عيسى» ـ عليه السلام ـ هى: إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وخلق الطير من الطين، إلى غير ذلك من البينات التى ذكرها الله ـ تعالى ـ فى قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً

(١ : ٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٣٦).

(٤) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٣٧).

وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٤٧) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (٤٨) وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) ﴾ [آل عمران: ٤٥ ـ ٥٠].

* ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم ﴾ أي: من بعد الرسل.

* ﴿ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ ﴾ أي: ثبت على إيمانه بفضل الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ﴾: لأن الهدى هدى الله.

* ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا ﴾: أعاده الله ـ تعالى ـ للتأكيد.

* ﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾: فيوفق من يشاء فضلا منه وكرمًا، ويخذل من يشاء عدلا منه وحكمة.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [رقم: ٢٥٣]

قرأ ابن كثير بإسكان الدال للتخفيف، وهو لهجة تميم.

وقرأ الباقون بضمها وهو لهجة أهل الحجاز[١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ ﴾:

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ١٧٣).

* قال سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ): هذه الآية تجمع الزكاة المفروضة، والتطوع.. اهـ.

وقال ابن عطيّة عبد الحق بن غالب بن عبد الرءوف (ت ٥٤٦هـ): وهذا هو الصحيح[١].

* ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ﴾:

أي: لا فداء فيه، وسمّى بيعًا لأن الفداء شراء للنفس.

* ﴿وَلا خُلَّةٌ﴾ أي: ولا صداقة.

* ﴿وَلا شَفَاعَةٌ﴾: إلا بإذن الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

* ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: لأنهم وضعوا العبادة فى غير موضعها.

قال عطاء بن دينار: الحمد لله الذى قال: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ولم يقل والظالمون هم الكافرون[٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ﴾ [رقم: ٢٥٤]

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب بالفتح من غير تنوين فى الثلاثة، على أن «لا» نافية للجنس تعمل عمل «إنّ» تنصب الاسم وترفع الخبر.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بالرفع والتنوين فى الثلاثة، على أنّ «لا» نافية للوحدة ولا عمل لها[٣].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ١٧٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ١٧٤).

(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٠٠).

﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾:

لفظ الجلالة: ﴿ اللَّهُ ﴾ مبتدأ، وخبره فى ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾.

* ﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾: صفتان للفظ الجلالة: ﴿ اللَّهُ ﴾.

* ﴿ الْحَيُّ ﴾: الباقى على الأبد، وهو من له الحياة، والحياة: صفة ملازمة لله ـ تعالى ـ ودائمة له. والحياة: صفة ذات لله ـ عزّ وجلّ ـ.

* أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم عن الربيع[١] فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ الْحَيُّ ﴾ قال: حىّ لا يموت[٢].

* وأخرج ابن الأنبارى فى المصاحف عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: ﴿ الْحَيُّ ﴾: الذى لا يموت[٣].

* ﴿ الْقَيُّومُ ﴾:

* أخرج آدم بن أبى أياس، وابن جرير، والبيهقى فى الأسماء والصفات عن مجاهد بن جبر المكى المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ الْقَيُّومُ ﴾ قال: القائم على كل شىء[٤].

* ﴿ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ ﴾:

* الـ ﴿ سِنَةٌ ﴾: النعاس، وهو النوم الخفيف.

* والـ ﴿ نَوْمٌ ﴾: هو الثقيل المزيل للقوّة والعقل.

* وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ عن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى الآية قال: الـ ﴿ سِنَةٌ ﴾: النعاس، والنوم: الاستثقال[٥].

(١) ما عرفت من هو «الربيع» والله أعلم. (٢ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٧٩).

* ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾: أي: مُلْكا فهو ـ سبحانه وتعالى ـ مالك لكل شيء. وصدق الله إذْ قال: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤)﴾ [الزمر: ٤٤].

وإذْ قال: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢)﴾ [الحديد: ٢].

* ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾:

قال القرطبى فى تفسيره: تقرر فى هذه الآية أن الله يأذن لمن يشاء فى الشفاعة وهم: الأنبياء، والعلماء، والمجاهدون، والملائكة، وغيرهم ممن أكرمهم، وشرّفهم الله، ثم لا يشفعون إلا لمن ارتضى، كما قال: ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨][١].

* ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾:

للعلماء فى تأويل ذلك أقوال، وهذه أهمها:

* أولا: قال مجاهد بن جبر المكى المفسّر (ت ١٠٤هـ) وعطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ)، والسّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ): ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة[٢].

* ثانيًا: قال محمد بن السائب بن بشر الكلبى (ت ١٤٦هـ): ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ يعنى: الآخرة لأنهم يقدمون عليها، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: من الدنيا لأنهم يخلفونها وراء ظهورهم[٣].

* ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾:

* قال البغوى فى تفسيره: المعنى: لا يحيطون بشىء من علم الغيب إلا بما شاء مما أخبر به الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧][٤].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٣/١٧٨).

(٢ : ٤) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٣٩).

* ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾:

* أخرج ابن جرير، وأبو الشيخ فى العظمة، وابن مردويه، والبيهقى فى الأسماء والصفات عن أبى ذر الغفارىّ (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه): أنه سأل النبى ﷺ عن «الكرسى» فقال: «يا أبا ذر ما السموات السبع، والأرضون السبع عند الكرسىّ إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وأنّ فضل العرش على الكرسىّ كفضل الفلاة على تلك الحلقة» اهـ[١].

* ﴿ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾ أى: لا يثقله ولا يشق عليه حفظ السموات والأرض.

* ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾: * ﴿ الْعَلِيُّ ﴾: الرفيع فوق خلقه، بالملك والسلطة.
* ﴿ الْعَظِيمُ ﴾: الكبير الذى لا شىء أعظم منه.

• فائدة جليلة:

ورد فى هذه الآية: آية الكرسىّ الكثير من الأحاديث الصحيحة الدالة على فضلها، وهذا قبس منها:

* أولا: أخرج الخطيب البغدادى (ت ٤٦٣هـ) فى تاريخه عن أنس بن مالك (ت ٩١هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون أىّ القرآن أعظم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾إلى آخر الآية» اهـ[٢].

* ثانيًا: أخرج الطبرانى بسند حسن عن الحسن بن على (ت ٥٠هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ آية الكرسىّ فى دبر الصلاة المكتوبة كان فى ذمّة الله إلى الصلاة الأخرى»[٣].

* ثالثًا: أخرج البيهقى فى شعب الإيمان من طريق محمد بن الضوء بن الصلصال بن الدّلهمس عن أبيه، عن جدّه: أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ آية الكرسىّ فى دبر كل صلاة لم يكن بينه وبين الجنة إلا أن يموت، فإن مات دخل الجنة» اهـ[٤].

---

(١) تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٨٠).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٧٢).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٧٣).

﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

ورد فى سبب نزول هذه الآية أكثر من قول، وقد اخترت منها السبب التالى:

* أخرج عبد بن حميد، عن عبد الله بن عبيدة: أن رجلا من الأنصار من بنى سالم ابن عوف، كان له ابنان تنصرا قبل أن يبعث النبى ﷺ فقدما المدينة فى نفر من أهل دينهم يحملون الطعام، فرآهما أبوهما فانتزعهما وقال: والله لا أدعهما حتى يسلما، فأبيا أن يسلما، فاختصموا إلى النبىّ ﷺ فقال: يا رسول الله أيدخل بعضى النار وأنا أنظر؟ فأنزل الله: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ الآية فخلّى سبيلهما[1].

معانى المفردات:

* ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾: أى: الإيمان من الكفر، والحق من الباطل.

* ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ ﴾:

المعنى: كل ما عُبد من دون الله فهو طاغوت.

* ﴿ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾: أى: تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم فى الدين.

وقيل: الْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ: السبب الذى يوصل إلى رضا الله ـ تعالى ـ[2].

* وأخرج سفيان، وعبد بن حميد، وابن أبى حاتم عن مجاهد بن جبر المكى المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ قال: الإيمان[3].

* ﴿ لا انفِصَامَ لَهَا ﴾ أى: لا انقطاع لها.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٨٣).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٤٠).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٨٤).

* ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ ﴾: صفة لله ـ تعالى ـ وهى صيغة مبالغة.

* ﴿ عَلِيمٌ ﴾: صفة لله ـ تعالى ـ أيضًا، وهى صيغة مبالغة، وصدق الله إذ قال: ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣) ﴾ [الأنعام: ١٣].

وإذ قال: ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٤) ﴾ [الأنبياء: ٤]

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾: «الولى» فعيل بمعنى فاعل. أى: ناصرهم ومعينهم، وقال الخطّابىّ أبو سليمان (ت ٣٨٨هـ) متولّى أمورهم لا يكلهم إلى غيره[١].

* ﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾: أى: من الكفر إلى الإيمان.

* قال الواقدى: كل ما فى القرآن من الظلمات والنور فالمراد منه: الكفر والإيمان، غير التى فى سورة الأنعام: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ [الأنعام: ١].

فالمراد منه: الليل والنهار، وسمّى الكفر: ظلمة، لالتباس طريقه، وسمّى الإسلام نوراً لوضوح طريقه[٢].

* ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾: قال قتادة (ت ١١٨هـ): ﴿ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ أى: من الهدى إلى الضلال[٣].

* ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾: أى: مخلدون فيها أبداً لا يخرجون منها. وصدق الله إذ قال: ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) ﴾ [الحج: ١٩ ـ ٢٢].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٤١).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٨٥).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨)﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾:

✳ المعنى: يقول الله ـ تعالى ـ لنبيه «محمد» ﷺ: هل انتهى إلى علمك يا «محمد» خبر الذى حاجّ «إبراهيم» فى ربه أى: خاصمه وجادله؟

* وقال كل من: علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠ هـ ـ رضى الله عنه)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤ هـ)، وقتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ)، والسدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧ هـ) قالوا: الذى حاج «إبراهيم» فى ربه هو نمرود بن كنعان(١).

* واختلف العلماء فى وقت هذه المناظرة على قولين:

* الأول: قال مقاتل بن حيّان البلخىّ (ت ١١٠ هـ): كانت هذه المناظرة قبل أن يُلقى نبىّ الله «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ فى النار بعد أن كسّر الأصنام وقبل ما ألقاه قومه فى النار(٢).

* والثانى: قال بعض المفسرين: كانت هذه المناظرة بعد إلقائه فى النار ونجاته منها بفضل الله ـ تعالى ـ إذ قال الله ـ تعالى ـ لها: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩)﴾ [الأنبياء: ٦٩](٣).

* أمّا عن كيفية هذه المناظرة فيلقى عليها الضوء الخبر التالى:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم عن السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧ هـ) قال: لما خرج «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ من النار أدخلوه على الملك ـ وهو نمرود ـ ولم يكن قبل ذلك دخل عليه، فكلمه وقال له: من ربك؟ قال: ربى الذى يحيى ويميت، قال نمرود: أنا أحيى وأميت، أنا أُدخِلُ أربعة نفر

(١) انظرك تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٨٥).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٤١).

بيتًا فلا يطعمون ولا يسقون حتى إذا هلكوا من الجوع أطعمت اثنين وسقيتهما فعاشا وتركت اثنين فماتا، فعرف «إبراهيم» أنه يفعل ذلك، قال له: فإن ربى الذى يأتى بالشمس من المشرق فأت بها أنت من المغرب، فبهت الذى كفر وقال: إن هذا إنسان مجنون فأخرجوه، ألا ترون أنه من جنونه اجترأ على آلهتكم فكسرها، وإن النار لم تأكله، وخشى أن يفتضح فى قومه[١].

• فائدة علمية:

قال مجاهد بن جبر المكى المفسّر (ت ١٠٤هـ): مَلَكَ الأرض أربعة: مؤمنان، وكافران: فالمؤمنان: نبيّ الله «سليمان» ـ عليه السلام ـ وذو القرنين. والكافران: نمرود ابن كنعان، وبختنصر[٢].

* ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾: أى: لأن آتى الله نمرود الملك طغى وتجبّر: عن زيد ابن أسلم أبى أسامة (ت ١٣٠هـ) قال: إن أوّل جبّار كان فى الأرض نمرود[٣].

* ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾:

أى: تحيّر ودُهش وانقطعت حجته.

* ﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: وصدق الله إذْ قال: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (٢٧)﴾ [الرعد: ٢٧].

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩)﴾

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥٨٦).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٤١).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور (١/ ٥٨٦).

* تأويل هذه الآية يوضّحه الخبر التالي:

* أخرج إسحاق بن بشر، وابن عساكر من طرق عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما)، والحسن البصري (ت ١١٠هـ) وغيرهما يزيد بعضهم على بعض: أن عزير بن سروخا كان عبداً صالحًا حكيمًا، خرج ذات يوم إلى ضيعة له يتعاهدها، فلما انصرف انتهى إلى خربة حين قامت الظهيرة أصابه الحرّ، فدخل الخربة وهو على حمار له، فنزل عن حماره ومعه سلّة فيها تين، وسلة فيها عنب، فنزل في ظلّ تلك الخربة، وأخرج قصعة معه، فاعتصر من العنب الذي كان معه في القصعة، ثم أخرج خبزًا يابسًا معه فألقاه في تلك القصعة في العصير ليبتلّ ليأكله. ثم استلقى على قفاه وأسند رجليه إلى الحائط، فنظر سقف تلك البيوت ورأى منها ما فيها وهي قائمة على عروشها وقد باد أهلها.

ورأى عظامًا بالية فقال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ لم يشك أن الله يحييها، ولكن قالها تعجبًا. فبعث الله (ملك الموت) فقبض روحه، ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾ فلما أتت عليه مائة عام، وكان فيها بين ذلك في بني إسرائيل أمور وأحداث، فبعث الله إلى عزير مَلَكًا، فخلق الله قلبه ليعقل به، وعينيه لينظر بهما، فيعقل كيف يحيي الله الموتى، ثم ركب خَلْقه وهو ينظره، ثم كسا عظامه اللحم والجلد والشعر، ثم نفخ الله فيه الروح، كل ذلك وهو يرى ويعقل، فاستوى جالسًا.

فقال له الملك: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾؟ قال: ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ وذلك لأنه كان قد نام في صدر النهار عند الظهيرة، وبعث في آخر النهار والشمس لم تغب، فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ أي: لم يتم لي يوم، فقال له الملَك: ﴿بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ﴾ يعني: الطعام والخبز اليابس، وشرابه العصير الذي كان اعتصره في القصعة، فإذا هما على حالهما لم يتغير العصير، والخبز اليابس، فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ يعني: لم يتغير، وكذلك التين والعنب غضّ لم يتغير عن حاله، فكأنه أنكر في قلبه.

فقال له الملَك: أنكرتَ ما قلتُ لك، انظر إلى حمارك فنظر فإذا حماره قد بليت عظامه، وصارت نخرة، فنادى الملَك عظام الحمار فأجابت وأقبلت من كل ناحية

حتى ركب بعضها على بعض، وعزير ينظر إليـه، ثم ألبسها الله العروق، والعصب، ثم كساها اللحم، ثم أنبت عليها الجلد والشعر، ثم نفخ فيه الروح، فقام الحمار رافعًا رأسه، وأذنيه إلى السماء ناهقًا، فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ يعني: انظر إلى عظام حمارك كيف يركب بعضها بعضًا في أوصالها، حتى إذا صارت عظامًا مصورًا حمارًا بلا لحم، ثم انظر كيف نكسوها لحمًا ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١).

القراءات وتوجيهها:

﴿ إِبْرَاهِيمُ ﴾ [رقم: ٢٥٨]

قرأ ابن عامر بخُلْف عن ابن ذكوان: ﴿ إبراهام ﴾ بفتح الباء، وألف بعدها.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ إبراهيم ﴾ بكسر الهاء وياء بعدها، وهو الوجه الثاني لابن ذكوان. وهما لهجتان فصيحتان(٢).

* ﴿ مِائَةَ عَامٍ ﴾ [رقم: ٢٥٩]

قرأ أبو جعفر بإبدال الهمزة ياء خالصة في الحالين، وكذا حمزة عند الوقف(٣).

* ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ [رقم: ٢٥٩]

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف البزّار بحذف الهاء وصلا وإثباتها وقفًا، على أنها هاء السكت، وهاء السكت من خواصّ الوقف.

وقرأ الباقون بإثباتها وصلا ووقفًا، وهي للسكت أيضًا، وأجرى الوصل مجرى الوقف(٤).

* ﴿ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾ [رقم: ٢٥٩]

قرأ نافع وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ ننشرها ﴾ بالراء المهملة، من أنشر الله الموتى بمعنى أحياهم.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٥٨٧ ـ ٥٨٨).

(٢ : ٤) انظر: المهذب في القراءات العشر (١/ ١٠١).

وقرأ الباقون: ﴿ ننشزها ﴾ بالزاى المعجمة، من النشز وهو الارتفاع أى يرتفع بعضها على بعض للتركيب عند إرادة الخلق(١).

* ﴿ قَالَ أَعْلَمُ ﴾ [رقم: ٢٥٩]

قرأ حمزة، والكسائى: ﴿ اعلم ﴾ بوصل الهمزة مع سكون الميم على أنه فعل أمر.

وقرأ الباقون: ﴿ أعلم ﴾ بهمزة قطع مفتوحة مع رفع الميم، وهو فعل مضارع واقع مقول القول(٢).

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾:

قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ)، وعطاء بن أبى مسلم الخراسانى (ت ١٣٥هـ)، والضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ)، وابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) قالوا: كان سبب هذا السؤال من «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ أنه مرّ على دابّة ميتة، قال ابن جريج: كانت جيفة حمار بساحل البحر، قال عطاء: فى بحيرة طبرية، قالوا: فرآها نبى الله «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ وقد توزّعتها دوابُّ البحر والبرِّ: فكان إذا مدّ البحر جاءت الحيتان، ودوابُّ البحر فأكلت منها، فما وقع منها يصير فى البحر.

فإذا جَزَرَ البحر ورجع جاءت السباع فأكلن منها فما سقط منها قطعته الريح فى الهواء.

فلما رأى ذلك نبىّ الله «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ تعجّب منها وقال: يا ربِّ قد علمتُ أنك لتجمعنها من بطون السباع، وحواصل الطير، وأجوافِ دوابِّ البحر، فأرنى كيف تُحييها، لأعاين فأزداد يقينًا، فقال الله ـ تعالى ـ له: ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ ﴾

(١ ـ ٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٠١).

يا ربِّ قد علمْتُ وآمنت ﴿ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ أي: ليسكن قلبي إلى المعاينة والمشاهدة، أراد أن يصير له علمُ اليقين عَيْن اليقين[١].

* ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ ﴾:

قال مجاهد بن جبر المكي المفسّر (ت ١٠٤هـ)، وعطاء بن أبي رباح (ت ١١٥هـ)، وابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) قالوا: أخذ طاوسًا، وديكًا، وحمامة، وغرابًا[٢].

وحكي عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) ونسرًا بدل الحمامة[٣].

* ﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ معناه: أملهنّ إليك ووجههنّ يقال: صرت الشيء أصُوره: إذا أملته.

وقال عطاء معناه: اجمعهنّ واضممهنّ إليك، يقال: صار يصور صَوْرًا: إذا اجتمع[٤].

* ﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ﴾: قال المفسرون: أمر الله ـ تعالى ـ نبيه «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ أن يذبح تلك الطيور، وينتف ريشها، ويقطعها، ويخلط ريشها ودماءها، ولحومها بعضها ببعض، ففعل، ثم أمره أن يجعل أجزاءها على الجبال[٥].

* قال ابن جريج، والسّدّي: جزأها سبعة أجزاء ووضعها على سبعة أجْبُل، وأمسك رءوسهنّ، ثم دعاهنّ فقال: تعالين بإذن الله ـ تعالى ـ فجعلت كل قطرة من دم تطير إلى القطرة، وكل ريشة تطير إلى الريشة الأخرى، وكل عظم يصير إلى العظم الآخر، وكل بضعة تصير إلى الأخرى، «وإبراهيم» ـ عليه السلام ـ ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها بعضًا في الهواء بغير رأس، ثم أقبلن إلى رءوسهنّ سعيًا، فكلما جاء طائر مال إلى رأسه، فإن كان رأسه دنا منه، وإن لم يكن تأخر، حتى التقى كل طائر برأسه، فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٦].

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨).

(٢ : ٥) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٤٨).

(٦) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٤٩).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ [رقم: ٢٦٠]

قرأ حمزة، وأبو جعفر، ورويس، وخلف البزّار: ﴿ فيصرِنْ ﴾ بكسر الصاد، على أنه من «صار يصير» يقال: صرت الشيء: أملته، وصرته قطعته.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ فصُرهن ﴾ بضم الصاد، على أنه من «صار يصور» على معنى: أملهنّ، أو قطعهنّ، فإذا جعلته بمعنى أملهنّ، كان التقدير: فخذ أربعة من الطير إليك فقطعهن(١).

* ﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ﴾ [رقم: ٢٦٠]

قرأ شعبة بضم الزاى وهو لهجة الحجازيين.

وقرأ أبو جعفر بتشديد الزاى، وذلك بعد إبدال الهمزة زايًا، وإدغام الزاى فى الزاى.

وقرأ الباقون بإسكان الزاى، وهو لهجة تميم وأسد(٢).

﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* قال القرطبى روى أن هذه الآية نزلت فى شأن عثمان بن عفان، وعبد الرحمن ابن عوف ـ رضى الله عنهما ـ، وذلك أن رسول الله ﷺ لما حث الناس على الصدقة حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك، جاءه عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف فقال: يا رسول الله، كانت لى ثمانية آلاف فأمسكت لنفسى ولعيالى أربعة آلاف، وأربعة آلاف أقرضتها لربى، فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت».

---

(١) انظر: النشر لابن الجزرى بتحقيقنا (٢/ ٤٣٨)، والمغنى فى توجيه القراءات (١/ ٢٧٥)، والمستنير فى تخريج القراءات (١/ ٨٠)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٠٢).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٢٧٧)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٠٢)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٤١.

وقال عثمان بن عفان: يا رسول الله عليَّ جهاز من لا جهاز له، فنزلت هذه الآية فيهما[١].

❀ معاني المفردات:

* ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية.

روى البُسْتيّ في صحيح مسنده عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «ربِّ زد أمّتي» فنزلت: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

قال رسول الله ﷺ: «ربّ زد أمتي» فنزلت: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝﴾ [الزمر: ١٠][٢].

وهذه الآية لفظها بيان مثال لشرف النفقة في سبيل الله. وفي ضمنها التحريض على ذلك.

✳ **المعنى:** مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل زارع زرع في الأرض حبَّة فأنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبّة.

فشبه المتصدق بالزارع، وشبه الصدقة بالبذر فيعطيه الله ـ تعالى ـ بكل صدقة له سبعمائة حسنة.

* ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾:

✳ **المعنى:** الله ـ سبحانه وتعالى ـ يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء، ما بين سبعمائة إلى ما شاء الله ـ تعالى ـ من الأضعاف مما لا يعلمه إلا الله.

* ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: غني يعطي عن سعة حسب نية المتصدق.

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ﴾ [رقم: ٢٦١]

قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿يضعّف﴾ بتشديد العين وحذف الألف مضارع «ضعّف» مضعف العين.

وقرأ الباقون بتخفيف العين وإثبات الألف مضارع «ضاعف»[٣].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ١٩٧).

(٣) انظر: المهذب في القراءات العشر (١/ ١٠٣).

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* قال عبد الرحمن بن سمرة ـ رضى الله عنه ـ: جاء عثمان بن عفان (ت ٣٥هـ ـ رضى الله عنه) بألف دينار فى جيش العسرة، فصبّها فى حجْر رسول الله ﷺ فرأيته يدخل يده فيها ويقلبها ويقول: ما ضرّ ابن عفّان ما عمل بعد اليوم اللهم لا تنس هذا اليوم لعثمان.

وقال أبو سعيد الخدريّ ـ رضى الله عنه ـ: رأيت النبى ﷺ رافعًا يديه يدعو لعثمان يقول: «يا ربِّ عثمانَ إني رضيتُ عن عثمان فارض عنه» فما زال يدعو حتى طلع الفجر، فنزلت: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ الآية[١].

معانى المفردات:

* ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ الآية:

* تناسُبُ هذه الآية مع التى قبلها:

لما تقدم فى الآية التى قبلُ ذكْرُ الإنفاق فى سبيل الله على العموم بين فى هذه الآية أن ذلك الثواب إنما هو لمن لا يُتبع إنفاقه منًّا ولا أذى.

لأن المنّ والأذى مبطلان لثواب الصدقة.

يدلّ على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وإنما على المرء أن يريد وجه الله ـ تعالى ـ وثوابه بإنفاقه على المنفق عليه، ولا يرجو منه شيئًا، ولا ينظر من أحواله فى حال سوى أن يراعى استحقاقه.

* يوضّح ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا

(١) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ١٩٩)، وتفسير البغوى (١/ ٢٥٠).

عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ۝١٤ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ۝١٥ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ۝١٨ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۝١٩ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ۝٢٢ ﴾ [الإنسان: من ٨ ـ ٢٢].

* ﴿ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى﴾:

المنّ: هو أن يقول مثلا: أعطيتك كذا وكذا، ويعدد نعمه عليه فيكدرها عليه.

والأذى: هو أن يعيِّره فيقول مثلا: إلى كم تسأل وكم تؤذيني؟ ويذكر إنفاقه عليه عند من لا يحبّ وقوفه عليه.

* ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: ثواب أعمالهم وصدقاتهم.

* ﴿وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: لا في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ۝٢٦٣﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ أي: كلام حسن، وردّ على السائل جميل. لأن ذكر القول المعروف فيه أجر من الله ـ تعالى ـ.

يوضح ذلك الحديث التالي:

* قال النبي ﷺ: «الكلمة الطيبة صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طليق» [أخرجه مسلم].

* ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي: تستر عليه خلّته، ولا تهتك عليه ستره.

وقال الكلبي محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ)، والضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): المغفرة يتجاوز عن ظلمه[1].

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٥٠).

* ﴿ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ﴾ أي: وفعل يؤدى إلى المغفرة خير من صدقة يتبعها أذى وهو المنّ، أو التعيير للسائل، أو أيّ قول يؤذيه.

* ﴿ وَاللَّهُ غَنِيٌّ ﴾ أي: مستغن عن صدقة العباد.

* ﴿ حَلِيمٌ ﴾ أي: لا يُعجِّل بالعقوبة على من يمنّ ويؤذى بالصدقة.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم ﴾ أي: أجور صدقاتكم.

* ﴿ بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ ﴾ أي: بالمنّ على السائل، وإيذائه بأى نوع من أنواع الإيذاء مهما كان. ثم ضرب الله لذلك مثلا فقال:

* ﴿ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾:

✳ **المعنى:** مثّل الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذى يمنّ ويؤذى بصدقته بالذى ينفق ماله رئاء الناس، لا لوجه الله ـ تعالى ـ وابتغاء لمرضاته، وهو مع الرياء لا يؤمن بالله واليوم الآخر فقال:

* ﴿ فَمَثَلُهُ ﴾ أي: مثل المرائى. * ﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ ﴾ وهو الحجر الأملس.

* ﴿ عَلَيْهِ ﴾ أى على الحجر الأملس. * ﴿ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ ﴾ وهو: المطر الشديد العظيم القطر. * ﴿ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴾ أي: هذا المطر الشديد عندما ينزل على الحجر الأملس يتركه صلدًا: أى أملس لا شيء عليه. فإذا كان يوم القيامة بطل ثواب كل ذلك لأنه لم يكن لله ـ تعالى ـ كما أذهب المطر الشديد التراب الذى كان على الحجر الأملس.

وصدق الله إذ قال: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (٢٣) ﴾
[الفرقان: ٢٣]

* ﴿ لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ﴾ أي: على ثواب شيء مما كسبوا وعملوا فى الدنيا.

* ﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: وصدق الله إذ قال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠)﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠].

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥)﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ أي: طلب رضا الله ـ تعالى ـ.

* وعن مقاتل بن حيّان البلخي (ت ١١٠هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ قال: احتسابًا[١].

* وعن الحسن البصري (ت ١١٠هـ) قال: لا يريدون سمعة ولا رياء[٢].

* ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾:

* قال الشعبي عامر بن شراحيل (ت ١٠٥هـ): ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: تصديقًا ويقينًا[٣].

* وقال الحسن البصري: كان الرجل إذا همّ بصدقة تثبت فإن كان لله أمضى، وإن خالطه شيء من الرياء أمسك[٤].

* ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ الجنة: البستان، وهي قطعة أرض تنبت فيها الأشجار حتى تغطيها.

* وقال مجاهد بن جبر المكي المفسّر (ت ١٠٤هـ): «الربوة»: الأرض المستوية المرتفعة[٥].

* ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾: هو المطر الشديد.

* ﴿فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ أي: أعطت ضعفي ثمر غيرها من الأرَضين.

* وقال عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ): حملت في السنة مرتين[٦].

(١ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٦٠١).

(٦) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٥٢).

* ﴿ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾:

* قال الضحاك بن مزاحم أبو القاسم (ت ١٠٥هـ): ﴿ الطل ﴾: الرذاذ من المطر، يعني اللين منه(١).

* ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾: فيجازي كلاّ بعمله حسب نيته.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ بِرَبْوَةٍ ﴾ [رقم: ٢٦٥]

قرأ ابن عامر، وعاصم: ﴿ بربوة ﴾ بفتح الراء. وقرأ الباقون بضم الراء، والفتح والضم لهجتان. والربوة: المكان المرتفع من الأرض(٢).

* ﴿ أُكُلَهَا ﴾ [رقم: ٢٦٥]

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو: ﴿ أكلها ﴾ بإسكان الكاف وهو لهجة تميم، وأسد. وقرأ الباقون من القراء العشرة بضم الكاف. وهو لهجة الحجازيين(٣).

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢٦٦) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ الآية:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما): هذا مثل ضربه الله للمرائين بالأعمال يبطلها يوم القيامة ـ أي يبطلها الرياء ـ أحوج ما كان إليها، كمثل رجل كانت له جنّة، وله أطفال لا ينفعونه فكبر، وأصاب الجنة إعصار: أي ريح عاصفة فيه ـ أي الإعصار ـ نار فاحترقت ـ أي الجنة ـ ففقدها أحوج ما كان إليها(٤).

(١) انظر: الدر المنثور (١/ ٦٠٢).

(٢) انظر: المغني في توجيه القراءات (١/ ٢٧٩).

(٣) انظر: المغني في توجيه القراءات (١/ ٢٨١)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ١٠٥).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٢٠٦).

وأقول: كذلك يبطل الله ـ تعالى ـ عمل المرائين يوم القيامة حين لا مغيث لهم، ولا توبة لهم.

وصدق الله إذ قال: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠].

* ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ فى زوال الدنيا وفنائها، وإقبال الآخرة وبقائها[١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن أبى شيبة، وعبد بن حميد، والترمذى وصححه، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، والحاكم وصححه، والبيهقى فى سننه، عن البراء بن عازب (ت ٦٢ هـ ـ رضى الله عنه) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ قال: نزلت فينا معشر الأنصار: كنا أصحاب نخيل، كان الرجل يأتى من نخله على قدر كثرته وقلّته، وكان الرجل يأتى بالقنو والقنوين فيعلقه فى المسجد، وكان أهل الصفّة ليس لهم طعام، فكان أحدهم إذا جاع أتى القنو فضربه بعصاه فيسقط البسر والتمر فيأكل، وكان ناس ممن لا يرغب فى الخير يأتى الرجل بالقنو فيه الشيص، والحشف، وبالقنو قد انكسر فيعلقه، فأنزل الله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ الآية. قال: لو أن أحدكم أهدى إليه مثل ما أعطى لم يأخذه إلا عن إغماض وحياء، قال: فكنا بعد ذلك يأتى أحدنا بصالح ما عنده.. اهـ[٢].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٢٠٨).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٥٥)، وتفسير الدرّ المنثور للسيوطى (١/ ٦١٠).

❀ **معاني المفردات:**

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ﴾: هذا الخطاب عام لكل مسلم ومسلمة من أمة سيدنا محمد ﷺ.

قال القرطبي (ت ٦٧١هـ): اختلف العلماء في المعنى المراد بالإنفاق هنا على ثلاثة أقوال:

* أولا: قال علي بن أبي طالب (ت ٤٠هـ ـ رضي الله عنه) وعبيدة السلماني، وابن سيرين (ت ١١٠هـ) قالوا: هي الزكاة المفروضة، نهى الله الناس عن إنفاق الرديء فيها بدل الجيد.. اهـ.

* ثانيًا: قال ابن عطيّة عبد الحق بن غالب بن عبد الرءوف (ت ٥٤٦هـ) الظاهر من قول كل من:

١ ـ البراء بن عازب بن الحارث (ت ٦٢هـ ـ رضي الله عنه).

٢ ـ والحسن البصري (ت ١١٠هـ).

٣ ـ وقتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨هـ): أن الآية في التطوّع، ندبوا إلى ألا يتطوعوا إلا بمختار جيد.

* ثالثًا: قال ابن عطية: الآية تعمّ الوجهين. لكن صاحب الزكاة مأمور بها والأمر للوجوب. أمّا المتطوّع فالأمر بالنسبة له للندب[1].

* ﴿مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾:

* قال مجاهد بن جبر المكي المفسّر (ت ١٠٤هـ): من التجارة[2].

* ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ﴾:

* قال عليّ بن أبي طالب (ت ٤٠هـ ـ رضي الله عنه) يعني: من الحبّ، والتمر، وكل شيء عليه زكاة[3].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٢٠٨).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدرّ المنثور للسيوطي (١/ ٦٠٤).

* ﴿ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾:

* قال البراء بن عازب بن الحارث (ت ٦٢هـ ـ رضى الله عنه) يقول الله ـ تعالى ـ: ولا تعمدوا للخبيث منه تنفقونه[١].

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): لا تعمدوا إلى شرِّ ثماركم، وحروثكم فتعطوه فى الصدقة، ولو أُعطيتم ذلك لم تقبلوا[٢].

* ﴿ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾: الضمير فى ﴿ بِآخِذِيهِ ﴾ يعود على ﴿ الْخَبِيثَ ﴾ وحينئذ يكون المعنى: ولستم بآخذى الخبيث فى ديونكم وحقوقكم من الناس إلا أن تتساهلوا فى ذلك وتتركوا من حقوقكم، وتكرهونه، ولا ترضونه، إذًا فلا تفعلوا مع الله ـ تعالى ـ ما لا ترضونه لأنفسكم.

* وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): لو وجدتموه يباع فى السوق ما أخذتموه حتى يهضم لكم من الثمن[٣].

* وقال الضحاك بن مزاحم أبو القاسم (ت ١٠٥هـ): لو كان لك على رجل حقّ لم ترض أن تأخذ منه دون حقك، فكيف ترضى لله ـ تعالى ـ بأردأ مَالك تتقرب به إليه؟[٤].

* ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾: أى: لا حاجة به إلى صدقاتكم، فمن تقرب إلى الله وطلب المثوبة فليفعل ذلك من أجود ما عنده، لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ طيب لا يقبل إلا طيبًا.

* قال الزجاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ أى: لم يأمركم أن تصدّقوا من عوَز، ولكنه بَلاَ أخباركم، فهو حميد على ذلك على جميع نعمه[٥].

* وصدق الله إذ قال: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١) ﴾ [محمد: ٣١].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦١٢).

(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦١٢).

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾:

* ﴿ يَعِدُكُمُ ﴾ أى: يخوفكم. يقال فى الخير: وعدته، وفى الشرّ: أوعدته. والفقر: سوء الحال، وقلة ذات اليد.

✳ **المعنى:** إن الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للإنسان: أمسك عليك مَالَك، فإنك إذا تصدقت به افتقرت. * ﴿ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾ أى: بالبخل ومنع الزكاة.

* قال الكلبى محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ): كل الفحشاء فى القرآن هو الزنا إلا هذا[١].

* عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للشيطان لمّة بابن آدم، وللملك لمّة: فأمّا لمة الشيطان: فإيعاد بالشرّ وتكذيب بالحق. وأمّا لمّة الملك: فإيعاد بالخير وتصديق بالحق. فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان، ثم قرأ: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾ الآية»[٢].

* ﴿ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: اثنان من الله، واثنان من الشيطان: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾ يقول: لا تنفق مالك، وأمسكه عليك فإنك تحتاج إليه. ﴿ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ ﴾ على هذه المعاصى ﴿ وَفَضْلاً ﴾ فى الرزق[٣].

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٥٦).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦١٥).

* عن خالد الربعى قال: عجبت لثلاث آيات ذكرهنَّ الله فى القرآن:

الأولى: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]، ليس بينهما حرف.

والثانية: قف عندها ولا تعجل ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢] فلو استقرّ يقينها فى قلبك ما جفّت شفتاك.

والثالثة: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً ﴾ اهـ[١].

* ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾:

المعنى: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يعطى مِنْ سعة، ويعلم حيث يضع ذلك، ويعلم الغيب والشهادة.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَيَأْمُرُكُم ﴾ [رقم: ٢٦٨]

قرأ أبو عمرو بإسكان الراء، واختلاس ضمتها، وهما لهجتان.

وقرأ الباقون بالضمة الخالصة وهو الوجه الثالث للدورى[٢].

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (٢٦٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال معنى ذلك: المعرفة بالقرآن: ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخّره، وحلاله وحرامه، وأمثاله.. اهـ[٣].

* وقال مجاهد بن جبر المكى المفسّر (ت ١٠٤هـ): ليست بالنبوّة، ولكنها: القرآن، والعلم، والفقه[٤].



(١) تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦١٥).
(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٠٥).
(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦١٦).

* وقال أبو العالية الرياحيّ (ت ١٩٠هـ): ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾:الخشية، لأن خشية الله رأس كل حكمة وقرأ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨][(١)].

* ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾:

* عن عبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥هـ ـ رضى الله عنهما): أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ القرآن فقد استدرج النبوّة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه، ومن قرأ القرآن فرأى أن أحداً أعطى أفضل مما أعطى فقد عظم ما صغّر الله، وصغّر ما عظّم الله، وليس ينبغى لصاحب القرآن أن يجد مع مَنْ وجد، ولا يجهل مع مَنْ جهل وفى جوفه كلام الله» اهـ. [أخرجه الطبرانى، والحاكم وصححه والبيهقى][(٢)].

* وأخرج البخارى فى تاريخه، والبيهقى عن رجاء الغنوى قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعطاه الله حفظ كتابه وظنّ أن أحداً أوتى أفضل مما أوتى فقد غمط أعظم النعم» اهـ[(٣)].

* ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ أى: أصحاب العقول السليمة.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ [رقم: ٢٦٩]

قرأ يعقوب: ﴿يؤتِ﴾ بكسر التاء، على البناء للفاعل، والفاعل ضمير يعود على الله ـ تعالى ـ المتقدم فى قوله: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [رقم: ٢٦٧]. و﴿مَن﴾ مفعول أول، و﴿الْحِكْمَةَ﴾ مفعول ثان، والتقدير: يؤت الله مَنْ يشاء الحكمة.

وقرأ الباقون ﴿يؤتَ﴾ بفتح التاء على البناء للمفعول، ونائب الفاعل ضمير يعود على ﴿مَن﴾ و﴿الْحِكْمَةَ﴾ مفعول[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦١٦).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦١٧).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦١٨).
(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٢٨٦)، والمستنير فى تخريج القراءات (١/ ٨٣).

﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٢٧٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ ﴾: أيًّا كانت سواء كانت صغيرة أو كبيرة، فى ليل، أو نهار، فإن الله يعلمها، وسيثيب عليها إن كانت خالصة لله ـ تعالى ـ، قال ـ تعالى ـ: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) ﴾ [البقرة: ٢٦١].

* ﴿ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾:

* عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها): أن رسول الله ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه» اهـ[١].

* وعن عمران بن حصين ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا نذر فى معصية ولا غضب، وكفارته كفارة يمين»[٢].

* وعن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه): أن رسول الله ﷺ قال: «لا تنذروا، فإن النذر لا يغنى من القَدَر شيئًا»[٣].

* ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ أى: من أعوان يدفعون عنهم عذاب الله يوم القيامة.

﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٧١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ ﴾ أى: تظهروها. * ﴿ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ أى: نعمت الخصلة هى. * ﴿ وَإِن تُخْفُوهَا ﴾ أى: تسرّوها. * ﴿ وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ ﴾ أى: فى السر. * ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ أى: صدقة السرّ أفضل.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦٢١).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦٢٢).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦٢١).

* ومما يدلّ على أن صدقة السر أفضل الأحاديث التالية:

* أولا: عن أبى أمامة الباهلى - رضى الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله أىّ الصدقة أفضل؟ قال: «جهْد المقلّ، أو سرٌّ إلى فقير، ثم تلا هذه الآية: ﴿إن تُبْدُوا الصَّدَقَات فَنعمَّا هِيَ﴾ الآية»[1].

* ثانيًا: عن أبى ذرٍّ الغفارى (ت ٣٢هـ - رضى الله عنه) قال: قال لى رسول الله ﷺ: «ألا أدلّك عن كنز من كنوز الجنة» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «لا حول ولا قوّة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة»، قلت: فالصلاة يا رسول الله؟ قال: «خير موضوع، فمن شاء أقلّ، ومن شاء أكثر»، قلت: فالصوم يا رسول الله؟ قال: «فرض مجزئ» قلت: فالصدقة يا رسول الله؟ قال: «أضعاف مضاعفة وعند الله مزيد»، قلت: فأيها أفضل؟ قال: «جهْد من مقل، وسرٌّ إلى فقير»[2].

* ثالثًا: عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ - رضى الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظلّ إلا ظلّه: إمام عادل، وشاب نشأ فى عبادة الله - عزّ وجلّ -، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابّا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إنى أخاف الله، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه» [أخرجه البخارى، ومسلم، والنسائى][3].

* رابعًا: عن أبى أمامة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «صنائع المعروف تقى مصارع السوء، وصدقة السرّ تطفئ غضب الربِّ، وصلة الرحم تزيد فى العمر»[4].

* ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: فهو عليم بذات الصدور، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، ولا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.

(١ - ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦٢٥).

(٣ - ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦٢٦).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [رقم: ٢٧١]

* ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ﴾ [النساء: ٥٨]

قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف البزّار: ﴿نَعِمَّا﴾ في الموضعين بفتح النون وكسر العين، على الأصل، لأن الأصل «نَعِم» مثل: «شَهِد».

وقرأ ورش، وابن كثير، وحفص، ويعقوب بكسر النون والعين، فكسر العين على الأصل، وكسر النون إتباعًا لكسرة العين، لأن العين حرف حلقيّ يجوز أن يتبعه ما قبله في الحركة مثل «لعب» بفتح فاء الكلمة وكسرها، وهي لهجة هذيل.

وقرأ أبو جعفر: ﴿نِعْمّا﴾ بكسر النون، وإسكان العين، والأصل «نَعِم» بفتح النون، وكسر العين، فكسرت النون إتباعًا لكسرة العين، ثم سكّنت الميم تخفيفًا، وجاز الجمع بين ساكنين لأن الساكن الثاني مدغم.

وقرأ قالون، وأبو عمرو، وشعبة بوجهين:

الأول : كسر النون، واختلاس كسرة العين للتخفيف، وفرارًا من الجمع بين ساكنين.
والثاني: كسر النون، وإسكان العين كقراءة أبي جعفر[1].

ونِعْم: فعل ماض جامد، وفاعل «نعم» مضمر، و«ما» بمعنى (شيئًا) في موضع نصب على التفسير وهي المخصوص بالمدح، أي نعم الشيء شيئًا، و«هي» مبتدأ مؤخر، ونعم وفاعلها الخبر، أي الصدقة نعم الشيء، واستغنى عن ضمير يعودعلى المبتدأ لاشتمال الجنس على المبتدأ.

ويجوز أن يكون «هي»خبر مبتدأ محذوف، كأنّ قائلا قال: وما الشيء الممدوح؟ فقيل: هي أي الممدوحة الصدقة[2].

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات (١/ ٢٨٧)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣١٦)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ١٠٦، ١٦٢).

(٢) انظر: إعراب القرآن للعكبري (١/ ١١٥)، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (١/ ١١٤).

* ﴿ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ [رقم: ٢٧١]

قرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، وخلف البزّار: ﴿ ونكفر ﴾ بنون العظمة وجزم الراء، لأن الفعل معطوف على محلّ ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وشعبة، ويعقوب: ﴿ ونكفر ﴾ بنون العظمة، ورفع الراء، على أنها جملة مستأنفة، والواو لعطف جملة على أخرى.

وقرأ ابن عامر، وحفص: ﴿ ويكفر ﴾ بالياء، ورفع الراء، والفاعل ضمير يعود على الله ـ تعالى ـ المتقدم ذكره في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾ [٢٧٠].

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ (٢٧٢) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

ورد في ذلك أكثر من سبب اخترتُ منها السبب التالي:

* عن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) قال: كانوا يتصدقون على فقراء أهل الذمّة، فلما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله ﷺ عن التصدّق على أهل الذمّة كي تحملهم الحاجة على الدخول في الإسلام لحرصه ﷺ على إسلامهم، فنزلت الآية، مبيحة التصدق على من ليس من دين الإسلام، فتصدّقوا عليهم بعد نزولها(١).

• تنبيه في غاية الأهمية:

أقول إباحة إعطاء الصدقة لغير المسلم هذا في صدقة التطوّع فقط.

أمّا الصدقة المفروضة فلا يجوز أن تعطى إلا لأهل السّهام المذكورين في قوله ـ تعالى ـ في سورة التوبة: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦٠]

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص٩١، وأسباب النزول للقاضي ص٤٣، وتفسير القرطبي (٣/ ٢١٨)، وتفسير البغوي (١/ ٢٥٨)، وتفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٦٣١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾: الخطاب هنا لسيِّد ولد آدم، وحبيب ربِّ العالمين: نبينا محمد ﷺ. والمخاطِبُ: هو الله ربُّ العالمين.

ومضمون الخطاب كما نصَّت عليه الآية الكريمة: يقول الله ـ عزّ وجلّ ـ لنبيه الذى أرسله للناس أجمعين عندما قال لصحابته: لا تتصدّقوا على غير المسلمين (رجاء) أن يدخلوا فى دين الله وهو الإسلام.

قال الله له: ليس عليك هداهم، لأن الذى عليك هو البلاغ، يدلّ على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (٨٢) ﴾ [النحل: ٨٢].

أمّا الهداية فهى (لى) ـ أى لله تعالى وحده ـ يدلّ على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (١٧) ﴾ [الكهف: ١٧].

* ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ ﴾: لأن ثواب النفقة سيعود عليكم أنتم.

* ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾:

* قال رسول الله ﷺ لسعد بن أبى وقَّاص: «إنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله ـ تعالى ـ إلا أجرت بها حتى ما تجعل فى فِىِّ امرأتك» اهـ[1].

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾:

* قال محمد بن كعب القرظى: هم أصحاب الصفّة، كانوا لا منازل لهم بالمدينة، ولا عشائر، فحثّ الله ـ تعالى ـ الناس بالصدقة عليهم[2].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٢٢٠).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦٣٣).

* وأخرج البخاري، ومسلم عن أبي هريرة (ت ٥٩هـ - رضى الله عنه) قال: قال لي رسول الله ﷺ: «الحق إلى أهل الصفّة فادعهم»، قال: وأهل الصفّة أضياف الإسلام لا يلوون على أهل ولا مال، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها[١].

* ﴿لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ﴾، أي: للتجارة، وطلب المعاش.

* ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ أي: يحسبهم الجاهل بحالهم أغنياء بسبب تعففهم، عن السوال، وقناعتهم.

* أخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ - رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المسكين بالطوّاف الذى تردّه اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذى لا يجد ما يغنيه ويستحي أن يسأل الناس، ولا يفطن له فيتصدق عليه»[٢].

* ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾: السيما، والسيماء، والسمة: العلامة التى يعرف بها الشيء، واختلفوا في معناها هنا على ثلاثة أقوال:

* أولا : قال مجاهد بن جبر المكى المفسّر (ت ١٠٤هـ) هي: التخشع والتواضع[٣].

* ثانيًا: قال السدّي إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (١٢٧هـ) هي: أثر الجهد من الحاجة والفقر[٤].

* ثالثًا: قال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) هي: صفرة ألوانهم من الجوع والضر[٥].

* ﴿لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾:

* أخرج البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن أبي هريرة (ت ٥٩هـ - رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المسكين الذى تردّه التمرة والتمرتان، واللقمة واللقمتان، إنما المسكين الذى يتعفف، واقرءوا إن شئتم: ﴿لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾» اهـ[٦].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٦٣٣).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٦٣٤).

(٣ : ٥) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٥٩).

(٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٦٣٤).

* وأخرج ابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المسكين بالطوّاف عليكم فتعطونه لقمة لقمة، إنما المسكين المتعفّف الذى لا يسأل الناس إلحافًا»(١).

* ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾: فيجازيكم عليه. وصدق الله إذ قال: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

• **تنبيه مهم:**

اعلم أخى المسلم أن الشريعة الإسلامية مع أنها حثّت على التصدق على الفقراء، والمساكين.

إلا أنها فى نفس الوقت نفّرت من السؤال، وحثّت على العمل والكسب الحلال.

يدل على ذلك الأحاديث التالية:

* أولا: أخرج الطبرانى فى الأوسط عن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصارى (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنه): أن رسول الله ﷺ قال: «من سأل وهو غنىّ عن المسألة يحشر يوم القيامة وهى خموش فى وجهه» اهـ(٢).

* ثانيًا: أخرج ابن أبى شيبة، والبخارى، ومسلم، والنسائى عن عبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما): أن النبى ﷺ قال: «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس فى وجهه مزعة لحم» اهـ(٣).

* ثالثًا: أخرج ابن أبى شيبة، والبخارى، وابن ماجه عن الزبير بن العوّام ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لإن يأخذ أحدكم أحْبله فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكفّ بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه» اهـ(٤).

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦٣٤).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى ١٠/ ٦٣٦).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦٣٥).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦٣٩).

* رابعًا: أخرج مالك، والبخـارى، ومسلم، وأبو داود، والنسائى عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ: أن رسـول الله ﷺ قال وهو على المنبر وذكـر الصدقة والتعفف عـن المسألة: «اليد العليا خير من اليد السفلى، والعليا هى المنفقة، والسفلى هى السائلة» اهـ[١].

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٤) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

ورد فى سبب نزول هذه الآية أكثر من قول اخترت منها القول التالى:

* أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حـميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والطبرانـى، وابن عـساكر من طريـق عبد الوهاب بن مـجاهد عن أبيه عن ابن عـباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهمـا) قال: نزلت هذه الآية: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ إلخ فى على بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) كانت له أربعة دراهم فأنفق بالليل درهما، وبالنهار درهمًا، وسرًا درهمًا، وعلانية درهما[٢].

المعنى: مـما لا ريب فـيه أن سـبب نزول هذه الآية وضّح مـعناها إلا أنه بقى شىء لغوى متصل بالإعراب أحببت أن أبينـه: «الذين» مبتدأ وجملة «ينفقون»... إلخ صلة الموصـول، وخبر الـمبتـدأ: جملة ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾ . . . إلخ. ودخلت الفاء فى الخبر لشبه الاسم الموصول بالشرط فى العموم.

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ﴾:

* ﴿ يَأْكُلُونَ ﴾ أى: يتعامـلون بالربا، وإنما خُصّ الأكل لأنه معظم المقـصود من المـال. والربا فى اللغة: الـزيادة مطلقًا، يقـال: ربا الشىء يربو إذا زاد، وقـد أجمـعت الأمة على تحريم الربا. وهو محرّم بالكتاب، والسنة، والإجماع:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦٣٨).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٩٥، وتفسير البغوى (١/ ٢٦٠)، وتفسير الدر المنثور (١/ ٦٤٢).

* فمن الكتاب قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾.

* ومن السنة الحديث التالي: فعن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضي الله عنه) قال: لعن رسول الله ﷺ آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: «هم سواء» اهـ [رواه مسلم](١).

وأمّا الإجماع: فقد أجمعت الأمة الإسلامية على أن الربا من المحرمات، ومن قال بحلّه فهو كافر والعياذ بالله ـ تعالى ـ.

• والربا نوعان:

* الأول: ربا النسيئة: أي التأخير في أجل الدفع، والزيادة في الدَّيْن، كما كان يحصل في الجاهلية إذا حلّ الدَّيْن يقول: إما أن تدفع وإما أن تؤجل ويزيد الدَّيْن(٢).

* والثاني: ربا الفضل: وهو: الزيادة المشروطة للدائن بغير مقابل. وربا الفضل يكون في أصناف مخصوصة بينها الهادي البشير ﷺ في سنته المطهرة، أقتبس منها الحديثَيْن التاليَيْن:

* الحديث الأول: عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبرّ بالبرّ، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلا بمثل، سواء بسواء، يدًا بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد» اهـ. [رواه مسلم](٣).

* الحديث الثاني: عن أبي هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «الذهب بالذهب وزنًا بوزن، مثلا بمثل، والفضة بالفضة وزنًا بوزن، مثلا بمثل، فمن زاد أو استزاد فقد أربى» اهـ. [رواه مسلم](٤).

* ﴿ لَا يَقُومُونَ ﴾ أي: يوم القيامة من قبورهم.

* ﴿ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾:

---

(١) انظر: سبل السلام شرح بلوغ المرام (٣/ ١١١٢).

(٢) انظر: المحرمات للدكتور/ محمد محمد سالم محيسن ص١٣٨.

(٣ ـ ٤): انظر: سبل السلام شرح بلوغ المرام (٣/ ١١١٩).



* ﴿ يَتَخَبَّطُهُ ﴾ أي: يصرعـه، وأصل الخبط: الضـرب والوطء وهو ضرب على غير استواء، يقال: ناقة خبوط للتى تطأ الناس وتضرب الأرض بقوائمها.

* ﴿ مِنَ الْمَسِّ ﴾ أي: الجنون، يقال: مُسَّ الرجل فهو ممسوس.

❊ **المعنى:** إن آكل الربا يبعث يوم القيامة كمثل المصروع.

* أخرج الأصبـهانى فى ترغيبه عن أنس بـن مالك الأنصارى (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتى آكل الربا يوم القيامة مختبلا يجرّ شقيه، ثم قرأ: ﴿ لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾» اهـ(١).

* ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾:

أي: ذلك الذى نزل بآكلة الربا من العـقوبة لقـولهم هذا واستحـلالهم أكل الربا. وذلك أن أهل الجـاهلية كـان أحدهم إذا حلّ أجل مـاله على غريمـه فطالبـه، فيـقول الغريم لصاحب الحق: زدنى فى الأجل وأنا أزيدك فى المال، فيفعلان ذلك ويقولان: سواء علينا الزيادة فى أول البيع بالربح، أو عند المحلّ لأجل التأخير.

وهذا هو ربا النسيئة، فكذّبهم الله ـ تعالى ـ وقال:

* ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ أي: أن البيع حلال والربا حرام.

* ﴿ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ ﴾: عن أكل الربا.

* ﴿ فَلَهُ مَا سَلَفَ ﴾ أي: مـا مضى من ذنبـه قـبل النهي مغـفـور له، قاله السـدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ)(٢).

* قال القرطبى: وهذا حكم من الله ـ تعالى ـ لمن أسلم من كفار قريش، وثقيف، ومن كان يتّجر هنالك(٣).

* ﴿ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾:

قال أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ): الضمير فى ﴿ وَأَمْرُهُ ﴾ عائد على (صاحب

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦٤٣).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٢٣٣).

الربا) بمعنى أمره إلى الله فى أن يثبته على الانتهاء عن أكل الربا، أو يعيده إلى المعصية فيتعامل بالربا[١].

* ﴿ وَمَنْ عَادَ ﴾: إلى أكل الربا بعد تحريمه حتى يموت.

* ﴿ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾:

* عن عوف بن أبى جحيفة عن أبيه قال: إن النبى ﷺ نهى عن ثمن الدم، وثمن الكلب، وكسب البغىّ، ولعن آكل الربا، وموكله، والواشمة، والمستوشمة، والمصوّر.. اهـ[٢].

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ﴾ أى: يُنقصه، ويُهلكه، ويُذهب بركته.

* أخرج أحمد، وابن ماجه، وابن جرير، والحاكم وصححه، والبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال: «إن الربا وإن كثر فإن عاقبته تكون إلى أقل»[٣].

* ﴿ وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ أى: يُثمرها الله ـ تعالى ـ ويبارك فيها فى الدنيا، ويضاعف بها الأجر والثواب فى الآخرة.

* أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، والبخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، والبيهقى فى الأسماء والصفات عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصدّق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا طيبًا، فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربِّى أحدكم فلوَّه حتى تكون مثل الجبل» اهـ[٤].

* ﴿ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾: فمصيره إلى النار وبئس المصير.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٣/ ٢٣٤).

(٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٦٣).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦٤٥).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ﴾:

* ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾: هذا عام يشمل الأشياء التى شرعها الله ـ تعالى ـ سواء كانت فى القرآن أو فى سنة نبينا «محمد» ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

* ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾: أى: أدوها تامّة فى أوقاتها، بشروطها، وأركانها، وآدابها وسُننها، وهيئاتها.

* ﴿ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ﴾: المفروضة عليهم سواء كانت فى عروض التجارة، أو فيما تخرجه الأرض من الحبوب، وفقًا للشروط التى بينها الشارع الحكيم، وقد تكفل ببيان ذلك الهادى البشير نبينا «محمد» ﷺ. وكله موضح ومبين فى السنة المطهرة.

* ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ أى: من فعل الأحكام التى تضمنتها الآية الكريمة فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ سيثيبه على ذلك يوم القيامة يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) ﴾

❁ سبب نزول هذه الآية:

ورد فى سبب نزولها عدّة أقوال اخترت منها القول التالى:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم عن السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ) قال: نزلت هذه الآية فى العباس بن عبد المطلب، وخالد بن الوليد ـ رضى الله عنهما ـ، وكانا شريكين فى الجاهليّة يُسْلفان فى الربا إلى بنى عمرو بن عمير وناس من ثقيف فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة فى الربا، فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية، فقال النبى ﷺ فى حجة الوداع فى خطبته يوم عرفة: «ألاَ كل شىء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أوّل دم

أضع من دمائنا دم ابن ربيعــة بن الحارث كان مستـرضعًا في بني سعد فـقتلته هذيل، وربا الجـاهلية مـوضوعـة كلها، وأول ربا أضع ربـا العبـاس بن عبـد المطلب فإنهـا موضوعة كلها» اهـ[١].

❀ معاني المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾:

* قال الضحاك بن مـزاحم أبو القاسم (ت ١٠٥هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ قـال: كان ربا يتـعامـلون به في الجاهليـة، فلمـا أسلموا أمـروا أن يأخذوا رءوس أموالهم[٢].

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾:

* ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا ﴾ أي: إذا لم تذروا ما بقى من الربا.

* ﴿ فَأْذَنُوا ﴾ أي: فأيقنوا أنتم بحرب من الله ورسوله.

* قال ابن عباس ـ رضي الله عنهـما ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ قال: من كـان مقـيمًـا على الربا لا ينزع منه فحقّ علـى إمام المسلـمين أن يستتيبه، فإن نزع، وإلا ضرب عنقه.. اهـ[٣].

* ﴿ وَإِن تُبْتُمْ ﴾ أي: تركتم استحلال الربا، ورجعتم عنه.

* ﴿ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ ﴾: بطلب الزيادة.

* ﴿ وَلا تُظْلَمُونَ ﴾: بالنقصان عن رأس المال.

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص٩٦، وتفسير البغوي (١/ ٢٦٤)، وتفسير الدر المنثور (١/ ٦٤٦).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٦٤٧).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٢٣٥)، وتفسير الدر المنثور (١/ ٦٤٧).

* قال البغوى فى تفسيره: لما نزلت الآية قال بنو عمرو الثقفى ومن كان يعامل بالربا من غيرهم: بل نتوب إلى الله فإنه لا يَدَان لنا بحرب الله ورسوله، ورضوا برأس المال(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَأْذَنُوا ﴾ [رقم: ٢٧٩]

قرأ شعبة، وحمزة: ﴿ فَآذِنوا ﴾ بفتح الهمزة ومدّها وكسر الذال، على أنه فعل أمر من «آذنه بكذا»: أعلمه به.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ فأْذَنوا ﴾ بإسكان الهمزة، وفتح الذال، على أنه فعل أمر من «أذن».

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) ﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ ﴾ أى: استيقنوا بحرب من الله ورسوله(٢).

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ أى: وإن كان الذى عليه الدَّيْن معسرًا، و﴿ كَانَ ﴾ هنا ليس لها خبر، ولذا كانت بمعنى وقع وحينئذ لا تحتاج إلى خبر، بل تحتاج إلى فاعل فقط، والفاعل ﴿ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ أى: صاحب عسرة.

* ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ أى: إمهال وتأجيل.

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): إنما أمر فى الربا أن ينظر المعسر، وليست النظرة فى الأمانة ولكن تؤدّى الأمانة إلى أهلها(٣).

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٦٥).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٢٩٨)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣١٨)، والحجة فى القراءات السبع للدانى ص١٠٣، وحجة القراءات لابن زنجلة ص١٤٨، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٠٨).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦٥٠).

* وقال محمد بن سيرين الأنصارى (ت ١١٠هـ): إن رجلين اختصما إلى شريح فى حق، فقضى عليه شريح وأمر بحبسه، فقال رجل عنده: إنه معسر، والله يقول: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ قال: إنما ذلك فى الربا، إن الربا كان فى هذا الحىّ من الأنصار فأنزل الله: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾.

وقال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨][١].

* ﴿ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾:

* قال سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ): من تصدق بدين له على معدم فهو أعظم لأجره، ومن لم يتصدّق عليه لم يأثم.

ومن حبس معسراً فى السجن فهو آثم لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾.

ومن كان عنده ما يستطيع أن يؤدّى عن دَيْنه فلم يفعل كُتب ظالمًا[٢].

* ومن يقرأ السنة المطهّرة يجد الكثير من الأحاديث الصحيحة التى تبين الثواب الجزيل لمن أنظر معسراً.

وهذا قبس من هذه الأحاديث:

* أولا: أخرج الإمام أحمد، وابن أبى الدنيا فى كتاب اصطناع المعروف عن ابن عمر(ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد أن تستجاب دعوته، وأن تكشف كربته فليفرج عن معسر»[٣].

* ثانيًا: أخرج الترمذى وصححه، والبيهقى عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنظر معسراً، أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظلّ إلا ظلّه» اهـ[٤].

* ثالثًا: أخرج البخارى، ومسلم، والنسائى، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنّ رسول الله ﷺ قال: «إن رجلا لم يعمل خيراً قط، وكان يداين الناس، وكان

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦٥٠).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦٥١).

يقـول لفتـاه: إذا أتيت مـعسـرًا فتـجـاوز عنه لعلّ الله يتجـاوز عنَّا، فلقى الله ـ تعـالى ـ فتجاوز عنه» اهـ[١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ [رقم: ٢٨٠]

قرأ أبو جعفر بضم السين، وهى لهجة أهل الحجاز.

وقرأ الباقون بإسكانها، وهى لهجة تميم، وأسد[٢].

* ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ [رقم: ٢٨٠]

قرأ نافع بضم السين، وهى لهجة أهل الحجاز.

وقرأ الباقون بفتحها، وهى لهجة باقى العرب[٣].

* ﴿ وَأَن تَصَدَّقُوا ﴾ [رقم: ٢٨٠]

قرأ عاصم بتخـفيف الصاد، على حذف إحدى التاءين. وقرأ البـاقون بتشديدها، على إبدال التاء صادًا وإدغامها فى الصاد، لأن أصلها «تتصدقوا»[٤].

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١) ﴾

* قـال ابـن عبـاس (ت ٦٨هـ ـ رضـى الله عنهـمـا) والسّـدّى إسـمـاعـيل بن عبد الرحمن المـفسّر (ت ١٢٧هـ)، وسعيد بن جبيـربن هشام (ت ٩٥هـ) قالوا: آخر آية نزلت من القرآن على النبى ﷺ ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ الآية[٥].

* وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: هذه آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ فقال له «جبريل» ـ عليه السلام ـ: ضعها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة[٦].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦٥٢).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٠٨).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٢٩٩).

(٤) انظر: الكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣١٩)، والنشر فى القراءات بتحقيقنا (٢/ ٤٤٥).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦٥٣).

(٦) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٦٦).

* وقال ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) وابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: عاش بعدها رسول الله ﷺ واحدًا وعشرين يومًا(١).

* قال سعيد بن جبير: مات النبي ﷺ يوم الإثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأوّل حين زاغت الشمس سنة إحدى عشرة من الهجرة(٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ [رقم: ٢٨١]

قرأ أبو عمرو، ويعقوب ﴿ تَرجِعون ﴾ بفتح التاء، وكسر الجيم، على البناء للفاعل، والواو فاعل.

وقرأ الباقون ﴿ تُرجَعون ﴾ بضم التاء، وفتح الجيم، على البناء للمفعول، والواو نائب فاعل(٣).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٨٢) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾:

* ﴿ إِذَا تَدَايَنتُم ﴾ أي: تعاملتم بالدين، يقال: داينته: إذا عاملته بالدَّين.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٢٤٢).

(٢) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٦٦).

(٣) انظر: المهذب في القراءات العشر (١/ ١٠٨).

* ﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾: الأجل: مدّة معلومة الأوّل والآخر.

* ﴿ فَاكْتُبُوهُ ﴾ أي: اكتبوا الذي تداينتم به بيعًا كان أو سَلَمًا، أو قرْضًا.

* قال البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود الشافعي (ت ٥١٦هـ) اختلفوا في هذه المكاتبة على قولين:

١ ـ فقال بعضهم: هي واجبة.

٢ ـ والأكثرون على أنه أمر استحباب، فإن تركه فلا بأس كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾ [الجمعة: ١٠][(١)].

* أخرج البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والبيهقي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قدم النبي ﷺ المدينة وهم يسلفون في الثمار السنتين والثلاث، فقال: «من أسلف فليسلف في كيل معلوم، ووزن معلوم إلى أجل معلوم»[(٢)].

* ﴿ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾: هذا بيان لكيفية الكتابة، أي: ليكتب كتابَ الدين بين الطالب والمطلوب كاتبٌ بالعدل أي: بالحق من غير زيادة، ولا نقصان، ولا تقديم أجل ولا تأخير.

* قال سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾ قال: يعدل بينهما في كتابه لا يزيد على المطلوب، ولا ينقص من حق الطالب[(٣)].

* ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ ﴾ أي: لا يمتنع كاتب أن يكتب.

* وقال السدّي إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ): إن كان فارغًا[(٤)].

* قال البغوي: اختلفوا في حكم الكتابة على الكاتب:

١ ـ فقال مجاهد بن جبر المكي المفسّر (ت ١٠٤هـ): هو واجب إذا طولب[(٥)].

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٦٧).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٦٥٤).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور (١/ ٦٥٥).

(٥) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٦٧).

٢ ـ وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): هو واجب إذا لم يكن كاتب غيره[١].

٣ ـ وقال قوم: هو على الندب، والاستحباب[٢].

* ﴿ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾: عن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) قال: كما أمره الله ـ تعالى ـ[٣].

* وعن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) قال: كما علمه الله الكتابة وترك غيره[٤].

* ﴿ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ﴾:

✱ **المعنى:** المطلوب يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه، وليمله على الكاتب.

* ﴿ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ﴾: أى: المملى يجب عليه أن يتقى الله ـ تعالى ـ ولا ينقص من الحق الذى عليه شيئًا.

* ﴿ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا ﴾:

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) أى: جاهلا بالإملاء[٥].

* وقال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ)، والسدى إسماعيل بن عبد الرحمن (١٢٧هـ): أى: طفلا صغيرًا[٦].

* وقال الإمام الشافعى (ت ٢٠٤ هـ): السفيه: المبذِّر المفسد لماله، أو فى دينه[٧].

* ﴿ أَوْ ضَعِيفًا ﴾ أى: ضعيف العقل، أو لعلّة.

* ﴿ أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ ﴾ أى: لخرس، أو عجمة، أو غيبة فلا يمكنه حضور الكتابة، أو لسبب آخر.

* ﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ﴾ أى: قيِّمه بالصدق والحق.

* ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا ﴾ أى: وأشهدوا.

* ﴿ شَهِيدَيْنِ ﴾ أى: شاهدين.

(١ ـ ٢) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٦٨).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦٥٥).

(٥ : ٧) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٦٨).

* ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾: قال أكثر العلماء: يشترط فى الشاهدين أن يكونا من الأحرار المسلمين، دون الصبيان والعبيد.

* ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾ أى: إن لم يكن الشاهدان رجلين.

* ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ أى: فليشهد رجل وامرأتان.

وأجمع الفقهاء على أن شهادة النساء مع الرجال فى الأموال جائزة بهذا النصّ الكريم.

* قال البغوى فى تفسيره: اختلف الفقهاء فى شهادة النساء فى غير الأموال كما يلى:

* أولا: ذهب سفيان الثورى، وأصحاب الرأى إلى أنه تجوز شهادتهن مع الرجال فى غير العقوبات.

* ثانيًا: ذهب جماعة من الفقهاء إلى أن غير الأموال لا يثبت إلا بشهادة رجلين عدلين.

* ثالثًا: ذهب الإمام الشافعى إلى أن ما يطلع عليه النساء غالبًا كالولادة، والرضاع، والثيوبة، والبكارة ونحوها يثبت بشهادة رجل وامرأتين، أو أربع نسوة.

* رابعًا: اتفقوا على أن شهادة النساء غير جائزة فى العقوبات[(١)].

* ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ أى: من كان مرضيًا فى ديانته، وأمانته.

• فائدة مهمة:

اعلم أخى المسلم أن شروط قبول الشهادة سبعة:

الإسلام ـ والحرية ـ والعقل ـ والبلوغ ـ والعدالة ـ والمروءة ـ وانتفاء التهمة.

* ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾:

✻ **المعنى:** إذا نسيت إحدى المرأتين الشهادة، أوبعض ملابساتها، ذكرتها المرأة التى لم تنس.

* ﴿وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾: أى: إذا ما دعوا لأداء الشهادة التى تحملوها.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/٢٦٨).

* وهذا قول كل من:

١ ـ مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ).

٢ ـ وعطاء بن أبي رباح (ت ١١٥هـ).

٣ ـ وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ).

٤ ـ وسعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ)[١].

* ﴿وَلَا تَسْأَمُوا﴾ أي: ولا تملّوا.

* ﴿أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾ أي: أن تكتبوا الحقّ سواء كان صغيراً أو كبيراً، قليلا أو كثيراً.

* ﴿إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾: لأن الكتاب أحصى للأجل والمال معًا.

* ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾ أي: الكتاب أعدل عند الله ـ تعالى ـ لأنه أمَرَ به، واتّباع أمره أعدل من تركه.

* ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾: لأن الكتابة تذكر الشهود.

* ﴿وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ أي: أحرى وأقرب إلى ألا تشكوا في الشهادة.

* ﴿إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾:

✽ **المعنى:** إلا أن تكون تجارة حاضرة يداً بيد تديرونها بينكم ليس فيها أجل.

* ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾:

✽ **المعنى:** ليس عليكم جناح، أي: إثم في عدم كتابة التجارة الحاضرة.

* ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾:

* قال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): هذا عزم من الله ـ تعالى ـ والإشهاد واجب في صغير الحق وكبيره، ونقده ونسيئه[٢].

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٦٨).

(٢) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٧٠).

* وقال بعض العلماء: هذا الأمر للندب وليس للوجوب[١].

* ﴿وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ﴾: قال ابن عباس - رضى الله عنهما -: يأتى الرجلُ الرجلين، فيدعوهما إلى الكتاب والشهادة، فيقولان: إنّا على حاجة، فيقول: إنكما قد أمرتما أن تجيبا، فليس له أن يضارهما[٢].

* ﴿وَإِن تَفْعَلُوا﴾ أى: ما نهيتم عنه من الضرار.

* ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ أى: معصية وخروج عن أمر الله - تعالى -.

* ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أى: خافوا عقابه، ولا تعصوه.

* ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ أى: ما فيه خيركم، وصلاحكم فى الدنيا والآخرة.

* ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أى: عالم من يطيعه فيثيبه، ومن يخالفه ويعصيه فيعاقبه على ذلك.

وصدق الله إذ قال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ (٥٠)﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ [رقم: ٢٨٢]

قرأ قالون، وأبو جعفر بخُلْف عنهما بإسكان الهاء للتخفيف. وقرأ الباقون بضم الهاء، وهو الوجه الثانى لقالون وأبى جعفر وذلك على الأصل[٣].

* ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ [رقم: ٢٨٢]

قرأ حمزة بكسر الهمزة، على أنّ «إنْ» شرطية و «تضلَّ» مجزوم بها والجملة فعل الشرط، وفتحت اللام للإدغام، وجواب الشرط جملة ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ ... إلخ.

وقرأ الباقون بفتح همزة ﴿أَنْ﴾ على أنّ «أن» مصدرية و﴿تضلَّ﴾ منصوب بها وفتحةُ اللام فتحة إعراب[٤].

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٢٧٠).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦٥٧).
(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ١٠٨).
(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣٠٢)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١٠٩).

* ﴿ فَتُذَكِّرَ ﴾ [رقم: ٢٨٢]

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب بإسكان الذال، وتخفيف الكاف مع نصب الراء، عطفًا على ﴿ تَضِلَّ ﴾ وهو مضارع «ذكَر يَذْكر» مخففًا مثل: نصر ينصر.

وقرأ حمزة بفتح الذال وتشديد الكاف، ورفع الراء على أنه فعل مضارع «ذكّر» مشددًا لم يدخل عليه ناصب ولا جازم.

وقرأ الباقون بفتح الذال، وتشديد الكاف، ونصب الراء، عطفًا على ﴿ تَضِلَّ ﴾ وهو مضارع «ذكّر» مشددًا أيضًا[١].

* ﴿ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً ﴾ [رقم: ٢٨٢]

قرأ عاصم بنصب التاء فيهما، على أن ﴿ تجارةً ﴾ خبر تكون و﴿ حاضرةً ﴾ صفة لها، واسم ﴿ تكون ﴾ مضمر، أي: إلا أن تكون المعاملة، أو المبايعة تجارة حاضرة.

وقرأ الباقون برفع التاء فيهما، على أن ﴿ تكون ﴾ تامّة، و﴿ تجارةٌ ﴾ فاعل و﴿ حاضرةٌ ﴾ صفة لها[٢].

* ﴿ وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ ﴾ [رقم: ٢٨٢]

قرأ أبو جعفر بخلف عنه بتخفيف الراء وإسكانها، مضارع «ضار يضير» و«لا» ناهية، والفعل مجزوم بها وسكنت الراء إجراء للوصل مجرى الوقف.

وقرأ الباقون بتشديد الراء مع فتحها، وهو الوجه الثاني لأبي جعفر، و«لا» ناهية، والفعل مجزوم بها، ثم تحركت الراء الأخيرة تخلصًا من التقاء الساكنين على غير قياس، وكانت فتحة لخفتها[٣].

---

(١) انظر: الكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٢٠)، والمستنير في تخريج القراءات (١/ ٩١).

(٢) انظر: المغني في توجيه القراءات (١/٣٠٦).

(٣) انظر: المغني في توجيه القراءات (١/ ٣٠٧)، والمهذب في القراءات العشر (١/ ١١٠).

﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨٣) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾:

✳ **المعنى:** من كان على سفر فبايع بيعًا إلى أجل فلم يجد كاتبًا رُخِّص له فى الرهان المقبوضة.

ويجوز فى الحضر الرهن مع وجود الكاتب، والدليل على ذلك الحديث التالى:

* أخرج البخارى، ومسلم، والنسائى، وابن ماجه، والبيهقى عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ) قالت: اشترى رسول الله ﷺ طعامًا من يهودى بنسيئة، ورهنه درعًا له من حديد[١].

* ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾:

✳ **المعنى:** فإن كان الذى عليه أمينًا عند صاحب الحقّ فلم يرتهن منه شيئًا لحسن ظنه به فليقضه على الأمانة.

* ﴿ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾: فى أداء الحقّ.

* ﴿ وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ﴾ أى: إذا دعيتم إلى إقامة الشهادة فلا تكتموها، لأن من كتمها فقد توعّده الله بقوله:

* ﴿ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾:

* قال السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): معنى ﴿ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾ أى: فاجر قلبه[٢].

* وعن الربيع بن خثيم أبى زيد الكوفى (ت قبل ٩٠هـ) قال: لا يحل لأحد أن يكتم شهادة هى عنده وإن كانت على نفسه أو الوالدين أو الأقربين[٣].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦٦٠).

* ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾: من بيان الشهادة وكتمانها.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ [رقم: ٢٨٣]

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿ فَرُهُنٌ ﴾ بضم الراء، والهاء، من غير ألف جمع «رَهْن» نحو: «سَقْف وسُقُف».

وقرأ الباقون: ﴿ فرِهَان ﴾ بكسر الراء، وفتح الهاء، وألف بعدها جمع «رَهْن» أيضًا نحو: «كَعْب وكعاب»(١).

* الرهْن: هو توثيق دين بعيْن يمكن استيفاؤه منها أو من ثمنها، وذلك كأن يستدين شخص من آخر دينًا، فيطلب الدائن منه وضع شيء تحت يده من: حيوان، أو عقار، أو غيرهما ليستوثق دينه، فمتى حلّ الأجل ولم يسدد له دينه استوفاه مما تحت يده.

والدائن يسمَّى مرتَهِنًا، والمدين يُسمَّى راهنًا، والعين المرهونة تُسمَّى رهنًا.

﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤) ﴾

•• الناسخ والمنسوخ:

* أخرج الطبراني، والبيهقي في الشعب عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾ [رقم: ٢٨٤].

قال: لما نزلت اشتدّ ذلك على المسلمين وشق عليهم فنسخها الله، فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦](٢).

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات (١/ ٣١٠)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٢٢)، والمستنير في تخريج القراءات (١/ ٩٣).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي(١/ ٦٦٣)، وأسباب النزول للواحدي ص٩٧، وأسباب النزول للشيخ القاضي ص٤٥، وتفسير البغوي (١/ ٢٧١).

* وقال القرطبي في تفسيره: إنها منسوخة وهو قول كل من:

١ ـ عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضي الله عنه).

٢ ـ و«عائشة أم المؤمنين» (ت ٥٨هـ ـ رضي الله عنها).

٣ ـ ومحمد بن سيرين (ت ١١٠هـ).

٤ ـ وعطاء بن أبي رباح (ت ١١٥هـ)، وأيضًا هو قول غيرهم.. اهـ[١].

❀ معاني المفردات:

* ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾: ملكًا، وأهلهما له عبيد، وهو مالكهم.

* ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾: عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: فذلك سرائركم وعلانيتكم[٢].

* ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾:

* عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة يقول: «إني أخبركم بما أخفيتم في أنفسكم مما لم تطلع عليه ملائكتي، فأمّا المؤمنون فيخبرهم ويغفر لهم ما حدّثوا به أنفسهم وهو قوله: ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾. وأمّا أهل الشك والريب فيخبرهم بما أخفوا من التكذيب وهو قوله: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]»[٣].

* ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

* عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) قال: يغفر لمن يشاء الكبير من الذنوب، ويعذب من يشاء على الصغير[٤].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ [رقم: ٢٨٤]

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٢٧١).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٦٦٢).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٦٦٤).

قرأ ابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ فيغفر ﴾، ﴿ ويعذب ﴾ برفع الراء من ﴿ فيغفر ﴾ ورفع الباء من ﴿ ويعذب ﴾ وذلك على الاستئناف.

والتقدير: فهو يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء.

وقرأ الباقون ﴿ فيغفر ﴾، ﴿ و يعذب ﴾ بجزمهما، وذلك عطفًا على قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يحاسبكم ﴾ الواقع جوابًا للشرط[1].

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) ﴾

❀ **معانى المفردات:**

* ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ ﴾ أى: صدّق.

* ﴿ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾:

✳ **المعنى:** كل واحد منهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله.

* عن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصارى (ت ٧٨هـ): أن «جبريل» ـ عليه السلام ـ قال للنبى ﷺ حين نزلت هذه الآية: إن الله قد أثنى عليك وعلى أمتك، فسَلْ تعطه، فسأل بتلقين من الله ـ تعالى ـ فقال: «غفرانك ربنا وإليك المصير»[2].

* ﴿ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾:

* عن مقاتل بن حيّان البلخى (ت ١١٠هـ) قال: لا نكفر بما جاءت به الرسل، ولا نفرق بين أحد منهم، ولا نكذّب به[3].

* ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ أى: سمعنا ما أمرتنا به سماع قبول، وأطعنا جميع أوامرك، وانتهينا عن كل ما نهيت عنه، وهذا هو الإيمان الحقيقى الخالص. الذى لا ريب فيه.

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (١/ ٣١٢)، والمهذب فى القراءات العشر (١/ ١١١)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٢٣).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٦٦٥).

* ﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾:

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ﴾ قال ـ أي الله تعالى ـ: قد غفرت لكم. * ﴿ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ قال ـ أي ابن عباس ـ: إليك المرجع والمآب يوم يقوم الحساب(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَكُتُبِهِ ﴾ [رقم: ٢٨٥]

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف البزّار: ﴿ وكتابه ﴾ بكسر الكاف، وفتح التاء، وألف بعدها، على التوحيد، والمراد به القرآن أو الجنس.

وقرأ الباقون ﴿ وكتبه ﴾ بضم الكاف والتاء، وحذف الألف، على الجمع، وذلك لتعدّد الكتب المنزّلة من السماء على الأنبياء والمرسلين(٢).

* ﴿ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ [رقم: ٢٨٥]

قرأ يعقوب: ﴿ لا يفرق ﴾ بالياء التحتية، على أن الفاعل ضمير يعود على الرسول ﷺ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ﴾.

وقرأ الباقون: ﴿ لا نفرق ﴾ بالنون، وذلك على الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

والتقدير: كل من الرسول والمؤمنين يقول: ﴿ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾(٣).

﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ أي: طاقتها.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٦٦٥).

(٢) انظر: المغني في توجيه القراءات (١/ ٣١٣)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٣٢٣)، وحجة القراءات لابن زنجلة ص١٥٢.

(٣) انظر: المغني في توجيه القراءات (١/ ٣١٤)، والمستنير في تخريج القراءات (١/ ٩٥)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٦٧.

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضي الله عنهما) قال: هم المؤمنون وسّع الله عليهم أمر دينهم فقال: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦][١].

* ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ أي: من العمل.

* ﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾:

* أخرج ابن ماجه، وابن المنذر، وابن حبّان، والطبراني، والدارقطني، والحاكم، والبيهقي في سننه عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تجاوز لي عن أمّتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه» اهـ[٢].

* ﴿ رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾:

* أخرج ابن أبي شيبة، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه عن عبد الرحمن بن حسنة: أن النبي ﷺ قال: «إن بني إسرائيل كانوا إذا أصابهم البول قرضوه بالمقاريض» اهـ[٣].

* وأخرج ابن أبي حاتم عن الفضيل في قوله - تعالى -: ﴿ رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ قال: كان الرجل من بني إسرائيل إذا أذنب ذنبًا قيل له: توبتك أن تقتل نفسك فيقتل نفسه، فوضعت الآصار عن هذه الأمّة.. اهـ[٤].

* وأقول: مما يدلّ على ذلك قوله - تعالى -: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ ﴾ [البقرة: ٥٤].

* ﴿ رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾:

* أخرج ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) قال: لا تحملنا من الأعمال ما لا نطيق[٥].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٦٦٥).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٦٦٦).

(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٦٦٧).

* ﴿ وَاعْفُ عَنَّا ﴾ أي: تجاوز وامْح عنا ذنوبنا.

* ﴿ وَاغْفِرْ لَنَا ﴾ أي: إن انتهكنا شيئًا مما نهيتنا عنه.

* ﴿ وَارْحَمْنَا ﴾: فإننا لا ننال العمل إلا بطاعتك، ولا نترك معصيتك إلا برحمتك، ولم ينج أحد إلا برحمتك يا أرحم الراحمين، فقد قلت وقولك الحق: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢) ﴾ [طه: ٨٢].

* ﴿ أَنتَ مَوْلَانَا ﴾ أي: ناصرنا، وحافظنا، وولينا.

* ﴿ فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ فقد قلت وقولك الحق: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (١٤١) ﴾ [النساء: ١٤١].

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ﴾ قال الله: قد غفرت لكم، وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ قال: لا أؤاخذكم. وفي قوله ـ تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا ﴾ قال: لا أحمل عليكم إصرًا، وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ قال: لا أحمّلكم، وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاعْفُ عَنَّا ﴾... إلخ. قال: عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين[1].

تمّ ولله الحمد والشكر تفسير سورة البقرة

ويليها بإذن الله ـ تعالى ـ

[تفسير سورة آل عمران]

* * *

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٧٥).

فهرس المقدمة والتمهيد

فهرس المحتويات

تابع فهرس المحتويات

تابع فهرس المحتويات

تابع فهرس المحتويات

تابع فهرس المحتويات

تابع فهرس المحتويات

تابع فهرس المحتويات

فتح الرحمن الرحيم
فى
تفسير القرآن الكريم

تأليف

أ. د/ محمد محمد محمد سالم محيسن

تخصص فى القراءات وعلوم القرآن
عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف
دكتوراه فى الآداب العربية

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

دار محيسن
للطباعة والنشر والتوزيع